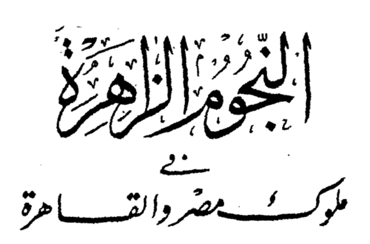


تراثنا



تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

الجزء الرابع عشر

تحقيق

الدكتور جمال محمد محرز | الأستاذ فهيم محمد شلتوت

الناشر
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٣٩١هـ - ١٩٧١م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا هو الجزء الرابع عشر من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى .

وهذا الجزء يؤرخ للحقبة التى حكم فيها السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى وابنه السلطان الملك المظفر أحمد ، ثم السلطان الملك الظاهر ططر وابنه السلطان الملك الصالح محمد بن ططر ، ثم السلطان الملك الأشرف برسباى .

وإذا كان الجزء الثالث عشر قد أرخ للعالم العربى والأطراف الدائرة فى فلكه فى فترة غمرتها أحداث لم تشهد مصر وما والاها مثلها من قبل ، كغزو تيمور لنك لسوريا سنة (٨٠٢ — ٨٠٣ هـ) ، والصراع المحتدم بين السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وكبار أمراء دولته ، ذلك الصراع الذى انتهى بمقتل كثير من أمراء الدولة ثم مقتل السلطان نفسه ، إلى الجدب العظيم الذى أصيبت به البلاد نتيجة لقصور فيضان النيل ، إلى انتشار الطاعون فى البلاد ، وانعكاس أثر ذلك كله على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية .

إذا كان هذا هو موضوع الجزء الثالث عشر فإن الجزء الرابع عشر يؤرخ لفترة من الاستقرار النسبى سادت البلاد العربية فانتعشت أحوالها وتفرغ بعض السلاطين إلى إقرار الأمور فى الأطراف ، فجال المؤيد شيخ المحمودى فى بلاد الشام وما جاورها من بلاد الروم ، وأدب عصاة التركمان ، ومهد قلاع الثغور الإسلامية ، وأكد ولاءها للدولة .

كذلك أرسل ابنه المقام الصارمى إبراهيم على رأس حملة مهدت الأمور فى القلاع الرومية، وقضى على العصاة من التركمان ، ونشر هيبة الدولة فى الأقطار المجاورة .

كذلك فعل السلطان ططر — على قصر فترة حكمه — وأيضا فعل السلطان برسباى . وخلفت هذه الفترة كثيرا من الآثار الشامخة التى تدل على استتباب أمور الدولة وتفرغ السلطان وكبار رجاله إلى التعمير والتشييد؛ من ذلك مسجد ومدرسة السلطان الملك المؤيد داخل باب زويلة الذى يقول المؤلف عنه : لم يبن فى الإسلام أكثر زخرفة منه بعد الجامع الأموى بدمشق ، وكذلك مدرسة ومسجد الأشرف برسباى، وغيرهما من الآثار الشامخة التى أخنى عليها الدهر . مثل قبة البحرة بقلعة الجبل ، وبيمارستان المؤيد شيخ ، ومنظرة « الخمس وجوه » ومسجد جزيرة الروضة .

ولولا خروج بعض الأمراء من حكام البلاد الشامية والحلبية عن الطاعة ، واضطرار السلطان لقتالهم ، ولولا الطاعون العظيم الذى انتشر فى البلاد العربية وغيرها من الأقطار الأفريقية والأقطار الأوربية (سنة ٨٣٣ هـ) والذى لم يشهد العالم مثله فى تلك الحقب ، ولولا ما اتسم به عهد برسباى من تذمر المماليك السلطانية أو المماليك الأجلاب كما يطلق عليهم ، وخروجهم عن الطاعة فى كل قليل وكثير ، واعتدائهم على كبار رجال الدولة لكانت الفترة التى يؤرخ لها هذا الجزء من كتاب النجوم الزاهرة من أحسن الفترات التى مرت بالدولة الإسلامية .

وتتميز هذه الفترة بالانتصارات المتتابعة للدولة على الفرنج الذين دأبوا على مهاجمة الثغور الإسلامية، والاستيلاء على مراكب المسلمين وقوافل تجارتهم البحرية مما اضطر الملك الأشرف برسباى أن يعد الحملة تلو الحملة لتأديب قراصنة الفرنج ، ثم يعد حملة كبيرة تشترك فيها الجيوش النظامية والمطوعة من المجاهدين إلى قبرس سنة ٨٢٩ هـ فتنتصر انتصارا ساحقا على جيوش قبرس وجيوش الفرنج المساندة لها ، وتعود بالغنائم والأسرى ومن بينهم ملك قبرس نفسه .

وقد أفرد المؤلف فصلا لغزوة قبرس حكى فيه أخبارها ، وكيف تم انتصار الجيوش

الإسلامية فيها وكيف أسر الملك ، ثم عودة الجيوش واستقبال الشعب العربى فى القاهرة لها ، ومراسيم الدولة فى هذا الاستقبال ، وحال ملك قبرس فى حضرة السلطان ، وما انتهى إليه أمر الملك من الإفراج عنه ودخوله فى طاعة الدولة وتقرير خراج سنوى يدفع للسلطان .

ولقد كانت هذه الغزوة بمثابة فرض سلطة الدولة الإسلامية على جزر البحر المتوسط ، ولذلك نرى ملك رودس يسارع فيطلب الأمان من السلطان ويطلب إعفاء بلاده من الغزو ، ويتعهد بالقيام بكل ما يطلب منه .

وتترك هذه الانتصارات أثرها المرير بين أعداء الدولة الإسلامية ، ليس لدى الفرنج وحدهم كما تعودنا ولكن لدى الحطى ملك الحبشة أيضا ، مما يجعله يمهد لمؤامرة على الدولة الإسلامية فيرسل رسوله إلى ملوك الفرنج يستثيرهم ويؤلبهم على الدولة ، ويرسم معهم خطة مهاجمتها من الشمال ومن الجنوب برا وبحرا ، ولكن يقظة الدولة توقع برأس العمالة الذى يتمتع بنسبته للدولة الإسلامية ، وتقدمه للمحاكمة ثم تعدمه جزاء غدره وخيانته[1] .

ويؤرخ هذا الجزء أيضا للأحداث التى وقعت فى اليمن سنة ٨٣٢ هـ ، وكذلك للأحداث التى وقعت فى المشرق (شمالى العراقين) والتى انتصرت فيها الحملة المصرية الشامية واستولت على الرها وغيرها من البلاد .

كذلك يؤرخ للحروب التى وقعت بين شاه رخ بن تيمور لنك ، وبين إسكندر ابن قرايلك والتى انتهت بهزيمة إسكندر وفناء جيوشه وتشتته فى البلاد .

* * *

ومؤرخنا فى هذا الجزء يصف عن مشاهدة ويتحدث عن خبرة حديث القريب من الأحداث اللصيق بها ، فهو مثلا يتحدث عن موقف طريف له فى طفولته مع السلطان الملك المؤيد شيخ فيقول[2] :

---

(١) ص ١١٢

(٢) ص ٣٢٤ — ٣٢٦

دخلت إليه مرة — وأنا فى الخامسة — فعلمنى — قبل دخولى إليه — بعض من كان معى أن أطلب منه خبزا ، فلما جلست عنده وكلمنى سألته فى ذلك ، فغمز من كان واقفاً بين يديه — وأنا لا أدرى — فأتاه برغيف كبير من الخبز السلطانى ، فأخذه بيده وناولنيه وقال : خذ هذا خبز كبير مليح ، فأخذته من يده وألقيته إلى الأرض ، وقلت : أعط هذا للفقراء ، أنا ما أريد إلا خبزا بفلاحين يأتوننى بالغنم والأوز والدجاج . فضحك حتى كاد أن يغشى عليه ، وأعجبه منى ذلك إلى الغاية ، وأمر لى بثلاثمائة دينار ووعدنى بما طلبته وزيادة .

وعلاقة مؤرخنا بسلاطين الدولة فى هذه الحقبة واتصاله بهم ومعيشته فى بلاطهم — حتى عد فى بعض الأوقات من ندمائهم — أتاحت له أن يطلع على كثير من الأمور وأن يعيش بعضها وأن يسجلها فى تاريخه هذا وفى غيره ، وأن يكون حديثه عنها وثيقة تاريخية لها قيمتها فى تحليل أحداث هذه الحقبة وتقويمها .

وتناوله لبعض آراء مؤرخى عصره ، ومناقشته لهم ، تبين إلى أى مدى كانت أحكامه صادقة وآراؤه سليمة .

فهو حين يناقش مؤرخ العصر الشيخ تقى الدين المقريزى حول رأيه فى الملك المؤيد شيخ وتقويمه له ، يقول[1] : وكان يمكننى الرد على جميع ما قاله بحق غير أننى لست مندوبا إلى ذلك ، فلهذا أضربت عن تسويد الورق وتضييع الزمان ، والذى أعرفه أنا من حاله أنه كان سلطانا جليلا مهابا شجاعا عاقلا نقادا . . . الخ .

وحين يناقشه أيضا فى ترجمته للسلطان الملك الظاهر ططر يقول[2] : هذا القول لا يقوله إلا من ليس له خبرة بقواعد السلاطين ، ولا يعرف ما الملوك عليه بالكلية ، ولولا أن المقريزى ذكر هذه المقالة فى عدة كتب من مصنفاته ما كنت أتعرض إلى جواب ذلك ؛ فإن هذا شىء لا يشك فيه أحد ، ولم يختلف فيه اثنان غير أنى أعذره

---

(١) ص ١١٠

(٢) ص ٢٠٠

فيما نقل ، فإنه كان بمعزل عن الدّولة ، وينقل أخبار الأتراك عن الآحاد ، فكان يقع له من هذا وأشباهه أوهام كثيرة نبّهته على كثير منها فأصلحها معتمدا على قولى ، وها هى مصلوحة بخطه فى مظنات الأتراك وأسمائهم ووقائعهم .

وهو يناقش حافظ العصر شهاب الدين بن حجر فى نسبة السلطان الملك الأشرف برسباى بالدقاقى فيقول[1] : وسبب سياقنا لهـــذه الحكاية أن قاضى القضاة شهاب الدين ابن حجر — رحمه الله — نسبه أنه عتيق دقاق ، وليس الأمر على ما نقله ، وهو معذور فيما نقله لبعده عن معرفة اللغة التركية ومداخلة الأتراك ، وقد اشتهر أيضا بالدقماق فظن أنه عتيق دقاق ، ولم يعلم نسبته بالدقماق كما أن نسبة الوالد — رحمه الله بالبشبغاوى والمؤيد بالمحمودى ونوروز بالحافظى . . . . . وقد وقفت على هذه المقالة فى حياته على خطه ولم أعلم أن الخط خطه فإنه كان (أى ابن حجر) رحمه الله يكتب ألوانا ، وكتبت على حاشية الكتاب وَ بيّنت خطأه ، وأنا أظن أن الخط خط ابن قاضى شهبة ، وعاد الكتاب إلى أن وقع فى يد قاضى القضاة المذكور ، فنظر إلى خَطِّى وعرفه واعترف بأنه وهم فى ذلك . . . قلت : وعلى كل حال إن هذا الوهم هو أقرب للعقل من مقالة المقريزى فى الملك الظاهر ططر « إن الملك الناصر فرجا أعتقه بعد سنة ثمان فى سلطنته الثانية » . وأيضا أحسن مما قاله المقريزى فى حق الملك الأشرف برسباى هذا بعد وفاته فى تاريخه « السلوك » فى وفيات سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . . الخ . .

ومن هنا تجىء أهمية هذا الجزء وما يليه ، ويأخذ مكانه الصحيح بين الكتب التى أرخت لهذه الحقبة .

* * *

هذا وقد تم تحقيق هـذا الجزء على نسق الأجزاء السابقة منه والتى اضطلع بتحقيقها القسم الأدبى بدار الكتب ، ورُجِع فى تحقيق الأحداث وتراجم الأعلام إلى المصادر

---

(١) ص٢٤٣ — ٢٤٥

المعتمدة والمَطروقة فى هذا الميدان ، وقوبل الجزء على مصورة مخطوطة « أيا صوفيا » المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٤٣ تاريخ ، وكذلك على طبعة كاليفورنيا التى حققها المستشرق وليم پوپر ، وتُرِكَت لغةُ المؤلف وما فيها من تعبيرات عامية على حالها لتعطى صورة عن لغة العصر .

وإنا لنرجو أن نكون قد وفقنا ، وأن يكون الجهد الذى بذلناه موضع القبول .

والله ولى التوفيق .

المحققان

د جمال محمد محرز . فهيم محمد شلتوت

٢٠ من شوال سنة ١٣٩١
٧ من ديسمبر سنة ١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر سلطنة الملك المؤيد شيخ المحمودى [1]
على مصر

السلطان الملك المؤيّد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودىّ الظّاهرىّ ، وهو السلطانُ الثّامن والعشرون من ملوك التُّرْك بالدّيار المصريّة ، والرابع من الجراكسة وأولادهم ، أصلُه من مماليك الملك الظّاهر بَرْقُوق ، آشتراهُ من أستاذه الخواجا محمود شاه البَرْزِىّ فى سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة ، وبَرْقُوقُ يومَ ذاك أتابكُ [2] العساكر بالديار المصريّة قبل سلطنته بنحو السنتين ، وكان عمرُ شيخ المذكور يوم آشتراه الملكُ الظاهرُ نحو آثنتى عشرة [3] سنة تخميناً ، وجعله بَرْقُوق من جُمْلة مماليكه ، ثم أعتقه بعد سلطنته ، ورقّاه إلى أن جعله خاصّكيّاً [4] ثم ساقياً [5] فى سلطنته الثانية ، وغضب عليه الملك الظاهرُ بَرْقُوق غير مرّة ، وضربه ضَرْباً مُبَرِّحاً ؛ لانهماكه فى السّكر وعزّره وهو لا يَرْجع عمّا هو فيه ، كلُّ ذلك وهو فى رتبته وخصوصيّته عند أستاذه إلى أن أنعم عليه

(١) من هنا إلى نهاية ترجمة السلطان المؤيد شيخ المحمودى انفرد بتحقيقه والتعليق عليه فهيم محمد شلتوت

(٢) أتابك . ويقال أطابك . ومعناه الوالد أو الأمير ، والمراد أبو الأمراء أو هو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٨) .

(٣) فى الأصل «اثنى عشر» وسيتم تصويب كل ما هو من هذا القبيل دون إشارة فى الهامش .

(٤) الخاصكى : وتجمع على خاصكية ، وكثيرا ما ترد مضافة إلى السلطان فيقال خاصكية السلطان ، وهى فرقة من المماليك يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغارا ، ويجعل منهم حرسه الخاص ، ويكلفهم بالمهام الشريفة ، ويدخلون عليه فى خلواته ، ويتميزون عن غيرهم فى الخدمة بحملهم السيوف ، وانظر هامش (ج ٧ : ١٧٩ ، ١٧٠ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

(٥) الساقى : هو الذى يتولى تقديم الشراب للسلطان ويمد السماط ، ويقطع اللحم (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٤) .

الملك الظاهر بإمرة عشرة[(١)] ، ثم نقله إلى طبلخاناه[(٢)] ، ثم خلع عليه باستقراره أمير حاج المحمل فى سنة إحدى وثمانمائة ، فسار بالحج وعادَ وقد مات أستاذه الملك الظاهر بَرْقُوق ، فأُنْعِم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف[(٣)] بالديار المصريّة عوضًا عن الأمير بجَاس النَّوْرُوزِىّ بحكم لزوم بجَاس داره لِكِبَرِ سنّه ، ثم استقرّ بعد وقعة تَنَم الحسنى[(٤)] فى سنة آثنتين وثمانمائة فى نيابة طَرَابُلُس عِوَضًا عن يُونُس بَلْطَا بحُكم القبض عليه ، فدَامَ على نيابة طَرَابُلُس إلى أن أُسِر فى واقعة تَيْمُور[(٥)] مع من أُسِر من النوّاب ، ثم أُطْلِقَ وَعَادَ إلى الدِّيار المصريّة ، وأقام بها مُدّةً ثم أُعيد إلى نيابة طَرَابُلُس ثانيًا ، ثم نُقِلَ بعد مُدّة إلى نيابة دِمَشْق ، ثم وَقَعت تلك الفِتَنُ وثارت الحروب بين الأمَرَاء الظاهريّة ، ثم بينهم وبين ابن أستاذهم الملك الناصر فرج ، وقد مَرَّ ذكر ذلك كلّه مُسْتَوْفيًا فى ترجمة الملك الناصر وليس لذكره ههنا ثانيًا محلّ ، ولا زال شيخٌ المذكور يُدَبِّرُ والأقدارُ تُساعِدُه إلى أن آستولى على المُلكِ بعد القَبْض على الملك الناصر فرج[(٦)] وقتله .

وقَدِمَ إلى الديار المصرية وسَكَنَ الحَرّاقة من باب السلسلة[(٧)] ، وصار الخليفة

(١) إمرة عشرة : هى الطبقة الثالثة من الأمراء وعدة كل منهم عشرة فوارس ، وربما كان فيهم من له عشرون ، ومنها يكون صغار الولاة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٥) .

(٢) طبلخاناه : أمراء الطبلخاناه هم الطبقة الثانية من الأمراء ، ويلون أمراء المئين ومقدمى الألوف ، ولكل منهم أربعون فارسا إلى ثمانين ، وتكون منهم الرتب الثانية من أرباب الوظائف والكشاف وأكابر الولاة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٥) .

(٣) إمرة مائة وتقدمة ألف : هى الطبقة الأولى من الأمراء وانظر هامش (ج ١٣ : ٦ من هذا الكتاب ط الهيئة العامة للتأليف) .

(٤) هو الأمير تنبك الحسنى الظاهرى — المدعوتنم ، مات خنقا بقلعة دمشق فى ليلة الخميس رابع شهر رمضان سنه ٨٠٢ هـ (ج ١٣ : ١٦ من هذا الكتاب) وانظر الواقعة المشار إليها فى (ج ١٢ : ١٩٤– ٢١١ من هذا الكتاب) .

(٥) انظر اقتحام تيمور لتلك البلاد الشامية من شمالها إلى جنوبها فى (ج ١٢ : ٢١٦–٢٤٦ من هذا الكتاب) وله ترجمةوافية فى (ج ١٣ : ١٦٠ من هذا الكتاب أيضا) .

(٦) انظر القصة كاملة فى (ج ١٣ : ١٤٧–١٥٤ ، ١٩٥–١٩٨ من هذا الكتاب) .

(٧) باب السلسلة : هو الباب الموجود حاليا بميدان صلاح الدين ، وعرف قديما بباب الإصطبل ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٢٨٧ من هذا الكتاب) .

المستعين بالله فى قبضته وتحت أوامره حتى أجمعَ الناسُ قاطبةً على سلطنته ، وأجمعوا على توليته .

فلمّا كان يومُ الاثنين مُسْتَهَلّ شعبان حَضَر القضاةُ وأعيانُ الأمراء وجميعُ العساكر وطلعُوا إلى باب السِّلْسِلَة ، وتقدّم قاضى القضاة جلالُ الدين البُلْقِينىّ وبايَعَه بالسَّلْطنة ، ثم قامَ الأميرُ شيخ مِن مَجْلسِه ودَخَل مَبيتَ الحرّاقة بِباب السِّلْسِلة ، وخَرَجَ وعليه خلعةُ السَّلطنة السوْداء الخليفَتى[١] على العادة ، ورَكِبَ فَرَسَ النَّوْبة بشِعَار السَّلطنة ، والأمراء وأربابُ الدّوْلة مشاةٌ بين يديه ، والقبّة والطير[٢] على رأسه حتى طَلَع إلى القَلْعَة ونَزَل ودَخَل إلى القَصْر السُّلطانى ، وجَلَس على تَخْت المُلْك ، وقَبّلَت الأمراءُ الأرضَ بين يَدَيْه ، ودقت البشائر ، ثم نُودِىَ بالقاهرة ومصر باسمه وسلطنته ، وخلع[٣] على القضاة والأمراء ومن لَهُ عَادَةٌ فى ذلك اليوم ، وتَمّ أمرُه إلى يوم الاثنين ثامن شعبان جَلَسَ السُّلطانُ الملكُ المؤيّد بدَار العدل[٤] وعُمِلَ المَوْكِبُ على العادة ، وخَلَع عَلَى الأمير يَلْبُغا النَّاصِرِىّ أمير مجلس[٥] باستقراره أتابكَ العساكر بديار مصر عوضاً عن الملك المؤيّد شيخ المذكور ، ثم خَلَع عَلَى الأمير شاهين الأفرم باستِمْرَاره أميرَ سلاح[٦] عَلَى عادته ، وعَلَى الأمير قانى باى المحمدى باستقراره أمير

---

(١) يراد بذلك الخلعة السوداء ، وكانت من رسوم الخلافة العباسية ، وكان يطلق على العباسيين المسودة ، كما كان يطلق على خلفاء الفاطميين المبيضة .

(٢) القبة والطير : يراد بها المظلة التى كانت من رسوم الخلافة الفاطمية واستمرت حتى هذا العصر وانظر هامش (ج ١٣ : ٩٢ من هذا الكتاب) و (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٧ ، ٨) .

(٣) درجت نسخة أيا صوفيا على أن تعبر بـ «أخلع» ونادرا ما تعبر بـ «خلع» وسيلتزم المحقق التعبير الثانى فى كافة الكتاب دون الإشارة إلى التعديل فى كل موضع .

(٤) دار العدل : هى الإيوان الكبير بالقلعة ، ويجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة ، وإقامة العدل فى الرعية (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٣٦٩-٣٧١) وهو من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(٥) أمير مجلس : هو الذى يتولى أمر مجلس السلطان وتنظيمه وترتيب الجلوس فيه ، ويتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم ، وكانت الوظيفة أكبر قدرا من إمرة سلاح (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٨ ، ٥ : ٤٥٥) .

(٦) أمير سلاح : هو الذى يتولى أمر سلاح السلطان ، ويقدمه له فى المواكب ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٥ من هذا الكتاب) .

آخور كبيراً(١) ، وكانت شاغرة من يوم أُمْسِك الأمير أرْغُونْ مِن (٢) بَشْبُغَا ،
وعَلَى الأمير طُوغان الحَسَنِىّ الدَّوادَار(٣) الكبير باستمراره على عادته ، وعَلَى الأمير
سُودُون الأشقر رأس نَوْبَة النُّوَب(٤) باستمراره على عادته ، وعلى الأمير إينال
الصَّصْلانى حاجب الحجاب(٥) باستمراره عَلَى وظيفته ، ثم خلع على القضاة وعلى
٥ جميع أرباب الوظائف بأسرها . ثم خلع على الأمير طَرَبَاى الظاهرىّ بتوجهه إلى البلاد
الشامية (٦) مُبَشِّراً بسلطنته ، فتوجَّه إلى دِمَشْق ، وقَبْلَ وصوله إليها كان بَلَغ الأميرَ
نَوْرُوز الحافظىّ الخبرُ ، وأمْسَكَ جَقْمَق الأرْغُون شَاوِىّ الدَّوَادَار بعد قدومه من
طَرَابُلُس إلى دِمَشْق ، فلما قَدِمَ طَرَبَاىُ على نَوْرُوز المذكور ، وعرّفه بسلطنة الملك
المؤيَّد أنكرَ ذلك ولم يَقْبَله ولا تحرّكَ مِن مجلسه ولا مَسَّ المرْسُومَ الشَّرِيفَ بيده ،
١٠ وأَطْلَق لسَانه فى حَقِّ الملك المؤيَّد ، وردَّ الأميرَ طَرَباى إلى الديار المصرية بجوابٍ
خَشِنٍ إلى الغاية ، خاطَب فيه الملكَ المؤيَّدَ كما كان يخاطبه أوّلاً قبل سلطنته من غير
أن يَعْتَرِف له بالسلطنة ، وكان حُضُورُ طَرَباى إلى القاهرة عائداً إليها من دِمَشْق فى يوم

---

(١) الأمير آخور الكبير : هو المشرف على إسطبلات السلطان وما فيها من دواب (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٨) والوظيفة أحدثها الظاهر بيبرس (ج ٧ : ١٨٥ من هذا الكتاب ط دار الكتب)
١٥ ولفظ الكبير هنا لتمييزه عن الأمير آخور الثانى وهو الذى يلى هذا فى الرتبة .

(٢) كثيرا ما تقع لفظة «من» بين علمين ، وهى ليست تحريف كلمة «ابن» التى تدل على بنوة العلم السابق للعلم اللاحق ، وإنما هى لنسبة الأول للاحق سواء أكانت النسبة لجالبه — كما هنا — أو لمشتريه ، أو لأستاذه أو لمالكه ، وانظر (البدر العينى — السيف المهند ص ٣٢١ تحقيق فهيم شلتوت) .

(٣) الدوادار : وهو من أرباب السيوف ، ويتولى تبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغ عامة الأمور ،
٢٠ وتقديم القصص إليه ، وتقديم البريد . وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٩) .

(٤) رأس نوبة النوب : هو لقب على الذى يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، والعامة تقول لأعلاهم فى خدمة السلطان : رأس نوبة النوب ، وهو خطأ لأن المقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : رأس رءوس النوب (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٠) .

٢٥ (٥) حاجب الحجاب : ويكون من مقدمى الألوف ، وهو المشار إليه من الباب الشريف ، ويقوم مقام النائب فى كثير من الأمور ، ويحكم بين الأمراء والجند بنفسه أو بمراجعة النائب (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٩) .

(٦) ورد فى هامش اللوحة «توجه طرباى إلى البلاد الشامية مبشرا بسلطنة المؤيد شيخ ، فامتنع نوروز عن الطاعة » .

الثلاثاء أوّل شهر رَمَضان من سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وكان الذى قَدِمَ صُحْبَةَ طَرَباى من عنـد الأمير نَوْرُوز إلى القاهرة الأمير بَـكْتَمُر السَّيفىّ تَغْرى بَرْدِى ، أعنى أحَد مماليك الوَالد ، وكان من جُملة أمَرَاء الطَّبْلخَانات بدِمَشْق ، وكان قبـل خروجه من دِمَشْق أوْصَاهُ الأميرُ نَوْرُوز أنه لا يُقَبِّلُ الأرضَ بين يَدَىْ الملك المُؤَيَّد ، فلما وصَلَ إلى الديار المصريَّة وحَضَر بَيْن يَدَىْ السّلطان أمَرَهُ أربابُ الدّوْلة بتَقْبيل الأرض فأبى [١] وقال : مُرْسِلِى أمَرَنِى بعدَم تَقْبيل الأرْض ، فٱستشاطَ الملك المؤيَّد غَضَبًا وكادَ أن يأمُرَ بضَرْب رَقَبَته حتى شَفَعَ فيـه مَنْ حضر من الأمراء ، ثم قَبَّلَ الأرْض .

ثُمَّ فى سابع عشر شهر رمضان المذكور أرسل الملك المُؤَيَّدُ الشيخَ شرفَ الدين ابن التَّبَّانى الحنفىّ رَسُولًا إلى الأمير نَوْرُوز لِيَتَرضَّاه ، ويُـكلِّمه فى الطَّاعَة له وعَدَم المخالفة ، وسافر ابنُ التَّبَّانىّ إلى جهة الشام .

ثم فى تاسع شوّال أمْسَكَ السلطانُ الملك المؤيد شيخ الأميرَ سُودُون المحمدى المعروف بتِلِّى [٢] أى مَجْنُون ، وقيَّده وأرْسَلَه إلى سِجْن الإسكندرية ، ثم أمْسَكَ فتحَ الله كاتبَ السرِّ [٣] ، واحتاطَ على مَوْجُودِه وصَادَرَه ، فضُرِبَ فتحُ الله المذكور وعُوقِب أشَدَّ عقوبة حتى تقرَّر عليه خمسون ألف دينار .

ثم فى ثالث عشر شوّال استقرّ القاضى ناصر الدين بن البارِزِىّ فى كتابه السِّرِّ الشريف بالديار المصرية عِوَضًا عن فتح الله المذكور .

هذا ، والأميرُ نَوْرُوز قد ٱستدعى جميعَ النُّوَّاب بالبلاد الشاميَّة لحضر إليه الأميرُ

---

(١) فى الأصل «أبى» .

(٢) فى الأصل «تلى» وما هنا من ط كاليفورنيا .

(٣) كاتب السر : هو الذى يقرأ الكتب الواردة على السلطان ، ويعد أجوبتها ، ويأخذ خط السلطان عليها ، ويتولى تسفيرها ، ويصرف المراسيم ورودا وصدورا ، ويجلس لقراءة القصص بدار العدل (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٠) وهذه الوظيفة أحدثها المنصور قلاوون ضمن ما أحدثه من الوظائف ، وانظر (ج ٧ : ٣٣٢—٣٣٣ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

يَشْبُك بن أزْدَمُر نائب حَلَب ، والأمير طُوخ نائب طَرَابُلُس ، والأمير قِمْش نائب حَمَاة ، وابنُ دُلْغَادِر ، وتَغْرِى بَرْدى ابن أخى دَمُرْدَاش[1] المدعو سَيِّدى الصَّغير ، فخرج الأمير نَوْرُوز إلى ملاقاتهم ، والْتَقَاهم وأَكْرَمَهُم ، وعاد بهم إلى دِمشْق ، وجمَعَ القضاة والأعيان ، واستفتاهم فى سلطنةِ الملك المؤيّد وحَبْسِهِ للخليفة وما أشبه ذلك ، فلَمْ يَتَكلّم أحدٌ بشىء ، وانفضَّ المجلسُ بغير طائل .

وأنعمَ نَوْرُوز على النوّاب المذكورين فى يوم واحد بأربعين ألف دينار ، ثم رَسَمَ لهم بالتوجّه إلى محل ولاياتهم إلى أن يبعث يطلبهم .

وقَدِمَ عليه ابنُ التُّبَّانى فمنعه من الاجتماع مع الناس ، واحتفظ به بعد أن كلّمه فلم يؤثّر فيه الكلامُ ، وأخذ الأمير نَوْرُوز فى تقوية أمورِهِ واستعداده لقتال الملك المؤيّد شيخ ، وطلبَ التُّرْكُمَان ، وأكثر من استخدام المماليك وما أشبه ذلك .

وبلغ الملكَ المؤيَّد شيخا ذلك فخلع فى ثالث ذى الحجة من السنة على الأمير قَرْقَمَاس ابن أخى دَمُرْدَاش المدعو سيّدى الكبير[2] باستقراره فى نيابة دِمَشْق عوضاً عن الأمير نَوْرُوز الحافظىّ ، وعند خروجه قَدِمَ الخبرُ بمفارقة أخيه الأمير تَغْرِى بَرْدى سيّدى الصغير لِنَوْرُوز وقُدُومه إلى صَفَد[3] داخلا فى طاعة الملك المؤيّد شيخ ، وكانت صَفَدُ فى حُكْم الملك المؤيَّد ، فدقّت البشائر بالديار المصريّة لذلك .

وبينما الملك المؤيّد فى الاستعداد لقتال نَوْرُوز ثارَ عليه مرض المفاصل حتى لَزِم الفراش منه عدّة أيام وتعطّلَ فيها عن المواكب السلطانية .

وأما قَرْقَمَاس سيّدى الكبير فإنه وصَلَ إلى غَزّة وسار منها فى تاسع صفر وتوجّه

---

(١) يضبط هذا العلم بكسر الدال والميم ، كما يضبط بفتح الدال وضم الميم ، وقد اخترنا الضبط الأخير فى ج ١٣ من هذا الكتاب وفى هذا الجزء أيضا وذلك لكثرة ما وجدته مضبوطا كذلك فى الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر ، والسيف المهند فى سيرة الملك المؤيد وكلاهما للبدر العينى .

(٢) ورد في هامش اللوحة «استقرار قرقماس فى نيابة دمشق » .

(٣) صفد : مدينة فى جبال عامله المطلة على حمص ، وانظر هامش (ج ٦ : ٤٢ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

إلى صَفَد واجتمع بأخيه تَغْرِى بَرْدى سيِّدى الصغير ، وخرج فى أثرهما الأميرُ أَلْطُنْبُغَا العثمانى نائب غَزَّة ، والجميعُ متوجِّهُون لقتال الأمير نَوْرُوز — وقد خرج نَوْرُوز إلى جهة حَلَب — ليأخذوا دِمَشْق فى غيبة الأمير نَوْرُوز ، فبَلَغَهم عَوْدُ نَوْرُوز من حَلَب إلى دِمَشْق ، فأقاموا بالرَّمْلة [(١)].

ثمّ قَدِمَ على السلطان آقْبُغَا بجواب الأمير دَمُرْدَاش المحمدى ونوّاب القلاع بطاعتهم أجمعين للسلطان الملك المؤيّد ، وصحبته أيضاً قاصدُ الأمير عُثْمان بن طُرْعَلِي المعروف بِقَرَايلُك ، فخلع السلطان عليهما ، وكتب جوابهما بالشكر والثناء .

ثم فى أوّل شهر ربيع الآخر قبض السلطان على الأمير قَصْرُوَه من تِمْراز الظاهرىّ ، وقيّده وأرسله إلى سجن الإسكندرية ، وشرَعَ الأميرُ نَوْرُوز كلما أرسل إلى الملك المؤيّد كتاباً يخاطبه فيه بمولانا ، ويفتتحه بالإمامى المستعين ، فيَعْظُمُ ذلك على الملك المؤيَّد إلى الغاية .

ولما بَلَغَ نَوْرُوز قدومُ قَرْقَماس بمن معه إلى الرَّمْلة سار لحربه ، وخرج من دِمَشْق بعساكره ، فلما بلغ قَرْقَماس وأخاه ذلك عادا بمن معهما إلى جهة الدِّيار المصرية عَجْزاً عن مقاومته حتى نزلا بالصالحية [(٢)].

وأما الملك المؤيَّد فإنه لما كان رابع جمادى الأولى أوفى النيلُ ستة عشر ذراعًا فركبَ الملكُ المؤيَّدُ من قلعة الجبل ، ونَزَل فى موكب عظيم حتى عَدَّى النيلَ وخلّقَ المِقْياس على العادة ، وركب الحرَّاقة [(٣)] لفتح خليج السَّد ، فأنشده شاعرُه وأحدُ ندمائه الشيخُ تقى الدين أبو بكر بن حجَّة الحموى الحنفى يخاطبه : [الطويل]

---

(١) الرملة : مدينة إسلامية بفلسطين بناها سليمان بن عبد الملك فى خلافة أبيه ، هامش (ج ٨ : ٣٦ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٢) الصالحية : قرية من قرى محافظة الشرقية ، بناها الصالح نجم الدين أيوب فنسبت إليه ، هامش (المقريزى — السلوك ١ : ٣٣٠).

(٣) الحراقة : نوع من السفن الحربية ، وتستخدم فى حمل الأسلحة النارية ، وآلات لرمى النيران على العدو ، وكان منها نوع فى مصر يستخدم فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات =

أيامَلِكاً بالله أضحَى مُؤَيَّداً
وَمُنْتَصِبًا فى مُلْكِهِ نَصْبَ تَمييز
كَسَرْت بِمسْرَى سَدَّ مِصْرَ وتنقضى
— وَحَقِّكَ — يومَ الكسرِ أيَّامُ نورُوز (١)

٥ فَحَسُنَ ذلك ببال السلطان الملك المؤيَّد إلى الغاية ، ثم ركب الملك المؤيَّد وعادَ إلى القلعة ، وأصبح أمسَكَ الوزيرَ ابن البشيرى ، وناظر الخاص (٢) ابن أبى شاكر ، وخلع على الصاحب تاج الدين عبدالرزاق بن الهَيْصَم باستقراره وَزيراً عوضًا عن [ابن](٣) البشيرى ، فعاد تاجُ الدين إلى لبس الكُتَّاب ، فإنه كان تزَيَّا بزِيِّ الجند لمَّا استقرَّ أستادارا (٤) بعد مَسْك جمال الدين فى الدولة الناصرية ، وتسلَّمَ ابنَ البشيريّ ،
١٠ وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الجيش باستقراره فى نَظَر الخاص عوضًا عن ابن أبى شاكر ، وخلع على علم الدين داود بن الكُوَيْز باستقراره ناظر الجيش (٥) عوضًا عن ابن نصر الله المذكور ، ثم خلع السلطانُ على الأمير سُودُون الأشقَر رأس نوبة النُّوَب باستقراره أميرَ مَجْلس ، وكانت شاغرة عن الأمير يَلْبُغَا الناصرى ، وخلع على الأمير جَانِى بَك الصُّوفِيّ باستقراره رأس نوبة النُّوَب عوضًا عن
١٥ سُودُون الأشقر ، وكان جَانِى بَك الصُّوفِى قَدِمَ هو والأميرُ أَلْطُنْبُغَا العثمانى نائب

= البحرية والحفلات الرسمية — وهو المقصود هنا — (محيط المحيط) و (المقريزى — الخطط ٢ : ١٩٤، ١٩٥).
(١) والبيت فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٢٧) .
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى وحقك بعد الكسر أيام نوروز
(٢) ناظر الخاص : هو الذى يتحدث فيما هو خاص بمال السلطان ، وهو كالوزير فى قربه من السلطان
٢٠ وتصرفه ، ويرجع إليه فى تدبير الأمور ، وتعيين المباشرين (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٠) .
(٣) سقط فى الأصل .
(٤) الأستادار : هو الذى يتولى شئون مال السلطان قبضا وصرفا ، ويتحدث فى أمر بيوته ، ويحكم فى غلمانه (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٠ ، ٥ : ٤٥٧) .
(٥) ناظر الجيش : هو الذى يتولى التحدث فى أمر الإقطاعات والكشف عنها ومشاورة السلطان
٢٥ بشأنها ، وديوان الجيش أول ديوان وضع فى الإسلام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٠ ، ٣١) .

غزّة ، وتغرى بَرْدِى سيّدى الصغير ، وأخوه قَرْقَماس سيدى الكبير المتولّى نيابة دِمَشْق ، فأقام الأخوان — أعنى قَرْقَمَاس وتَغْرى بَرْدِى — على قَطْيا[1] ، ودخل جانى بَك الصُّوفى و [أَلْطُنْبُغا] [2] العثمانى إلى القاهرة .

ثم فى سادس عشر جمادى الأولى المذكور أُشِيع [3] بالقاهرة رُكُوب الأمير طُوغان الحَسَنى الدوادار على السّلطان ومعه عِدّةٌ من الأمراء والمماليك السُّلطانيّة ، ٥ وكان طُوغان قد اتَّفق مع جماعة على ذلك ، ولمّا كان اللّيل انتظر طُوغان أن أحداً يأتيه ممّن اتّفق معه فلم يأته أحدٌ حتى قرب الفَجْر وقد لَبس السِّلاحَ وألبسَ مماليكه ، فعند ذلك قامَ وتسحَّبَ فى مملوكين واختفى ، وأصبحَ الناسُ يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى والأسواقُ مُغْلَقَةٌ والناسُ تترقّبُ وقوع فِتْنَة ، فنادَى السلطانُ بالأمان ، وأنّ من أحضرَ طُوغان المذكورَ فَلَهُ ما عليه مع خُبْز [4] فى الحَلْقَة ، ودام ١٠ ذلك إلى ليلة الجمعة عشرينه فوُجِدَ [5] طُوغَان بمدينه مصر فأُخذَ وحُمِلَ إلى القلعة ، وقيِّدَ وأُرْسِل إلى الإسكندرية صُحْبَة الأمير طُوغان أمير آخور الملك المؤيد .

ثم أصبحَ السلطانُ من الغد أمسَكَ الأميرَ سُودُون الأشقر أمير مَجْلس والأمير كَمَشْبُغَا العِيسَاوِىّ أمير شِكَار[6] ، وأحد مقدّمى الألوف ، وقُيِّدَا وحُمِلاَ إلى

(١) قطيا ، ويقال قطية : وهى قرية فى وسط الرمل قرب الفرما فى الطريق بين مصر والشام ، ١٥ وبها تحصل المكوس من القادمين إلى مصر ، وقد اندثرت . وانظر هامش (ج ٧ : ٧٧ ، ج ١٣ : ٥٨ من هذا الكتاب ط دار الكتب والهيئة العامة للتأليف) .

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «إشاعة بركوب طوغان على السلطان» .

(٤) خبز فى الحلقة : الخبز بمعنى الإقطاع ، ويقال خبز فلان أو إقطاع فلان (د. إبراهيم طرخان — ٢٠ النظم الإقطاعية ص ٤٨٠) وإقطاع الواحد من مقدمى الحلقة يبلغ ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان أجناد الحلقة ، ويبلغ مائتين وخمسين دينارا (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٥٠) .

(٥) فى الأصل «وجد» .

(٦) أمير شكار : هو الذى يتحدث فى شأن الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيود وأحواش الطيور ، ورتبة صاحبها أمير عشرة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٢) ولكن هذا كان من مقدمى ٢٥ الألوف وهى الرتبة الأولى فى الأمراء .

الإسكندرية صُحبَة الأمير بَرْسْبَاى الدُّقماق ، أعنى الملك الأشرف الآتى ذكره فى محله إن شاء الله تعالى .

ثم بعد يومين وسَّطَ [(١)] السلطانُ أربعة ، أحدهُم الأمير مُغُلْبَاى نائب القُدْس من جهة الأمير نَوْرُوز ، وكان قَرْقَمَاس سيِّدى الكبير قد قبض عليه وأرسَلَه مع اثنين أُخَر إلى السلطان ، فوسَّطَ السلطانُ الثلاثة وآخرَ من جهة طُوغان الدَّوَادَار .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشرينه أنعمَ السلطانُ بإقطاع [(٢)] طوغان على الأمير إينال الصَّصْلانى، وأنعم بإقطاع سُودُون الأشقر على الأمير تَنبَك البَجَاسىّ نائب الكَرَك[(٣)] — كان — ثم خلع على الصَّصْلانى باستقراره أمِيرَ مَجْلس عوضاً عن سُودُون الأشقر أيضاً وخلع على الأمير قُجَق أيضاً باستقراره حاجب الحجَّاب عوضا عن الصَّصْلانى ، وخلع على شاهين الأفْرَم أمير سلاح خِلْعة الرِّضى ؛ لأنه كان اتُّهِمَ بممالأة طُوغان ، ثم خلع السلطان على مملوكه الأمير جَانى بَك الدَّوَادَار الثانى وأحد أمراء الطَّبْلَخَانَات باستقراره دَوَادَاراً كبيرًا عوضًا عن طُوغان الحسنى ، وخلع على الأمير جَرِبَاش كَبَّاشة باستقراره أمير جَانْدَار [(٤)] .

ثم فى يوم الاثنين سلخ جمادى الأولى خلع السلطانُ على فخر الدين عبد الغنى ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج كاشف [(٥)] الشرقية والغربية باستقراره أستادارا

(١) وسط : أى شقه نصفين من الوسط كنوع من التعذيب قبل القتل .

(٢) إقطاع : ما يقطع من الأراضى الزراعية الخراجية للأمراء والجند وغيرهم لاستغلالها ودفع الخراج عنها ، وانظر هامش (ج ٨ : ٩٠ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) و ((د. إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٤٧٢) .

(٣) الكرك : مدينة بالمملكة الأردنية ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٣ من هذا الكتاب) .

(٤) أمير جاندار : هو الذى يستأذن على السلطان لدخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان ، ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر ، ويتولى تعزير أو قتل من يأمر السلطان بتعزيره أو قتله ، وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٠) .

(٥) الكاشف : من أرباب السيوف الذين لا يحضرون مجلس السلطان وهو يحكم على جميع البلاد التى يتولى كشفها ، وله موكب بمراسيم النيابة ، فيجتمع إليه الأمراء ويمد السماط ويحضر القضاة ، وتقرأ القصص بين يديه ، وكان يطلق عليه اسم والى الولاة ، هامش (ج ١٣ : ٧٥ من هذا الكتاب) .

عوضا عن بدر الدين بن محب الدين ، وخلع على بدر الدين المذكور باستقراره مُشِيرَ الدولة[١] .

ثم فى يوم الأربعاء سادس شهر رجب قَدِمَ الأمير جَارْ قُطلُو أتابك دِمَشْق إلى الديار المصرّية[٢] فارًّا من نَوْرُوز وداخِلًا فى طاعة الملك المؤيَّد ، فخلعَ عليه السلطانُ وأكرمه .

وفى ثامن شهر رجب كان مُهِمُّ[٣] الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان الملك المؤيد على بنت السلطان الملك الناصر فرج ، وهى التى كان تزوَّجها بَكْتَمُر جِلِّق فى حياة والدها .

ثم قدم الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرَمْشِيّ الظاهرى نائب صَفَد إلى القاهرة فى ثامن عشر شهر رجب باستدعاء ، وقد استقرّ عوضه فى نيابة صَفَد الأمير قَرْقَماس[٤] ابن أخى دَمُرْدَاش ، وعُزِلَ عن نيابة الشّام ؛ كونه لم يتمكن من دخول دِمَشْق لأجل الأمير نَوْرُوز الحافظىّ ، وكان قَرْقَماس المذكور من يوم وَلِىَ نيابة دِمَشْق ، وخرج من القاهرة ليتوجَّه إلى الشام ، صار يتردَّدُ بين غَزَّةَ والرَّمْلة ، فلما طال عليه الأمرُ ولّاه الملكُ المؤيَّد نيابة صَفَد ، واستقرّ أخُوه تَغْرِى بَرْدِى سيدى الصغير فى نيابة غَزَّةَ عوضًا عن أَلْطُنْبُغَا العُثْمانى ، وعندما دخل قَرْقَماس إلى صَفَد قصده الأميرُ نَوْرُوز ، فأرادَ قَرْقَماس أن يطلع إلى قلعة صَفَد مع أخيه تَغْرِى بَرْدِى فلم يتمكن منها هو ولا أخوه ، فعاد إلى الرَّمْلة ، ولا زال قَرْقَماس بالرَّمْلَة إلى أن طال عليه الأمرُ قصَد القاهرة حتى دخلها فى يوم ثامن عشر شعبان ، فأكرمه السلطانُ وأنعم عليه ، وأقام أخوه

(١) مشير الدولة : المشير هو الناصح الذى يؤخذ رأيه (د. حسن الباشا — الألقاب الإسلامية ص ٤٧١) وهو من ذوى السن من أكابر الأمراء وهم أمراء المشوره ، وكان جلوسهم فى دار العدل على بعد خمسة عشر ذراعا من يمنة السلطان ويسرته (القلقشندى — صبح الأعشى : ٤ : ٤٤) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « قدوم جار قطلو إلى الديار المصرية » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « مهم ابن الملك المؤيد شيخ على بنت الناصر فرج » والمهم هو حفل القران .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «استقرار قرقماش فى نيابة صفد بعد ولايته نيابة الشام » .

تَغْرِى بَرْدِى على قَطْيا ، وهذا كان دأبُهم أنهم الثلاثة لا تجتمع عنـد ملك : أعنى دَمُرْداشَ وأولادَ أخيه قَرْقَماس وتغرِى بَرْدِى، فدام قَرْقَماسُ بديار مصر وهو آمنٌ على نفسه كون عمه الأمير دَمُرْدَاش المحمدى فى البلاد الحَلَبيَّة .

وأما أمر دَمُرْداش المذكور فإنه لما أخـذ حَلَب قصدَه الأميرُ نَوْرُوز فى أوّل صفر وسار من دِمَشْق بعساكره حتى نَزَل حماةَ فى تاسع صفر ، فلما بلغ دَمُرْداش ذلك خرج من حَلَب فى حادى عشر صفر ومعه الأمير بُرْدُبَك أتابك حَلَب والأمير شاهين الأيدُكارِى حاجب حجّاب حَلَب ، والأمير أرْدُبُغَا الرشيدى ، والأمير جَرْبُغَا ، وغيرهم من عساكر حَلَب ، ونزل دَمُرْداش بهم على العُمْق [(١)] ، فحضر إليـه الأمير كُرْدِى بن كَنْدَر [(٢)] وأخوه عمر وأولاد أوْزَر ، ودخل الأمير نَوْرُوز إلى حَلَب فى ثالث عشر صفر بعد ما تلقّاه الأميرُ آقبُغَا جِرْكَس نائب القلعة بالمفاتيح .

فولّى نَوْرُوز الأميرَ طُوخًا نيابة حَلَب عوضًا عن يَشْبُك بن أزْدَمُر برغبـة يَشْبُـك عنها لأمرٍ اقتضى ذلك ، وولّى الأميرَ يَشْبُـكَ السـاقى الأعرج نيابة قلعة حَلَب ، وولّى عمرَ بن الهَيْذَبانى حجوبيّة حلب ، وَوَلّى الأمير قِمْش [(٣)] نيابة طرَابلُس .

ثم خرج نَوْرُوز من حَلَب فى تاسع عشر صَفر عائدًا إلى نحو دِمَشْق ، ومعه الأمير يَشْبك بن أزْدمُر ، فقدم دِمَشْق فى سادس عشرين صفر المذكور ، وبعـد خروج نَوْرُوز من حَلَب قَصَـدها الأميرُ دَمُرْداش المقـدم ذكره حتى نَزَل على بانقُوسَا [(٤)] فى يوم سادس عشرين صفر أيضا ، فَخَرَجَ إليه

---

(١) العمق : كورة بنواحى حلب بالشام ، هامش (ج ١٢ : ٢٣ من هذا الكتاب) .

(٢) هو كردى بن كندر الشهير بكردبك التركمانى أمير التركمان بالعمق من أعمال حلب ، شنق تحت قلعة حلب فى رجب أو شعبان سنة ٨٢٤ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٢٢٧) .

(٣) هو الأمير قمش بن عبد الله الظاهرى ، وقد قتل مع نوروز وغيره فى ليلة الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٨١٧ هـ وسيأتى ذلك .

(٤) بانقوسا : جبل فى ظاهر حلب من جهة الشمال (ياقوت — معجم البلدان ٣ : ٣٣١) .

طُوخ بمن معه من أصحاب نَوْرُوز وقاتلوه قتالا شديدًا إلى ليلة ثامن عشرين صفر قدم عليه الخبرُ بأن الأمير عِجْل بن نُعَـيْر قد أقبل لمحاربته نُصْرَةً للأمير نَوْرُوز فلم يثبت دَمُرْداش لعجزه عن مقاومته ، ورحَلَ بمن معه من ليلته إلى العُمْق ، ثم سار إلى أعْزَاز [١] فأقام بها .

فلما كان عاشر شهر ربيع الأوّل بعث طُوخ نائبُ حَلَب عسكرا إلى سَرْمين [٢] ٥ وبها آقبلَاط دَوَادَار دَمُرداش المذكور فكبسُوه ، فثار عليهم هو وشاهين الأيدُكَارِى ومن معهما من التُّرَاكَمِين وقاتلوهم وأسروا منهم جماعة كثيرة وبعثوا بهم إلى الأمير دَمُرداش ، فسجن دَمُرداش أعيانهم فى قلعة بَغْرَاس [٣] وجدَعَ أنافَ أكثرهم ، وأطلقهم عُرَاةً ، وقتل بعضهم .

فلما بلغ طُوخ الخبرُ ركب من حَلَب ومعه الأميرُ قُمُش نائب طَرَابُلُس وسارَ ١٠ إلى تَلِّ باشِر [٤] وقد نزل عليه العِجْلُ بنُ نعير [٥] ، فسأله طوخ أن يسير معهما لحرب دَمُرداش ، فأنعم [٦] بذلك ثم تأخر عنهما قليلا ، فَبلغهما أنَّه اتفق مع دَمُرداش على مسكهما ، فاستعدَّا له وترَقَّباه حتى ركب إليهما فى نفر قليل ونزَل عندهما ودعاهما إلى ضيافته وألَحَّ عليهما فى ذلك ، فثارا به ومعهم جماعةٌ من أصحابهما فقتلوه بسيوفهم فى رابع عشرين شهر ربيع الأوَل ، ودخلا من فورهما عائدين إلى حلب ، وكتبا بالخبر ١٥

(١) أعزاز ، ويقال عزاز : بفتح العين والزاى ، والأول يجرى على ألسنة العامة ، هى قرية شمالى حلب بشرق على نحو مرحلة منها (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٢٧) .

(٢) سرمين : مدينة فى الغرب من حلب على نحو مرحلتين صغيرتين منها، وشرب أهلها من الصهاريج التى يتجمع فيها ماء المطر ، وهى كثيرة الخصب (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٢٦) .

(٣) بغراس : فى الأصل «بغراص» بالصاد» والرسم وارد أيضا كما فى معجم البلدان ، وهى قلعة ٢٠ من جند قنسرين شمالى حلب على نحو أربع مراحل منها . (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ :١٢٢) وسوف نلتزم رسمها بالسين فى كافة الكتاب .

(٤) تل باشر : حصن شمالى حلب على مرحلتين منها بالقرب من عينتاب وله بساتين ومياه (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٢٧) .

(٥) ورد فى هامش اللوحة « كائنة العجل بن نعير » . ٢٥

(٦) كذا فى الأصل ، والمراد أنه وافق بقوله نعم .

إلى[1] نَوْرُوز وطلبا منه نَجْدَةً ؛ فإن حسين بن[2] نعير قد جمع العرَبَ ونزل على دَمُرْداش فسار به دَمُرْداش إلى حَلَب وحصَرَها ، وصعد طوخ وقمش إلى قلعة حَلَب واشتدَّ القتالُ بينهم إلى أن انهزَمَ دَمُرْداش وعادَ إلى جهة العُمْق ، وشاوَرَ أصحابه فيما يفعل وتحيَّر فى أمره بين أن ينتمىَ إلى نَوْرُوز ويصير معه على رأيه — وكان قد بعث إليه بألف دينار ودعاه إليه — وبين أن يقدم على السلطان الملك المؤيّد شيخ ، فأشار عليه جُلُّ أصحابه بالانتماء إلى نَوْرُوز إلا آقْ بَلَاط دَوادَاره فإنه أشار عليه بالقدوم على السلطان ، فسأله دَمُرْداش عن ابن أخيه قَرْقَماس وعن تَغْرِى بَرْدِى فقال : قَرْقَماس فى صَفَد وتَغْرِى بَرْدِى فى غزَّة ، وكان ذلك بدسيسة دسَّها الملكُ المؤيدُ لآقْ بَلَاط المذكور ، فمال عند ذلك دَمُرْداش إلى كلامه ، ورَكِبَ البحرَ حتى خرج من الطينة[3] وقَدِمَ إلى القاهرة[4] فى أوَّل شهر رمضان ، فأكرمه السلطانُ وخلع عليه .

ولما قدم دَمُرْداش إلى القاهرة وجد قَرْقَماس بها وتَغْرِى بَرْدِى بالصَّالحية ، فَنَدِمَ على قدومه وقال لابن أخيه قَرْقَمَاس : ماهذه العَمْلَة ؟ أنت تقول إنك بصَفَد فألقاك بمصر ، فقال قَرْقَماس : ومِنْ أَيْش تتخوف ياعم ؟ هذا يمكنه القبض علينا ومثلُ نَوْرُوز يخاصمه ؟ ! إذا أمسكنا بِمَنْ يلقى نَوْرُوز ويقاتله ؟ والله ما أظنك إلَّا قد كَبِرْتَ ولم يبق فيك بقيّة إلّا لتعبئة العساكر لاغير ، فقال له دَمُرْدَاش : سوف نَنْظُر ، واستمرّ دَمُرْدَاش وقَرْقَماس بالقاهرة إلى يوم سابع شهر رمضان المذكور عيَّن السلطان جماعةً من الأمراء لِكَبْس عُرْبَان الشَّرْقية ، وهم : سُودُون القاضى ، وقَجْقَار القَرْدَمِىّ ، وآقْبَرْدِى المِنْقار المؤيّدى رَأْس نَوْبَة ، ويَشْبُك المؤيّدى شَادّ الشّراب خَانَاه[5] ، وأسَرَّ إليهم

(١) فى الأصل «على» وما هنا من (ط كاليفورنيا ٦ : ٣٣٢) .

(٢) فى الأصل «حسين ونعير» والتصويب من (ط كاليفورنيا ٦ : ٣٣٢) .

(٣) الطينة : مدينة قديمة كانت موجودة بقرب الموضع الذى بنيت فيه مدينة بور سعيد على البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تعرف بمدينة أواريس (على مبارك – الخطط ١٨ : ١٣٤، ١٣٥) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «قدوم دمرداش إلى القاهرة» .

(٥) شاد الشراب خاناه : هو المتحدث فى أمر الشراب خاناه السلطانية ، وما عمل لها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك (القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ٢١) .

السلطانُ فى الباطن بالتوجّه إلى تَغْرِى بَرْدِى المدعو سَيِّدى الصغير ابن أخى دَمُرْدَاش ، والقبض عليه ، وحَمْلِهِ مقيّداً إلى القاهرة ، وكان تَغْرِى بَرْدِى المذكور نازلاً بالصّالحية ، فساروا فى ليلة السبت ثامنه ، وأصبح السلطانُ فى آخر يوم السبت المذكور استدعى الأمراء للفطر عنده ، ومَدَّ لهم سِماطا عظيما ، فأكلوا منه وتباسطوا ، فلمّا رُفِعَ السِّماط قام السلطانُ من مجلسه إلى داخل ، وأمرَ بالقبض على دَمُرْداش المحمدى وعلى ابن أخيه ٥ قَرْقَماس وقيّدَهُما[1] وبعثهما من ليلته إلى الإسكندرية فَسُجِنا بها ، وبعده يوم حضر الأمراء ومعهم تَغْرِى بَرْدِى سيّدى الصغير مُقيّداً[2] ، وكان الملك يَكْرَهُه ؛ فإنه لم يَزَلْ فى أيام عصيانه مُبَايِناً له ، فحبسه بالبُرْج بقلعة الجبل ، ثم سَجَدَ المؤيد لله شكراً الذى ظفَّرَه بهؤلاء الثلاثة الذين كان الملك الناصر [فرج[3]] عجز عنهم ، ثم قال : الآن بقيتُ سلطاناً . ١٠

وبقى تغرى بَرْدِى المذكور مسجوناً بالبُرْج إلى أن قُتِلَ ذَبْحًا فى ليلة عيد الفطر ، وقُطعَت رأسُه وعُلِّقَت على المَيْدَان .

ثم خَلَع السلطانُ على الأمير قَانِى بَاى المحمدى الأمير آخُور باستقراره فى نيابة دمَشْق عوضا عن نَوْرُوز الحافظىّ ، وخَلَع على الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشىّ المعزول عن نيابة صَفَد باستقراره أمير آخور كبيراً عوضا عن قَانِى باى المذكور ، وخَلَعَ على الأمير ١٥ إينال الصَّصْلانى أمير مَجْلس باستقراره فى نيابة حَلَب ، وخلع على الأمير سُودُون قَرَاصُقْل باستقرارهِ فى نيابة غَزَّة عوضا عن تَغرِى بَرْدِى سيّدى الصغير .

ثم خَلَع السلطان على قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى بعوده إلى قضاء القضاة بالديار المصريّة بعد مَوْت قاضى القضاة صدرالدين على بن الأدَمىّ الدِّمَشْقى .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «القبض على دمرداش وابن أخيه» . ٢٠

(٢) ورد فى هامش اللوحة «القبض على تغرى بردى» .

(٣) إضافة للتوضيح .

ثم فى ثامن شوال خلع السلطان على بدر الدين بن محب الدين المشير باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عَزْل خليل التِّبْرِيزِىّ[(١)] الدُّشَارِىّ .

ثم عدّى السلطانُ — فى يوم الخميس ثالث ذى القعدة — إلى برّ الجيزة إلى وَسِيم[(٢)] حيث مَرْبَط خيوله ، وأقام به إلى يوم الاثنين حادى عشرينه ، وطَلَع إلى القلعة ونصبَ جَالِيشَ[(٣)] السفر[(٤)] على الطَّبْلَخَانَاه السلطانية ؛ ليتوجّه السلطانُ لقتال نَوْرُوز ، وأخذ السلطانُ فى الاستعداد هو وأمراؤه وعساكره حتى خرج فى آخر ذى القعدة الأميرُ إينَال الصَّصْلانى نائب حَلَب وسُودُون قراصُقْل[(٥)] نائب غزّة إلى الرَّيْدَانية[(٦)] خارج القاهرة ، ثم خرج الأميرُ قَانِى بَاى المحمدى نائب الشام فى يوم الخميس سادس عشر ذى الحجّة ونَزَل أيضا بالرَّيْدَانية .

وفى يوم الخميس المذكور خُلِعَ المستعينُ بالله العباسُ من الخلافة واستقرّ فيها أخوهُ المعتضد دَاود ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك فى ترجمة المستعين المذكور[(٧)] .

ثم شرَع السلطانُ فى النَّفَقة على المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار ناصرية[(٨)] ، ثم رَحَل قانِى بَاى نائبُ الشام من الرَّيْدَانية .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «عزل خليل الدشارى عن نيابة الإسكندرية» .

(٢) وسيم : قرية من قرى محافظة الجيزة غربى امبابة ، هامش (ج ١٣ : ١٢٨ من هذا الكتاب) .

(٣) الجاليش : هنا — هو علم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش سلاطين المماليك فى الحرب ، وكان من الحرير الأبيض المطرز بشارات السلطان ، وتعلق فى أعلاه خصلة من الشعر ، هامش (ج ١٣ : ٥٥ من هذا الكتاب) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «نصب جاليش سفر السلطان لقتال نوروز» .

(٥) يرد رسم هذا الاسم «قراسقل» بالسين ، كما يرد رسمه «قراصقل» بالصاد .

(٦) الريدانية : ومكانها اليوم حى العباسية وامتداده إلى منشية البكرى والوايلية ومصر الجديدة ، وكانت بستانا ينسب إلى ريدان الصقلى أحد خدام العزيز بالله الفاطمى ، هامش (ج ١٢ : ٢ من هذا الكتاب) .

(٧) انظر (ج ١٣ : ١٨٩ من هذا الكتاب) .

(٨) نسبة إلى السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ، وكان نقش وجه الدينار « ضرب بالقاهرة سنة ست — السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج ابن الشهيد الملك الظاهر أبو سعيد (برقوق) ونقش ظهره « لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (د . أبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٥٣٤) .

وفي ثامن عشرينه غضب السلطانُ على الوزير تاج الدين عبد الرزّاق بن الهَيْصَم، وضربه وبالَغَ في إهانته، ثم رضيَ عنه وخَلَعَ عليه خِلْعَة الرِّضى. ثم في سابع عشرينه نُصِبَ خَامُ(١) السلطان بالرَّيْدَانية.

قال المقريزي رحمه الله: وفي هذا الشهر قَدِمَ الأمير فخر الدين بن أبي الفرج من بلاد الصعيد في ثالث عشرينه، بخَيْلٍ وجمالٍ وأبْقَار وأغْنَام كثيرة جداً، وقد جمع المال من الذّهب وحُلِيِّ النِّساء وغير ذلك من العبيد والإماء والحرائر اللاتي أُسْتَرَقَّهُن، ثم وَهَب منهنّ وباع باقيهنّ؛ وذلك أنه عمل في بلاد الصعيد كما يعمل رءوس المَنَاسِر(٢) إذا هم هَجَمُوا لَيْلاً على القَرْيَة؛ فإنه كان ينزل ليلا بالبلد فَيَنْهَبُ جميعَ ما فيها من غِلال وحيوان، وسلبَ النساء حليّهن وكسوتهن بحيث لا يسير عنها لغيرها حتى يتركها عُزْيَانة، فَخَرِبت — بهذا الفعل — بلادُ الصَّعيد تخريبًا يُخْشَى من سوء عاقبته، فلمّا قَدِمَ إلى القاهرة شَرَعَ في رَمْي(٣) الأصْناف المذكورة عَلَى الناس من أهل المدينة وسكّان الرّيف وذلك بأغلى الأثمان، ويحتاج من ابْتُلِيَ بشيء من ذلك أن يتكلف لأعوانه من الرُّسُل ونحوهم شيئًا كثيراً — انتهى كلام المقريزي.

ثم إن السلطان الملك المؤيّد لما كان يوم الاثنين رابع محرم سنة سبع عشرة وثمانمائة رَكِبَ من قلعة الجبل بأمرائه وعساكره بعد طُلُوع الفَجْر، وسارَ حتى نزَلَ بمخيَّمه من الرَّيْدَانِيَّة خارج القاهرة من غير تطليب(٤). ثم خرجت الأطْلَابُ والعساكر في أثناء النّهار بعد أن خَلَعَ على الأمير أَلْطُنْبُغَا العثماني بنيابة الغيبة(٥)، وأنزلَه بباب

(١) الخام: يراد به هنا الخيام، وقد يطلق على القماش.

(٢) يعني هذا المصطلح قطاع الطرق.

(٣) المراد بالرمى هنا هو إلزام الناس بشرائها.

(٤) أي من غير ترتيب الأطلاب وتسييرها، والأطلاب جمع طلب وهو الفرقة من المماليك أو العسكر الخاصة بكل أمير، أو هو الحرس الخاص بالأمير، وانظر هامش (ج ١٢ : ١٨٦، ج ١٣ : ٥٥ من هذا الكتاب).

(٥) نيابة الغيبة: وهي وظيفة يقوم شاغلها بأعمال السلطان أثناء غيابه عن عاصمة ملكه (القلقشندي — صبح الأعشى ٤ : ١٧).

السِّلْسِلة ، وجعل بقلعة الجبل بُرْدُبَك قَصْقا ، وجعل بباب السِّتارة[١] من قلعة الجبل الأمير صُومَاى الحَسَنِىّ ، وجعل الحُكْمَ بين الناس للأمير قُجَق الشَّعْبَانِىّ حاجب الحجّاب . ثم رحل الأمير يَلْبُغَا النَّاصِرِىّ أتَابَك العساكر جاليشًا[٢] بمن معه من الأمراء فى يوم الجمعة ثامنه ، ثم استقلّ السلطان ببقيّة عساكره من الرَّيْدَانِيّة فى يوم السبت تاسعه ، وسارَ حتى نزَل بغَزَّة فى يوم الثلاثاء تاسع عشر المحرّم ، وأقام بها أيّامًا إلى أن رَحَل منها فى تاسع عشرينه ، وسار على هَيْنَتِه[٣] حتى نزَل عَلَى قُبَّة يَلْبُغَا[٤] خارج دِمَشْق فى يوم الأحد ثامن صفر من سنة سبع عشرة المذكورة ، ولم يخرج نَوْرُوز لقتاله ، لحَمْدَ اللهَ — المؤيدُ — عَلَى ذلك ، وعلِم ضَعْفَ أمْره ؛ فإنّه لو كان فيه قوة كان التقاهُ من أثناء طريقه .

وكان سير الملك المؤيّد على هَيْنَتِه حتى يَبْلُغَ نَوْرُوزَ خبرُه ويطلع إليه فيَلْقاه فى الفلا ، فلما تأخر نَوْرُوز عن الطلوع اطمأنّ الملكُ المؤيد لذلك وقَوِىَ بأسُه ، غير أن نَوْرُوز حصّن مدينةَ دِمَشْق وقلعتها وتهيّأ لقتاله ، فأقام السلطانُ بقُبَّة يَلْبُغَا أيّامًا ، ثم رَحَل منها ونَزَل بطَرَفِ القُبَيْبَات[٥] ، وكان السلطان فى طُولِ طريقه إلى دِمَشْق يَطْلُب مُوَقِّعى[٦] أكابر أمرائه خفية ويأمرهم أن يكتبوا على لسان مَخادِيمهم إلى نَوْرُوز أنّنا بأجمعنا مَعَك ، وغَرَضُنَا كُلُّه عِنْدَك ، ويُكْثِر من الوَقِيعة فى الملك المؤيد ثم يقول فى الكتاب وإنّكَ لا تَخْرُج من دِمَشْق وأقِمْ مَكَانَكَ فإننا جميعًا نَفِرُّ من المؤيد ونأتيك

---

(١) باب الستارة : كان هذا الباب بين ظاهر جامع القلعة الذى أنشأه الناصر محمد بن قلاوون وبين دور الحريم السلطانى (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٣٧١) وانظر هامش (ج ١٢ : ٧٩ من هذا الكتاب).

(٢) الجاليش : هنا مقدمة الجيش ، هامش (ج ١٣ : ٥٥ من هذا الكتاب) .

(٣) سار على هينته : أى على سكينة ووقاروتؤدة (المعجم الوسيط) .

(٤) قبة يلبغا : بناها الأمير يلبغا اليحياوى عند قرية القدم الموجود بها مسجد القدم الباقى إلى الآن خارج دمشق بعد حى الميدان ، وكان السلطان أو النائب إذا كان قادما صحبة الموكب أو الجيوش ينزل بها ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٢٣٣ من هذا الكتاب) .

(٥) القبيبات : محلة جليلة بظاهر دمشق ، هامش (ج ١٣ : ١٤٤ من هذا الكتاب) .

(٦) الموقع : هو الذى يكتب المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى أو لدى أمير (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٦٥) .

ثم يَضَع من نفسه ويَرْفع أمر نَوْرُوز ويعد محاسنه ويذكر مساوئ نفسه ، فمشى ذلك على نَوْرُوز وانخدَعَ له ، مع ما كان حسّن له أيضا بعضُ أصحابه فى عدم الخروج والقتال ، أرادوا بذلك ضَجَر الملك المؤيد وعَوْدَه إلى الديار المصرية بغير طائل حتى يستفحل أمرُهم بَعَوْدِه ، فكان مرادُ الله غير ما أرادوا .

ثم أرسلَ السلطانُ الملك المؤيد قاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى إلى الأمير نَوْروز فى طلب الصُّلْح فامتنع نَوْروز من ذلك وأبى إلّا الحرب والقتال ، وكان ذلك أيضاً خديعة من الملك المؤيد ، وعندما نَزَلَ الملك المؤيَّدُ بطرف القُبَيْبَات خرج إليه عساكر نَوْرُوز فندَب إليهم السلطانُ جماعةً كبيرة من عسكره فخرجوا إليهم وقاتلوهم قتالا شديداً ، فانكسر عسكر نَوْروز وعادَ إلى دمشق ، فركب نَوْروز فى الحال وطلع[1] إلى قلعة دِمَشْق وامتنعَ بها ، فركب الملك المؤيد فى سادس عشرينه ونزل بالميدان يحاصر قلعة دمشق .

ولما قيل للمؤيد إن نَوْروز طلع إلى قلعة دِمَشْق لم يَحْمِل الناقلَ له على الصِّدْق ، وأرسل من يَثِقُ به فعاد عليه الخبرُ بطلوعه إليها ، فعند ذلك تعجَّب غاية العَجَب ، فسأله بعضُ خواصِّه عن ذلك فقال : ما كنتُ أظن أن نَوْرُوز يطلع القلعة وينحَصِرُ فيها أبداً ؛ لِما سمعتُه منه لَمّا دخل الملكُ الناصرُ إلى قلعة دمشق ، وهو أنه لَمّا بَلَغَنا أن الناصر دخل إلى قلعة دِمَشْق قال نَوْروزُ : ظَفِرْنَا بِهِ وعِزَّةِ الله ، فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : الشخصُ لا يدخل القلعة ويمتنع بها إلا إذا كان خلفه نَجْدَةٌ ، أو أخصامُه لا يمكنهم محاصرته إلا مُدَّةً يسيرة ثم يرحلون عنه ، وهذا ليس له نَجْدَة ، ونحن لو أَقَمْنَا على حصاره سنين لانَذْهَبُ إلا به فهو مأخوذٌ لا محالة ، فبقى هذا الكلامُ فى ذهْنى ، وتحققت أنه متى حصل له خلل توجَّه إلى بلاد التُّرْكمان ويُتْعِبنى أمرُه لعلمى به أنه لا يَدْخل إلى القلعة — بعدَ ما سمعْتُ منه ذلك — أبداً ، فأتاهُ ماقاله فى حقِّ الناصر ، وحَسُن ببَالِهِ الامتناعُ بالقلعة حتى طَلَعها ، فلهذا تعجَّبْتُ .

(١) ورد فى هامش اللوحة « طلوع نوروز القلعة » .

وأخذ المؤيد فى محاصرته ، وآستدام الحربُ بينهم أيّاماً كثيرة فى كل يوم حتى قُتِلَ من الطائفتين خلائق ، فلما طالَ الأمر فى القتال أخذَ أمرُ الأمير نَوْروز فى إدْبار ، وصارَ أمرُ الملك المؤيد فى آستِظْهار .

فلمّا وقع ذلك وطالَ القتالُ على النَّوْروزيّة سئموا من القتال وشرعوا يُسْمِعُون نَوْروز الـكلامَ الخشِنَ ، وهَدَمَت المؤيديّةُ طَارِمَة[1] دمَشْق ، كلُّ ذلك والقتالُ عمَّال فى كل يوم ليلاً ونهاراً والرّمىُ مُسْتَدَامٌ من القلعة بالمَناجيق ومكَاحل النِّفْط ، وطالَ الأمرُ عَلَى الأمير نَوْروز حتى أرسل الأمير قِمِش إلى الملك المؤيد فى طلب الصُّلْح ، وترَدّدَت الرسلُ بينهم غير مرّة حتى آنـبرَم الصُّلْحُ بينهم بعد أن حَلَفَ الملكُ المؤيّدُ لنَوْروز بالأيْمَان المغلّظة ، وكان الذى تولى تَحْليف الملك المؤيد كاتبُ سِرّه القاضى ناصر الدين محمد بن البَارِزِىّ .

حَـكَى لِىَ القاضى كمالُ الدين ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البارِزِىّ كاتبُ السِّرّ الشَّريف من لَفْظِه — رحمه الله — قال : قال الوالدُ لَمّا أخذتُ فى تحليف الملك المؤيد بحضرةِ رسُلِ الأمير نَوْروز والقضاة قد حضروا أيضا ، فَشَرعْتُ أَلْحَنُ فى اليمين عامداً فى عِدّة كلمات حتى خرج معنى اليمين عن مقْصُود نَوْروز فالْتَفَتَ القاضى ناصر الدين محمد بن العديم الحنفىّ — وكان فيـه خِفّةٌ — وقال للقاضى الشافعى : كأنَّ القاضى ناصر الدين بن البارِزِىّ ليس له مُمارسة بالعربية والنَّحْو فإنّه يَلْحَن لَحْنًا فاحشا ، فسكّتَهُ البُلْقِينِىّ لِوَقْتِه .

قلت : وكان هذا اليمين بحضرة جماعةٍ من فُقَهاء التُّرْك من أصحاب نَوْروز فلم يفطن أحدٌ منهم لذلك لِعَدَم مُمارستهم لهذه العلوم ، وإنّمَا جلُّ مقصود الواحد منهم [أن][2] يقرأ مقدمةً فى الفقه ويحلّها على شيخ من الفقهاء أهل الفُرُوع ، فعند ذلك يقول : أنا

(١) طارمة دمشق : المراد طارمة قلعة دمشق ، والطارمة بيت من خشب ، واللفظ دخيل على اللغة العربية ، هامش (ج ٤ : ٤٩ ، ج ٩ : ١٧ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) إضافة على الأصل .

صرتُ فقيهًا ، ولَيْته يسكتُ بعد ذلك ، ولكنه يَعيب أيضا على ماعدا الفقه من العلوم ، فهذا هو الجَهْل بعينه — انتهى .

ثم عادَت رسُل نَوْروز إليه بصورة الحَلِف،فقرأه عليه بعض من عنده من الفقهاء من تلك القَوْلَة ، وعرّفه أن هذا اليمين ما بعـده شيء ، فاطمأنّ لذلك ، ونَزَل من قلعة دِمَشْق بمن معه من الأُمراء والأعيان في يوم حادى عشرين ربيع الآخر بعد ما قاتل ٥ الملكَ المؤيّد نحواً من خمسة وعشرين يوما أو أزيد ، ومَشى حتّى دخل على الملك المؤيد ، فلما رآه المؤيد قام له ، فعند ذلك قبّل نَوْروز الأرض وأراد أن يُقَبِّلَ يدَه فمنعه الملك المؤيد من ذلك ، وقعَد الأمير نَوْروز بإزائه ، وتحته أصحابه من الأمراء ، وهم : الأمير يَشْبُك بن أَزْدَمُر ، وطُوخ ، وقِمش ، وبَرْسْبُغَا ، وإينال الرَّجَبىّ وغيرهم ، والمجلس مشحونٌ بالقضاة(١) والفقهاء والعساكر السلطانية ، فقال القضاةُ : والله هذا يومٌ مباركٌ ١٠ بالصُّلح وبحَقْن الدّماء بين المسلمين ، فقال القاضى ناصر الدين بن البارزِىّ كاتب السّرّ : نهارٌ مباركٌ لو تمّ ذلك ، فقال الملك المؤيّد : وكيفَ(٢) لا يتمّ وقد حَلَفْنا له وحَلَف لنا ؟ فقال القاضى ناصر الدين للقضاة : ياقضاة ، هل صَحّ يمينُ السلطان ؟ فقال قاضى القضاة جلال الدين البُلْقينى : لا والله لم يصادف غرضَ الحالف ، فعند ذلك أمرَ الملك المؤيد بالقبض على الأمير نَوْروز ورفقته ، فَقُبِضَ في الحال على الجميع ، وقُيِّدُوا وسجنُوا بمكان ١٥ من الإسْطبل إلى أن قُتِلَ الأمير نَوْروز من ليلته ، وحُمِلَت رأسه إلى الديار المصرية على يد الأمير جَرِباش ، فوصَلَت القاهرةَ في يوم الخميس مستهلّ جمادى الأولى ، وعُلِّقَت على باب زُوَيْلة ، ودقّت البشائر ، وزُيِّنَت القاهرة لذلك .

ثم أخَذ الملكُ المؤيّد في إصلاح أمر مدينة دِمَشْق ، ومهّدَ أحْوَالَها ، ثم خرج منها في ثامن جمادى الأولى يُريدُ حَلَب حتى قَدِمها بعساكره ، وأقام بها إلى آخر الشهر ٢٠

(١) في ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٣٩ «مشحون بالأمراء والقضاة» .
(٢) في ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٣٩ «ولم لا يتم» .

المذكور، ثم سار منها فى أول جمادى الآخرة إلى أُبُلُسْتَين[1] ، ودخل إلى مَلَطْيَة[2] واستَنَاب بها الأمير كُزُل، ثم عاد إلى حَلَب، وخلع على نائبها الأمير إينال الصَّصْلانى باستمراره ، ثم خلع على الأمير تَنِبك البَجَاسى باستقراره فى نيابة حماة ، وعلى الأمير سُودون من عبد الرحمن باستقراره فى نيابة طَرابُلُس ، وعلى الأمير جانى بك الحمزاوى
٥ بنيابة قلعة الرّوم[3] بعد ما قتل نائبها الأمير طُوغان .

ثم خرج السلطانُ من حلب ، وعاد إلى دمَشْق ، فقدمها فى ثالث شهر رجب ، وخلع على نائبها الأمير قَانى بَاى المحمدى باستمراره ، ثم خرجَ السلطانُ من دمَشْق بأمرائه وعساكره فى أول شعبان بعد ما مهَّدَ أُمورَ البلاد الشاميّة ، ووطَّنَ[4] التُّرْكُمان والعُرْبان وخَلَع عليهم ، وسار حتى دخل القُدْسَ فى ثانى عشر شعبان فزاره ، ثم خرج منه وتوجّه
١٠ إلى غَزَّة حتى قَدِمها ، وخلع على الأمير طَرَباى الظّاهرى بنيابة غَزَّة ، ثم خرج منها عائداً إلى الدِّيار المصرية حتى نزل على خانقاه سِرْياقُوس[5] يوم الخميس رابع عشرين شعبان ، فأقام هناك بقيَّة الشهر ، وعمل بها أوقاتاً طيِّبَة ، وأنعم فيها على الفُقَهاء والصُّوفية بمال جزيل ، وكان يحضُر السَّماع بنفسه ، وتقومُ الصُّوفيّة تَتَرَاقَص وتتواجد بين يديه ، والقوّال يقول وهو يسمعه ويكرِّرُ منه ما يعجبه من الأشعار الرقيقة ، ودخل حمَّام الخانقاه
١٥ المذكورة غير مَرَّة ، وخرج الناسُ لتلقِّيه إلى خانقاه سِرْياقُوس المذكورة حتى صار طريقُها فى تلك الأيام كالشّارع الأعظم[6] ، لمرّ الناس فيه ليلا ونهاراً .

---

(١) أبلستين : مدينة مشهورة من بلاد الروم ، وانظر (ياقوت – معجم البلدان ١ : ٩٣) .

(٢) ملطية : مدينة شمالى حلب بميلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها ، وهى قاعدة بلاد الثغور ، جددها أبو جعفر المنصور (القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١٣١ ، ١٣٢) .

٢٠ (٣) قلعة الروم : وتقع غربى الفرات مقابل ألبيرة ، وتتوسط بينها وبين سميساط ، وفتحها الأشرف خليل بن قلاوون وسماها قلعة المسلمين (ياقوت . معجم البلدان ٤ : ١٦٤) و (القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١١٩) .

(٤) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٤٠ «ووظف» .

(٥) خانقاه سرياقوس : أنشأها الناصر محمد بن قلاوون قرب قرية سرياقوس وبدأ عمارتها فى ذى
٢٥ الحجة سنة ٧٢٣ هـ ، وافتتحت فى جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ (المقريزى – الخطط ٢ : ٤٢٢) .

(٦) الشارع الأعظم ، وهو الذى كان يعرف بقصبة القاهرة ، أو شارع القاهرة الأعظم ، وكان =

ودام السلطانُ هناك إلى يوم سَلْخ شعبان رَكِبَ من الخانقاه بخواصّه ، وسار حتى نزل بالرَّيْدَانية تجاه مسجد التِّبْن (١) ، وبات حتى أصبح في يوم الخميس أول شهر رمضان ركب وسار إلى القَلْعَة حتى طلع إليها ، فكان لقدومه القاهرة يومًا مشهودًا ، ودقت البشائر لوصوله .

وعندما استقرَّ به الجلوس انتقض عليه ألمُ رجليه من ضربان المفاصل ، ولَزِمَ الفراش ٥ وانقطع بداخل الدُّور السلطانية من القلعة ، ثم أخرج السلطان في ثامن شهر رمضان الأمير جَرباش كبَّاشة بطَّالاً إلى القُدْس الشريف ، ورسم أيضا بإخراج الأمير أَرْغُون من بَشْبُغا أمير آخور — كان — في الدولة الناصرية إلى القُدْس بطالا ، ثم خلع السلطان على الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير يَلْبُغا الناصرى . ١٠

ثم نَصَل السلطانُ من مرضه ، وركب من قلعة الجبل يوم عاشر شهر رمضان ، وشَقَّ القاهرة ، ثم عاد إلى القلعة ، ورسم بهدم الزِّينة — وكان ركُوبُه لرؤيتها — فَهُدِمت .

ثم في ثانى عشره أمسَكَ الأميرَ قُجَق الشَّعْبانى حاجب الحجاب ، والأمير بَيْبُغا المظفَّرى ، والأمير تمَانْ تَمُر أرق ، وقَيَّدُوا وحملوا إلى ثغر الإسكندرية فحبسوا بها ، والثلاثة جنسهم تـتَرٌ ، ومُسَفِّرُهم الأمير صُوماى الحَسنِىّ ، وبعد أن توجّه بهم صوماى ١٥ المذكور إلى الإسكندرية كُتِبَ باستقراره في نيابتها ، وعزل بدر الدين بن محب الدين عنها .

ثم خلع السلطان على سُودون القاضى باستقراره حاجب الحجَّاب بديار مصر عوضا

= يمتد من باب الفتوح إلى باب زويلة ، هامش (ج ١٢ : ١٨٨ من هذا الكتاب) ويسمى حاليا بشارع المعز لدين الله الفاطمى . ٢٠

(١) مسجد التبن : بنى هذا المسجد سنة ١٤٥ هـ ، وعرف بمسجد التبر ، ويسمى مسجد الجميزة ، وفى الدولة الأخشيدية عمره الأمير تبر فعرف به ، وحرفته العامة إلى تبن ، ولا يزال موجودا قائما شمالى محطة حمامات القبة ، ويعرف بزاوية الشيخ التبرى ، وانظر هامش (ج ٧: ١٩٦ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

عن قُجَق الشعبانى ، وعلى الأمير قَجْقار القَرْدَمىّ باستقراره أمير مجلس عوضا عن بَيْبُغا المظفَّرى ، وعلى الأمير جَانِي بَك الصُّوفى رأس نوبة النُّوَب باستقراره أمير سلاح بعد موت شاهين الأَفْرَم ، وخلع على الأمير كُزُل العجمى حاجب الحجاب — كان — فى دولة الملك الناصر باستقراره أمير جَانْدَار عوضا عن الأمير جَرِباش كَبَّاشة ، ثم خلع على الأمير تَنِبَك العلائى الظاهرى المعروف مِيق باستقراره رأس نوبة النُّوَب عوضا عن جانِى بك الصوفى ، وخلع على الأمير آقْباى المؤيدى الخازندار باستقراره دَوَاداراً كبيراً بعد موت الأمير جانى بَك المؤيدى .

ثم أُعيد ابنُ محب الدين المعزول عن نيابة الإسكندرية إلى وظيفة الأستادارية فى يوم الاثنين سادس عشرين شهر رمضان بعد فرار فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج إلى بَغْدَاد .

وخبر فخر الدين المذكور أنه لما خرج من الديار المصرية إلى البلاد الشامية صحبة السُّلْطَان ، ووصل إلى حَمَاة داخله الخوفُ من السلطان فهرَبَ فى أوائل شهر رجب إلى جهة بَغْدَاد ، فسدّ ناظرُ ديوان المُفْرَد[(١)] تقىّ الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر الأُستادارية فى هذه المدّة إلى أن وَلِى ابنُ محبّ الدين .

وفى شهر رمضان المذكور أفرج السلطان عن الأمير كَشْبُغَا العيساوىّ من سجن الإسكندرية ، وقدِمَ القاهرة ، ونُقِلَ الأميرُ سُودون الأَسَنْدَمُرِىّ والأمير قَصْرُوَه من تِمْرَاز ، والأمير شاهين الزَّرَدْكاش والأمير كَشْبُغَا الفِيسىّ إلى ثغر دِمْياط .

وفى أواخر ذى الحجّة قدم مبشِّرُ الحاج وأخبرَ بأن الأمير جَقْمَق[(٢)] الأَرْغُون شَاوِىّ الدَّوَادار الثانى أمير الحاج وقَعَ بينه وبين أشراف مكّة وقعةٌ فى خامس ذى الحجة ، وخبرُ ذلك أن جَقْمَق المذكور ضَرَبَ أحد عبيد مكة وحبسه ؛ لكون أنه حمل السلاح

(١) ناظر ديوان المفرد : هو المشرف على الديوان الخاص بما أفرد للسلطان من الأراضى للصرف منها على المماليك من جامكيات أو كسوة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٠) وهامش (ج ١٣ : ٩٣).
(٢) ورد فى هامش اللوحة «كائنة جقمق أمير الحاج» .

فى الحرم الشريف ، وكان قدْ مَنَع من ذلك ، فثارت بسبب ذلك فِتْنَةٌ آنتُهِكَ فيها حرمةُ المسجد الحرام ، ودخلت الخيلُ إليه عليها المقاتلة من قوّاد مكة لحرب الأمير جَقْمَق ، وأدخل جَقْمَق أيضاً خَيْلَه إلى المسجد [الحرام][1] فباتت به وأوقدت مشاعِلَه بالحرم ، وأمَر بتسمير أبواب الحرم فسُمِّرَت كلُّها إلا ثلاثة أبواب ليمتنع من يأتيه ، فمشت الناسُ بينهم فى الصُّلح ، وأطلقَ جَقْمَق المضروبَ فسكنت الفتنة من الغد بعد ما قُتِل جماعةٌ ، ولم يحج أكثر أهل مكة فى هذه السنة من الخوف .

ثم قدم الخبر أيضا على الملك المؤيد فى هـذا الشهر بأن الأمير يَغْمُور بن بَهادُر الدكَرِىّ مات هو وولدُه فى يوم واحد بالطاعون فى أول ذى القعدة ، وأن قَرا يوسف ابن قرا محمد صاحب العراق انعقد بينه وبين القان شاه رُخّ بن تَمُرْلَنْك[2] صُلْحٌ ، وتصاهرا ، فشَقّ ذلك على الملك المؤيد .

وفى أثناء ذلك قدِمَ عليه الخبرُ بأن الأمير محمد بن عثمان صاحب الرّوم كانت بينه وبين محمد بَك بن قَرَمان وقعةٌ عظيمة انهزم فيها ابن قَرَمان ونجا بنفسـه ، كل ذلك والسلطان فى سَرْحَة البُحَيْرة بترُّوجَة[3] إلى أن قَدِمَ إلى الديار المصرية فى يوم الخميس ثانى المحرم من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة بعد ما قرّرَ على مَنْ قابله من مشايخ البُحَيْرة أربعين ألف دينار ، وكانت مُدّة غيْبَة السلطان بالبحيرة ستّين يومًا .

ثم فى عاشر المحرم أفرج السلطانُ عن الأمير بَيْبُغا المظفرى أمير مجلس ، وتَمَانْ تَمُرْ أرق اليوسُفى من سجن الإسكندرية .

ثم قدم كتاب فخر الدين بن أبى الفرج من بَغْدَاد أن يقيم بالمدرسة المستنصرية ، وسأل

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٤٢) .

(٢) هو القان معين الدين سلطان شاه رخ بن تيمور لنك ملك الشرق وسلطان ما وراء النهر وخراسان وخوارزم وعراق العجم وما زندران ومملكة دلى من الهند وكرمان وأذربيجان (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٢٩٢) .

(٣) تروجة : قرية اندثرت فى القرن التاسع الهجرى ، ومحلها الآن كوم تروجة ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٢٠٢ من هذا الكتاب) .

العَفْوَ عنه فأُجيبَ إلى ذلك ، وكُتِبَ له أمانٌ ، ثم أمر السلطان بقَتْل الأُمَراء الذين بسجن الإسكندرية ، فقتلوا بأجمعهم فى يوم السبت ثامن عشر المحرم ، وهم : الأتابك دَمُرْداش المحمدى بعد أن قتل ابن أخيه قَرْقَماس بمدّة ، والأمير طُوغَانُ الحسنى الدّوادار ، والأمير سُودون تِلِّى المحمدى ، والأمير أَسَنْبُغَا الزَّرَدكاش والجميع معدودة من الملوك ، وأقيم عزاؤهم بالقاهرة فى يوم خامس عشرين ؛ فكان ذلك اليوم من الأيام المَهُولة من مُرور الجَوارِى المَسْبِيَّات الحاسرات بشوارع القاهرة ، ومعهم الملاهى والدُّفوف .

هذا وقد ابتدأ الطاعون بالقاهرة .

ثم فى ثامن صفر ركب السلطان من قلعة الجبل وسار إلى نحو مُنْيَة مَطَر المعروفة الآن بالمطرية خارج القاهرة ، وعاد إلى القاهرة من بَاب النَّصر ، ونزل بالمدرسة الناصرية المعروفة الآن بالجمالية[١] برَحبة باب العيد[٢] ، ثم ركب منها وعبر إلى بيت الأستادار بدر الدين بن محب الدين فأكل عنده السِّماط ، ومَضى إلى قلعة الجبل .

وفى ثامن عشر[٣] صفر خلع على القاضى علاء الدين على بن محمود بن أبى بكر بن مُغْلى الحنبلى الحَموىّ باستقراره قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، بعد عَزْل قاضى القضاة مجد الدين سالم .

وفى يوم السبت عاشر صفر المذكور ابتدأ السلطانُ بعمل السد بين الجامع الجديد[٤]

---

(١) المدرسة الجمالية : أنشأها جمال الدين الأستادار ، ثم لما نكب حولها الناصرفرج بن برقوق إلى ملكه ومحا اسم جمال الدين ورنكه (شعاره) منها وكتب اسمه عليها ، وفى عهد المؤيد شيخ المحمودى أعيدت إلى ما كانت عليه ، ولها قصة طويلة فى (المقريزى — الخطط ٢ : ٤٠ ، ٤٢) .

(٢) رحبة باب العيد : خط ينسب إلى باب العيد ، وسمى بذلك لأن الخليفة الفاطمى كان يخرج منه فى العيدين إلى المصلى التى كانت بظاهر باب النصر (المقريزى — الخطط٢ : ٤٣٥) و (على مبارك — الخطط ٢ : ١٥) .

(٣) كذا فى الأصول ، ولعل كلمة «عشر» زائدة لما سيأتى من أن السبت التالى هو عاشر صفر .

(٤) الجامع الجديد الناصرى : أنشأه الناصر محمد بن قلاوون بساحل النيل ، وعمره ناظر الجيش فخر الدين بن فضل الله باسم الناصر ، وانتهت عمارته فى صفر سنة ٧١٢ هـ ، وقد اندثر ، ومكانه الحالى سيالة جزيرة الروضة قبلى سواقى مجرى الماء القائمة على رأس حائط العيون عند فم الخليج ، هامش (ج ٩ : ١٩٨ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

الناصرى وبين جزيرة الرَّوْضَة ، وندب لِحَفْره الأمير كُزُل العجمى الأجْرُود أمير جَانْدَار ، فنزل كُزُل المذكور وعلّق مائةً وخمسين رأساً من البقر لتجرف الرمال وعملت أيّاماً ، ثم نَدَبَ السلطانُ الأمير سُودون القاضى حاجب الحجاب لهذا العمل ، فَنزل هو أيضاً واهتم غاية الاهتمام ، ودامَ العملُ بقيّة صفر وشهر ربيع الأول .

٥ وفيه أمر السلطان بمَسْك شاهين الأَيْدُكارِىّ حاجب حَلَب ، فأُمسِك وسُجِن بقلعة حَلَب ، وفيه خلَعَ السلطانُ على الأمير طُوغان أمير آخور الملك المؤيد أيّام إمرته باستقراره فى نيابة صَفَد ، وحمل له التشريف بنيابة صَفَد يَشْبُك الخاصّكىّ .

وفيه قَدِمَ كتابُ الأمير إينَال الصَّصْلانى نائب حَلَب يُخْبِر أن أحمد بن رمضان أخذ مدينة طَرَسُوس[1] عنوة فى ثالث عشر المحرم من هذه السنة بعد أن حاصرها سبعة ١٠ أشهر ، وأنّه سلّمها إلى ابنه إبراهيم بعد ما نَهَبَها وسَبَىَ أهلَها ، وقد كانت طَرَسُوس من نحو اثنتى عشرة سنة يُخْطَبُ بها لتيمور ، فأعاد ابنُ رمضان الخطبة بها باسم السلطان .

وأما الحفير فإنّه مُستَمِرٌّ ، وسُودُون القاضى يستحِثُّ العمال فيه إلى أن كان أوّل شهر ربيع الآخر فركبَ السلطانُ الملك المؤيّد من قلعة الجبل فى أمرائه وسائر خَوَاصِّه ، وسار إلى حيث العمل ، فنَزَل هناك فى خيمة نُصِبَت له بين الرُّوضة ومصر ، ونُودِى بخروج ١٥ النَّاس للعمل فى الحَفِير المذكور ، وكُتِبَت حَوانِيتُ الأَسْوَاق ، فخرج الناس طوائف طوائف مع كل طَائفة الطبول والزُّمُور ، وأقبلوا إلى العمل ، ونَقَلُوا التُّراب والرَّمْلَ من غير أن يُكَلَّفَ أحدٌ منهم فَوْقَ طاقته ، ثم رَسَم السلطانُ لجميع العساكر من الأمراء والخاصّكيّة ولجميع أرباب الدولة وأتباعهم [أن][2] يعملوا ، ثم ركب السلطان بعد عَصْرِ اليوم المذكور ووقَفَ حتى فَرَضَ على كُلٍّ من الأمراء حَفْرَ قِطْعَةٍ

---

٢٠ (١) ورد فى هامش اللوحة « خبر أخذ طرسوس » . وطرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب (ياقوت — معجم البلدان ٣ : ٥٢٦) وتقع تجاه جزيرة أرواد فتحها عبادة بن الصامت سنة ٦٧٨ م (المنجد — أعلام ٣١٩) وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٣) فإنه نسب إنشاءها إلى الرشيد سنة ١٧٠ هـ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

عيَّنها له ، ثم عاد إلى القلعة بعد أن مَدّ هناك أسْمِطَة جليلة وحَلْوَات وفواكه كثيرة ، واُسْتَمَرّ العملُ والنداء فى كل يوم لأهل الأسْوَاق وغيرهم للعمل فى الحَفْر ، ثم ركب الأمير ألْطُنْبُغا القَرْمَشِى الأمير آخور الكبير ومعه جميع مماليكه وعامَّةُ أهلِ الإسطبل السُّلْطَانِىّ وصوفية المدرسة الظاهرية البَرْقُوقِيَّة[1] وأرباب وظائفها ؛ لكونهم تحت نظره ، ومضوا بأجمعهم إلى العمل فى الحَفْر المذكور فعملوا فيه ، وقد اجتمع هناك خلائق لا تُحْصَى — للفرجة[2] — من الرجال والنساء والصبيان ، وتولَّى ألْطُنْبُغَا القَرْمَشِىّ القيام بما فرض عليه حَفْرُهُ بنفسه ، فدام فى العمل طول نهاره .

ثم فى عاشره جمعَ الأميرُ الكبير ألْطُنْبُغَا العُثْمَانى جميع مماليكه ومن يَلُوذُ به وألْزَم كلَّ مَنْ هو ساكن فى البيوت والدكاكين الجارية فى وقف البِيمَارَسْتَان[3] المنصورى بأن يخرجوا معه ؛ من أنهم تحت نظره ، وأخرج معه أيضا جميع أرباب وظائف البِيمَارَسْتَان المذكور ، ثم أخرج سكان جزيرة الفيل[4] ؛ فإنها فى وقف البِيمَارَسْتَان ، وتوجَّه بهم الجميع إلى العمل فى الحَفير ، وعمل نهاره فيما فُرِضَ عليه حفره ، ثم وقع ذلك لجميع الأمراء واحداً بعد واحد ، وتتابعوا فى العمل وكل أمير يأخذُ معه جميعَ جيرانه ومن يقرُبُ سكنُه من دَارِه ، فلم يَبْقَ أحدٌ من العوامّ إلاّ وخرج لهذا العمل .

ثم خرج علم الدين داود بن الكُوَيْز ناظر الجيش ، والصاحب بدر الدين حسن بن

(١) المدرسة الظاهرية البرقوقية : وتقع بخط بين القصرين فى شارع النحاسين عند جامع البيمارستان المنصورى بين مدرستى الناصرية والكاملية ، أنشأها الظاهر برقوق فى السنوات من ٧٨٣ — ٧٨٨ هـ (على مبارك — الخطط ٦ : ٤) .

(٢) العبارة فى الأصل هكذا «خلائق لا تحصى من الفرجة للرجال والنساء والصبيان» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٤٥) .

(٣) البيمارستان المنصورى : أنشأه المنصور قلاوون ، وانظر فى التعريف به هامش (ج ٧ : ١٩٢ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٤) جزيرة الفيل : كانت واقعة وسط النيل تجاه ناحية منية الشيرج . ثم انحسر عنها الماء . (المقريزى — الخطط ٢ : ١٨٥) وسميت فيما بعد بجزيرة بدران نسبة لضريح الشيخ بدران الذى بها ، وانظر هامش (ج ٧ : ٣١٩ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) و (فؤاد فرج — القاهرة ص ٤٥٨) .

نصر الله ناظر الخاص، وبدر الدين حسن بن محبّ الدين الأستادار، ومع كل منهم طائفةٌ من أهل القاهرة وجميع غلمانه وأتباعه ومن يلوذ به وينتسب إليه، ثم أخرج والى القاهرة جميعَ اليهود والنصارى، وكُثُرَ النداء فى كل يوم بالقاهرة على أصناف الناس بخروجهم للعمل، ثم خرج القاضى ناصر الدين محمد بن البَارِزِىّ كاتب السِّرّ الشريف ومعه جميعُ مماليكه وحواشيه وغلمانه، وأخرج معه البَرِيدِيّة والمُوَقّعين بأتباعهم، فعملوا نهارهم، هذا والمنادى فى كل يوم [ينادى][1] على العامة بالعمل، فخرجوا وخلَت أسواقُ القاهرة وظواهرها من الباعة، وغُلِّقَت القَيَاسِر، والمنادى فى كل يوم [ينادى][2] بالتهديد لمن تأخّرَ عن الحَفْر حتى إنه نُودِىَ فى بعض الأيام: من فتح دُكّانًا شُنِقَ، فتوقّفَت أحوالُ الناس.

وفى هذه الأيّام خلع السلطانُ على الأمير بَيْبُغَا المظفرى باستقراره أتابَكَ دِمَشْق، وخلع على جَرِبَاش كَبَّاشَة باستقراره حاجب حجّاب حَلَب، وكلاهما كان قدم من سجن الإسكندرية قبل تاريخه.

وفيه أيضا نُقل الأميرُ طُوغَان أميرُ آخور [المؤيد][3] من نيابة صَفَد إلى حجوبيَة دِمَشْق عوضا عن الأمير خَليل التِّبْرِيزِىّ الدَّشَارِى، ونُقِل خَليل المذكور إلى نيابة صَفَد عِوَضًا عن طُوغَان المذكور، وحَمَلَ له التقليدَ والتّشريفَ الأمير إينَال الشَّيْخِى الأرغزى[4].

واستهلّ جمادى الأولى والناس فى جَهْدٍ وَبَلاَء من العمل فى الحَفْرِ حتى إنّ المقام الصّارمىّ إبراهيم ابن السلطان الملك المؤيّد نزل من القلعة فى يوم سابعه ومعه جميع

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) الإضافة من (ط — كاليفورنيا ٦ : ٣٤٦).

(٤) الأرغزى : فى الأصل «الأزعرى» وما هنا من ط كالفيورنيا ٦ : ٣٤٦ ، ولعله منسوب إلى الأمير أرغز أحد أمراء الألوف بدمشق (ج ١٣ : ١٢٦ من هذا الكتاب).

مماليكه وحواشيه وأتباعه، وتوجّه حتى عمل فى الحَفْرِ بنفسه، وصَنَّفت العامةُ فى هذا الحفير غناء كثيرا وعِدّة بَلاَلِيق[1] .

وبينما الناسُ فى العمل أدركتهم زيادةُ النّيل ، وكان هذا الحفير وعمل الجسر ليمنع الماء من المُرور تحت الجزيرة الوسْطى[2] ، ويجرى من تحت المنشية من على مُورَدَة الجِبْس[3] بجرِىَ جزيرة الوسْطَى كما كان قديما فى الزّمان الماضى ، فأبى اللهُ سبحانه وتعالى إلا ما أرادَه على ما سنذكره فى محلّه .

ثم فى اليوم المذكور أعنى سابع جمادى الأولى خلع السلطانُ على الأمير الكبير ألْطُنْبُغَا العثمانى باستقراره فى نيابة دِمَشْق عوضا عن قَانِى باى المحمدى ، وكان بلغ السلطان عن جميع النُّوّاب بالبلاد الشاميّة أنهم فى عزم الخروج عن الطاعة ، فلم يظهر ذلك[4] ، وأرسل الأمير جُلُبّان أمير آخور بطلب قانِى باى المذكور من دِمَشْق ليستقرّ أتَابَكا بالدِّيَار المصرية عوضا عن ألْطُنْبُغَا العثمانى ، وانتظرَ السلطانُ ما يأتى به الجواب .

ثم خلع السلطان على الأمير آقْبَرْدِى المؤيّدى المِنْقَار باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن صُومَاى الحسنى .

ثم فى جمادى الآخرة من هذه السنة حُفِرَ أساسُ الجامع المؤيّدى داخل باب زُوَيْلة ، وكان أصل موضع الجامع المذكور — أعنى موضع باب الجامع والشّبابيك وموضع

(١) البلاليق : جمع بليق وهو الأغنية الشعبية الهزلية (قاموس دوزى) وانظر هامش (ج ٩ : ١٣٩ من هذا الكتاب) و (د. حسين نصار — الشعر الشعبى ص ١١١) .

(٢) الجزيرة الوسطى : وتسمى جزيرة أروى ، وهى جزيرة الزمالك وانظر (د. عبد الرحمن زكى — القاهرة ص ١٣٣) .

(٣) موردة الجبس : وكانت ضمن بستان الخشاب فى التحم الغربى منه ، وهو المطل على شاطىء النيل ، ويشمل حاليا منطقة جاردن سيتى ، وكانت الموردة فى الجهة الجنوبية منه — حيث يوجد حاليا كوبرى القصر العينى — وكان مكانه قنطرة الفخر ، وموردة البلاط والموردة المذكورة ، وانظر (ج ٧ : ٣٨٨ ، ٣٨٩ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٤٧ «فلم يظهر لذلك أثر» .

الحراب — قيسارية الأمير سنقر الأشقر[١] المقدم ذكره في ترجمة الملك المنصور قلاوون ، وكانت مقابلة لقيسارية الفاضل[٢] وحمّامه ، فاستبدلها الملكُ المؤيّد وأخذها ، ثم أخذ خزانة شمائل[٣] ودورا وحارات وقاعات كثيرة تخرج عن الحدّ ، حتى أضرّ ذلك بحال جماعة كثيرة ، وشرع في هدم الجميع من شهر ربيع الأوّل إلى يوم تاريخه حتى رمى الأساس ، وشَرَعُوا في بنائها . ٥

وتهيّأ الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى للسّفر حتى خرج من القاهرة قاصِداً محلّ كفالته بدِمَشْق فى سادس جُمَادى الآخرة ، ونَزَل بالرَّيْدَانِيّة خارج القاهرة ، فقدمَ الخبر على السلطان بخروج قَانِى بَاى[٤] نائب الشّام عن الطاعة ، وأنه سَوَّفَ بِرَسُول السلطان من يوم إلى يوم إلى أن تهيّأ وركِبَ وقاتَل أمراء دِمَشْق وهزمهم إلى صَفَد ، وملك دِمَشْق حسبما نذكره بعد ذكر عِصْيَان النوّاب ، فَعَظُم ذلك على الملك المؤيّد . ١٠

ثم فى أثناء ذلك ورَدَ الخبرُ بخروج الأمير طَرَبَاى نائب غَزّة عن الطّاعة وتوجّهه إلى الأمير قَانِى بَاى المحمدى نائب دِمَشْق ، فعند ذلك نَدَبَ السلطانُ الأمير يَشْبُك المؤيدىّ المُشِدّ[٥] ومعه مائةُ مملوك من المماليك السلطانيّة ، وبعثه نَجْدَةً للأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، ثم وَرَدَ الخبرُ ثالثا بعِصْيَان الأمير تَنبك البجَاسِىّ نائب حَمَاة وموافقته لقَانِى بَاى المذكور ، وكذلك الأمير إينَال الصَّصْلانى نائب حَلَب ومعه جماعة من أعيان ١٥

---

(١) قيسارية الأمير سنقر الأشقر : أنشأها الأمير سيف الدين سنقر الأشقر الصالحى النجمى أحد المماليك البحرية ، وانظر أخباره فى ترجمة المنصور قلاوون (ج ٧ من هذا الكتاب) وكانت على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة (المقريزى — الخطط ٢ : ٨٥ ، ٨٦).

(٢) قيسارية الفاضل : وتنسب للقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى (على مبارك — الخطط ٦ : ٦٩) . ٢٠

(٣) خزانة شمائل : وتنسب للأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الكامل بن العادل أبى بكر ابن أيوب ، وانظر هامش (ج ١٠ : ١٦ من هذا الكتاب) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « قدوم الخبر بعصيان نائب الشام وجميع النواب » .

(٥) المشد : والشاد ، هو المتولى لأعمال الوظيفة المخصصة بالكلمة المضافة إلى هذا اللفظ مثل مشد وشاد الدواوين (السبكى . معيد النعم ٢٨) و (المقريزى — السلوك ١ : ١٠٥ هامش الدكتور زيادة) . ٢٥

أمراء حَلَب ، والأمير جَانِى بك الحَمْزَاوِىّ نائب قلعة الرُّوم ، ثم ورد الخبر أيضا بعِصْيان الأمير سُودُون من عبد الرحمن نائب طَرَابُلُس .

ولما بلغ الملكَ المؤيَّدَ هذا الخبرُ استعدّ للخروج إلى قتالهم بنفسه .

٥ وأما أمر الحفر والجسر الذى عُمِل [فإنه][1] لمّا قَوِىَ زيادةُ النيل وتراكت عليه الأمواج خَرَقَ منه جانبا ثم أتى على جميعه وأخذه كأنه لم يكن ، وراح تعبُ النّاس ، وما فعلوه من غير طائل[2] .

وأما ما وعدنا بذكره من أمر قانِى بَاى المحمدى نائب دِمَشْق : فإنه لما توجّه إليه الأمير جُلُبَّان أمير آخُور بطلبه أظهرَ الامْتِثَال وأخذ ينقل حريمه إلى بيت أستاداره ١٠ غَرْس الدين خليل ، ثم طلع بنفسه إلى البيت المذكور وهو بطرف القُبَيْبَات على أنه متوجّهٌ إلى مصر .

فلما كان فى سادس جمادى الآخرة ركب الأمير بيبُغَا المظفرى أتابك دِمَشْق ، وناصر الدين محمد بن إبراهيم بن مَنْجَك ، وجُلُبَّان الأمير آخور المقدّم ذكره وأَرْغُون شاه ، ويَشْبُك الأَيْتَمُشِىّ فى جماعة أُخر من أمراء دِمَشْق[3] يسيرون بِسُوق خَيْلِ دِمَشْق ، فبلغهم أن يَلْبُغَا كَمَاج كاشفَ القبلية حضرَ فى عسكر إلى قريب ١٥ داريّا[4] ، وأن خلفه من جماعته طائفةٌ كبيرة ، وأن قانِى بَاى خَرَج إليه وتَمالَقَا على العِصْيان ، ثم عَادَ قَانِى بَاى إلى بَيْت غَرْس الدين المذكور ، فاستعد المذكورون ولبسوا آلة الحرب ، ونادوا لأجْنَادِ دِمَشْق وأمرائها بالحضور ، وزحفُوا إلى نحو قانِى بَاى ، فخرج إليهم قانِى بَاى بمماليكه وبمن أنضمّ معه من أصاغر الأمراء وقاتلهم من بُكْرَة النهار إلى العَصْر حتى هزمهم ، ومرّوا على وجوههم إلى جهة صَفَد ، ودخل قانِى بَاى

٢٠ (١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٤٨) .
(٢) ورد فى هامش اللوحة «أمر حفير السد وفساده» .
(٣) ورد فى هامش اللوحة « ركوب أمراء الشام على نائب الشام» .
(٤) داريا : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، هامش (ج ٦ : ٧٨ من هذا الكتاب ط. دار الكتب)

ومَلَكَ مدينَة دِمَشْق ، ونزل بدار العَدْل من باب الجَابية[١] ، ورَمَى على القلعة بالمدافع ، وأحرق جَمَكُون دار السعادة ، فرماه أيضاً مَن بالقلعة بالمَناجِيق والمدافع ، فانتقل إلى خان السلطان وبات بمخيَّمه وهو يحاصر القلعة ، ثم أتاه النواب المقدم ذكرهم ، فنزل تَنِبَك البجَاسِيّ نائب حماة على باب الفَرَج[٢] ، ونزل طَرَبَاى نائبُ غَزَّة على باب آخر ، ونزل على باب الجديد[٣] تَنِبَك دَوَادَار قانِى بَاى ، ودَامُوا على ذلك مُدَّةً ، وهو يستعد وقد ترك أمرَ القلعة إلى أن بلغه وصولُ العسكر سار هو والأمراء من دِمَشْق ، وكان الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى بمن معه من أمراء دِمَشْق والعَشِير[٤] والعُرْبَان ونائب صَفَد قد توجَّه من بلاد المَرْج إلى جَرُود[٥] ، فجَدَّ العسكرُ فى السير حتى وافوا الأميرَ قَانِى بَاى قد رَحَل من بَرْزَة[٦] ، فَنَزَلُوا هم بَرْزَة ، فتقدّم منهم طائفةٌ فأخذوا من ساقته أغناماً وغيرها ، وتقاتلوا مع أطْرَاف قانى بَاى ، فجُرِحَ الأميرُ أحمد ابن تَنَم [صهر الملك المؤيد][٧] فى يده بنشّابة أصابته ، وجرح معه جماعة أخر ، ثم عادوا إلى أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، وسَارَ قانِى بَاى حتى نزل بسَلَمْيَة[٨] فى سلخه ، ثم رحل إلى حَمَاة ، ثم رحل منها واجتمع بالأمير إينَال الصَّصْلانى نائب حَلَب ، واتَّفَقُوا جميعا على التوجّه إلى جهة العُمْق لما بلغهم قدُوم السلطان الملك المؤيّد لقتالهم ،

(١) باب الجابية : هو الباب الرابع من أبواب دمشق ، وينسب إلى قرية الجابية ، وانظر هامش (ج ٧ : ٢٨٧ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) باب الفرج : أحدثه الملك العادل نور الدين ، وسماه بذلك تفاؤلا لما وجد التفريج بفتحه (ابن شداد — الأعلاق الخطيرة ص ٣٦) .

(٣) باب الجديد : أحد أبواب قلعة دمشق ، وقد أحدثه الأتراك فى دولتهم ، وتصحفه العامة بالحديد ، هامش (ج ٨ : ١٠ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) العشير : يراد بهم الجند المرتزقة ، هامش (ج ١٢ : ٢٠١ من هذا الكتاب) كما يراد بهم بدو جبل الدروز (دكتور إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٤٩٩) .

(٥) جرود : قرية بإقليم معلولا ومن أعمال دمشق ، هامش (ج ١٣ : ٦٧ من هذا الكتاب) .

(٦) برزه : قرية بغوطة دمشق ، هامش (ج ١٣ : ٦٣ من هذا الكتاب) .

(٧) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٥٠) .

(٨) سلمية : بلدة من عمل حمص ، بناها عبد الله بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، وأسكن بها ولده (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١١٤) .

وسيَّرُوا أثقالهم ، فنادى نائبُ قلعة حَلَب بالنَّفير العام ، فأتاهُ جُلُّ أهل حَلَب ، ونزل هو بمن عنده من العسكر الحَلَبى وقاتل إينَالَ وعساكره فلم يثبتوا ، وخَرَج قانِى بَاى وإينَالُ إلى خان طُومَان[١] ، وتخطَّفَ العامّةُ بعضَ أثقالهم ، وأقاموا هناك إلى أن قاتلوا الملكَ المؤيّد حسبما يأتى ذكره .

٥ وأما السلطان الملك المؤيّد فإنه لمّا كان ثانى عشرين جمادى الآخرة خلع على الأمير مُشْتَرَك التاسِىّ الظاهرىّ باستقراره فى نيابة غَزَّة عوضا عن طَرَبَاى ، ثم فى سابع عشرين خلع على الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِىّ الأمير آخور باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن أَلْطُنْبُغَا العُثْمَانى نائب دِمَشْق .

ثم فى سلخه خلع على الأمير تَنِبك العَلَائِىّ الظاهرى المعروف بميق رأس نوبة ١٠ النُّوب باستقراره أمير آخور عوضا عن أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى .

ثم فى رابع شهر رجب خلع السلطان على سُودُون القاضى حاجب الحجّاب باستقراره رأس نَوْبة النُّوَب عوضا عن تَنِبك مِيق ، وخَلَع على سُودُون قَرَاصُقل واستقرّ حاجب الحجاب عوضا عن سُودُون القاضى .

وفى حادى عشره سار الأمير آقْبَاى المؤيّدى الدَّوَادَار على مائتى مملوك نجدةً ثانية ١٥ لنائب الشّام أَلْطُنْبُغَا العثمانى .

وفى ذلك اليوم دار المحمل على العادة فى كل سنة .

ثم فى يوم ثالث عشر شهر رجب المذكور قدم الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم ابن مَنْجَك من دِمَشْق فارًّا من قانِى بَاى نائب الشام ، فارتجت القاهرة بسفر السُّلْطَان إلى البلاد الشّاميّة ، وعظم الاهتمام للسفر .

٢٠ ثم فى رابع عشره أمْسَكَ السلطانُ الأميرَ جَانِى بَك الصّوفى[١] أمير سلاح وقيّده

(١) ورد فى هامش اللوحة «القبض على جانى بك الصوفى واهتمام السلطان للسفر وخروجه بسرعة» .

وسجنه بالبُرْج بقلعة الجبل ، ثم رسم السلطانُ للأمراء بالتأهّب للسفر ، وأخذَ فى عرض المماليك السلطانية وتعيين من يختاره للسّفر ، فعيّن من المماليك السلطانية مقدارَ النّصْف منهم فإنه أراد السفر مُخِفًّا ، لأن الوقت كان فصل الشتاء والديار المصرية مُغْلِيَة الأسعار إلى الغاية .

ثم فى ثامن عشره أنفَق السلطانُ نفقات السفر ، وأعطى كلّ مملوك ثلاثين ديناراً إفرنْتِيَّة [1] ، وتسعين نصفاً فضةً مؤيّدية ، وفرّق عليهم الجمَال . ٥

ثم فى تاسع عشره أمسَك الوزيرَ تاج الدين عبد الرّزّاق بن الهَيْصَم وضربه بالمقارع ، وأُحِيطَ بحاشيته وأتباعه وألْزَمَه بحمل مال كثير .

ثم فى حادى عشرينه خلع السلطانُ على علم الدين أبى كُم باستقراره فى وظيفة نظر الدّوْلة ليسد مُهِمّات الدّوْلة مُدّة غيبةِ السلطان . ١٠

ثم فى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر رجب المذكور ركب السلطانُ بعد صلاة الجمعة [من قلعة الجبل] [2] بأمرائه وعساكره المعيّنين صحبته للسفر حتى نزل بمخيّمه بالرّيْدَانية خارج القاهرة ، وخلع على الأمير طَطَر واستقرّ به نائب الغَيْبَة بديار مصر وأنزله بباب السّلسلة ، وخلع على الأمير سُودون قَرَاصُقَل حاجب الحجاب وجعله مُقيماً بالقاهرة للحكم بين الناس ، وخَلع على الأمير قُطْلُوبُغَا التَّنَمِيّ وأنزله بقلعة الجَبَل ، ١٥ وبات السلطانُ تلك الليلة بالرّيْدَانية ، وسافر من الغد يُرِيدُ البلادَ الشاميّة ، ومعه الخليفةُ وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى لاغَيْر .

وسار السلطان حتى وصل إلى غزة فى تاسع عشرين شهر رجب المذكور ، وسار منها فى نهاره ، وكان قد خرج الأمير قَانِى بَاى من دِمَشْق فى سابع عشرينه حسبما ذكرناه ، ودخل الأمير ألْطُنْبُغَا العثمانى إلى دِمَشْق فى ثانى شعبان ، وقُرِئَ تقليدُه ، ٢٠

(١) الإفرنتى : أى الدينار الإفرنجى أو المشخص ، وهو عملة ذهبية ، وانظر (دكتور عبد الرحمن فهمى محمد — النقود العربية ٩٥–٩٦) .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٢) .

وكان لدخوله دِمَشْق يوماً مشهوداً ، وسار السلطانُ مجدًّا من غَزَّة حتى دخل دِمَشْق في يوم الجمعة سادس شعبان ، ثم خرج من دِمَشْق بعد يومين في أثر القوم ، وقدّم بين يديه الأميرَ آقْبَاى الدَّوَادَار في عسكر من الأمراء وَغيرهم كالجاليش ، فسارَ آقْبَاى المذكور أمام السلطان والسلطان خلفه إلى أن وصل آقْبَاى قريباً من تَلّ السلطان[1] ، ونزل السلطانُ على سَرْمِين وقد أجهدهم التعَب من قُوّة السّير ، وشِدّة البَرْد ، فلما بلغ قانِى بَاى وإينَال الصصْلانى وغيرهما من الأمراء مجيء آقْبَاى خرجوا إليه بمن معهم من العساكر ولقوا آقْبَاى بمن معه من الأمراء والعساكر وقاتلوه فثبت لهم ساعةً ثم انهزم أقبح هزيمة ، وقبضوا عليه وعلى الأمير بَرْسْبَاىَ الدُّقْمَاقى[2] : أعنى الملك الأشرف الآتى ذكره ، وعلى الأمير طُوغان دَوَادَار الوَالد ، وهو أحد مقدّمى الألوف بدِمَشْق ، وعلى جماعة كبيرة ، وتمزقت عساكرهم وانتُهِبَتْ ، وأتى خبرُ كَسْرَة الأمير آقْبَاى للسلطان فتخوّف وهمّ بالرُّجوع إلى دِمَشْق وجَبُنَ عن ملاقاتهم ؛ لقلّة عساكره حتى شجّعه بعضُ الأمراء وأرباب الدولة ، وهوّنوا عليه أمرَ القوم ، فركِبَ بعساكره من سَرْمِين وأدركهم وقد استفحلَ أمرُهم ، فعند مَا سَمِعوا بمجيء السلطان آنْهَزَمُوا[3] ولم يَثْبُتُوا ووَلّوا الأدبار من غير قِتَال خِذْلاَناً من الله تعالى لأمرٍ سَبَق ، فعند ذلك اقتحمَ السلطانيّة عساكر قانى بَاى وقُبِضَ على الأمير إينَال الصَّصْلانى نائب حَلَب وعلى الأمير تَمَان تَمُر اليوسفى المعروف بأَرق أتابَك حَلَب ، وعلى الأمير جَرباش كَبَاشَة حاجب حجّاب حَلَب ، وفرّ قانى باى واختفى .

أما سُودُون من عبد الرحمن نائب طَرَابُلُس ، وتَنبك البَجَاسىّ نائب حَمَاة ، وطَرَبَاى نائب غزّة ، وجانى بَك الحمزاوىّ نائب قلعة الرُّوم ، والأمير مُوسى

(١) تل السلطان : موضع بينه وبين حلب مرحلة فى الطريق نحو دمشق ، وفيه خان ومنزل القوافل ، ويعرف بالفنيدق . وانظر هامش (ج ١١ : ١٠٦ من هذا الكتاب) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « وقبض أيضا على برسباى الدقماقى » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «انتصار السلطان على قانى باى نائب الشام وجميع النواب » .

الـكَزْكَرِىّ أتابك طَرابُلُس وغيرهم [فقد] (١) ساروا على حميَّة إلى جهة الشَّرق قاصدين قَرَا يُوسف صاحب بَغْداد وتِبْرِيز (٢) .

ثم ركب الملك المؤيّد ودخل إلى حَلَب فى يوم الخميس رابع عشر شهر رجَب وظفرَ بقَانِى بَاى (٣) فى اليوم الثالث من الوقعة ، فقيَّدَه ثم طلبهم الجميع ، فلما مَثلوا بين يدى السلطان قال لهم السلطان : قد وقع ما وقع فالآن أصْدُقُونِى ، مَنْ كان اتّفق معكم من الأمراء ؟ فشَرَعَ قانِى بَاى يَعُدُّ جماعةً ، فنهره إينالُ الصَّصْلاَنى وقال : يَـكْذِبُ يا مَوْلانَا السلطان ، أنا أكبر أصحابه فلم يَذْكُرْ لِى واحدًا من هؤلاء فى مُدَّة هذه الأيّام ، وكان يُمْكِنهُ أنّه يَـكْذِب عَلَىَّ وعلى غَيرى بأن معه جماعةً من المصْرِيِّين لِيُقَوِّىَ بذلك قلوبَ أصحابه فلم يذكر لنا شيئا من ذلك ، فكل ما قاله فى حَقِّ الأمراء زُورٌ وبهتان ، ثم الْتَفَت إينالُ إلى قَانِى بَاى وقال له : بتنميق كذبك تريدُ تخلُص مِنَ السيف ، هَيْهَات ليس هذا مِمَّنْ يعفو عن الذَّنب ، ثم تـكلَّم إينالُ المذكورُ بكلام طويل مع السّلطان معناه أننا خَرَجْنَا عليك نُرِيدُ قَتْلَكَ فافْعَلْ الآن ما بَدَا لك ، فعند ذلك أمرَ بهم الملكُ المؤيّد فرُدُّوا إلى أماكنهم وقُتِلُوا — من يَوْمِهم — الأربعة : قانِى بَاى ، وإينَال وتمانْ تَمُر أرق ، وجَرِبَاش كَبَاشَة ، وحُمِلَت رءوسهم إلى الديار المصرية على يد الأمير يَشْبُك (٤) شاد الشَّرَابْخَاناه ، فرفعوا على الرِّمَاح ونُودِىَ عليهم بالقاهرة : هذا جزاء من خامر على السلطان ، وأطاع الشيطان وعصى الرحمن ، ثم عُلِّقُوا على باب زُوَيْلة أيّاما ثم حملوا إلى الإسكندرية فطِيفَ بهم أيضا هناك ، ثم أُعِيدَت الرُّءُوس إلى القاهرة وسُلِّمَت إلى أهاليها .

ثم خلع السلطانُ على الأمير آقْبَاى المؤيّدى (٥) الدَّوَادار بنيابة حَلَب عِوَضاً عن

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) تبريز : أشهر بلد فى أذربيجان ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٤٤ من هذا الكتاب) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « ظفر السلطان بقانى باى نائب الشام » .

(٤) فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٤ « تنبك » وهو خطأ .

(٥) ورد فى هامش اللوحة « استقرار آقباى فى نيابة حلب » .

إينَال الصَّصْلاَنى ، وعلى الأمير يَشْبُك شادّ الشَّرَابْخَاناه بنيابة طَرَابُلُس عِوَضًا عن سُودُون من عبد الرحمن ، وعلى الأمير جَارْقُطْلُو بنيابة حَمَاة عوضا عن إِنِّيَّة[1] تَنبك البجاسى .

وأخذ السلطانُ فى تمهيد أمور حَلَب مُدَّةً ، ثم خرج منها عائداً إلى جهة الشام حتى نزل بحَمَاة ، وعزَمَ على الإقامة بها حتى ينفصل فصل الشتاء ، فأقام بها أيّامًا حتى بلغه عن القاهرة غُلُوُّ الأسعار واضطرابُ الناس بالديار المصرية لغيبة السلطان، وفتنة العُرْبان ، فخرج من حَمَاة وعاد حتى قدِمَ إلى دمَشْق وأمْسَكَ بها سُودون القاضى رأس نَوْبَة النُّوَب ، وخلع على الأمير بُرْدْبَك قَصْقَا واستقرّ به عوضه رأس نَوْبَة النُّوَب ، وسجن سُودون القاضى بدمشق .

ثم خرج السلطان منها يريد الديار المصرية إلى أن قاربها فنزل المقامُ الصارمى إبراهيم ابن السلطان من قلعة الجبل ، وسار إلى لقاء والده ومعه الأمير كُزُل العجمى أمير جاندار[2] ، وسُودون قَرَاصُقْل حاجب الحجاب فى عِدَّةٍ من المماليك السلطانية حتى التقاهُ ، وعاد صحبته حتى نزل السلطانُ على السَّماسم[3] شمالى خانقاه سِرْيَاقُوس فى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة .

وركب فى الليلة المذكورة إلى أن نزل بخانقاه سِرْيَاقُوس ، وعمل بها مجتمعاً بالقراء والصُّوفية ، وجمع فيه نحو عشر جُوَق من أعيان القُرّاء ، وعِدّة من المُنْشِدِين أصحاب الأصوات الطيّبة ، ومدّ لهم أسْمِطة جليلة ثم بعد فَراغ القرّاء والمنشدين أُقِيمَ السماعُ فى طول الليل ، ورقصت أكابرُ الفقراء الظُّرَفَاء وجماعةٌ من أعيان نُدَمَائه بين يديه الليلَ كله نَوْبةً ، وهو جالس معهم كأحدهم ، هذا وأنواع الأطعمة والحَلاَوَات تُمَدّ شيئا

---

(١) إنيه : انظر فى التعريف بهذا المصطلح (الحاشية ٣ من ص ٩ ج ١٣ من هذا الكتاب) .
(٢) ورد فى هامش اللوحة « كزل العجمى أمير جاندار » .
(٣) السماسم : و الصماصم ، هى ترعة كانت تسقى أراضى الشرقية قبل حفر خليج أبى المنجا (المقريزى — الخطط ١ : ٤٨٦ ، ٤٨٧) .

بعد شيء بكثرة ، والسُّقَاة تَطُوفُ على الحاضرين بالمشروب من السُّكَّر المذاب ، فكانت ليلة تُعَدّ من الليالى الملوكية لم يُعْمَل بعدها مثلُها .

ثم أنعم على القرّاء والمنشدين بمائة ألف درهم ، وركب بُكْرَة يوم السبت سادس عشر ذى الحجة المذكورة من الخانقاه حتى نزل بطرف الرَّيْدَانِيَّة ، فأقام بها ساعة ثم رَكِبَ وشَقَّ القاهرة حتى طلع إلى القلعة من يومه ، وقد زُيِّنَت له القاهرة أحْسَن زينة ، فكان لقدومه إلى الديار المصرية يوما من الأيام المشهودة .

وبعد طلوعه إلى القلعة أصبح من الغد نادى بالقاهرة بالأمان ، وأن الأسعار بيد الله تعالى ، فلا يتزاحم أحد على الأفران ، ثم تصدّى السلطان بنفسه للنظر فى الأسعار . وعمل مُعَدَّل القمح ، وقد بَلَغ سعرُ الإردب منه أزيد من ستمائة درهم إن وُجِد ، والإردب الشعير إلى أربعمائة درهم ، فانحطّ السِّعْرُ لذلك قليلا ، وسَكَن رَوْعُ الناس ؛ لكون السلطان ينظر فى مصالحهم ، فلهذَا وأبيك العملُ[1] ، ولعل الله سبحانه وتعالى أن يغفر للمؤيد ذنوبه بهذه الفعلة ؛ فإن ذلك هو المطلوب من الملوك ، وهو حُسْنُ النظر فى أحوال رعيتهم — انتهى .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرينه خلع السلطانُ على الأمير جَقْمَق الأرْغُون شَاوِىّ الدَّوادار الثانى باستقراره دَوَادَارًا كبيرا[2] عوضا عن الأمير آقْبَاى المؤيدى المنقول إلى نيابة حَلَب ، وخلع على الأمير يَشْبُك الجَكَمِىّ باستقرارة دَوَادَارًا ثانيا عوضا عن جَقْمَق .

قلت : وكان الدَّوادار الثانى يوم ذاك لا يحكُم بين الناس[3] ، وليس على بابه نُقَبَاء ، وكذلك الرَّأس نَوبة الثانى ، وأوّل من حكم ممن وَلِىَ هذه الوظيفة قَرْقَمَاس الشَّعْبَانى ، وممن وَلِىَ رأس نوبة ثانى آقْبَرْدِى المِنْقَار — انتهى .

(١) فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٦ «قلت هذا من واجبات العمل» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «واستقرار جقمق فى الدوادارية الكبرى عوضا عن آقباى » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « الدوادار الثانى بغير حكم بين الناس ولا على بابه نقباء ، وكذلك الرأس نوبة » .

ثم أمرَ السلطانُ الملكُ المؤيد بالنداء بمنع المعاملة بالدنانير الناصرية ، وقد تَزَايد سعرُ الذَّهب حتى بلغ المثقالُ الذهبُ إلى مائتين وستين درهما والناصرى إلى مائتين وعشرة ، فرسم السلطان بأن يكون سعر المثقال الذهب بمائتين وخمسين والإفرنتى بمائتين وثلاثين ، وأن تنقص الناصرية ويدفع فيها من حساب مائة وثمانين درهما الدينار .

٥ ثم فى أوّل محرم سنة تسع عشرة وثمانمائة دفع السلطانُ للطَّوَاشىّ فارس الخازندار مبلغًا كبيراً وأمرَه أن ينزل إلى القاهرة ويفرِّقَه فى الجوامع والمدارس والخوانِق[1] ، فتوسَّع الناسُ بذلك ، وكَثُرَ الدعاء له ، ثم فرّق مبلغًا كبيراً أيضًا على الفقراء والمساكين فأقلّ ما نابَ الواحدَ من المساكين خمسة مؤيدية فضة عنها خمسة وأربعون درهمًا ، فشمل برُّه عِدّةَ طوائف من الفقراء والضُّعَفَاء والأرامل وغيرهم ، فكان جملة ما فرّقه فى

١٠ هذه النوبة الأخيرة أربعة آلاف دينار[2] ، فوقع تفرقةُ هذا المال من الفقراء موقعاً عظيما .

هذا والغلاء يتزايد بالقاهرة وضواحيها ، والسلطانُ مجتهدٌ فى إصلاح الأمر لا يَفْتُر عن ذلك ، وأرسل الطواشىّ مَرْجانَ الهندىّ الخازندار إلى الوَجْه القبلى بمالٍ كثير ليشترى منه القمح ويرسله إلى القاهرة تَوْسِعَةً على الناس ، ثم أخذ السلطان [فى][3] النظر فى أحوال الرَّعيَّة بنفسه وماله حتى إنه لم يَدَعْ لمحتَسِب القاهرة فى ذلك

١٥ أمْراً ، فمشىَ الحالُ بذلك ، وردّ رَمَقَ الناس — سامحه الله تعالى وأسكنه الجنة .

ثم فى أوّل صفر من سنة تسع عشرة المذكورة أمرَ السلطانُ بعزل جميع نُوّاب القضاة الأربعة ، وكان عدّتهم يومئذ مائة وستة وثمانين قاضياً بالقاهرة سوى من بالنواحى ، وصمّمَ السلطانُ عَلَى أنّ كل قاضٍ يكون له ثلاثة نُوّاب لاغير ، هؤلاء كفاية للقاهرة وزيادة[4] .

٢٠ قلت : وما كان أحسن هذا لو دَامَ أو استمرّ ، وقد تَضَاعَفَ هــذا البلاء

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «صدقة السلطان» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «جملة الذى فرقه السلطان من المال على الفقراء» .

(٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٧) .

(٤) فى الأصول « بزيادة » .

فى زماننا حتى خرج عن الحدّ ، وصار لكل قاضٍ عِدّةٌ كبيرة من النوّاب — انتهى .

ثم فشَا الطاعونُ فى هذا الشهر بالقاهرة ، وَوَقعَ الاهتمامُ فى عمارة الجامع المؤيّدىّ بالقرب من باب زُوَيْلة ، وكان قبل ذلك عمله على التراخى ، ثم تكلّم أرباب الدولة مع السلطان فى عَوْدِ نُوّاب القضاة ، وأمعنوا فى ذلك ، وقد وعدوا بمال كثير ، ٥ فرسَمَ السلطانُ بجمْع القضاةِ الثلاثة ، وكان قاضى القضاة علاء الدين بن مُغْلى الحنْبلىّ مُسافراً بحماة ، وتكلّمَ معهم فيما رَسَم به ، وَصَمَّمَ عَلَى ذلك — رحمه الله .

وأربابُ وظائفه الظَّلَمَة البلاصيةُ[(١)] تُمْعِنُ فى الكلام معه [فى ذلك][(٢)] ، ولا زالوا به بعد أن خَوَّفُوه بوقُوف حال الناس من قِلَّة النوّاب ، وأشياء غير ١٠ ذلك إلى أن استقرّ الحالُ عَلَى أن يكون نُوّاب القاضى الشافعى عشرة ، ونُوّاب القاضى الحنفى خمسة ، ونُوّاب القاضى المالكى أربعة ، وانفضّ المجلسُ عَلَى هذا بعد أن عَجزَ مُبَاشِرُو الدَّوْلة فى أن يسمحَ بأكثر من ذلك ، وبعد خُروج القضاة من المجلس ضَمِنَ لهم بعضُ أعيان الدَّوْلة من المباشرين الظَّلَمَة العَوَانيةَ — عليه من الله ما يستحقه — برَدِّ جماعةٍ أُخَر بعد حين . هذا والناسُ ١٥ فى غاية السُّرور [بما حصل][(٣)] ، من منع القضاة للحكم بين الناس .

ثم خَلعَ السلطانُ عَلَى الأمير قُطْلوبغَا باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن آقبَرْدِى المِنقَار بحكم عَزْله ، وكان قُطْلُوبُغَا هذا ممن أنعم عَليهِ الأميرُ تَمُرْبُغَا الأفْضَلى المدعو مِنطَاش بإمْرَةِ مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية .

---

(١) البلاصية : جمع بلاصى ، والعبارة هنا تؤيد ما ذهبت إليه فى التعريف بهذا المصطلح فى هامش (ج ١٣ : ٩٥ من هذا الكتاب) . من أن المراد به هو الآخذ للمال من الرعية ظلما أو بدون وجه مشروع — ٢٠ فهيم شلتوت .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٥٧) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٥٨) .

ثم أخرج الملك الظاهر بَرْقوق إقطاعه وجعله بطّالاً سنين طويلة حتى افتقر وطال خموله ، واحتاج إلى السؤال ، إلى أن طلبه الملك المؤيد من داره وولاّه نيابة الإسكندرية من غير سؤال .

قلت : وهـذه كانت عادةُ ملوك السَّلف أنْ يقيموا من حطَّهُ الدهرُ ، وينتشلوا ذوى البيُوتات من الرُّؤساء وأرباب الكمالات .

وقد ذهب ذلك كلّه وصار لا يترقّ فى الدُّول إلا من يبذل المال ، ولو كان من أوْباش السُّوقة لِشَرَهِ الملوكِ فى جَمْع الأموال — ولله دَرُّ المتنبى حيث يقول :

[الطويل]

وَمَنْ يُنْفِق الساعاتِ فى جَمْع ماله مخافةَ فَقْرٍ فالذى فَعَل الفَقْرُ

حدَّثنى بعضُ من حَضَرَ قُطْلُوبُغَا المذكور لمّا طلبَهُ المؤيد ليستقرَّ به فى نيابة الإسكندرية .

فعند حضوره قال له السلطان : أُوَلِّيك نيابة الإسكندرية ، فمسك قُطْلُوبُغَا المذكورُ لحيته البيضاء وقال : يا مولانا السلطان أنا لا أصلحُ لذلك ، وإنما أريدُ شِبَعَ بطنى وبطن عيالى .

يظُن أن السلطان يهزأ به ، فقال له السلطانُ : لا والله إنما قَوْلى(١) عَلَى حقيقته ، ثم طلب له التّشريف وأفاضه عليه ، وأمدّه بالخيل والقماش — انتهى .

ثم فى ثانى عشر شهر ربيع الأوّل أمسكَ السلطانُ الأستادار بدر الدين حسن بن مُحب الدين بعد أن أوسعَهُ سَبًّا ، وَعوّقه نهارَه بقلعة الجبل حتى شفع فيه الأمير جَقْمَق الدَّوادار على أن يحمل ثلاثمائة ألف دينار ، فأخذه جَقْمَق ونزل به إلى داره

(١) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٥٨ « إنما كلامى » .

ثم أرسل السلطان تشريفاً إلى فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج وهو كاشف الوجه البحرى باستقراره أستادارا عوضاً عن ابن محب الدين المقدّم ذكره، ثم تقرّر الحالُ على ابن محب الدين أنه يحملُ مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار بعد ما عُوقِبَ وعُصِرَ فى بيت الأمير جَقْمَق عَصْراً شديداً ، ثم نقل من بيت جَقْمَق إلى بيت فخر الدين بن أبى الفرج، فتسلمه فخرُ الدين المذكور عند ما حضر إلى القاهرة .

هذا وقد ارتفع الطاعون بالديار المصرية ، وظهر بالبلاد الشاميّة .

ثم فى سابع جمادى الآخرة من سنة تسع عشرة المقدّم ذكرها أمرَ السلطانُ أن الخطباء إذا أرادوا الدّعاء للسلطان على المِنْبَر فى يوم الجمعة [أن] [1] ينزلوا درجة ثم يدعوا للسلطان حتى لا يكون ذكر السلطان فى الموضع الذى يُذْكَر فيه اسمُ الله عزّ وجَلّ واسمُ نبيّه صلى الله عليه وسلم؛ تواضعاً لله تعالى، ففعل الخطباء [2] ذلك، وحَسُنَ هذا ببال الناس إلى الغاية، وعُدّت هذه الفعلةُ من حسناته — رحمه الله .

ثم تكرّرت صدقاتُ السلطان فى هذه السنة مِرَاراً عديدة على نقدات متفرقة .

هذا وقد ألزم السلطانُ مباشرى الدّوله بالرّخام الجيّد لأجل جامعه، فطُلِبَ الرّخام من كل جهة، حتى أُخِذ من البيوت والقاعات والأماكن التى بالمفترجات، ومن يومئذ عزّ الرخامُ بالديار المصرية لكثرة ما احتاجه الجامعُ المذكور من الرّخام؛ لكبره وسعته، وهو أحسن جامع بُنِيَ بالقاهرة فى الزّخْرَفَة والرّخام لا فى خشونة العمل والإمكان، وقد اشتمل ذلك جميعه فى مدرسة السلطان حسن بالرُّمَيْلَة، ثم فى مدرسة الملك الظاهر بَرْقُوق بِبَيْن القَصْرَين، ولم يُعَبْ على الملك المؤيد فى شىء من بناء هذا الجامع إلا أخذه باب مدرسة السّلطان حَسَن والتّنُّورَ الذى كان به، وكان اشتراهما السلطانُ حسن بخمسمائة دينار، وكان يمكن الملك المؤيد أن يصنع أحسنَ منهما لعلوِّ هِمّته؛ فإن فى ذلك نقص مروءة وقلة أدب من جهات عديدة .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « أمر السلطان الخطباء إذا أرادوا الدعاء للسلطان يوم الجمعة أن ينزلوا درجة من على المنبر » .

وكان وَعَدَنِى بعضُ أعيان المماليك المؤيديَّة أنه إن طالت يَدُه فى التحكُّم أن يصنعَ باباً وتنوراً للجامع المؤيّدى المذكور أحسن منهما، ثم يردهما إلى مكانهما من مدرسة السلطان حسن، فقبضَهُ الله قبل ذلك — رحمه الله تعالى.

وكان نقل هذا الباب والتَّنور من مدرسة السلطان حسن إلى مدرسة الملك المؤيد فى يوم الخميس سابع عشرين شوال من السنة المذكورة.

ثم بدا للسلطان الملك المؤيد السفرُ إلى البلاد الشاميَّة؛ لِمَا اقتضاه رأيه، وعُلِّق جاليشُ السَّفر[1] فى يوم الاثنين خامس المحرّم من سنة عشرين وثمانمائة، وهذه سفرةُ الملك المؤيد شيخ الثالثة إلى البلاد الشامية من يوم تسلطن؛ فالأولى فى سنة سبع عشرة وثمانمائة لقتال الأمير نَوْرُوز الحافِظِيِّ نائب الشام، والثانية فى سنة ثمانى عشرة [وثمانمائة][2] لقتال الأمير قَانِى بَاى المحمدى نائب الشام، وهذه سفرته الثالثة.

وتجهَّز السلطان للسفر وأمَرَ أمراءه وعساكره بالتَّجْهيز، فلما كان خامس عشر المحرم جلس السلطانُ لتفرقة النَّفَقَات، فحَمَلَ إلى كل من أمراء الألوف ألْفَىْ دينار، وأعطى لكلِّ مملوك من المماليك السلطانية ثمانية وأربعين ديناراً صَرْفها يوم ذاك عشرة آلاف درهم[3].

وبينما السلطان يتَهيّأ للسفر قَدِمَ عليه الخبرُ فى ثالث عشرين المحرّم بوصول الأمير آقبَاى المؤيدى نائب حَلَب إلى قَطْيَا فى ثمانى هجن، فكَثُرَت الأقوالُ فى مجيئه على هذه الهيئة، ورسَمَ السلطانُ بتلقّيه، فسار إليه الأمراءُ وأربابُ الدولة إلى خانقاه سِرْيَاقوس، وجهَّز له السلطانُ فرسًا بسرج ذهب وكُنْبُوش[4] زَرْكَش،

(١) ورد فى هامش اللوحة «حركة السلطان إلى السفر للبلاد الشامية».
(٢) إضافة للتوضيح.
(٣) مكان هذا اللفظ فى الأصل بعض حروف لا تقرأ، والإثبات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٦٠).
(٤) الكنبوش: هو البرذعة أو السرج الحصان، وانظر هامش (ج ٧ : ١١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) وتطلق أيضا على الستر أو الطرحة التى تغطى الحصان (على مبارك – الخطط ١٠ : ٧٠).

وكامليّة[1] مُخْمَل بفَرْو سَمُّور بمقلب سَمُّور ، وقدِم آقْبَاىُ المذكور من الغَدِ فى يوم السبت رابع عشرين المحرم ، فلامَهُ السلطانُ ووبّخَهُ وعنّفَهُ على حضوره إلى القاهرة فى هذه المُدّة اليسيرة على هذا الوَجْه من غير أمرٍ يستحقُّ ذلك ، فإنه سارَ من حَلَب إلى مِصر فى أقل من عشرة أيام ، فاعتذر آقْبَاىْ ، إنما أحوَجَه لذلك ما أُشيعَ عنه فى عَزْم الخروج عن الطاعة ، ثم استغفرَ مِمّا وقع منـه فخلع عليه السلطانُ باستقراره فى نيابة دِمَشْق عِوَضًا عن الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، ورَسَم السلطانُ للأمير آقْبُغَا التَمْرَازِىّ أمير آخُور ثانى بالتوجُّه إلى الشام ليقبِضَ على [أَلْطُنْبُغَا][2] العثمانى ويودعه بسجن قلعة دِمَشْق ، والحَوْطَة على مَوْجُودِه ثم خلع السلطان على الأمير قَجْقَار القَرْدَامِىّ أمير سلاح باستقراره فى نيابة حلب عوضًا عن آقْبَاى المذكور ، وأنعم السلطان بإقطاع قَجْقَار عَلَى الأمير بَيْبُغَا المظفرى أمير مجلس .

ثم خرجت مُدَوَّرة[3] السلطان إلى الرَّيْدَانية خارج القاهرة ، ودخل المحمل فى ذلك اليوم إلى القاهرة صُحْبة أمير حاج المحمل الأمير أَزْدَمُر من علِي جان المعروف بأَزْدَمُر شَايَا .

ثم فى خامس عشرين المحرم المذكور ركب السلطان من قلعة الجَبَل بأمرائه وعساكره ونزل بمخيَّمه بالرَّيْدَانية[4] خارج القاهرة تجاه مسجد التِّبْن ، وخَلَع على الشيخ شمس الدين محمد بن يعقوب التَّبَّانى باستقراره فى حِسْبة القاهرة[5] ، وعُزِل عنها مَنْكَلِى بُغَا العجمى الحاجب .

ثم فى سابع عشرينه خلع السلطان على الأمير آقْبَاى نائب الشام خِلْعة السفر وسافر من يومه جريدةً[6] على الخيل ، ثم خلع السلطان على الأمير طُوغان أمير آخُور السلطان

---

(١) كاملية : هى ثوب ضيق الأكام يلبس فوق القباء ، به فتحة من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل (ماير — الملابس المملوكية ١٤) وقد يبطن بفرو السمور أو تكون له قلابات من فرو السمور كما هنا .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٦١) .

(٣) مدورة السلطان : هى خيمة كبيرة مستديرة خاصة به . هامش (ج ١٣ : ٦٢ من هذا الكتاب) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «بروز السلطان من القلعة إلى الريدانية » .

(٥) حسبة القاهرة : هى من الوظائف الدينية ، وشاغلها يتولى الأمر والنهى فيما يتصل بالمعايش والصناعات ، ومراقبة الأسعار والتجار وغير ذلك ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٢٤ من هذا الكتاب) .

(٦) أى مخفا ومسرعا دون حمل أثقال أو ما أشبه ذلك .

قديمًا باستقراره فى نيابة الغَيْبة ، وعلى الأمير أَزْدَمُر من على جان المعروف شَايَا المقدم ذكره بنيابة قلعة الجبل ، وأقرّ عدّة أمراء أخر بالديار المصرية ، ثم خلع السلطان على الأمير قَجْقَار القَرْدَمى نائب حَلَب خلعة السفر ، وسار أيضا من يومه ، ثم تقـدّم جاليشُ السلطان أمامه فيه جماعة من الأمراء ، ومقدّم الجميع ولدُه المقام الصَّارِمىّ إبراهيم.

ثم سار السلطان ببقية عساكره من الرَّيْدَانِيَّة فى يوم الثلاثاء رابع صفر يُرِيدُ البلاد الشّامية ، وصحبته الخليفة والقضاة الأربعة ، ومعه أيضا من ورد عليه من القُصَّاد فى السنة ٥ الخالية ، وهم جماعة : قاصدُ قَرَايوسف صاحب بَغْدَاد وغيرها من العراق ، وقاصدُ سليمان ابن عثمان صاحب الرّوم ، وقاصدُ بير عمر صاحب أَرْزَنْكان ، وقاصد بن رمضان .

وتأخر بالقاهرة الأستادار فخر الدين بن أبى الفرج ، والصاحب بدر الدين حسن بن ١٠ نصر الله ناظر الخواص .

ورسم طُوغان نائبُ الغَيْبَة بأمر السلطان بهدم البيوت التى فوق البُرْج المجاورة لباب الفتوح[1] من القاهرة ليعمل ذلك سجنا لأرباب الجرائم عوضا عن خزانة شَمَائِل التى كانت موضع المدرسة المؤيّدية ، وسمى هذا السجن بالمَقْشَرَة[2] .

وأما السلطان فإنه سار حتى دخل دِمَشْق فى أوّل شهر ربيع الأول بعد أن مات ١٥ الأمير آقْبَرْدى المؤيدى المِنْقَار أحد مقدّمى الألوف بطريق دِمَشْق ، وكان خرج من القاهرة مريضا فى محفّة ، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير سُودون القاضى بعـد أن أخرجه من السجن .

ثم كتب الأمير طُوغان نائبُ الغيبة يعرّف السلطان بمَوْت فَرَج ابن الملك الناصر فرج فى يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الأول مسجونًا بثغر الإسكندرية ، وقد

٢٠ (١) باب الفتوح :أنشأه جوهر القائد فى غير موضعه الحالى ، وكان برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكى ، أما الباب الحالى فإنه من إنشاء أمير الجيوش بدر الجمالى (المقريزى — الخطط ١ : ٣٨١) .

(٢) سجن المقشرة : سمى بذلك لأنه كان موضعا معدا لتقشير القمح (على مبارك — الخطط ٢ : ٨) وقد ورد فى هامش اللوحة (عمل سجن المقشرة) .

ناهز الاحتلام ، وبموته انْكَسَرَت حدَّة المماليك الظاهرية والناصرية ، وكان في كل قليل يكثُرُ الكلامُ بأن المماليك الظاهرية يثورون وينصِّبُونَه في السلطنة ، وكانوا لا يزالون يتربَّصُون الدوائر لأجل ذلك ، فبطل عزمهم بموته .

وأقام السلطان بدِمَشْق أيَّامًا ، ثم خرج منها يريدُ حَلَب ، وسار حتى وصل تَلَّ السلطان ، فتقدَّم وصَفَّ الأطلابَ بنفسه — وكان إمامًا في هذا الشأن ، ومعرفة التعبئة للعساكر — فرتَّبَ أطلابَ الأمراء أوَّلاً كل واحد في منزلته ، وليس ذلك بمنزلته في الجلوس بين يدى السلطان ، وإنما بحسب وظيفته ؛ فإنّ لكل صاحب وظيفة منزلة يمشى طُلْبُه فيها أمام طُلْب السلطان — أَخَذْتُ أنا هذا العلم عن آقْبُغَا التَّمْرَازِيّ وعن السَّيفى طُرُنطَاى الظاهِرِيّ شادِّ القَصر السلطانى — انتهى .

ثم سار السلطانُ أمام طُلْبه في يوم السبت حادى عشرين شهر ربيع الأوّل عند انشقاق الفجر ، ومرّ بطُلْبه من ظاهر حَلَب ومعهم جميع الأمراء بأطلابهم حتى نَزَل بالمسطبة الظاهرية في المُخَيَّم ، ومرّ من داخل مدينة حَلَب نائبُ الشام ونائبُ طَرَابُلُس ، ونائبُ حَمَاة ، ونائبُ صَفَد ، ونائبُ غَزَّة وعِدَّةٌ كبيرة من التُّركُمَان والعُرْبَان حتى خرجوا من الباب الآخر ، فهال الناسَ هذه الرُّؤْية الغَرِيبَةُ ؛ من كثرة العساكر التى قَدِمَت حَلَب من ظاهرها وباطنها ، وأَقَامَ السلطانُ بمخيّمه بالمسطبة أيَّامًا ينتظر عَوْدَ القصّاد الذين وجَّهَهُم للأطراف .

ثم في يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل جَلَسَ السلطانُ بالمَيْدَان وعمل به الموكب السُّلْطَانِى ، وحضره نُوَّابُ البلاد الشَّامِيَّة والعساكرُ المصرية ، فَجَلَسَ عن يمين السلطان الأتَابَك أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِيّ ، وتحته آقْبَاى المُؤَيَّدِى نائب الشام، ثم يَبْغَا المظفرى أمير مجلس ، ثم يَشْبُك المؤيّدى نائب طَرَابُلُس ، ثم جماعةٌ كلٌّ واحد في رتبته ، وجلس عن يسار السلطان ولدُه المقام الصَّارِمِيّ إبراهيم ، ثم قَجْقَار القَرْدَمِيّ نائب حلب ، ثم تَنبَك العلائى مِيق الأمير آخُور الكبير ، ثم جَارَقُطْلُو

نائب حَمَاة ، ثم بُرْدُبَك قَصَقَا رأس نَوْبَة النُّوَب ، ثم الأمير طَطَر ، ثم جماعة أُخَر كلٌّ واحد فى منزلته .

ثم عيَّن السلطان الأمير آقبَاى نائب الشام والأمير جارْ قُطْلُو نائب حَمَاة ومعهما خمسمائة ماشٍ من التُّرْكمان الأَوْشَرِية (١) والإينَالِيَّة (٢) وفرقةٌ من عرَب آل مُوسى ليتوجَّه الجميعُ إلى جهة مَلَطْيَة لإخراج حسين بن كِبك منها ، ثم إلى كَخْتَا (٣) وكَرْكَر (٤) ، ثم قَدَّمَ السلطانُ الجاليش بين يدَيْه ؛ وفيه الأتابك أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى ؛ ويَشْبُك اليُوسُفِيّ المؤيدى نائب طَرَابُلُس ؛ وخليلُ الدُّشَارِى التِّبريزىّ نائب صَفَد فى عدة أُخر من أمراء مصر ، فساروا إلى جهة العُمْق ، ثم رَكِبَ السلطان ودخل مدينة حَلَب وأقام بها إلى أن ركب منها فى بُكْرَة يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر وسار إلى جهة العُمْق على درب الأَتَارِب (٥) ، فقَدِمَ عليه بالمنزلة المذكورة قاصد الأمير ناصر الدين بَك بن قَرَمَان بهديَّة وكتاب يتضمن أنه ضرب السِّكَّة المؤيدية ودعا للسلطان فى الخطبة بجميع معاملته ، وبعث من جملة الهدية طبقا فيه جملة دراهم بالسِّكَّة المؤيدية ، فعنَّفَ السلطانُ رسوله ووبَّخَهُ وعدَّدَ له خطأ مُرْسله من تقصيره فى الخِدْمَة ، وذكر له ذنوباً كثيرة ، فاعتذرَ الرسولُ عن ذلك كلّه ، وسأل السلطانَ الصفحَ عنه ، فقال السلطان : إنى ما سرتُ وتكلفت هذه الكلفة العظيمة إلا لأجل

---

(١) التركمان الأوشرية : هم بطن من بطون التركمان الاثنى عشر ، ويقال لهم أفشار وأوشار ، (البدر العينى — السيف المهند ٢٠ تحقيق فهيم محمد شلتوت) .

(٢) لعلها نسبة الى إينال أحد رؤسائهم .

(٣) كختا : قلعة قديمة على نهر كختاصو ، وتقع على مسافة أربعين ميلا تقريبا من جنوب شرق ملطية (المقريزى — السلوك : ٢ : ٥٧٩ هامش الدكتور زيادة) ولها وصف مطول فى (ابن عبد الظاهر تشريف الأيام والعصور ٢ : ٢٨ ، ٢٩) .

(٤) كركر : حصن على الفرات بين آمد وملطية : ويسمى بالحصن المنيع (المقريزى — السلوك ٢ : ٥٧٩ هامش الدكتور زيادة وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٢٠) .

(٥) الأتارب : قلعه بين حلب وأنطاكية ، وتبعد عن حلب نحو ثلاثة فراسخ ، وقد خربت وتحت جبلها بلدة تسمى الأتارب (ياقوت . معجم البلدان ١ : ١٠٥) .

طَرَسُوس لا غير ، ثم فرّق الدراهم على الحاضرين ، وصَرف الرسولَ إلى جهة نَزَلَ فيها .

وعمل السلطان الخِدْمَة فى يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر بالعُمْق ، وحَلف التُّرْكُمَان على طاعته ، وأنفق فيهم الأموال ، وخلع عليهم نحو مائتى خِلعة ، وألبس إبراهيم بن رَمَضَان الكَلَفْتَة[1] ، وخلع عليه .

ثم تقرّر الحال على أن قَجْقَار القَرْدَمِىّ نائب حَلَب يتوجّه بمن معه إلى مدينة طَرَسُوس ، ويسير السلطان على مدينة مَرْعَش إلى أَبُلُسْتَيْن ويتوجّه رسول ابنُ قَرَمَان بجوابه ويعود إلى السلطان فى مستهلّ جمادى الأولى بتسليم طَرَسُوس ، فإن لم يحضر مشى السلطانُ على بلاده ، فسار الرسول صحبة نائب حَلَب إلى طَرَسُوس ، وسار السلطانُ إلى أَبُلُسْتَين فنزل بالنهر الأبيض فى حادى عشره ، فقدم عليه كتاب قَجْقَار القَرْدَمِىّ نائب حَلَب بأنه لما نزل بَغْرَاس قدم عليه خليفةُ الأَرْمَن وأكابر الأرمن وعلى يدهم مفاتيحُ قلعة سِيس[2] ، وأنه جهّزَهم إلى السلطان ، فلما مثلوا بين يدَى السلطان خلع عليهم وأعادهم إلى القلعة بعد أن وَلّى نيابة سِيس للشيخ أحمد أحد أمراء العشرات بحَلَب ، ثم رَحَل السلطانُ حتى نَزَل بمنزلة كوخيك[3] ، فَقدِمَ عليه بها كتابُ آقْبَاىْ نائب الشام بأن حُسَين بن كِبك أَحْرَق مَلَطْيَة ، وأخذ أهلها وفرّ منها فى سابع عشر شهر ربيع الأوّل ، وأنه نزل بمَلَطْيَة وشاهدَ ما بها من الحريق ، وأنّه لم يتأخّر بها إلا الضعيفُ العاجزُ ، وأن فلاّحِى بلادها نَزَحُوا بأجمعهم عنها ، وأن ابن كِبك نَزَل عند مدينة دَوْرَكِى[4] ، فَنَدَبَه السلطانُ أن يسير خلفه حيث سار ، ثم أمرَ السلطانُ وَلَدَه المقام

(١) الكلفتة ، والكلفتاة : غطاء الرأس ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٤٩ ، ٩٦ من هذا الكتاب) .

(٢) سيس : هى قاعدة بلاد الأرمن ، ولها قلعة حصينة بناها بعض خدام الرشيد ، وهو الذى سماها (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٤) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٦٦ «كونيك» ولم يتيسر التعريف بأى منهما ، ويوجد تعريف بكوشيك ، وكوهيك . بأنه باب من أبواب سمرقند ، وجبل صغير بجوارها (ياقوت — معجم البلدان ٢ : ٣٠٢) ويلاحظ بعده الكبير عن موطن الأحداث هنا .

(٤) دورکی ، ويقال دبركى : وهى مدينة فى جهة الشمال والغرب من حلب على نحو عشر مراحل منها (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٢) .

الصَّارِمِى إبراهيم ليتوجّه إلى أَبُلُسْتَين ومعه الأمير جَقْمَق الأَرْغُون شَاوى الدَّوَادَار، وجماعة من الأمراء لكبس الأمير ناصر الدين محمد بن دُلْغَادِر، فساروا مُجِدِّين فصَابَحُوا أَبُلُسْتَين وقد فرّ منها ابنُ دُلْغَادِر، وأجلى البلاد من سكانها، فجدُّوا فى السَّير خلفه ليلاً ونهارا حتى نزلوا بمكان يقال له كل ولى[1] فى يوم خامس عشره وأوقعوا بمن فيه من التُّرْكُمَان، وأخذُوا بيوتهم وأحرقوها، ثم مضوا إلى خان السلطان[2]، فأوقعوا أيضا بمن كان هناك وأحرقوا بيوتهم وأخذوا من مواشيهم شيئا كثيرا، ثم ساروا إلى مكان يقال له صاروس[3] ففعلوا بهم كذلك، وباتوا هناك، ثم توجهوا يوم سادس عشره فأدركوا ناصر الدين بَك بن دُلْغَادِر وهو سائرٌ بأثقاله وحريمه فتتبَّعُوه وأخذوا أثقاله وجميعَ ما كان معه، ونجا ابنُ دُلْغَادِر بنفسه على جَرَائِد الخيل، ووقع فى قبضتهم عدة من أصحابه، ثم عادوا إلى السلطان بالغنائم، ومن جملتها مائة جمل بُخْتِىّ[4] وخمسمائة جمل نفر[5]، ومائة فَرَس، هذا سوى ما نهب وأخذه العسكر من الأقمشة الحرير، والأوانى الفضية ما بين بلّور وفضّيّات وبُسط وفُرُش، وأشياء كثيرة لا تدخل تحت حصر، فسُرّ السلطانُ بذلك، وصار السلطانُ يتنقّلُ فى مراعى أَبُلُسْتَين حتى قدم عليه آقْبَاى نائب الشام بعد أن سار فى أثر حُسين ابن كِبك إلى أن بلغه أنه دخل إلى بلاد الروم، وبعد أن قرّرَ أمرَ مَلَطْيَة بعَوْد أهلها إليها، وبعد أن جهّز الأمير جَارْقُطْلُو نائب حماة، ومعه نائب أَلْبِيرَة[6]، ونائب قلعة

---

(١) كل ولى: كذا فى الأصل، وفى ط كاليفورنيا «كل دلى» ولم أعثر على تعريف بها.

(٢) خان السلطان: لعله تل السلطان وذلك لوجود خان به، وانظر هامش (ج ١١: ١٠٦ من هذا الكتاب).

(٣) صاروس: وتبعد ٣٥ ميلا شمالى غرب أبلستين (هامش و. پوپر ٦: ٣٦٦ ط. كاليفورنيا).

(٤) الجمل البختى: هو ذو السنامين، وينسب إلى خراسان، وهو ضخم ووبره أسود، ويستعمل فى أسفار الشتاء (محيط المحيط).

(٥) الجمل النفر: لعله ذو السنام الواحد.

(٦) ألبيرة: بلد بين حلب والثغور الرومية، هامش (ج ١٣: ١٦ من هذا الكتاب). وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤: ١٣٧، ١٣٨).

الرّوم ، ونائب عَيْنتاب[1] فى عِدّة من الأمراء إلى كَخْتَا وَكَرْكَر ، فنازلوا القلعتين ، وقد أحرق نائب كَخْتَا أسواقها وتحصّن بقلعتها ، فبعث السلطانُ إليهم نَجْدَةً فيها ألفٌ ومائتا ماشٍ ، ثم قَدِمَ كتابُ ناصر الدين بَك بن دُلْغَادِر على السلطان يسأل العفوَ[2] عنه على أن يُسَلِّمَ قلعة دَرَنْدَة[3] فأُجيبَ إلى ذلك .

وأما قَجْقَار القَرْدَمىّ نائب حَلب فإنه لما توجَّه إلى طَرَسُوسُ قَدَّم بَيْنَ يَدَيْهِ إليها الأمير شاهين الأيدُكاري متولِّيها من قبل السلطان ، فوجد ابن قرمان قد بعث[4] نجدة إلى نائبه بها ، وهو الأمير مُقْبل ، فلما بَلَغ مقبلاً المذكور مجىء العساكر السلطانية إليه امتنع بقلعتها ، فنَزَل شاهينُ الأيْدُكارِى وَقَجْقَارُ القَرْدَمىّ عليها .

وَكتب قَجَقَارُ إلى السلطان بذلك ، فأجابهم السلطان بالاهتمام فى حصارها ، وَحرّضهم عَلَى ذلك ، فلا زالوا عَلَى حصارها حتى أخذوها بالأمان فى يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأوّل ، وسجنوا مُقبلاً وَأصحابه .

ثم انتقل السلطان إلى منزلة سلطان قشّى[5] ، فقدِمَ عليه بها قاصدُ الأمير على بك بن دُلْغادِر بهديَّة ، ثم قَدِمَ ناصرُ الدين بك بنُ دُلْغادر مع ولده وصحبته كَوَاهِى[6] ومفاتيح قلعة دَرَنْدَة ، فأضاف السلطان نيابة أبُلُسْتَين إلى على بَك بن دُلْغَادِر مع مابيده من نيابة مَرْعَش ، ثم ركب السلطانُ ليرى دَرَنْدَة ، وسار إليها على جرائد الخيل حتى نزل عليها وبات بظاهرها فامتنعت عليه ، وأصبح فرتَّبَ الأميرَ آقبَاى

(١) عين تاب ، وترسم أيضا عينتاب وهى بلدة كبيرة بها حصن ، وتقع بين حلب وأنطاكية ، هامش (ج ١٣ : ٦١ من هذا الكتاب) . وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٢١) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « كتاب ابن دلغادر يسأل العفو عنه » .

(٣) درندة : مدينة فى جهة الغرب عن ملطية على نحو مرحلة منها (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٢) .

(٤) عبارة الأصل «فوجد قد بعث ابن قرمان نجدة الخ » .

(٥) سلطان قشى : كذا فى الأصل ولم يتيسر التعريف بها .

(٦) كواهى : أى صنتور الصيد ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٦٤ من هذا الكتاب) .

نائب الشام فى إقامته عليها ، وأَرْدَفَهُ بآلات الحصار والصُّنَّاع من الزَّرَدْخاناه السلطانية ، وعادَ السلطانُ إلى مُخَيَّمِه فوصل إليه فى تلك الليلة مفاتيحُ قلعة خَنْدَروس من مضافات دَرَنْدَة ، ثم رَكب السلطان من الغد وبات على سطح العَقَبة المُطِلّة على دَرَنْدَة ، فلما أصبحَ رَكبَ بعساكره وعليهم السلاح ، ونزل بمخيَّمِه على قلعة دَرَنْدَة وهى فى شدّةٍ من قوة الحصار ، فلما رأى من بها أن السلطانَ نزل عليهم طلبُوا الأمان فأمَّنَهم ونزلوا بُكْرَة يوم الجمعة ، وفيهم داوُد ابن الأمير محمد بن قَرَمَان ، فألبسه السلطان تشريفاً ، وأركبه فرساً بقماش ذهب ، وخلع على جماعته ، واستولَى السلطانُ على القلعة ، وخلع على الأمير أَلْطُنْبُغَا الجَكَمِىّ أحد رءوس النُّوَب باستقراره فى نيابة دَرَنْدَة ، وأنعمَ عليه بأربعة آلاف دينار غير السلاح ، وخلع على الأمير مَنْكُلِى بُغا الأرغون شاوى أحد أمراء الطَّبْلَخَانات بالديار المصرية بنيابة مَلَطْيَة ودَوْرَكى ، وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار ، ثم طلع السلطانُ إلى قلعة دَرَنْدَة وأحاطَ بها عِلْماً ، ثم ارتحلَ عنها بعد أن مَهَّدَ البلاد التى استولَى عليها ، وعمل مصالحها ، وسار حتى نزل على النَّهر من غربى أَبُلُسْتَين بنحو مرحلة ، فأقام هناك أربعة أيام لِيُمَكِّنَ كلَّ مَنْ وَلِىَ نيابة على عَمَلِه ورجوع أهل بلده إليه ، ثم رَحَلَ ونزل على أَبُلُسْتَين يريد التوجُّه إلى بَهَسْنا وكَخْتا وكَرْكَر ، وأعاد من هناك حَمْزَة بن على بك بن دُلْغَادِر إلى أبيه ، وجهَّز له رايةً حمراء من الكَمْخَا[1] الإسكندرانى ، ونفقةً وطبلخاناه .

وكان الأمير آقْبَاى سار إلى بَهَسْنَا فقدمَ الخبرُ على السلطان من الأمير آقْبَاىْ بأنه كتب إلى الأمير طُغْرُق بن داود بن إبراهيم بن دُلْغَادِر المقيم بقلعة بَهَسْنَا يُرَغِّبُهُ فى الطاعة ، ويدعوه إلى الحضور إلى الحضرة الشريفة ، فاعتذر من حضوره بخَوْفِه على نفسه ، فما زال به حتى سلّم القلعةَ وحَضَر إليه ، فلما كان سادس عشر جمادى الآخرة

(١) الكمخا الإسكندرانى : قماش الكمخا هو نسيج به وحدة زخرفية من لون مختلف عن لون القماش الأصلى ، وأحيانا يكون لون الوحدة من درجة لون القماش مع بعض الاختلاف البسيط (ماير — الملابس المملوكية ٥٩) وجاء فى (قطر المحيط للبستانى ٢ : ١٨٨٠) الكمخا نسيج رفيع من الحرير ، واللفظ فارسى .

قَدِمَ الأميرُ آقْبَاى ومعه الأمير طُغْرُق ومن كان معـه بالقلعة ، وقد قاربَ السلطانُ فى مسيرهِ حصنَ مَنْصُور [١] ، فخلع السلطانُ على طُغْرُق ومن معه ، وأنعم عليهم ، وأنزل طُغْرُق بخامٍ ضُرِب له ، ونزل السلطان بحصن مَنْصُـور فورد عليه الخبر بنزول قَجْقَار القَرْدَمِي على كَرْكَر وكَخْتَا ، وقدم أيضاً قاصـد قَرَايُلُك صاحب آمِد [٢] من ديار بَـكر [٣] بهدية فقبلها السلطان ، وخلع عليه . ٥

ثم قَدِمَ فيه أيضاً رسول الملك العادل صاحب حصن كَيْفَا [٤] بهدية فقبلها السلطان أيضا ، فلما كان الغد رحل السلطانُ ونزل شمالى حِصْن مَنْصُور قريباً من كَخْتَا وَكَرْكَر ، وأردف نائب حَلَب بالأمير جَارْقُطْلُو نائب حَماة وبجماعة من أمراء مصر والشام .

وبعث الأميرَ يَشْبُكَ اليُوسُفى نائب طرَابُلس لمنازلة كَخْتَا ، وخلع على الأمير مَنْـكُلِى خَجَا الأرْغُون شَاوى بنيابة قلعة الرّوم عوضا عن الأمير أبى بكر بن بهادر ١٠ البابيرى الجَعْبَرى ، وخلع على الأمير كَمَشْبُغَا الرُّكْنى بنيابة بَهَسْنَا عوضاً عن الأمير طُغْرُق بن دُلْغَادِر ، ثم قدم جوابُ الأمير قَرَايُوسُف ، وقرَا محمد صحبة القاضى حميد الدين قاضى عسكره ، وكتاب شاه أحمد بن قرَايُوسف صاحب بغداد من قِبَل أبيه ، وكتاب بِيرْعُمر صاحب أرْزَنْـكَان [٥] بهدية جليلة من قرَايُوسف ، فأنزلَ حميدَ الدين المذكور بمخيمه ، وأجرى عليـه ما يليق به . ١٥

ثم رَحَلَ السلطانُ حتى نزل على كَخْتَا وحَصَر قلْعَتَها وقد نزح أهلُ كَخْتَا

(١) حصن منصور : ويقع على النهر الأزرق ببلاد الروم قرب حلب ، وانظر هامش (ج ٦ : ٢٨٢ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) و (لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية ١٥٥ ، ١٥٦) . وقد ورد فى هامش اللوحة «حصن منصور» .

(٢) آمد : من مدن ديار بكر غربى دجلة ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٥٩ من هذا الكتاب) . ٢٠

(٣) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة تنسب لبكر بن وائل ، وهى ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق ، وقصبتها الموصل ، هامش (ج ٨ : ١١٧ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) حصن كيفا : قلعة عظيمة تشرف على نهر دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر (ياقوت – معجم البلدان ٢ : ٢٧٧) .

(٥) أرزنكان : مدينة من بلاد أرمينية بين خلاط وأرزن الروم، ويقال لها أرزنجان (ياقوت – معجم ٢٥ البلدان ١ : ٢٠٥) .

ومُعامِليها عنها ، فنصبَ المدافع للرّمى على القامة ورَمى عليها ، وبينما هو فى ذلك ورد الخبر على السلطان بقُرْب قرَايُوسُف قاصداً قرَايُلُك ، فبادر قرايُلُك وجهّز ابنه حمزة صحبة نائبه شمس الدين أمِيرْزَة بهدية من خيل وشعير وسأل الاعتناء به ، فأكرم السلطانُ ولده ونائبه ، وقدِمَ أيضا قاصدُ طُرْعلى نائب الرُّها [١] ، وقاصد الأمير محمد بن دَوْلت شاه صاحب آكل من دِيار بَكر ومعه مفاتيح قلعتها ، فقبلها السلطانُ ، ثم أعادها إليه ومعها تشريفٌ له بنيابتها .

ولما اشتد الحصار على قلعة كَخْتَا وفرَغ النقّابُون من النقب ولم يبق إلا إلقاء النار فيها طَلَب قَرْقَمَاسُ نائبها شَمْسَ الدين أمِيرْزَة نائب قرَايُلُك فبعثه السلطانُ إليه ، وتردّد المذكورُ بينه وبين السلطان غير مرّة إلى أن بعث قَرْقَمَاسُ وَلَدَه رَهْنًا على أنّه بَعْد رحيل السلطان عنه يَنْزل ويسلّمها [٢] لهم ، فأمره السلطان بتسليمها ، ورحل السلطان إلى جهة كَرْكَر وترك الأمير جَقْمَق الدوَادار على كَخْتَا ، وسارت أثقالُ السلطان إلى عَيْنتَاب فنازل السلطانُ كَرْكَر . ونصب عليها مَنْجَنيقًا يرمى بحجر زنته ما بين الستين والسبعين رطلا بالدمشقى ، وكان ذلك فى يوم الجمعة تاسع عشرين من جمادى الآخرة .

فلما كان أوّل شهر رجب قدم الخبر على السلطان من الأمير جَقْمَق بنزول قَرْقَمَاس من قلعة كَخْتَا ومعه حريمُه وتسلّمَها نوّابُ السلطان ، وأنه توجّه ومعه قَرْقَمَاس المذكور إلى حَلَب ، ثم قدم الخبر على السلطان من الأمير مَنْكلِى بُغَا نائب مَلَطْيَة بأن طائفةً من عسكر قَرَايُوسف نزلوا تحت قلعة مِنْشار [٣] ، ونهبوا بيوت [٤] الأكراد ، وعدّى الفرَاتَ منهم نحو ثلاثمائة فارس ، وأنه ركب عليهم وقاتلهم وقتَلَ منهم نحو العشرين

---

(١) الرها : مدينة من ديار مضر فى البر الشرقى الشمالى من الفرات ، وهى مدينة رومية عظيمة فيها آثار عجيبة ، وهى أحسن متنزهات الجزيرة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٩) .

(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧٠ «ويسلمها لمن يأمره السلطان بتسليمها» .

(٣) قلعة منشار : وتقع قرب الفرات (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ١٧٦) .

(٤) فى الأصل «بنواحى» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧١) .

وغرق فى الفرات نحو ذلك ، وأسر اثنى عشر نفراً ، فكتب له السلطانُ بالشكر والثناء ،
ثم خَلَع السلطانُ على الأمير شاهين حاجب صَفَد باستقراره فى نيابة كَرْكَر ، وعلى الأمير
كُزُل بُغَا أحـد أمراء حَمَاة بنيابة كَخْتَا ، فمضى كُزُل بُغَا المذكور إليها من يومه ،
ورَحَل السلطانُ من الغد وهو يوم الثلاثاء رابع شهر رجب ، وقد عاوَدَهُ أَلَمُ رجله الذى
يَعْتَرِيه فى بعض الأحيان ، فركب المَحَفَّة عجزاً عن ركوب الفرس ، وعاد إلى جهة البلاد ٥
الحلبيّة ، إلى أن وصل إلى بلد يقال له كِيلِك[1] فنزل فى الفرات فى زوارق وصحبته جماعة
وسار إلى أن وصل قلعة الرُّوم فى عَشِيَّة يوم الخميس سادسه ، وباتَ بها ، ونَزَلَ من الغد
بعد ما رتَّبَ أحوال القلعة ، وأنعم على نائبها بخمسمائة دينار ، فقدِمَ عليـه فى يوم الجمعة
سابعه الخبرُ بأن الأمير قَجْقَار القَرْدَمِىّ نائب حَلَب يخبر بهزيمة قَرَايُلُك من قَرَا يوسف
وأن الذين معه من العسكر المقيم على كَرْكَر خافوا من قَرَا يُوسف وعَزَمُوا على الرَّحِيل ، ١٠
وبينما كتاب قَجْقَار يُقْرَأُ قَدِمَ كتابُ آقْبَاى نائب الشام بأن الأمير قَجْقَار نائب
حلب رَحَلَ عن كَرْكَر بمن معه من غير أن يُعْلِمَهُ ، وأنّه عزم على محاصرتها ، فكتب
إليه السلطانُ بأن يستمرّ على حصارها .

ثم فى بكرة يوم السبت ثامن شهر رجب أَنحدَرَ السلطانُ من قلعة الرُّوم ، ونزل على
أَلْبِيرَة فطلعَ من المراكب إليها وقَرّرَ أمورها ، فقَدِمَ عليه الخبرُ من الغد بقرب ١٥
قَرَايُوسف ، وأن الأمير آقْبَاى نائب الشام صالَحَ الأمير خليلا نائب كَرْكَر ورحل عنها بمن
معه ، فحنق السلطانُ من ذلك واشتدّ غَضَبُهُ على الأمير قَجْقَار القَرْدَمِىّ ، ثم رحل من
أَلْبِيرَة يريد حَلَب حتى دخلها بُكْرَة يوم الخميس ثالث عشر شهر رجب بأبهة المُلْك ،
وقد تَلَقَّاهُ أهلُ حَلَب وفرحوا بقدومه ، لكثرة إرْجَافِهم بقدوم قَرَايوسف إليها ،
فاطمأنوا ، وطلع السلطان إلى قلعة حلب ، ونادى بالأمان ، وفرّق على الفقراء والفقهاء ٢٠
مالاً جزيلا ، وأمر ببناء القصر الذى كان الأمير جَكَم شرع فى عمارته .

ثم فى سابع عشره قدِمَ الأميرُ آقْبَاى والأمير قَجْقَار القَرْدَمِىّ والأمير جارقُطْلُو ،

(١) كيلك : وتقع غربى سميساط (هامش و . بوبر ٦ : ٣٧١ ط . كاليفورنيا) .

فأغلظ السلطان على الأمير قَجْقَار القَرْدمى ووبّخه ، فأجابه قَجْقار بدالّةٍ ولم يُراعِ الأدبَ معه ، فأمرَ به فَقُبِض عليه ، وحبسه بقلعة حَلَب ، ثم أفْرَجَ عنه فى يومه بشفاعة الأمراء ، وبعثه إلى دِمَشْق بطّالا ، وخلع على الأمير يَشْبُك المؤيدى اليُوسُفى نائب طَرَابُلُس باستقراره عوضه بنيابة حَلَب ، وخلع على الأمير بُرْدُبك رأس نَوْبَة النوب باستقراره فى نيابة طَرَابُلُس عوضاً عن يَشْبُك المذكور .

ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر رجب خَلَع على الأمير طَطَر باستقراره رأس نوبة كبيراً عوضاً عن بُرْدُبك المذكور ، وخلع على الأمير نُكْبَاى باستقراره فى نيابة حَمَاة عوضاً عن جارْقُطْلو بحكم عزله ، وخلع على جارْقُطْلو المذكور باستقراره نائب[1] صَفَد عوضاً عن خليل التِّبْرِيزى الدَّشارى ، واستقرّ خليلٌ المذكور حاجب الحجّاب بطَرَابُلُس فاستعفى خليلٌ من حجوبية طَرَابُلُس فأعْفِيَ .

وخلع السلطانُ عَلَى الأمير سُودُون قَرَاسُقُل حاجب الحجاب بالديار المصرية باستقراره فى حجوبيّة طَرَابُلُس . قلت : درجات إلى أسفل .

وخلع عَلَى الأمير شاهين الأرْغُون شَاوى باستقراره فى نيابة قلعة دِمَشْق عوضاً عن ألطُنْبُغا المؤيدى المرْقَبى بحكم انتقال المَرْقبى إلى تقدمة ألف بالديار المصرية .

ثم فى رابع عشرينه رَسَمَ السلطانُ للنوّاب بالتوجه إلى مَحلِّ كفالتهم بعد أن خلع عليهم خِلَع السفر .

ثم فى سادس عشرينه استدعى السلطانُ مُقْبِلًا القرَمانى ورفاقَه فضربه ضَرْباً مُبَرِّحاً ثم صلبه هو ومن معه .

ثم فى يوم الاثنين أول شعبان قدِمَ قاصدُ كُرْدِى بَك ومعه الأمير سُودون اليُوسُفِى أحدُ الأمراء المتسحّبين من وقعة قَانى باى نائب الشام وقد قبض عليه ، فسَمَّره الملك المؤيد من الغد تحت قلعة حَلَب ، ثم وسَّطه ، فَعِيبَ ذلك عَلَى السلطان كون سُودون

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار جارقطلو فى نيابة صفد» .

المذكور كان من جُملة أمراء الألوف ثم من أعيان المماليك الظاهرية وَوُسِّطَ مثل قُطَّاع الطريق .

ثم خلعَ السلطانُ عَلَى تِمْرَاز بأستقراره فى حجوبية حَلب عوضا عن آقْبَلاط الدَّمُرْداشِيّ ، وكان السلطان خلع عَلَى الأمير يَشْبُك الجكمى الدَّوادار الثانى باستقراره أمير حاج المحمل ، وسيَّره إلى القاهرة ، فوَصَلها فى شعبان المذكور فوجد القاهرة مضطربة ٥ والناس فى هرج كونهم أمْسَكُوا بالقاهرة نَصْرَانيا وقد خـلا بامرأة مُسْلِمة فاعترفا بالزِّنا[1] فرُجِمَا خارج باب الشعرية[2] ظاهر القاهرة عند قنطرة الحاجب[3] ، وأحرق العامة النَّصْرَانىَّ ، ودُفِنت المرأةُ ، فكان يوما عظيما .

ثم عَزَل السلطانُ تِمراز المذكور عن حجوبيَّة الحجاب[4] واستقر عوضه بالأمير عُمر سِبْطِ ابن شِهْرى . ١٠

ثم خرج السلطان فى ثامن عشر شعبان المذكور من حَلَب ونزل بعَيْن مُباركة[5] واستقلّ بالسير منها فى عشرينه يريد جهة دِمَشْق ، ونزل قِنَّسرين[6] وأعاد منها الأمير يَشْبُك نائب حَلب إليها ، وسار عَشِيَّة يوم الجمعة سادس عشرينه حتى قدِمَ دِمَشْق فى بُكرة يوم الخميس ثالث شهر رمضان ونَزَل بقَلْعَتِها ، فكان لقدومه دِمَشْق يومًا مشهوداً ، وأخَـذَ فى إصلاح أمر البلادِ الشاميَّة إلى يوم الاثنين سابع شهر رمضان ١٥ فأَمْسَكَ الأميرَ آقْبَاى المؤيدى نائب الشام ، وقيَّدَه وسجنه بقلعة دِمَشْق .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة : «كائنة النصرانى والمرأة المسلمة» .

(٢) باب الشعرية : كان فى سور القاهرة البحرى ، وعرف بطائفة من المغاربة يقال لهم بنو الشعرية ، وكان واقعا بميدان العدوى على رأس سوق الجراية قبل توسيع الميدان المذكور ، وانظر هامش (ج ١١ : ٢٣٠ من هذا الكتاب) . ٢٠

(٣) قنطرة الحاجب : نسبة إلى الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وقد أنشأها سنة ٧٢٥ هـ ، وكانت على الخليج الناصرى يتوصل إليها من الطبالة ويجتازونها إلى أرض البعل ومنية السيرج ، وانظر هامش (ج ٩ : ١٨٣ من هذا الكتاب) .

(٤) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٧٣ «حجوبية حلب» .

(٥) عين مباركة : وكانت على باب حلب (ابن واصل — مفرج الكروب ٣ : ١٦٧ سطر ١٦) . ٢٥

(٦) قنسرين . مدينة بينها وبين حلب مرحلة (مراصد الإطلاع ٣ : ١١٢٦) .

وسَبَبُ القبض على آقبَاى المذكور أنّ السلطان الملك المؤيّد كان آشتراهُ فى أيام إمْرَتِهِ صغيرا بألفى درهم من دَرَاهم لَعِب الكَنْجفَة[1] ، وهو أنّ الملك المؤيّد كان قاعِدًا يُلاَعب بعضَ أصحابه بالكَنْجفَة وقد قَمَرَ ذلك الرجلَ بدراهم كبيرة ، فأُدْخِل عليه آقبَاى المذكور مع تاجره فأعجَبَهُ واشتراه ، وطَلَبَ خَازِنْدَارَه ليُقْبِضَ التّاجرَ ثمنَ آقبَاى المذكور فلم يجده ، فوَزَنَ له المؤيد ثمنَه من تلك الدّراهم التى قَمَرَها ، ثم رباهُ وأعتقه وجعله خازنداره ، ثم رَقّاه أيام سلطنته إلى أن جعله من جُمْلَة أمراء الألوف ، ثم دَوَادَارًا كبيرا بعد موت جَانِى بَك المؤيدى ، ثم ولاّه نيابة حَلَب .

وكان آقْبَاى شجاعا مِقْدَامًا مَجْبُولا على طبيعة الكِبْر ، تُحَدِّثُه نفسُه كلَّما انتهى إلى منزلة عَلِيَّةٍ إلى أعلى منها ، فلمّا وَلِىَ نيابة حلب آستخدم جماعةً من مماليك قَانِى بَاى المحمدى نائب الشّام بعد قتله ، وأنعمَ عليهم بالعطايا هم وغيرهم ، وبلغ ذلك المؤيد فلم يُحَرِّكْ ساكنا حتى أُشِيعَ عنه الخروجُ عن الطاعة ، وتَوَاتَرَت على المؤيد الأخبار بذلك لاسيّما الأمير أَلْطَنْبُغَا المَرْقَبِىّ نائب قلعة حَلَب فإنه بالغ إلى الغاية ، فلما تحقق الملك المؤيد أمْرَه بادَرَ إلى السَّفَر إلى جهة بلاد الشام ، واحتج بأَمْرٍ مِنَ الأُمُور ، وبلغ آقْبَاى أنّ السلطان بلغه أمْرُه وعَزَمَ على السَّفَر إلى البلاد الشّاميّة لأجله ، ورأى أنّ أمره لم يَسْتَقِم إلى الآن مع معرفته بصَوْلَة أستاذه الملك المؤيد فخاف أن يَتِمّ له كما وقع لقانِى بَاى ونَوْرُوز وغيرهم ، وهُم هُم ، فرَكِبَ من حَلَب على حين غَفْلَةٍ فى ثمانى هجن كما تقدّم ذكرُه ، وقدِمَ القاهرةَ بغتةً يُخَادِع بذلك السلطان ، فانخدَعَ له الملكُ المؤيد فى الظاهر ، وفى الباطن غير ذلك ، وقد تجهّز للسفر فلم يمكنه الرّجوع عن السّفر لما أشيع بسفره فى الأقطار ، ويُقَال فى الأمثال : الشُّرُوع مُلْزِمٌ . فخلع عليه بنيابة الشّام عوضا عن أَلْطُنْبُغَا العثمانى وفى النفس ما فيها ، ووقع ما حكيناه من أمر سفر السّلطان ورجوعه إلى دِمَشْق ، فلما قدم إلى دمشق وَشَى بآقْبَاى إلى السلطان دَوَادَارُه الأميرُ شاهين الأَرْغُون شَاوِىّ فى جماعة من أمراء دِمَشْق أن آقْبَاى المذكور يترقَّبُ مرضَ

(١) الكنجفة : هى لعبة الورق cards هامش و. پوپر ج ٦ : ٣٧٤ ط. كاليفورنيا .

السلطان إذا عاوده ألمُ رِجْلِه ، وأنه آستخدم جماعةً من أعداء السلطان ، وأنّ حركاته كلّها تدل على الوُثُوب ، فعند ذلك تحرّك ما عند السلطان من الكَوَامن وقبض عليه ، وولى مكانه نائب دمشق الأميرَ تَنِبَك العلائى ميق[1] الأمير آخُور الكبير بعد تمنّع كبير من تَنِبَك إلى أن أذْعَنَ ولبس التّشْريف[2] ، فطلبَ السلطانُ الأمير قَجْقَار القَرْدَمى نائب حَلَب — كان — وهو بطّال بدِمَشْق ، وأنعم عليه بإقطاع الأمير تَنِبَك ميق المذكور ، ثم أفْرَجَ السلطانُ عن الأمير ألْطُنْبُغَا العثمانى نائب الشام — كان — ورَسَم له بالتوجه إلى القُدْس بطّالاً ، وأقام السلطانُ بدمشق إلى يوم الاثنين رابع عشر شهر رمضان من سنة عشرين وثمانمائة فخَرَج من دِمَشْق يُريد الدّيار المصرية ، ونزَل بقُبّة يَلْبُغَا ، ثم سار من قُبّة يَلْبُغَا وأعاد الأمير تَنِبَك ميق إلى محل كفالته بدمشق [وسار][3] إلى أن قدم القدْس فى بُكْرة يوم الجمعة خامس عشرينه فزَارَه وفَرّق به أموالاً جزيلة وصلى الجمعة ، وجلس بالمسجد الأقصى وقُرِىء صحيحُ البخارى من ربعة فُرّقَت بين يديه على الفقهاء القادمين إلى لقائه من القاهرة ، ومن كان بالقُدْس من أهله ، ثم قامَ المُدّاح بعد فراغهم ، وخَلَعَ السلطانُ عليهم ، فكان يوما مشهوداً .

ثم سار السلطان من الغد إلى الخليل — عليه السلام — فزاره وتصدق فيه أيضا بجملة ، وخرج منه وسار يريد غَزّة ، فلقيه أُسْتَادَارُه فخرُ الدين عبد الغنى بن أبى الفرج فى قرية السّكرية[4] ، وقبّل الأرض بين يديه ، وناوَلَهُ قائمة فيها ما أعده له من الخيول والأموال وغيرها ، فسُرّ السلطانُ بذلك على ما سنذكره فيما بعد .

وسار حتى نزل مدينة غَزّة فى يوم الاثنين ثامن عشرين شهر رمضان ، وأقام بها

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «وولاية تنبك ميق نيابة دمشق» .

(٢) التشريف : هو الملابس المهداة من السلطان إلى الأمير بمناسبة تعيينه فى وظيفة . هامش (ج ١٢ : ٣٠٢ من هذا الكتاب) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧٥) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «وصول ابن أبى الفرج من السكرية لملتقى الملك المؤيد شيخ» .

إلى أن خرج منها فى آخر يوم السبت أول شوال بعد ما صلى صلاة العيد على المصطبة المستجدة ظاهر غَزَّة ، وصلى به وخطبَ شيخُ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينى .

وسار السلطان حتى نزل بخانْقاه سِرْياقوس فى يوم الجمعة تاسع شوال ، فأقام بالخانقاه المذكورة من يوم الجمعة إلى يوم الأربعاء رابع عشره ، وركب منها بعد أن عمل بها أوقاتا طيِّبه ودخلَ حمّامها غير مرة ، وسار حتى نزل خارج القاهرة عند مسجد التِّبْن ، وبات هناك ، ثم ركب من الغد فى يوم الخميس خامس عشر شوال من الريْدَانية بأبهة السلطنة وشعار الملك ، وعساكره وأمراؤه بين يدَيْه ، ودخلَ القاهرة من باب النصر[1] وولدُه المقام الصارمى إبراهيم يحمل القُبة والطير على رأسه ، وترجَّلَ المماليكُ من داخل باب النَّصْر ومشوا بين يدَيْه ، وسارت الأمراءُ على بعد رُكّابا وعليهم وعلى القضاة والخليفة التشاريف ، وكذلك سائر أرباب الدَّوْلَة ، ومرَّ السلطانُ على ذلك إلى أن نزل بجامعه الذى أنشأه بالقرب من باب زُوَيْلَه ، وقد زُيِّنَت القاهرةُ لقدومه ، وأشْعلَت حوانيتُها الشُّمُوعَ والقناديلَ ، وقعدت المغانى صفوفاً على الدكاكين تدق[2] بالدفوف ، ولما نزل بالجامع المذكور مدّ له الأسْتَادار سِمَاطاً عظيما به ، فأكل السلطانُ هو وعساكرُه ، ثم ركب من باب المؤيدية ، وخرج من باب زُوَيْلَة بتلك الهيئة المذكورة ، وسار إلى أن طلع إلى قلعة الجبل من باب السِّرِّ[3] راكبا بشعار الملك حتى دخل من باب السِّتَّارة وهو على فرسه إلى قاعة العواميد[4] من الدور السّلطانية ، فنزل عن فرسه بحافة[5]

(١) باب النصر : أحد أبواب القاهرة القديمة أنشأه بدر الجمالى سنة ٤٨٠ هـ وانظر (الحاشية ٢ ص ١٠٣ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

(٢) فى الأصل «تزف» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧٧) .

(٣) باب السر : أحد أبواب القلعة ، وكان مخصصا لدخول أكابر الأمراء وخواص الدولة وخروجهم . وانظر هامش (ج ٨ : ١٧٢ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) قاعة العواميد : إحدى قاعات القلعة ، وانظر فى التعريف بها هامش (ج ١٢ : ١٤٥ من هذا الكتاب) .

(٥) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧٧ «فنزل عن فرسه على فراشه بحافة الإيوان» .

الإيوان ، وقد تلقاه حرمه بالتهانى والزَّغْرَان ، فكان لقدومه يوماً مشهوداً لم يُسْمَع بمثله إلا نادراً .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشر شوال خلعَ السلطانُ على الأمير قَجْقَار القَرْدَمِىّ المعزول عن نيابة حَلَب باستقراره أميرَ سلاح على عادته قبل نيابة حَلَب ، وخلع على الأمير طُوغان أمير آخُور باستقراره أمير آخور كبيراً عوضاً عن تَنْبَك ميق بحكم تَوْلِيته نيابة دِمَشْق ، وخلعَ على الأمير أُلطُنْبُغَا المَرْقبىّ المعزول عن نيابة قلعة حلَب باستقراره حاجب الحجَّاب بالديار المصرية عوضاً عن سُودون قَراسُقْل بحكم استقرار سودون المذكور فى حجوبيّة طَرابُلُس ، وخلعَ على فخر الدين بن أبى الفرج خلعةَ الاُستمرار على وظيفة الأستادارية .

ثم فى يوم الثلاثاء عشرينه خرج مَحْمَل الحاج إلى الرَّيْدَانية خارج القاهرة وأمير حاج المحمل الأمير يَشْبُك الجَكَمِىّ المقدّم ذكره .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرينه ركب السلطانُ ونزلَ من القلعة بأمرائه وخاصَّكيَّته وسرَحَ إلى برِّ الجيزة لصيد الكراكى[1] وغيرها ، وعاد فى آخره من باب القنطرة[2] ومرّ من بين السُّورَيْن[3] ، ونزل فى بيت فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار فقدَّمَ له فخر الدين المذكور عشرةَ آلاف دينار ، ثم ركب السلطانُ من بيت فخر الدين وسار حتى شاهد الميضأة التى بُنِيَتْ للجامع المؤيدى ، ثم صعدَ إلى القلعة ، ثم ركب من الغَدِ وسرح أيضا وعاد فى يوم الأحد خامس عشرينه .

---

(١) الكراكى : جمع كركى وهو طائر كبير طويل الساقين أغبر اللون طويل العنق أبتر الذنب قليل اللحم يأوى إلى الماء أحيانا (المنجد ٦٨١) .

(٢) باب القنطرة : هو أحد أبواب القاهرة ، سمى بذلك من أجل القنطرة التى بناها جوهر القائد على الخليج الكبير ، يمر من فوقها القادم من القاهرة إلى المقس ، وكانت عند باب جنان أبى المسك كافور — حاليا بالقرب من شرطة باب الشعرية القديم (على مبارك — الخطط ٣ : ٢) .

(٣) بين السورين : كان ابتداء هذا الشارع من آخر شارع الشعرانى ، وينتهى بالتقاطع الفاصل بين الموسكى والسكة الجديدة ، وسماه المقريزى خط بين السورين وقال : يبدأ من باب الكافورى وينتهى إلى باب سعادة (على مبارك — الخطط ٣ : ٢) وقد دخل هذا الشارع ضمن شارع الخليج المصرى — بورسعيد حاليا — عند توسعته .

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه خلع على أرغون شاه النَّوْرُوزِىّ الأعور باستقراره وزيراً عوضا عن فخر الدين بن أبى الفرج ، وخلع على فخر الدين المذكور خلعة الاستمرار على وظيفة الأستادارية فقط ، وأن يكون مُشِيرَ الدَّوْلة .

وأما هدية[1] فخر الدين بن أبى الفرج المذكور التى وَعَدْنا بذكرها[2] عندما قَدِمَ السلطانُ إلى الديار المصرية بلغت أربعمائة ألف دينار عَيْنًا ، وثمانية عشر ألف أردب غَلَّة وما وَفَّرَهُ من ديوان المفرد ثمانين ألف دينار ، وما جباه من النواحى — قبلياً وبحرياً — مائتى ألف دينار ، ومن إقطاعه ثلاثين ألف دينار ، وذلك سوى مائتى ألف دينار حملها إلى السلطان وهو بالبلاد الشّاميَّة .

ولما كان يوم الأربعاء سادس ذى القعدة قدمَ على السلطان الخبرُ من الأمير تَنْبَك العلائى ميق نائب الشام بأنه فى ليلة السبت رابع عشرين شوّال خرج الأميرُ آقْبَاى نائب الشام — كان — من سجنه بقلعة دِمَشْق وأفرج عمن كان بها من المسجونين ، وهجم بهم آقْبَاى على نائب قلعة دِمشْق فهرب نائبُ القلعة ، ونزل إلى المدينة ، وخرج آقْبَاى فى أثره إلى باب الجديد بمن معه فسمع الأميرُ تَنبَك الضَّجَّة فركب بمماليكه ، وأدرك نائب القلعة ، وركبت عساكرُ دِمَشْق فى الحال ، فأَغْلَقَ آقْبَاىُ باب قلعة دِمَشْق ، وامتنع بها بمن معه ، وأن تَنبَك مُقيمٌ على حصار القلعة ، فَتَشَوَّشَ السلطانُ لذلك ، وكتبَ إلى تَنبَك المذكور بالجِدِّ فى أخذه ، فقدم من الغد أيضا كتابُ الأمير تَنبَك ميق بأن آقْبَاى آستمرّ بالقلعة إلى ليلة الاثنين سادس عشرين شوّال ، ثم نزل منها بقرب باب الجديد ومشى فى نهر بَرَدَى[3] إلى طاحون بباب الفَرَج فاختفى به ، فقبض عليه[4] هناك وعلى طائفة معه ، وتسحّبَ طائفةٌ ، فكُتبَ جوابُ تَنبَك بأنْ يُعاقب

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧٨ «نقدمة» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «هدية أبى الفرج» .

(٣) نهر بردى ، وينبع من ناحية الزبدانى ويروى دمشق وغوطتها ويصب فى بحيرة العتيبة (المنجد — أعلام ٧٠) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «القبض على آقباى» .

آقبَاى حتى يُقِرّ على الأموال ثم يُقْتَل ، ورسمَ بأن يستقرّ الأمير شاهين مقدّم التركمان والحاجب الثانى بدِمَشْق فى نيابة قلعة دمشق ويستقرّ عوضه حاجباً ثانياً كَمَشْبُغا طُولُو ، وفى تقدمة التركمان الأمير شَعْبان بن اليَغْمُورِى أستادار السلطان بدِمَشْق .

ثم فى يوم الجمعة ثامن ذى القعدة خرجَ المقامُ الصارمىّ إبراهيم بن السلطان فى عدة من الأمراء إلى الوجه القبلى لأخذ تقادم العُرْبان وَوُلاة الأعمال . ٥

وفى يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة عدّى السلطانُ النيلَ إلى البَرّ الغربى ، وسرح إلى الطَّرّانة[1] بالبُحَيْرَة ، وعاد فى يوم الاثنين حادى عشر منه بعد أن وصل إلى العطايا[2] ولم يعدّ النيل بل نزل بالقصر الذى أنشأه القاضى ناصر الدين بن البارِزِى كاتب السرّ ببرّ مُنْبابَة[3] تجاه بولاق ، وكان قد شرع فى أساسه قبل سرحه السلطان ، ففرغ منه بعد أربعة أيام ، واستمرّ به السلطان ثلاثة أيام ، ثم ركِب البحر وتصيّد بناحية سِرْياقُوس وركب وعاد إلى القلعة . ١٠

ثم فى سادس عشر ذى الحجة ركب السلطانُ من القلعة ونزل بالجامع المؤيدى ومعه خواصُّه لا غير ، ثم توجّه منه إلى بيت ناصر الدين بن البارِزِى كاتب السرّ بسويقة[4] المسعودى ، فقدّمَ له كاتب السرّ تقدمة فأخذها ، ثم ركب إلى القلعة .

ثم فى يوم السبت عشرين ذى الحجة قدِمَ الصارمى إبراهيم من سفره بعد أن وصل إلى جِرْجَا[5] . ١٥

---

(١) الطرانة : حاليا إحدى قرى مركز كوم حمادة جنوبى محطة كفر داود ، وهى من البلاد المصرية القديمة ، واسمها المصرى القديم «طرتوث» فعربها العرب . هامش (ج ٨ : ١٦ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) العطايا : كذا فى الأصل ، وفى ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٧٩ «العطاى» ولم أعثر على تعريف بأى من اللفظين . ٢٠

(٣) منبابة : بلدة من أعمال الجيزة ، وراجع (الحاشية ٢ ص ٦٨ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

(٤) سويقة المسعودى : من حقوق حارة زويلة ، تنسب للأمير صارم الدين قايماز المسعودى مملوك الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل (المقريزى – الخطط ٢ : ١٠٥) .

(٥) جرجا : مدينة قديمة بالصعيد على الشاطىء الغربى للنيل قبلى أسيوط ، وكانت تفوقها شهرة (على مبارك – الخطط ١٠ : ٥٣) . ٢٥

ثم فى سادس عشر المحرم من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ورَدَ الخبرُ عَلَى السلطان من الحجاز بأن الأمير يَشْبُك الجَكَمى الدَّوَادَار الثانى أمير حاج المحمل لَمَّا قدِمَ المدينة النبوية بعد انقضاء الحج أظهر أنه يسيرُ إلى الرَّكْب العراقى يَبْتاع منه جمالاً ، ومضى فى نفرٍ يسير وتسحَّب صُحْبَة الرَّكْب العراقى خَوْفًا أن يصيبَه من السلطان ما أصابَ الأمير آقْباى نائب الشام ، وكان يَشْبُك المذكور صديقا لآقْباىْ ، وأشيع أنه كان اتَّفَق معه فى الباطن فى الوثوب على السلطان ، وسار يَشْبُكُ المذكور حتى دخل العراق ، وقدِمَ عَلَى الأمير قَرَايُوسف فأكرمه قَرَايُوسف وأجْرَى عليه الرَّوَاتب ، ودامَ عنده إلى أن ماتَ قَرَايوسف ، ثم مات الملكُ المؤيد ، وقدم على الأمير طَطَر بدِمَشْق فوَلّاه الأمير آخُورِيَّة الكُبْرَى حسبما يأتى ذكر ذلك كله فى محله .

وفى ليلة الخميس رابع عشرين المحرم كان الوَقِيدُ بِبَرِّ مُنْبابة بين يدى السلطان بعد أن عاد السلطان من وَسِيم حيث مَرْبط خيوله على الربيع[١] ، ونزل بالقصر المذكور بحرى مُنْبابَة .

وألزمَ السلطانُ الأمراءَ بحمل الزَّيْت والنِّفْط ، فجُمِعَ من ذلك شىء كثير ، وأُخِذَ من قِشْر البَيْض وقِشْر النارنج ومن المسارج الفخار وجُعِلَ فيها الفتايل والزَّيْت ، ثم أُرْسِلَت فى النيل بعد غروب الشمس بنحو ساعة ، وأُطْلِقت النُّفُوط وقد امتلأ البَرَّانِ بالخلائق للفرجة على ذلك ، فكان لهذا الوَقِيد منظرٌ بَهِجٌ ، وانحدر فى النيل إلى أن فرغ زيتُ بعضها وأطفأ الهوى البعضَ .

ثم فى يوم السبت سادس عشرين المحرّم أمْسَكَ السلطانُ الأمير بَيْبُغَا المُظَفَّرِى[٢] الظاهرى أمير مجلس ، وحُمِل مُقَيَّدًا إلى الإسكندرية ، ثم نُودِىَ بالقاهرة وظواهرها أن كل غريب يخرج من القاهرة ويعودُ إلى وطنه .

(١) الربيع : مكان الرعى ، وقد يطلق على البرسيم الذى يرعى (المقريزى — السلوك ١ : ٣٧٣ هامش الدكتور زيادة) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «القبض على بيبغا المظفرى» .

ثم فى يوم السبت رابع صفر وَسَّطَ السلطانُ قَرْقَمَاسَ الذى كان متولى كَخْتَا ، ووَسَّطَ معه أيضا خمسة عشر رجلا من أصحابه خارج باب النصر ، وكانوا فيمن أحضرهم السلطانُ معه من البلاد الشامية — لما قدم من السَّفَر — فى الحديد .

ثم فى سادس صفر المذكور ركب السلطانُ مُتَخَفِّفًا ومعه ولدُه الصَّارِمِى إبراهيم فى نفر يسير ونزل بجامعه عند باب زُوَيْلَة ، ثم توجَّه منه إلى بيت فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار فأكل عنده السِّمَاط ، ثم قَدّم له فخر الدين خمسة آلاف دينار ، ثم ركب من بيت فخر الدين المذكور وتوجه إلى بيت الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص ونزل عنده ، فقدّم له ثلاثة آلاف دينار ، وعرض عليه خِزَانَةَ الخاصِّ ، فأنعم منها السلطان على ولده إبراهيم وعلى من معه من الأمراء بعدَّةِ ثياب حرير وفرْو سَمُّور ، ثم ركب السلطان وعاد إلى القلعة .

ثم فى ثانى عشرينه ركب السلطانُ ونزَلَ من القلعة لعيادة الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِىّ من وعك كان حصل له ، ثم ركب من عنده وتوجّه إلى بيت الأمير جَقْمَق الدَّوَادَار ، فنزل عنده [1] وأقام يومه كله ، وعاد من آخر النهار إلى القلعة على حالة [2] غير مُرْضِيَةٍ من شدَّة السُّكر .

ثم فى ثامن عشرين شهر ربيع الأول قَدِمَ الأميرُ بُرْدُبَك الخليلى نائب طَرَابُلُس إلى القاهرة بطلبٍ لِشَكْوَى أهلِ طَرَابُلُس عليه لسوء سيرته .

وعاودَ السلطانَ أَلَمُ رِجْلِه ، وانقطعَ عن الخِدْمة ولَزِم الفِراش ، وقبض على الأمير الوزير أَرْغُون شَاه النَّوْرُوزِىّ الأعْوَر ، وعلى الأمير آقْبُغَا شَيْطَان والى القاهرة وسلَّمَهُمَا إلى فخر الدين بن أبى الفرَج لِيُصَادِرَهُمَا ، ثم خَلَعَ السلطانُ على الأمير بُرْدُبَك نائب طَرَابُلُس باستقراره فى نيابة صَفَد ، واستقر عوضه فى نيابة طَرَابُلُس الأمير

(١) ورد فى هامش اللوحة «نزول السلطان إلى بيت جقمق» .

(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٨٢ «على هيئة» .

بَرْسِبَاى الدُّقْمَاقِىّ [١] أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية بعد أن طُلبَ من الغربية ، وكان توَجُّهُ بَرْسِبَاى لِعَمَلِ جُسُورِهَا كَاشِفَ الوجه الغربى ، وبرسباى هذا هو الملك الأشرف الآتى ذكره فى محله ، ثم خلع السلطان على الوزير أرْغُون شاه باستقراره أمير التُّرْكمان بثلاثين ألف دينار ، ونقل الأمير سُنْقرَ نائبَ المَرْقبِ [٢] إلى نيابة قلعة دِمِشق عوضا عن شاهين ، واستقر أَلْطُنْبُغَا الجامُوس فى نيابة المَرْقب ، واستقر سُودون الأَسَنْدَمُرى الأمير آخُور الثانى — كان — فى دولة الملك الناصر فرج فى أتابَكِيّة طرَابُلُس ، وكان الملك المؤيد أفرج عنه من سجن الإسكندرية قبل ذلك بمدةٍ يسيرة ، وأنعم السلطان بإقطاع الأمير بَرْسَبَاى الدُّقْمَاقى المنتقل إلى نيابة طرابلس على [الأمير] [٣] فخر الدين [بن أبى الفرج] [٤] الأستادار ، وبإقطاع فخر الدين على بدر الدين بن مُحبِّ الدين ، وقد استقرّ وزيراً عوضا عن أرْغُون شَاه .

ثم فى أول جمادى الأولى تحرك عَزْمُ السلطان إلى سَفَر الحجاز [٥] ، وكتب إلى أمراء الحجاز بذلك ، وعَرَض السلطانُ المماليك وعيَّن عِدةً منهم للسّفر معه إلى الحجاز ، وأخرج الهجن وجهَّز الغلال فى البحر ، ثم رَسَمَ السلطانُ باستقرار شاهين الزَّرَدكَاش [٦] حاجب حجّاب دِمَشق فى نيابة حَماة عوضا عن الأمير نُكْبَاى ، وأن يستقرّ نُكْبَاى فى حُجُوبيّة دِمَشق .

ثم فى ثامن جمادى الأولى عَزَل السلطانُ جلال الدين البُلْقِينى عن القضاء ، وخَلَع على شمس الدين محمد الهرَوى باستقراره قاضى قضاة الشافعيّة بالديار المصرية عوضا عن البُلْقِينى .

ثم فى ثامن عشر شهر رجب خَلَع السلطانُ على الأمير قَرَا مُرَاد خَجَا أحد مقدمى

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار برسباى — الذى تولى السلطنة فيما بعد — فى نيابة طرابلس» .
(٢) المرقب : انظر فى التعريف بها (الحاشية ١ ص ١٤٨ ج ٧ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .
(٣، ٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٨٢) .
(٥) ورد فى هامش اللوحة «تحرك عزم السلطان لسفر الحجاز» .
(٦) الزردكاش : الصانع المختص بإصلاح الزرد والسلاح ، هامش (ج ١٢ : ٢٦٦ من هذا الكتاب) .

الألاف بالديار المصرية باستقراره فى نيابة صَفَد ، وأنعم بإقطاعه على الأمير جُلُبّان رأس نَوْبة ابن السلطان .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين رجب [1] المذكور ركب السلطان من قلعة الجبل إلى ظاهر القاهرة وعبَرَ من باب النّصر ومَرّ فى شوارع المدينة إلى القلعة وبين يديه المحِن التى عُيِّنَت للسّفر معه إلى الحجاز وعليها الأكواز الذهب والفضة والكَنَابيش الزَّرْكَش ، فكان يوما عظيما ، فَتَحَقَّق كلٌّ أحد سفر السلطان إلى الحج ، وسار السلطان حتى طلعَ إلى القلعة ، فما هو أنْ آستقرّ به الجلوس إلا وَوَصَلَ الأميرُ بُرْدُبَك الحمزاوىّ [2] أحد أمراء الألوف بحَلَب ومعه نائب كَخْتَا الأمير مَنْكَلى بُغا بكتاب نائب حلب وكتاب الأمير عثمان بن طُرْ عَلِي المدعو قَرايُلُك بأن قَرايُلُك صاحب العِراق قَصَده ليكبس عليه ، وقبل أن يَرْكَب قَرايُلُك هجمت عليه فرقةٌ من عسكر قَرا يُوسُف فركب وسار مُنْهَزِمًا إلى أن وصل إلى مَرْج دَابِق [3] ، ثم دخل حَلب فى نحو ألف فارس بإذن الأمير يَشْبُك اليُوسُفِىّ نائب حَلب له ، فجفل مَنْ كان خارج مدينة حَلب بأجمعهم ، واضطرب مَن بداخل سُور حلب وألقَوا أنفسهم من السُّور ، ورحل أجنادُ الحلقة ومماليكُ النائب المستخدمين بحريمهم وأولادهم حتى ركب نائب حلب وسَكَّنَ روْعَ الناس ، وعرّفَهُم أن قَرايُلُك لم يقدم إلى حَلب إلا بإذنه ، وأنه مُسْتَجِيرٌ بالسلطان .

وبينما هو فى ذلك رحل قَرايُلُك من ليلته وعاد إلى جهة الشرق خوفًا من يَشْبُك نائب حَلب أن يَقْبِضَ عليه .

فلما بلغ السلطانَ قربُ قرا يُوسف من بلاده آنثنى عزمُه عن السفر للحجاز فى

(1) فى الأصل « شعبان» وما هنا من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٨٣) .

(2) ورد فى هامش اللوحة « وصول الأمير برد بك الحمزاوى بخبر قرايلك وقرايوسف » .

(3) مرج دابق : من أعمال أعزاز قرب حلب ، وانظر (الحاشية ٣ ص ٧٦ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

هذه [1] السنة ، وكتب فى الحال إلى العساكر الشاميّة بالمسير إلى حَلَب والأخذ فى تهيئة الإقامات السلطانية .

وأصبح السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان جَمَعَ القضاةَ والخليفة وطلب شيخَ الإسلام جلال الدين البُلقينى ، وقصّ عليهم خَبَرَ قرايُوسف وما حصل لأهل حَلَب من الخوف والفزع وجَفْلَتِهم هم وأهلُ حماة ، وأن الحِمار بلغ ثمنُه عندهم خمسمائة درهم فضّة ، والإكْدِيش [2] إلى خمسين دِيناراً ، وأن قرايُوسُف فى عصمته أربعون أمرأة ، وأنه لا يَدين بدين الإسلام ، وكُتبت صورةُ فتوى فى المجلس فيها كثيرٌ من قبائحه ، وأنه قد هجم على ثُغُور المسلمين ، ونحو هذا من الكلام ، فكَتب البُلقينى والقضاةُ بجواز قتاله [3] ، وكتب الخليفة خَطَّه بها أيضا وانصرفوا ومعهم الأمير مُقْبل الدَّوَادار ، فنادوا فى الناس بالقاهرة بين يدى الخليفة والقضاة بأن قَرَايُوسُف يستحلّ الدماء ويَسْبى الحريم ، فعليكم بجهاده كلكم بأموالكم وأنفسكم ، فَدُهِىَ الناسُ عند سماعهم ذلك واشتد قلقهم .

ثم كُتِبَ إلى ممالك الشام أن يُنَادَى بمثل ذلك فى كل مدينة ، وأنّ السلطان واصل إليهم بنفسه .

ثم فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان المذكور نُودِىَ بالقاهرة فى أجناد [4] الحلقة بتجهيز أمرهم بالسّفر إلى الشام ، ومن تأخّرَ منهم حلَّ به كذا وكذا من الوعيد .

ثم فى أوّل شهر رمضان قَدِمَ الخبرُ من حَلَب برحيل قَرَايُلُك منها كما تقدّم

(١) ورد فى هامش اللوحة «انثنى عزم السلطان عن سفر الحجاز» .

(٢) الإكديش : كلمة فارسية تطلق على الحيوان الذى يجمع بين فصيلتين عامة ، ثم أطلقه العرب على الخيل من فصيلتين . هامش (ابن عبد الظاهر — تشريف الأيام والعصور ٩٩) .

(٣) فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٨٤ «قتله») .

(٤) أجناد الحلقة : هم عدد كبير من العسكر من غير المماليك ، وربما دخل فيهم من ليس من الجند كالمتعممين ، ولكل أربعين منهم مقدم يحكم عليهم وقت خروج العسكر فقط . هامش (ج ١٢ : ٣٢٨ من هذا الكتاب) و (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٦) .

ذكره، وأن يَشْبُك نائب حَلَب مقيمٌ بالميدان وعنده نحو مائة وأربعين فارسا، وقد خلت حَلَبُ من أهلها إلا من ٱلتجأ لقلعتها، وأن يَشْبُك بينما هو فى المَيْدان جاءه الخبرُ أن عسكر قَرَايُوسُف قد أدركه فركب قُبَيْل الفَجْر من الميدان وإذا بمقدّمتهم على وطاة بابلّة[1] فواقعهم يَشْبُك بمن معه حتى هَزَمَهم وقتل وأسر جماعةً، فأخبروه أنهم جاءوا للكشف لخبر قَرَايُلُك، وأن قَرَايُوسُف بعَيْن تاب، فعاد يَشْبُك وتوجّه إلى ٥ سَرْمين، فلمّا بلغ قَرَايُوسُفَ هزيمةُ عسكره كتَبَ إلى يَشْبُك نائب حَلَب يَعْتَذِر عن نُزوله بعَيْن تَاب، وأنّه ما قصد إلا قَرَايُلُك، فبعث إليه يَشْبُك صَارُوخَانَ مِهْمِنْدَار[2] حَلَب، فلقيه على جانب الفرات وقد جازت عساكره الفرات، وهو على نيّة الجواز، فأكرمه قَرَايُوسُف واعتذر إليه ثانيا عن وصوله إلى عَيْن تاب، وحَلف له أنه لم يقصد دخول الشّام، وأعاده بهدية للنائب، فهدأ ما بالناس بحَلَب، وسُرّ السلطان ١٠ أيضا بهذا الخبر.

وكان سبب حركة قَرَايُوسف أن قَرَايُلُك المذكور فى أوائل شعبان هذا نَزَل على مدينة مَارِدِين[3] — وهى دَاخِلَةٌ فى حكم قَرَايُوسُف — فأوقع بأهلها وأسرف فى قتلهم وسَبْى أولادهم ونسائهم، وباع الأولادَ كلّ صغير بدرهمين، وحَرَقَ المدينة ونهبها، ثم رجع إلى آمِد، فلما بَلَغ قَرَايُوسُفَ الخبرُ غضب من ذلك وسار ومعه ١٥ الأمراء الذين تسحّبوا من واقعة قَانِى بَاى مثل الأمير سُودُون مِن عَبْد الرحمن، وطَرَبَاى، وتَنبَك البَجَاسِىّ، ويَشْبُك الجَكَمِى وغيرهم، يريدون أخذ الثأر من قَرَايُلُك حتى نزل آمِدَ ثم رحل عنها يريد قَرَايُلُك، فسار قَرَايُلُك إلى جهة البلاد الحَلَبِيَّة، فسار خلفه قَرَايُوسُف حتى قطع الفرات ووقع ما حكيناه.

ثم فى خامس شهر رمضان المذكور نُودِىَ فى أجناد الحلقة بالعرض على السلطان ٢٠

(١) بابله أو بابلا: قرية كبيرة بظاهر حلب (ياقوت — معجم البلدان ١: ١٧٠).

(٢) المهمندار: هو الذى يتلقى الوافدين على السلطان، وينزلهم دار الضيافة، ويقوم بشئونهم. وانظر (الحاشية ١ ص ١٤٩ ج ٨ من هذا الكتاب ط. دار الكتب).

(٣) ماردين: قلعة بالجزيرة الفراتية. وانظر (الحاشية ١ ص ٦٠ ج ١٣ من هذا الكتاب).

فعرضوا عليه فى يوم الجمعة سادسه ، وابتدأ بعرض من هو فى خدمة الأمراء ، فخيّرهم بين الاستمرار فى جملة أجناد الحلقة وترك خدمة الأمراء أو الإقامة فى خدمة الأمراء وترك أخباز الحلقة ، فاختار بعضهم خدمة الأمراء وترك خبزه الذى بالحلقة ، واختار بعضهم ضدّ ذلك ، فأخرج السلطان إقطاع من اختار خدمة الأمراء ، وصرف من خدمة الأمراء من أراد الإقامة على إقطاعه بالحلقة ، وشكا إليه بعضهم قلّة متحصّل إقطاعه فزاده ، وعُدّ هذا من جودة تدبير الملك المؤيد وسيره على القاعدة القديمة ؛ فإن العادة كانت فى هذه الدولة التركيّة أن يكون عسكر مصر على ثلاثة أقسام :

قسم يقال لهم أجناد الحلقة ، وموضوعهم أن يكونوا فى خدمة السلطان ، ولكل منهم إقطاع فى أعمال مصر ، وكل ألف منهم مضافة إلى أمير[1] مائة ومقدّم ألف[2] ، ولهذا المعنى سُمّى الأمير بمصر أمير مائة ، أعنى صاحب مائة مملوك فى خدمته ومقدم ألف من هؤلاء أجناد الحلقة ، ويضاف أيضا لكل مقدّم ألف أمير طبلخاناه وأمير عشرين وأمير عشرة ومقدّم الحلقة ، فإذا عيّن السلطان أميرا إلى جهة من الجهات نزل ذلك الأمير فى الوقت وتهيّأ بعد أن أعلم مضافيه ، فيخرج الجميع فى الحال — انتهى .

وكان نظير هؤلاء أيام الخلفاء أهل العطاء وأهل الدّيوان .

والقسم الثانى [يقال لهم][3] مماليك السلطان ، ولهم جوامك[4] ورواتب مقرّرة على ديوان السلطان فى كل شهر وكسوة فى السنة .

والقسم الثالث يقال لهم مماليك الأمراء يخدمون الأمراء ، وكل من هؤلاء لا يدخل مع آخر فيما هو فيه ، فلذلك كانت عدّة عساكر مصر أضعاف ماهى الآن ، وهؤلاء غير

---

(١) كلمة « أمير » واردة فى هامش اللوحة .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « السبب فى تسمية المقدم ألف » .

(٣) الإضافة عن (ط . كاليفورنيا ٦ : ٣٨٧) .

(٤) الجوامك : جمع جامكية ، وهى المرتبات ، وهى تعريب اللفظ الفارسى « جامكى » المركب من « جامه » بمعنى قيمة ، و « ى » أداة النسبة (آدى فيشر — الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٥ ط . بيروت) .

الأمراء ، ثم تغيَّر ذلك كلُّه فى أيام الملك الظاهر بَرْقُوق لمَّا وَثبَ على المُلك ، فصارت الأمراء يشترون إقطاعات الحلقة أو يأخذونها من السلطان باسم ماليكهم أو طَوَاشيَتِهم ثم لا يَكفيهم ذلك حتى يُنزِلونهم أيضًا فى بيت السلطان بجامَكيَّة ، فيصيرُ الواحدُ من مماليك الأمراء جنديَّ حلقة ومملوكَ سلطان وفى خدمة أمير ، فيصيرُ رِزْقُ ثلاثة أنفُسٍ إلى رَجُلٍ واحد ، فكثر مُتَحَصِّل قوم وقلَّ مُتَحَصِّل آخرين ، فضَعُفَ عسكرُ مصر لذلك ، فعَلَى هذا الحساب يكونُ العسكرُ الآن بثُلُثِ ما كان أوّلا ، هذا غير ماخَرَج من الإقطاعات فى وجه الرِّزَقِ والأملاك وغير ذلك ، وهو شىء كثيرٌ جداً يخرج عن الحدِّ ، فمن تأمَّلَ ما ذكرناه عَلِمَ ما كان عِدَّة عسكر مصر أوّلا ، وما عدته الآن . هذا مع ما خُرِّب من النواحى من كَثْرة المَغَارِم والظُّلْم المترادِف ، وقِلَّةِ نظر الحكّام فى أحوال البلاد ، ولولا ذلك لكان عسكر مِصر لا يقاومه عدوٌّ ولا يدانيه عسكر — انتهى .

ثم فى سابع شهر رمضان هذا أفرج السلطان عن الأمير كَمَشْبُغَا الفِيسىّ أمير آخور — كان — فى الدولة الناصرية ، وعن الأمير قَصْرُوَه من تِمْرَاز وكانا بسجن الإسكندرية ، وعن الأمير كزل العجمى الأجرود حاجب الحجاب — كان — فى الدولة الناصرية من حبس صفد ، وعن الأمير شاهين نائب الكرك ، وكان بقلعة دمشق .

ثم فى تاسعه ورَدَ الخبرُ من حَلَب بأن قَرا يُوسف أحْرَق أسواقَ عَيْن تاب ونهبها فصالحه أهلُها على مائة ألف درهم وأربعين فَرَسًا ، فَرحل عنها بعد أربعة أيام إلى جهة ألْبِيرة ، وعدّى معظمُ جيشه إلى البرِّ الشرقى فى يوم الاثنين سابع عشر شعبان ، وعدّى قرا يوسف من الغد ونزل بساتين ألْبِيرة وحَصَرها ، فقاتله أهلُها يومين وقتلوا منه جماعةً فدخل البلد ونهبها وأحرَق أسواقها ، وقد امتنع الناسُ منها ومعهم حريمهم بالقلعة ، ثم رحَل فى تاسع عشر شعبان إلى بلاده بعد ما أحرق ونهب جميع نواحى ألْبِيرة ومُعَامَلَتِها .

ولما بلغ السلطان رجوع قرا يُوسف إلى بلاده فَرِحَ بذلك وسكت عن السّفر إلى

البلاد الشاميّة ، وبينما السلطان فى ذلك قدم عليه الخبرُ أن ابن قَرَمان مشى على طَرَسُوس [١] وحارب أهلها فقُتِلَ من الفريقين خلقٌ كثير ، ودام القتال بينهم إلى أن رحل عنها فى سابع شعبان من ألمٍ اشتدَّ بباطنه ، فجلس السلطان فى ثالث عشر شهر رمضان لعَرْض أجناد الحلقة ، فعُرِض عليه منهم زيادة على أربعمائة نفس ما بين كبير وصغير وسعيد وفقير ، فمن كان إقطاعه قليل المتحصّل أشركَ معه غيره ، ومثال ذلك أن جُنْدِيًّا يكون متحصل إقطاعه فى السنة سبعة آلاف درهم فُلُوسًا وآخَرَ متحصله ثلاثة آلاف ، فألزم الذى إقطاعه يَعْمَل ثلاثة آلاف أن يُعْطِيَ الذى إقطاعُه يعْمَلُ سبعة آلاف مبلغ ثلاثة آلاف ليسافر صاحبُ السبعة آلاف ، ويقيم صاحب الثلاثة آلاف ، فهذا نوع .

ثم أفرد السلطان جماعة مِمَّنْ مُتَحَصلُ إقطاعاتهم قليلة ، وجعل كل أربعة منهم مقام رجل واحد يختارون منهم واحداً يسافر ويقوم الثلاثة الأخر بِكُلَفِه .

ورسم السلطان أنّ المال المجتمع من أجْنَاد الحلقة يكون تحت يد قاضى القضاة شمس الدين الهَرَوِىّ الشافعى ، واستمر العرض بعد ذلك فى كل يوم سبت وثلاثاء إلى ماياتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى الغد وهو يوم رابع عشر شهر رمضان ورَدَ الخبر على السلطان من طرَابُلُس بنزول التُّرْكمان الإينالِيّة والأوْشَرِيّة على صَافِيتَا [٢] من عمل طَرَابُلُس جافلين من قرَا يُوسُف ، وأنهم نهبوا بلادها وأحرقوا منها جانباً ، وأن الأمير بَرْسِبَاى الدُّقْمَاقِى [٣] نائب طَرَابُلُس رجَّعَهم عن ذلك فلم يرجعوا وأمرهم بالعَوْد إلى بلادهم بعد رجوع قرَا يُوسف فأجابوا بالسَّمْع والطَّاعة ، وقبل رحيلهم ركب عليهم الأمير بَرْسِبَاى الدُّقْمَاقى المذكور بعسكر طَرَابُلُس وقاتلهم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان ، فقُتِل بين

(١) ورد فى هامش اللوحة «خبر ابن قرمان» .

(٢) صافيتا : قلعة صليبية مشهورة ، فتحها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩ هـ ، وهى قضاء أيضا يشمل القسم الجنوبى من جبال النصيرية ، وانظر هامش (ج ١٠ : ٥٤ من هذا الكتاب) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «خبر نائب طرابلس مع التركمان ، وهو الأشرف برسباى» .

الطائفتين خلقٌ كثيرٌ منهم الأمير سُودُون الأَسَنْدَمُرِىّ أتَابَك طَرابلس وثلاثة عشرة نفساً من عسكر طَرابلس ، ثم انهزم الأمير بَرْسْبَاى المذكور بمن بَقِى معه من عسكر طَرَابُلُس عُرَاةً على أقبح وجه إلى طَرابلس وحصل عليهم من الخوف مالا مزيد عليه .

فلما بلغ الملك المؤيد هذا الخبرُ غضب غضباً شديداً ورَسَمَ فى الحال بعَزْل بَرْسْبَاى المذكور عن نيابة طرَابُلُس واعتقاله بقلعة المَرْقَب ، وكتب بإحضار الأمير سُودون القاضى نائب الوجه القبلى من أعمال مصر ليستقرّ فى نيابة طَرَابُلُس عوضاً عن بَرْسْبَاى هذا ، وبَرْسبَاى المذكور هو الملك الأشرف الآتى ذكره فى محله ، وخلع على المَلَطِىّ واستقرّ فى نيابة الوجه القبلى عوضاً عن سُودُون القاضى ، وقدم سُودون القاضى من الوجه القبلى فى يوم الاثنين ثامن شوال وقَبَّلَ الأرضَ بين يَدَى السلطان وهو بمخيّمه بسَرْحَة سِرْيَاقوس ، وبعد عَوْدِهِ من سَرْحَةِ سِرْيَاقوس وغيرها خلع على سُودُون القاضى بنيابة طَرَابُلُس فى خامس عشر شوال ، وخلع على الأمير كَشْبُغَا الفيسى أحد الأمراء البطّالين بالقاهرة باستقراره أتَابَك طَرَابُلس بعد قتل سُودون الأَسَنْدمُرِىّ .

ثم ركب السلطان أيضاً إلى الصَّيْد وعاد وقد عاوده ألَمُ رجله ولزم الفراش .

وخلع فى سادس عشره على سيف الدين أبى بكر بن قطْلُوبَك المعروف بابن المزوّق دَوَادَار ابن أبى الفرج باستقراره أُسْتَادَاراً عوضاً عن فخر الدين بن أبى الفرج بعد موته ، ورَسَمَ السلطانُ بالحَوطة على مَوْجُودِ[1] ابن أبى الفرج وضبطها ، فاشتملت تركته على ثلاثمائة ألف دينار ، وثلاث مساطير[2] بسبعين ألف دينار ، وغلال وفَرْو وقماش بنحو مائة ألف دينار ، وأخذ السلطان جميع ذلك .

ثم فى حادى عشرينه خرج محمل الحاج صحبة أمير الحاج الأمير جُلُبَّان أمير آخور

(١) ورد فى هامش اللوحة «موجود ابن أبى الفرج» .
(٢) المساطير : كذا فى الأصول ، ولعلها سبائك الذهب .

ثان ، وقد صار أمير مائة ومقدّم ألف ، ورحل من البِرْكة[1] فى يوم رابع عشرينه .

ثم فى يوم الخميس ثالث ذى القعدة أمْسَكَ السلطانُ الوزيرَ بدر الدين بن مُحِبّ الدين الطرابُلُسى وسلّمه إلى الأمير أبى بكر الأستادار بعد إخراق السلطان به ومبالغته فى سبّه لسوء سيرته ، وتُتُبِّعت حواشيه .

٥ وخلع السلطان على بدر الدين حسن بن نصر الله الفُوِّى ناظر الخاص باستقراره وزيراً مُضافاً إلى نظر الخاص ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف . ثم كتب السلطانُ بالقبض على قرْمَش الأعور أتابَك حَلَب وحبسه بقلعتها .

وفى خامس ذى القعدة ركب السلطانُ من قلعة الجبل فى مِحَفَّة من ألَم رجله ونزل إلى السَّرْحة وعاد فى يومه . ثم فى عاشره ركب السلطانُ أيضا ونزل إلى بيت كاتب السرّ ١٠ ناصر الدين بن البَارِزِىّ ببولاق المطل على النيل ، وعَدَّت العساكر إلى برّ الجيزة ، وبات السلطان هناك ليلته ، ثم ركب من الغد فى يوم الجمعة إلى سرحة بِرْكَةِ الحاج ، وعاد من يومه وغالب عساكره بالجيزة .

ثم ركب من الغد فى النيل يريد سرْحَة البُحَيْرَة ، ونزل بالبر الغربى ، ثم سار إلى أن انتهى إلى مَرْيوط[2] فأقام بها أربعة أيام ، ورسم بعمارة بستان السلطان بها ، وكان ١٥ تهدّم ، ثم استأجر السلطانُ مرْيوط من مباشرى وقف الملك المُظَفَّر بيبَرْس الجاشْنَكِير على الجامع الحاكمى ، ورسم بعمارة سواقيه ، ومعاهد[3] الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارِى به ، وعاد ولم يدخل إلى الإسكندرية إلى أن نزل وَرْدَان[4] فى يوم عيد الأضحى وصلّى

---

(١) المراد بركة الحاج ، وتسمى أيضا بركة الجب ، وانظر فى التعريف بها هامش (ج ١٣ : ٧٦ من هذا الكتاب ، و (المقريزى – الخطط ٢ : ٢٧٤) .

٢٠ (٢) مريوط : من قرى مصر قرب الإسكندرية . ساحلية يضاف إليها كورة من كور الحوف الغربى (البغدادى – مراصد الإطلاع ٣ : ١٢٦٤) وانظر (على مبارك – الخطط ١٥ : ٤١) ففيه تعريف مفصل بها .

(٣) يراد بهذا التعبير المنشآت التى أنشأها السلطان بيبرس ، وانظر (على مبارك – الخطط ١٥ : ٤١).

(٤) وردان : قرية من أعمال الجيزة على شاطىء النيل الغربى ، وانظر (على مبارك – الخطط ١٠ : ٢٥ ٩٥ ، ٩٦) .

به صلاة العيد ، وخطب القاضى ناصر الدين بن البارزىّ كاتب السرّ ، ثم ركب من الغد وسار حتى قدم برّ مُنْبَابَة وعدّى النيل ، ونزل فى بيت كاتب السرّ ببولاق ، وأقام به إلى الغد وهو يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى الحجة ، وركب وطلع إلى القلعة ، كل ذلك وألم رجله يلازمه . وبعد طلوعه إلى القلعة رَسمَ للأمراء بالتجهيز إلى سفر الشام صُحْبَة ولده المقام الصارمى إبراهيم (١) ، كل ذلك والعرْضُ لأجناد الحلقة مستمرٌ ، وعُيِّنَ منهم للسفر جماعةٌ كبيرة ، وألزم من يُقيم منهم بالمال .

ثم قدمت إلى الديار المصرية الخاتُون أم إبراهيم بن رمضان التُرْكُمَانى من بلاد الشرق ، وقبَّلت الأرضَ بين يدى السلطان فرسمَ بتعويقها فعُوِّقت .

ثم تكرر من الملك المؤيد التوجُّه إلى الصَّيْد فى هذا الشهر غير مرة .

وفى هذه السنة هُدِمَت المئذنة المؤيدية ، وغُلِقَ بابُ زُوَيلَة ثلاثين يوما ، وعَظُمَ ذلك على السلطان إلى الغاية ، وكانت المئذنة المذكورة عُمِّرَت على أساس البُرْج الذى كان على باب زُوَيْلَة ، وعملت الشعراء فى ذلك أبياتًا كثيرة ، وكان القاضى بهاء الدين [محمد بن](٢) البُرْجى مُحْتَسِب القاهرة متولى نظر عمارة الجامع المذكور ، فقال بعض الشعراء فى ذلك : — [الطويل]

عَتَبْنَا عَلَى مَيْل المَنَارِ زُوَيْلَةَ ... وقلنا تركتِ الناس بالمَيْل فى هَرْجِ
فقالت قرينى برْجُ نَحْسٍ أمالَنَا ... فلا بَارَكَ الرحمنُ فى ذلك البرْجِ

قلت صح للشاعر ماقصده من التَّوْرِيَة فى البرْج الذى عُمِّرَت عليه ، وفى بهاء الدين البرْجِى .

وقال الحافظ شهاب الدين بن حَجَر وقصدَ بالتَّوْرِيَة بدرَ الدين العَيْنِى .
[الطويل]

(١) ورد فى هامش الوحة والمرسوم بالتجهيز إلى سفر الشام صحبة المقام الصارمى إبراهيم بن السلطان).
٢) الإضافة من (ط كاليفورنيا ٦ : ٣٩٢) .

لجامع مولانا المؤيد رَوْنَقٌ منارتُه بالحسن تَزْهو والزَّيْنِ(١)
تقول وقد مالت عن الوضع أمهلوا(٢) فليس عَلَى حسنى أضر من العَيْنى

فأجاب العَيْنى : — [البسيط]

منارةٌ كعروس الحسن قد جُلِيَت وهَدْمُها بقضاء الله والقـــدر
٥ قالوا أُصِيبَت بعينٍ قلت ذا خطأ ما أَوْجَب الهدمَ إلا خسَّة الحجر(٣)

قلت : ساعده قوله خسَّةُ الحجر ما كان وقع بسبب هَدْم المنارة المذكورة فإنه كان بنى أساسها بحجر صغير ، ثم عَمَّرُوا أعلاها بالحجر الكبير فأوجب ذلك ميلها وهدمها بعد فراغها .

وقال الشيخ تقى الدين أبو بكر بن حجة فى المعنى: — [الطويل]

١٠ عَلَى البرج من بابَىْ زويلة أُنْشِئَت منارةُ بيت الله والمنهلُ المزجى
فأخنى بها البرج اللعين أمالها ألا صَرِّحُوا ياقَوْم باللعن للبُرْجى

وقيل إن ذلك كان فى السنة الماضية — انتهى.

وأخذ السلطان فى تجهيز ولده الصارمى إبراهيم إلى أن تهيّأ أمره ، وأنفق على الأمراء المتوجّهين صحبته . فلما كان بكرة يوم الاثنين ثامن عشر المحرم من سنة اثنتين وعشرين
١٥ وثمانمائة ركب المقام الصارمى إبراهيم بن السلطان من قلعة الجبل فى أمراء الدولة ، ومعه عدة من أمراء الألوف المعينة صحبته إلى السفر ، ونزل بمخيّمه من الرَّيْدَانية خارج القاهرة . ثم خرجت أطلابُ الأمراء المتوجّهة صحبته وهم : الأمير قَجْقَار القَرْدَمِى أمير سلاح ، والأمير طَطر أمير مجلس ، وجَقْمَق الأَرْغُونْ شَاوِى الدَّوَادَار الكبير ،

(١) فى الأصل (... منارته تزهو من الحسن والزين) وما أثبته من السيف المهند البدر العينى ص م
٢٠ (المقدمة) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق «وتقول وقد مالت عليهم تمهلوا ... » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق :

قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما آفة الهدم إلا خسة الحجر

وإينال الأرغزى ، وجُلُبَّان أمير آخور ، وأزْكَماس الجُلُبَّانِى ، وهؤلاء من أمراء الألوف ، وثلاثة من أمراء الطبلخانات ، وخمسة عشر أميراً من العشرات ، ومائتى مملوك من المماليك السلطانية ، وأقام الصارمى إبراهيم بمخيّمه إلى أن ركب السلطان من قلعة الجبل ونَزَل إليه بالرَّيدَانية فى عشرينه وبات عنده بالرَّيدَانية ، ثم ودعه من الغد وركب إلى القلعة .

ثم رحل المقام الصارمى إبراهيم من الرَّيدَانية بمن معه من العساكر فى يوم الجمعة ثانى عشرينه وسار إلى البلاد الشامية .

ثمّ شرع السلطان فى بناء القُبَّة بالُحوش[1] السّلطانىّ من قلعة الجبل المعروفة الآن بالبَحْرَة المُطِلَّة على القرافة ، وجاءت فى غاية الحسن .

وأما الصارمىّ إبراهيم فإنّه سارَ إلى أنْ وصل دِمَشْق فى يوم الاثنين سادس عشر صفر بعد أن خرج إلى تلقِّيه النوابُ والعساكر ، وأقام بدِمَشْق أيّاما وخرجَ منها يريدُ البلاد الحَلَبِيّة إلى أن نزلَ على تلِّ السلطان فى يوم الثلاثاء أوّل شهر ربيع الأوّل ، فخرج إليه نائب حَلَب الأمير يَشْبُك اليُوسُفى المؤيّدى بعساكر حَلَب ، وتلقَّاهُ ونزَلَ بظاهر حَلَب .

ثم بدأ الطاعون بالدّيار المصريّة . هذا والعَرْض لأجناد الحلقة مستمرٌ ، فتارة يعرضهم السلطانُ وتارةً الأمير مُقْبِلُ الحسامى الدَّوَادَار الثانى[2] ، وناظر الجيش علم الدين دَاوُد بن الكُوَيْز .

ثمّ فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأوّل نزل السلطان من القلعة إلى جامعه بالقرب من باب زُوَيْلة واستدعى به قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينى وخلع عليه خلعة القضاء بعد عزل القاضى شمس الدين الهَرَوِى ، ونزل البلقينى بالخِلعة من

(١) ورد فى هامش اللوحة « بناء القبة بالحوش السلطانى المعروفة بالبحرة »

(٢) ورد فى هامش اللوحة «مقبل الحسامى الدوادار» .

باب الجامع الذى من تحت الربع[1] ، وشقّ القاهرة .وكان له مشهد عظيم . هذا والطّاعون قد فشا بالديار المصرية وتزايد بها وبأعمالها .

فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وعشرين المذكورة نُودِى فى الناس من قِبَلِ المُحْتَسِب الشيخ صدر الدين بن العجمى أن يصوموا ثلاثة[2] أيام آخرها يوم الخميس خامس عشره ليخرجوا فى ذلك اليوم مع السلطان الملك المؤيّد إلى الصحراء فيدعو الله فى رفع الطاعون عنهم ، ثم أُعِيدَ النداء فى ثانى عشره أنْ يصوموا من الغد ، فتَنَاقَصَ عددُ الأموات فيه ، فأصبح كثيرٌ من الناس صِيَامًا ، فصامُوا يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس . فلَمّا كانَ يوم الخميس المذكور نُودِى فى الناس بالخروج إلى الصَّحراء من الغد ، وأن يَخْرُجَ العلماء والفقهاء ومشايخُ الخَوَانِق وصُوفِيَّتُها وعامّةُ الناس ، ونزل الوزيرُ بدر الدين حسن بن نصر الله ، والتاج الشَّوْبَكِى أستادار الصحبة إلى تربة الملك الظاهر بَرْقُوق فنصبوا المطابخ بالحوش القبلى منها وأحضروا الأغنام والأبقار ، وباتوا هناك فى تهيئة الأطعمة والأخباز ، ثم ركب السلطان بعد صلاة الصبح ونزل من قلعة الجبل بغير أبهّة المُلْك بل عليه ملوطة[3] صوف أبيض بغير شَدٍّ فى وسطه ، وعلى كتفيه مِئْزَرٌ صوفٌ مُسْتَدَلٍ[4] كهيئة الصُّوفيّة ، وعلى رأسه عمامة صغيرة ولها عذبة مُرْخَاةٌ من بين لحيته وكتفه الأيسر وهو يتخَشَّعٍ وانكسار ، ويكثر من التلاوة والتسبيح ، وهو راكبٌ فرسا بقماش ساذج ليس فيه ذهب ولا فضة ولا حرير .

هذا وقد أقبل الناس إلى الصحراء أفواجا ، وسار شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال

---

(١) تحت الربع : سمى بذلك من أجل الربع الذى أنشأه الظاهر بيبرس ووقفه على مدرسته ببين القصرين ، ويبدأ هذا الشارع من باب زويلة وينتهى بميدان باب الخلق (على مبارك — الخطط ٣ : ٥٠) واسمه حاليا شارع أحمد ماهر .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « المناداة بصيام ثلاثة أيام لرفع الطاعون » .

(٣) الملوطة : جبة من الحرير أو من نسيج آخر ، والجمع ملاليط (قاموس دوزى) .

(٤) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٩٥ «مسدل» .

الدين عبد الرحمن البُلْقِينى الشّافعى من منزله بحارة بهاء الدين[١] ماشيا إلى الصحراء فى عالم كثير .

ثم سار غالب أعيان مصر إلى الصحراء ما بين راكب وماش حتى وافوا السلطان بالصحراء قريبا من قبة النصر ومعهم الأعلام والمصاحف ، ولهم بذكر الله تعالى أصواتٌ مرتفعة من التّهليل والتكبير .

فلما وصل السلطان إلى مكان الجمع بالصحراء ونزل عن فرسه وقام على قدمَيْه وعن يمينه وشماله الخليفةُ والقضاةُ وأهلُ العِلْم ، ومن بين يديه وخلفه طوائف من الصُّوفيّة ومشايخ الزّوايا وغيرهم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فبسط السلطان يدَيْه ودعا الله سبحانه وتعالى وهو يبكى ويَنْتَحِب والجمُّ الغفير يراه ويؤمّنُ على دعائه ، وطال قيامُه فى الدُّعاء وكلٌّ أحد يدعو الله تعالى ويتضرّع إلى أن أستمّ الدّعاء ، وركب يريد الحوش[٢] الظاهرى حيث مُدّ الطعام والناس فى ركابه وبين يديه من غير أن يمنعهم من ذلك مانع ، وسار حتى نزل بالحوش المذكور من التربة الظاهريّة ، وقدّم له الأسمطة فأكل منها وأكل الناسُ معه .

ثم ذبح بيده قُرْبَانًا — قرَّبه إلى الله تعالى — نحو مائة وخمسين كبشا سمينا من أثمانِ خمسة دنانير الواحدُ .

ثم ذبح عشر بَقَرَاتٍ سِمَان وجاموستين وجملين كل ذلك وهو يبكى ودُمُوعه تنحَدِر على لحيته بحضرة المَلَإ من الناس .

ثم تَرَكَ القرابين على مضاجعها كما هى للناس وركب إلى القلعة ، فتولّى الوزيرُ التاجُ تفرقتها صِحَاحًا على أهل الجوامع المشهورة والخَوانق وقبّة الإمام الشافعى والإمام

(١) حارة بهاء الدين : وتنسب لبهاء الدين قراقوش لأن سكنه كان بها ، وكانت خارج باب الفتوح التى وضعه جوهر القائد ثم صارت من داخل باب الفتوح الجديد الذى وضعه أمير الجيوش بدر الجمالى ، وانظر (على مبارك — الخطط ٣ : ٣١) وقد سماها بشارع بين السيارج .

(٢) الحوش الظاهرى : هو تربة الظاهر برقوق بالصحراء ومجرى جبانة المماليك بينها وبين جبانة العباسية الجديدة المعروفة بجبانة الغفير . هامش (ج ١٢ : ١٠٣ من هذا الكتاب) .

الليث بن سعد والمشهد النّفيسى وعدة أُخَر من الزّوايا حُملت إليها صِحَاحًا ، وقطع منها عِدّة بالحوش فُرّقَت لحما على الفقراء ، وفرّق من الخبز النقى فى اليوم المذكور عِدّة ثمانية وعشرين ألف رغيف وعِدّة قُدُور كبار مملوءة بالطعام الكثير ، وأخذ الطعام الكثير ، وأخذ الطاعون من يومئذ فى النقص بالتدريج .

٥ ثم قدم على السلطان الخبرُ فى ثانى عشرين شهر ربيع الآخر برحيل المقام الصّارمى إبراهيم من مدينة حَلَب بعساكره والعساكر الشّاميّة ، وأنه دخل إلى مدينة قَيْسَارِيّة[1] فحضرَ إليه أكابر البلد من القضاة والمشايخ والصُّوفيّة فتلقّوه فألبسهم الخِلَع ، وطلَعَ قلعتها يوم الجمعة ، وخطب فى جوامعها للسلطان ، وضُرِبَت السّكّة باسمه وأنّ شيخ جَلَبى نائب قيْسَارِية تسحّب منها قبل وصول العساكر إليها ، وأن ابنَ السلطان خلَعَ على محمد ١٠ بَك بن قرمان وأقرّهُ فى نيابة السلطنة بقَيْسَارِية ، فدقت البشائر بقلعة الجبل لذلك ، وفرِحَ السلطان بأخذ قيْسَارِية فرحا عظيما فإن هذا شىء لم يَتّفق للكٍ من مُلُوك التُّرْك بالديار المصرية سِوَى الملك الظاهر بيبَرْس ، ثم انتقضَ الصلحُ بينه وبين أهلها حَسْبَمَا ذكرناهُ فى ترجمته من هذا الكتاب — انتهى .

ولَمّا استهل جمادى الأولى تناقص فيه الطّاعُون[2] حتى كان الذى وَرَدَ اسمُه فى أوّله ١٥ من الأموات سبعةً وسبعين نفرا .

قال الشيخ تقىّ الدين المقريزى : وكان عِدّةُ من مات بالقاهرة وورَدَ اسمُه الديوان — من العشرين من صفر وإلى سلخ شهر ربيع الآخر — سبعة آلاف وستمائة واثنتين وخمسين نفسا: الرجال [ألف][3] وخمسةٌ وستون رجلا ، والنساء ستمائة وتسع وستون امرأة ، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون ، والعبيدُ خمسمائة وأربعة وأربعون ،

٢٠ (١) ورد فى هامش اللوحة «قدوم الخبر بأخذ ابن السلطان لقيسارية» هذا وقيسارية هى قيسارية الروم ، وتقع على نهر قراصو أحد فروع نهر قزل إرمك ،وكانت عاصمة بنى سلجوق بآسيا الصغرى (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٢١٤) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « تناقص الطاعون » .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٣٩٧) .

والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون ، والنصارى تسعة وستون ، واليهود اثنان وثلاثون ، وذلك سوى البيمارستان ، وسوى ديوان مصر ، وسوى من لا يرد اسمه الدواوين ، ولا يقصر ذلك عن تتمة عشرة آلاف ، ومات بقرى الشرقية والغربية مثل ذلك .

قلت : وقولُ الشيخ تقي الدين « ولا يقصر ذلك عن تتمة عشرة آلاف » فقد مات في طاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة في يوم واحد بالقاهرة وظواهرها نحو عشرة آلاف إنسان ، واستمرّ ذلك أياماً ما بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف وعشرة آلاف حسبما يأتي ذكره إن شاء الله في محله في ترجمة الملك الأشرف بَرْسْبای الدُّقْماقي — انتهى .

وفي يوم الأحد ثاني جمادى الأولى المذكور وُلِدَ للسلطان الملك المؤيد ولدُه الملكُ المظفرُ أحمدُ[1] من زوجته خَوَنْد سَعَادات بنت الأمير صَرْغَتْمُش .

ثم في سابع جمادى الأولى استدعى السلطانُ بَطْرَكَ النصارى وقد اجتمع القضاةُ ومشايخُ العِلم عند السلطان ، فأوقفَ البَطْرَكُ على قدميه ووُبِّخَ وقُرِّع ، وأنكَر عليه السلطانُ ما بالمسلمين من الذُّلِّ في بلاد الحبشة تحت حكم الحطي[2] متملكها ، وهُدِّد بالقتل ، فانتدب له الشيخُ صَدْرُ الدين أحمد بن العجمي مُحْتَسِبُ القاهرة فأسمعه المكروه من أجل تهاوُن النَّصارى فيما أُمروا به في مَلْبَسِهم وهيئاتهم ، وطال كلامُ العلماء مع السلطان في ذلك إلى أن استقرّ الحالُ بأن لا يباشر أحدٌ منهم في ديوان السلطان[3] ولا عند أحد من الأمراء ، ولا يخرج أحد منهم عما أُلزِمُوا به من الصَّغَار ، ثم طلب السلطان الأكرمَ فضائلَ النَّصْرانيّ كاتب الوزير — وكان قد سجن من أيام — فضربه السلطانُ بالمقارع[4] وشهَّره بالقاهرة عُرْيانًا بين يدَي المحتَسِب وهو ينادَى عليه : هذا جزاء من

(١) ورد في هامش اللوحة «مولد سيدى أحمد ابن الملك المؤيد» .

(٢) الحطى : هو لقب لملك الحبشة الأكبر الحاكم على جميع أقطارها (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٣٢٢) .

(٣) ورد في هامش اللوحة «منع النصارى من المباشرة في الديوان» .

(٤) المقارع : هي السياط جمع سوط .

يباشر من النصارى فى ديوان السلطان ، ثم سُجن أيضًا بعد إشهاره ، وَصَمَّم السلطانُ فى ذلك حتى انكفَّ النصارى عن المُباشرة فى سائر دَوَاوين الدِّيَار المصرية ، ولزموا بيوتهم ، وصَغَّرُوا عمائمهم وضَيَّقُوا أكْمَامَهُم ، والتَزَم اليهودُ مثل ذلك ، وامتنعوا جميعهم من ركوب الحمير ، بحيث إنَّ العامة صارت إذا رأوا نصرانيا على حمار ضربوه
٥ وأخذوا حماره وما عليه ، فصاروا لا يركبون الحمار إلا بخارج القاهرة ، وبذَل النصارى جُهْدَهم فى السَّعْى إلى عَوْدِهم إلى المُبَاشرة وأَوْعَدُوا بمالٍ كبير ، وساعدَتْهُم كُتَّابُ الأقباط ، فلم يلتفت السلطانُ إلى قولهم ، وأبى إلا ما رَسَم به من المَنْع .

قلت : ولعلَّ الله أن يسامِحَ الملكَ المؤيَّد بهذه الفعلة عن جميع ذنوبه ، فإنها من أعظم الأمور فى نُصْرَة الإسلام ، ومباشرةُ هؤلاء النصارى فى دواوين الديار المصرية
١٠ من أعظم المَسَاوىء الذى نُوِّل منه التعظيم إلى دين النصرانية ؛ لأن غالب الناس من المسلمين يحتاج إلى التَّرَدُّد إلى أبواب أرْباب الدَّوْلة لقضاء حوائجهم ، فمهما كان لهم من الحوائج المتعلقه بديوان ذلك الرئيس فقد احتاجوا إلى التواضع والترقق إلى من بيده أمرُ الديوان المذكور ، نَصْرَانيا كانَ أو يهوديا أو سامريا[1] ، وقد قيل فى الأمثال « صاحب الحاجة أعمى لايريد إلا قضاءها » فمنهم من يقوم بين يدى ذلك النَّصْرَانى على
١٥ قدميه والنصرانى جالس ساعاتٍ كثيرةً حتى يقضى حاجته بعد أن يَدْعوَ له ويتأدبَ معه تأدبا لا يفعله مع مشايخ العلم ، ومنهم من يُقَبِّل كتفه ويمشى فى ركابه إلى بيته إلى أن تُقْضى حاجتُه ، وأما فلاحو القُرى فإنه ربما النَّصرانىُّ المباشرُ يضربُ الرجلَ منهم ويهينُه ويجعله فى الزَّنجير[2] ، ويزعم بذلك خلاص مال أستاذه ، وليس الأمرُ كذلك وإنما يقصدُ التحكُّمَ فى المسلمين لاغير ، فهذا هو الذى يقع للأسير من المسلمين فى بلاد
٢٠ الفرنج بعينه لا زيادة على ذلك غير أنه يملك رِقَّه .

(١) السامرة ، والسمرة : طائفة قدمت من بلاد المشرق وتهودت ، ويقال إنهم من بنى سامرك بن كفركا بن رمى — وهو شعب من شعوب الفرس خرجوا إلى الشام ، وقيل هم قوم ينتسبون إلى سامرة وهى نابلس ، وهم ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الأنبياء ، وهم كثير فى مدائن الشام ، وانظر (المقريزى — الخطط ٢ : ٤٧٦) .

٢٥ (٢) الزنجير : والجنزير كلمة فارسية بمعنى السلسلة من الحديد (المنجد ١٠٥) .

وقد حدثنى بعض الثقات من أهل صعيد مصر قال : كان غالب مزارعى بلدنا أشرافًا علويةً ، والعامل بالبلد نصرانيا ، فإذا قدم العاملُ إلى البلد خرجت الفلاحون لتلقيه ، فمنهم من يسلّمُ عليه السّلام المعتاد ، ومنهم من يفشى السلامَ عليه ويُمعِنُ فى ذلك ، ومنهم من يمشى فى ركابه إلى حيث ينزل من البلد ، ومنهم من يقبّل يده — وهو الفقير المحتاج أو الخائف من صاحب البلد — ويسأله إصلاح شأنه فيما هو مقرّرٌ عليه من وَزْن الخَرَاج حتى يسمح له بذلك ، فلما منع الملك المؤيد هؤلاء النَّصارى عن المُباشَرة بطل ذلك كلُّه ؛ فيكون الملك المؤيد على هذا الحُكم فتَح مصر فَتْحًا ثانيًا ، وأعلى كلمة الإسلام وأخذل كلمة الكفر ، ولا شيء عند الله أفضل من ذلك .

ولما لم يُجَب النصارى إلى عَوْدِهم إلى ما كانوا عليه من المباشرات بالديار المصرية وأعيَاهم أمرُ السلطان وثَبَاتُه ، وانقطع عنهم ما أَلِفُوه من التحكّمِ فى المسلمين — ويقال : إنّ العادة طبعٌ خامس — شقَّ عليهم ذلك ، فتتابع عِدَّةٌ منهم فى إظهار دين الإسلام وتلفظوا بالشهادتين فى الظاهر والله سبحانه وتعالى مُتَوَلّى السرائر .

قال المقريزى — بعد أن ذكر نَوْعًا مما قلناه بغير هذه العبارة — قال : فصاروا من رُكُوب الحمير إلى ركوب الخَيْل والتعاظم على أعيان أهل الإسلام والانتقام منهم بإذلالهم وتعويق تعاملهم ورَوَاتبهم حتى يخضعوا لهم ويترددُوا إلى دورهم ويلحّوا فى السُّؤال — فلا قوة إلا بالله — انتهى كلام المقريزى باختصار .

قلت : ويمكنُ إصلاحُ هذا الشّأن الثانى أيضًا — إنْ صَلح الراعى ونظرَ فى أحوال الرَّعيّة وانتصر لدينه — بسهولة ، هو أنه يكفُّ مَن كان قَريبَ عهدٍ منهم من دِين النصْرَانيَّة عن المُباشَرة — انتهى .

ثم قدِمَ الخبرُ على السّلطان بتوجه ابن السلطان من مدينة قَيْسَارِيَّة إلى مدينة قُونِيَّة[1] فى خامس عشر شهر ربيع الآخر بعد ما مَهَّدَ أُمور قَيْسَارِية ونَقَش اسْمَ

(١) ورد فى هامش اللوحة « خبر توجه ابن السلطان من قيسارية إلى قونية» وقونية من أعظم مدن الإسلام فى بلاد الروم ، وبها وبآقصرای سكن ملوك السلاجقة (ياقوت — معجم البلدان ، والقلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٣٥٢) .

السلطان على بابها ، وأن الأمير تنبك ميق نائب الشام لما وصل إلى العُمْق حضر إليه الأمير حمزة بن رمضان بجماعة من التركمان وتوجه معه هو وابن أوزر إلى قريب مُصَيْصَة [١] وأخذ أَدَنَة [٢] وطرسوس فسُرّ السلطان بذلك سرورا عظيما .

ثم نادى محتسب القاهرة على النصارى واليهود بتشديد ما أمرهم به من الملبس والعمائم وشدّد عليهم فى ذلك ، فلما اشتد الأمر عليهم سعوا فى إبطال ذلك سعيا كبيرا فلم ينالوا غرضا .

ثم قدم الخبرُ على السلطان بأن ابن السلطان وصل إلى نِكْدَة [٣] فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر فتلقّاه أهلها وقد عصت عليه قلعتها ، فنزل عليها وحاصرها وركّب عليها المنجنيق ، وعمل النقّابون فيها ، وأن محمد بن قرمان تسحّب من نكدة فى مائة وعشرين فارسا هو وولده مصطفى .

كل ذلك والسلطان ملازم الفراش من ألم رجله ، والأسعار مرتفعة .

ثم فى ثانى عشر جمادى الآخرة ورد الخبرُ بأن ابن السلطان حاصر قلعة نكدة سبعة وعشرين يوما إلى أن أخذها عنوة فى رابع عشر جمادى الأولى ، وقبض على من كان فيها وقيّدهم ، وهم مائة وثلاثة عشر رجلا .

ثم توجه فى سادس عشر جمادى الأولى إلى مدينة لارَنْدَة [٤] .

ثم فى سابع عشرين جمادى الأولى ركب السلطانُ من القلعة وأراد النزول بدار ابن

---

(١) مصيصة : مدينة على شاطىء نهر جيحان ، وهى بغرب طرسوس ، وبينها وبين أدنة تسعة أميال (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٥٥٧) .

(٢) أدنة : مدينة ببلاد الأرمن ، وهى من بناء الرشيد ، بينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا (القلقشندى — صبح الأعشى (٤ : ١٣٤) .

(٣) نكدة : ويقال نكيدة : وتقع على الحدود الجنوبية شرقى قونية ، وفى جنوب ملنقوبية ، وقد قامت فى موضع طوانة القديمة ، بناها السلطان علاء الدين السلجوقى ، ويشقها النهر الأسود (استرنج — بلدان الخلافة الشرقية ١٧٥ ، ١٨٣ ط. بغداد) .

(٤) لا رندة : فى آسيا الصغرى (بلاد الروم) وهى مركز قضاء قونية ، وتقع شمال شرقها (صبح الأعشى ٥ : ٣٥٤) .

البَارِزِىّ على النيل ببولاق فلم يُطِق ركوبَ الفرس وحركته ؛ لما به من ألم رجله ، فركب فى محفَّة إلى البحر ، وحُمل منها إلى الدَّار المذكورة وصارت الطبلخاناة تدقّ هناك ، وتُمدّ الأسمطة وتعملُ الخدمة على ما جرت به العادة بقلعة الجبل ، ونزَل الأمراء فى الدُّور التى حَوْلَ بيت [ابن][1] البَارِزِىّ وغيرها ، واستمرّ السلطانُ فى بُولَاق إلى أن استهلّ شهرُ رَجب الفرد فى بيت ابن البَارِزِىّ وهو يَتَنَقَّلُ منه — وهو محمول على الأعناق — تارةً إلى الحَمَّام التى بالحِكْرِ وتارة يوضع فى الحرَّاقة وتسيرُ به على ظهر النيل ، فيسير فيها إلى رِبَاط الآثار[2] .

ثم يُحمل من الحرَّاقة إلى [رباط][3] الآثار المذكور ، ثم يعود إلى بيت ابن البَارِزِىّ ، وتارة يسيرُ فيها إلى القصر ببرِّ الجيزة بحِرىّ مُنْبَابة ، وتارة يُقيمُ بالحرَّاقة وهو بوسط النيل نهارَه كلَّه .

وقَدِمَ عليه الخبرُ فى ثانى عشر شهر رجب المذكور أن ابن السلطان لما تسلَّم نِكْدَة استناب بها على بَك بن قرمَان .

ثم توجّه بالعساكر إلى مدينة أرْكَلى[4] فوصلها ثم رحل منها إلى مدينة لَارَنْدَة فقدمها فى ثانى عشرين جمادى الآخرة ، وبعث بالأمير يَشْبُك اليوسُفِى نائب حَلَب فأوقع بطائفة من التُّرْكُمَان ، وأخذ أغنامهم وجمالهم وخيولهم وموجودهم ، وعاد فبعث الأميرَ طَطَر والأمير سُودُون القاضى نائب طَرَابُلُس ، والأمير شاهين الزَّرَدْكَاش نائب حماة ، والأمير مُرَادَ خَجَا نائب صَفَد ، والأمير إينَال الأرغزى ، والأمير جُلُبَّان رأس نوبة

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٠١) .
(٢) رباط الآثار : وكان بالقرب من بركة الحبش ، ويطل على النيل ويجاور بستان المعشوق ، عمره الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين ، وتم بعد وفاته على يد ابنه ، وسمى بذلك لوجود قطعة خشب وحديد يقال إنها من آثار النبى صلى الله عليه وسلم ، اشتريت من بنى إبراهيم بالينبع (المقريزى الخطط ٢ : ٤٢٨) .
(٣) إضافة على الأصل .
(٤) أركلى : هى هرقلة وهى مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفر بن سام بن نوح عليه السلام ، فتحها الرشيد (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٤٥٣) .

سيدى [المقام الصارمى إبراهيم][1] وجماعته من التُّرْكُمان ، فكَبَسُوا على محمد بن قَرَمان[2] بجبال لارَنْدَة فى ليلة الجمعة سادس جمادى الآخرة ، ففَرَّ محمد بن قَرَمان منهم فأُخذ جميع ما كان فى وطاقه[3] من خيل وجمال وأغنام وأثقال وقماش وأوانى فضة وبلّور ، وعاد الأمراء بتلك الغنائم ، فاقتضى عند ذلك رأىُ ابن السلطان ومن معه الرجوع إلى حَلَب[4] ، فعادوا فى تاسع شهر رجب ، فجهَّزَ السلطانُ إلى ولده بحَلَب ستة آلاف دينار ليفرقها على الأمراء ، ورسَم له بأن يُقِيمَ بحلَب لِعمَارةِ سُورِها ، وسار البريد بذلك .

ثم ركب السلطانُ فى رابع عشر شهر رجب من بيت ابن البَارِزِىّ ببُولاَق بالحرّاقة إلى بيت التاجر نور الدين الخروبى ببرِّ الجيزة تجاه المقياس ، وكان فى مُدَّةِ إقامته فى بيت ابن البَارِزِىّ قد أحضر الحَرَارِيق من ساحل مصر[5] إلى ساحل بُولَاق[6] وزُيِّنَت بأفخر زينة وأحسنها ، وصار السلطان يركب فى الحرّاقة الذّهبيّة وبقية الحَرَارِيق سائرة معه مقلعة ومنحدرة ، وتلعب بين يديه ، كما كانت العادة فى تلك الأيام عند وفاء النيل ، ودَوَرَان المحمل فى نصف شهر رجب .

ولما كان أيّام دَوَرَان المحمل على العادة فى كل سنة رَسَمَ السلطانُ إلى معلِّم الرَّمّاحَةِ[7] أن يسوقوا المحملَ بساحل بُولَاق ، وكان ساحل بُولَاق يوم ذاك بَرًّا وَسِيعًا ينظرُ الجالسُ فى بيت ابن البَارِزِىّ مَدَدَ عَيْنِهِ من جهة فَمِ الخُور ،[8]

(١) إضافة على الأصل .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «بعث السرية لكبس على ابن قرمان» .

(٣) الوطاق : الخيمة الكبيرة أو جملة الخيام التى تعد للعظماء أو لقائد الجيش أو السلطان . هامش (ج ١٢ : ٣١٩ من هذا الكتاب) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «عود ابن السلطان إلى حلب» .

(٥) ساحل مصر : وكان يشمل المنطقة بين بركة الحبش إلى فم الخليج .

(٦) ساحل بولاق ، وكان يطلق على ما هو بحرى فم خليج الخور إلى جزيرة الفيل ومنية السيرج .

(٧) ورد فى هامش اللوحة «سوق رماحة المحمل ببولاق» .

(٨) فم الخور : هو خليج يخرج من النيل ويصب فى الخليج الناصرى ، وكان أصله ترعة تسقى المقس (ميدان باب الحديد) ثم وسع ، وأطلق عليه خط فم الخور . ويقع بين بولاق ، ومنشاة المهرانى ، وكان عامرا بالمبانى ثم خرب سنة ٨٠٦ هـ وصار مليئا بالكيمان (المقريزى — الخطط ٢ : ١٣٠ ، ١٤٣) .

فتوجّه المُعلِّمُ بالرّمّاحة هناك فى يوم المحمل ، وساقوا بين يَدَيْه كما يَسُوقُون فى بِرْكَة الحَبَش[١] أيّام أزمانهم وبالرّمَيْلة[٢] فى يوم المحمل ، وتفرّجت الناسُ على المحمل فى بُولاق ، ولم يقع مثلُ ذلك فى سالف الأعْصَار ، فصار الشخصُ يَجْلِسُ بطاقته فيتفرّجُ على المحمل وعلى البحر معاً ، فلمّا كان قريب الوفاء ركب فى الحَرّاقة الذهبيّة والحَرَاريق بين يَدَيْه بعد أن أقاموا بالزِّينة أيّاماً والناس تتفرّجُ عليهم ، وسار حتى نزل بالخَرُّوبيّة فأرست الحَرَاريق المزينّة على ساحل مصر بدار النُّحاس[٣] ، كما هى عادتها فى السنين الماضية إلى أن كان يوم الوفاء وهو يوم سادس عشر رَجَب رَكِبَ السلطانُ من الخَرُّوبيّة فى الحرّاقة ، وسار إلى المقياس ومعه الأمراء وأرباب الدّوْلة حتى خلّقَ المقياس على العادة .

ثم سار فى خليج السّدّ حتى فتحه ، وركب فرَسَه فى عساكره وعاد إلى القلعة ، فكانت غَيْبَتُه عن القلعة فى نزهته ثلاثين يوماً بعد ما انقضى للناس بساحل بولاق فى تلك الأيّام من الاجتماعات والفرج أوقاتٌ طيّبة إلى الغاية لم يُسمع بمثلها ، ولم يكن فيها — بحمد الله — شىء مما يُنْكَرُ كالخمور وغيرها ، وذلك لإعراض السلطان عنها من منذ لازمه وجع رجله .

ثم قَدِمَ الخبرُ على السُّلطان بوصول ولده المقام الصارمى بعساكره إلى حَلَب فى ثالث شهر رجب ، وأن الأمير تَنِبَك العلائى ميق نائب الشام واقعَ مصطفى وأباه محمد ابن قَرَمَان وإبراهيم بن رمضان على أَدَنَة فانهزموا منه أقبح هزيمة .

ثم فى عشرين شعبان تَزَايَدَ ألمُ السلطان ولم يُحْمَل إلى القصر السلطانى ، ولزم

---

(١) بركة الحبش : ومكانها حاليا بعض زمام دار السلام والبساتين ، وانظر هامش (ج ٦ : ٣٨١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) الرميلة : فى الأصل الرملة ، وقد درجت نسخة أيا صوفيا على رسمها الرميلة والرملة ، وسيصير رسمها كما جاء فى ط . كاليفورنيا « الرميلة » ووفقا لما مر فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب دون الإشارة إلى ذلك فى الهامش .

(٣) دار النحاس : هى دير النحاس بخط مصر القديمة تجاه جزيرة الروضة ، هامش (ج ٤ : ١٩٩ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

الفراش ، واشتد به المرض ، وخَلَعَ على التاج ابن سيفه باستقراره أمير حاج المحمل ، ثم نَصَلَ السلطانُ من مرضه قليلا فركب فى يوم سابع عشرين شعبان من القلعة ونزل للفرجة على سِبَاق الخَيْل ، فسار بعساكره سَحَرًا ووقف بهم تحت قُبَّةِ النَّصر[1] وقد أَعَدَّ للسباق أربعين فَرَسًا فأطلق أعنتها من بركة الحاج فأُجْرِيَت منها حتى أتته ضُحى النهار ، فحصل له برؤيتها النَّشَاط ، ورجع من موقفه إلى تُرْبَة الملك الظَّاهر بَرْقُوق ، ووقف قريبًا منها دون الساعة ، ثم بعثَ المماليك والجنائب والشطفة[2] إلى القلعة وتوجّه إلى خليج الزَّعْفَرَان[3] ، فنزل بخاصته وأقام به إلى آخر النهار ، ورَكِبَ إلى القلعة .

ثم فى سلخ شعبان ركب السلطانُ أيضا من قلعة الجبل إلى بركة الحَبَش وسابق بالهجن ، ثم عاد إلى القلعة .

ثم فى يوم الخميس أوّل شهر رمضان قَدِمَ الخبرُ أن ابنَ السلطان رَحَل من حَلَب فى رابع عشرين[4] شعبان ، وأنّ محمد بن قَرَمَان وولدَه مصطفى وإبراهيم بن رمضان وصَلوا إلى قَيْسَارِيَّة فى سادس عشرين[5] شعبان وحصروا بها الأمير ناصر الدين محمد ابن دُلْغَادِر نائبها فقاتلهم حتى كسرهم[6] ونهب ما كان معهم ، وقتل مصطفى وحُمِلَت رأسُه ، وقبض على أبيه محمد بن قَرَمَان — فسجن بها ، ثم قَدِمَ رأسُ مصطفى ابن محمد بن على بَك بن قَرَمَان إلى القاهرة فى يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان ، فطيف به بشوارع القاهرة على رُمْح ثم عُلِّقَ على باب النَّصْر أحد أبواب القاهرة ، وقدم

(١) قبة النصر : كانت زاوية يسكنها الفقراء العجم فى الصحراء تحت الجبل الأحمر ، جددها الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت تقع شرقى خانقاه الناصر برقوق ، وانظر هامش (ج ٧ : ٤١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) الشطفة : كذا بالأصل ، ولم أعثر عن تعريف بهذا المصطلح ولعله يعنى سياس الخيل أخذا من تحريف العامة لمادتها اللغوية . (شَفَ) .

(٣) خليج الزعفران : وكان يقع بأطراف الريدانية (العباسية حاليا) هامش (و. پوپر ج ٦ : ٤٥٥ ط . كاليفورنيا) .

(٤، ٥) فى (ط كاليفورنيا ٦ : ٤٠٤) «عشر» .

(٦) ورد فى هامش اللوحة «كائنة كسرا بن قرمان والقبض عليه» .

الخبرُ أيضا بمسير ابن السلطان من حَلب وقدومه إلى دِمَشْق فى خامس شهر رمضان ، فأرسلَ السلطانُ الإقامات إلى ولده إلى أن كان يوم سابع عشرين شهر رمضان المذكور من سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فركب السلطانُ من قلعة الجَبَل ونزل إلى لقاء ولده المقام الصَّارِمى[1] إبراهيم وقد وصل إلى قَطْيَا ، فسار السلطانُ إلى بِرْكة الحاج ، واصطاد بها ، ثم ركب ومضى إلى جهة بُلْبَيْس فقدم عليه الخبرُ بنزول ابن السلطان الصالحيّة — فتقدّم الأمراء عند ذلك وأربابُ الدَّولة حتى وافوه بمنزلة الخطّارة[2] ، فلما عاينته الأمراء ترجَّلُوا عن خيولهم وسلَّمُوا عليه واحِدًا بعد واحد حتى قَدِمَ عليه القاضى ناصر الدين بن البَارِزِىّ كاتب السِّرّ نزل له المقام الصَّارِمِىّ عن فرسه ولم ينزل لأحد قبله ؛ لِمَا يعلمُه من تمكُّنِه وخصوصيته عند أبيه الملك المؤيّد ، وركب الجميعُ فى خدمته وعادوا بين يديه إلى العِكْرِشَة[3] والسلطان واقف بها على فرسه ، فنزل الأمراء المسافرون وقبَّلُوا الأرضَ بين يدى السلطان ، ثم قبّلوا يده واحداً بعد واحد إلى أن انتهى سلامُهم نزل المقام الصارمى عن فرسه وقبَّلَ الأرض ، ثم قام ومشى حتى قَبَّل الرِّكَاب السُّلطانى ، فبكى السلطان من فرحه بسلامة ولده ، وبكى الناسُ لبكائه ، فكانت ساعة عظيمة .

ثم سارا بموكبيهما الشامى والمصرى إلى سِرْيَاقُوس وباتا بها ليلة الخميس تاسع عشرين شهر رمضان المذكور ، وتقدَّمت الأثقالُ والأطلابُ ودخلوا القاهرة ، وركب السلطانُ آخر الليل ورمى الطَّيْرَ بالبِرْكة ، فقَدِمَ عليه الخبرُ بكرة يوم الخميس بوصول الأمير تَنبَك ميق نائب الشام ، وكان قد طُلِب ، فوافى ضُحًى ، وركب فى الموكب السلطانى ، ودخل السلطان من باب النصر فشقّ القاهرة — وقد زينت لقدوم ولده — والأمراء عليهما

(١) ورد فى هامش اللوحة «سير السلطان إلى لقاء ولده» .

(٢) الخطارة : من القرى المصرية التى أنشأها العرب بمصر ، وذكرها القلقشندى فى صبح الأعشى ١٤ : ٣٧٧ — ضمن مراكز البريد بين السعيدية والصالحية من بلاد محافظة الشرقية ، وانظر (الحاشية ٥ ص ٢٥١ ج ٨ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

(٣) العكرشة : بلدة تتبع شبين القناطر حاليا ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٣١٨ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

التشاريف ، وعلى المقام الصارمى أيضًا تشريفٌ عظيم إلى الغاية وخلفه الأمراء الذين أخِذُوا من قلعة نِـكْدَة وغيرها فى الأَغلال والقيُود ، وهم نحو المـائتين كلهم مشاة إلا أربعة فإنهم على خيول ، منهم نائب نِـكْدَة وثلاثة من أمراء ابن قَرَمان ، وكلهم فى الحديد ، فسار الموكبُ إلى أن وصل السلطانُ وولدُه إلى القلعة[1] ، فكان يومًا مشهوداً إلى الغاية لم ينله أحدٌ من ملوك مصر ، فلهجت الناسُ بأن الملك المؤيّد قد تمّ سَعْدُه ، كل ذلك والسلطانُ لايستطيع المشىَ من ألم رجله .

وأصبح يومُ السبت أوّل شوال صلّى صلاة العيد بالقصر لعجزه عن المُضىّ إلى الجامع؛ لشدة ألم رجله وامتناعه من النهوض على قدميه .

ثم فى ثالث شوال خلع على الأمير جَقْمَق الأَرْغُون شاوِىّ الدّوَادَار الـكبير باستقراره فى نيابة الشام عوضًا عن تَنبَك العلائى ميق [بحكم عزله][2] ، وخلع على الأمير مُقْبِل الُحسامىّ الدّوَادار الثانى باستقراره دَوَادارًا كبيراً على إمْرَة طَبْلَخاناه[3] ، وأنعم السلطانُ بإقطاع جَقْمَق الدّوَادار على الأمير تَنبَك ميق .

ثم فى رابع شوال المذكور خَلَع السلطانُ أيضا على الأمير قُطْلُوبُغَا التَّنَمِىّ أحـد مقدّمى الأُلوف بالديار المصرية واستقرّ فى نيابة صَفَد عوضا عن الأمير قَرَامُرَادْ خَجَا ، ورَسمَ بتوجُّه قَرَامُرَاد خجا إلى القُدْس بطَّالا ، وأنعم بإقطاع قُطْلُوبُغَا التَّنَمِىّ على الأمير جُلُبَّان الأمير آخور الثانى ، وأنعم بإقطاع جُلُبّان ووظيفته على الأمير آقْبُغَا التِّمرازىّ ، فتَجَهّز جَقْمَق بسرعة وخرج فى يوم سابع عشره من القاهرة متوجِّهًا إلى محلّ كفالته بدِمَشْق .

ثم فى يوم الجمعة حادى عشرينه نزل السلطانُ إلى جامعه بالقُرْب من باب زُوَيْلَة وقد هُيِّئت به المطاعمُ والمشارب فَمُدّ بين يديه سِماطٌ عظيم فأكلَ السلطانُ منه والأمراء

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار جقمق فى نيابة الشام عوضا عن تنبك ميق» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٠٦) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «استقرار مقبل دوادارا كبيرا على إمرة طبلخاناه» .

والقضاةُ والعسكرُ ، ومُلِئت الفَسْقِيَّة التى بصحن الجامع سكَّراً مُذاباً ، فشرب الناسُ منه ، ثم أحضرت الحلاوات ؛ كل ذلك لفراغ الجامع المذكور ولإجْلَاس قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الدِّيرى الحنفى فى مشيخة الصُّوفيّة وتدريس الحنفية ، وفُرِشَت السّجادة لابن الدِّيرى فى المحراب ، وقرّر خطابة الجامع المذكور للقاضى ناصر الدين محمد بن البَارِزِىّ كاتب السرّ ، ثم عرض السلطانُ الفقهاءَ وقرَّرَ منهم من آختاره فى الوظائف والتصوُّف ، ثم استدعى قاضى القضاة شمس الدين بن الديرى وألبسه خلعةً باستقراره فى المشيخة ، وجلس بالمحراب والسُّلطان وولَدُه الصّارمى إبراهيم عن يساره ، والقضاة عن يمينه ، ويليهم مشايخ العلم وأمراء الدولة ، فألقى ابنُ الديرى دَرْسًا عظيما وقع فيه أبحاثٌ ومناظرات [بين الفقهاء][1] والملكُ المؤيدُ يُصْغى لهم ويعجبُه الصواب من قولهم ، ويسأل عما لا يفهمه حتى يفهمه .

قلت : هذا هو المطلوب من الملوك ، الفهم والذَّوْق لينال كلُّ ذى رتبة رتبتَه ، وينصف أرباب الكمالات — بين يديه — من كل فن ، فوا أسفاه على ذلك الزمان وأهله .

واستمرّ البحث بين الفقهاء إلى أن قَرُبَ وقتُ الصلاة ثم انفضُّوا ، واستمر السلطان جالسًا بمكانه إلى أن حَان وقت الصلاة ، وتهيأ السلطانُ وكلُّ أحد للصلاة ، فخرج القاضى ناصرُ الدين بنُ البَارِزِىّ من بيت الخطابة وصعدَ المنبر وخطب خطبةً بليغةً فصيحةً من إنشائه ، ثم نزل وصلَّى بالناس صلاة الجمعة ، فلما انقضت الصلاةُ خلع السلطانُ عليه باستقراره فى خطابة الجامع المذكور ووظيفة خازن الكُتُب .

ثم ركب السلطانُ من الجامع المذكور وعدَّى النيلَ إلى برِّ الجيزة فأقام به إلى يوم الأحد ثالث عشرينه ، وعاد إلى القلعة ، ثم ركب من القلعة فى يوم الأحد أول ذى القعدة للصيد وعاد من يومه .

وفى يوم ثالثه سار الأميرُ الكبيرُ أَلْطُنْبغا القَرْمَشِى والأمير طُوغان الأمير آخور الكبير للحج عَلَى الرَّواحل من غير ثقل .

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٠٧) .

ثم فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة خلع السلطان عَلَى القاضى زين الدين عبدالرحمن ابن على بن عبد الرحمن التَّفَهْنِى الحنفى باستقراره قاضى قضاة الحنفيّة عوضًا عن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الديرى المستقرّ فى مشيخة الجامع المؤيدى برغبة ابن الديرى؛ فإنه كان من حادى عشرين شوال قد آنجمَع عن الحُكم بين الناس ونُوّابه تقضى .

٥ وفيه أيضًا عدى السلطانُ النيلَ يريد سَرْحَة البحيرة ، وجعل نائب الغيبة الأمير إينال الأرغزى ، وسار السلطان حتى وصلَ مَرْيوط وعاد فأدركه عيدُ الأضحى بمنزلة الطُرّانة ، فصلى بها العيد ، وخطب كاتب سرّه القاضى ناصر الدين بن البَارِزِى .

قلت : هكذا يكون كُتَّاب سرّ الملوك أصحاب عِلْم[1] وفَضْلٍ ونَظْم ونَثْرٍ وخطَبٍ وإنشاء ، لا مثل جمال الدين الكَرَكِى وشهاب الدين بن السفَّاح .

١٠ ثم ارتحل السلطان من الغد وسارَ حتى نزل عَلَى برّ مُنْبابَة بكرة يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة ، وعدّى النيلَ من الغد ونزل ببيت كاتب السرّ ابن البَارِزِىّ ، وبات به ، ودخل الحمام التى أنشأها كاتبُ السرّ بجانب داره ، ثم عاد السلطانُ فى يوم الاثنين رابع عشر ذى الحجة إلى القلعة ، وخلع عَلَى الأمراء والمباشرين على العادة ، ثم نزل السلطان فى يوم الجمعة ثامن عشره إلى الجامع المؤيدى ، وصلى به الجمعة ، وخطب به
١٥ كاتب السرّ ابنُ البَارِزى ، ثم حضر من الغد الأمير محمد بك بن على بك بن قَرَمان صاحب قَيْسارِيّة وقُونية ونِكْدَة ولارَنْدَة وغيرها من البلاد وهو مُقَيد مُحْتَفَظٌ به ، فأُنْزِلَ فى دار الأمير مُقْبِل الدَّوادار ووُكّل به إلى مَا سيأتى ذكره[2] .

ثم فى يوم الجمعة ثالث المحرم وصل الأميرُ الكبيرُ أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى والأميرُ طُوغان أمير آخور من الحجاز ، فكانت غيبتهما عن مصر تسعه وخمسين يومًا ، وفيه
٢٠ آستقرّ الأميرُ شاهين الزَّرَدْكَاش نائب حماة فى نيابة طَرَابُلُس عوضًا عن سُودُون القاضى ، واستقرّ فى نيابة حماة عوضًا عن شاهين المذكور الأمير إينَال الأرغزى

---

(١) فى الأصل «وغيرهم» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «حضور محمد بك بن قرمان فى الحديد إلى الأبواب الشريفة » .

النَّوْرُوزى نائب غزّة، واستقر عوضه فى نيابة غَزَّة الأميرُ أَرْكَماس الجُلُبَّانى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، ثم أفرج السلطان عن الأمير نُكْبَاى حاجب دِمَشق من سجنه بقلعة دِمَشق واستقر فى نيابة طَرَسُوس، وأحضر نائبها الأمير تَنبَك أميراً إلى حَلَب، واستقر الأميرُ خليل الدُّشَارى أحد أمراء الألوف بدمَشق فى حجوبية الحجاب بدمَشق وكانت شاغرةً منذ أُمْسِك نُكْبَاى، واستقر الأمير سُنْقُر نائبَ قلعةِ دمشق، واستقر الأمير آقبُغا الأَسَنْدَمُرِى الذى كان وَلِىَ نيابة سِيس ثم حِمْص حاجباً بحماة عوضاً عن الأمير سُودُون السَّيْفى عَلاَّن بحُكم عَزْلِه واعتقاله، وكان بطالا بالقُدْس.

ثم فى سادس عشر المحرم نُقِلَ الشيخ عز الدين عبد العزيز البَغْدَادى من تدريس الحنابلة بالجامع المؤيدى إلى قضاء الحنابلة بدمَشْق، واستقر عوضه فى التدريس بالجامع المذكور العلامة محب الدين أحمد بن نصر الله البَغْدَادى.

ثم فى يوم الاثنين خامس صفر ركب السلطانُ من القلعة وعدّى النيل ونزل بناحية وَسِيم على العادة فى كل سنة، وأقام بها إلى عشرين صفر، فركب وعاد من وَسِيم إلى أن عدى النيلَ ونزل ببيت كاتب السر وبات به، وعُمِلَ الوَقِيدُ فى ثانى عشرينه، ثم ركب من الغَدِ إلى القلعة.

ثم فى سادس عشرينه نزلَ السلطانُ من القلعة إلى بيت الأمير أبى بكر الأُستَادار وعادَه فى مرضه، فقدَّم له أبو بكر تقدمةً هائلة، واستمرّ أبو بكر مريضاً إلى أن مات وتولّى الأُسْتَادَارية بعده الأميرُ يَشْبُك المؤيدى المعروف بأَنَالِى — أى له أمّ — فى يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأوّل.

ثم فى هذا الشهر تحرّك عزمُ السلطان على السّفر إلى بلاد الشّرق لقتال قَرَا يُوسف، وأخذ فى الأهبة لذلك وأَمَرَ الأمراء بعمل مصالح السّفر، فشرعوا فى ذلك، هذا وهو لا يستطيع الرُّكُوب ولا النُّهُوض من شدّة مابه من الألم الذى تمادى برِجْله وكَتِفه، ولا ينتقلُ من مكان إلى آخر إلا على أعناق المماليك، وهو مع ذلك له حُرْمة ومَهَابة فى

القلوب لا يستطيع أخِصّاؤه النظر إلى وجهه إلا بعد أن يتلطّف بهم ويبَاسِطهم حتى يَسْكُن رَوْعهم منه .

ثم فى أوّل شهر ربيع الآخر وقعَ الشروع فى بناء مَنْظَرَةِ الخمس وجوه[1] بجوار التّاج[2] الخَرَاب خارج القاهرة بالقرب من كوم الرِّيش[3] ليُنشئ السلطانُ حَوْله بُسْتَاناً جَليلًا ودُوراً ، ويجعل ذلك عوضاً عن قُصُور سِرْياقُوس ، ويسرح إليها كما كانت الملوك تسرح إلى سرياقوس منذ أنشأها الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون .

ثم فى ثالث عشر شهر ربيع الآخر المذكور ابتدأ بالسّلطان ألمٌ تجدّد عليه من حَبْسَة الإراقة[4] ، مع ما يعتريه من ألم رجله ، واشتدّ به وتزَايَدَ ألمُ رجله .

فلما كان يوم الأربعاء رابع عشرين الشّهْر المذكور نادى السلطانُ بإبطال مُكْس الفاكهة البلدية والجاوية ، وهو فى كل سنةٍ نحو ستة آلاف دينار سوَى ما يأخذه الكتبة والأعوان ، فبطل ونُقِشَ ذلك على باب الجامع المؤيدى .

ثم فى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى ابتدأ بالمقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان الملك المؤيد مرضُ موته ، ولَزِم الفراش بالقلعة إلى يوم الثلاثاء رابع عشرِه ركبَ من القلعة فى مَحَفَّةٍ لعجزه عن ركوب الفَرَس ونزَل إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ابن خليل ناظر الخزانة ببولاق ، وأقام به ، ثم ركب من الغَدِ فى النِّيل وعدّى إلى الخرُّوبيّة ببرِّ الجيزة ، وأقام بها وقد تزايد مرضُه .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «بناء منظرة الخمس وجوه» وهذه المنظرة أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها فرش معد ، وينزل إليها الخلفاء للتنزه ، وكان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم ، والعامة تقول التاج والسبع وجوه ، ومكانها حاليا أرض مهمشة ، وانظر (الحاشية ٣ ص ١١٤ ج ١٠ من هذا الكتاب) .

(٢) التاج : منظرة التاج كانت قصرا من قصور الخلفاء ، وكان بحرى القاهرة وبحرى الخليج ، بناه الأفضل بن أمير الجيوش ، ومحله بعض نواحى منية السيرج ، وانظر (على مبارك — الخطط ٢ : ٤).

(٣) كوم الريش : بلدة فيما بين أرض البعل ومنية السيرج ، كانت على النيل يمر بها من غربيها بعد مروره بغربى أرض البعل ، وكان من أجل متنزهات القاهرة ، وفى سنة ٨٠٦ ﻫ دثرت عمارته وصارت بلاقع (على مبارك — الخطط ١٥ : ١٣) .

(٤) حبس الإراقة : يراد بالإراقة البول ، وحبسه أصابته باحتباس البول .

وأما السلطان فإنه رَكِب من القلعة فى يوم ثانى عشر جمادى الأولى المذكور وتوجّه إلى منظرة الخمس وجوه وشاهدَ ماعُمِل هناك ، ورتب ما اقتضاهُ نظرُهُ من ترتيب البناء ، وعاد إلى بيت صلاح الدين خليل بن الكُوَيْز ناظرِ الدِّيوان المُفْرَد المُطِلّ على بِرْكة الرَّطْلى ، فأقام فيه نهاره وعادَ من آخره إلى القلعة .

ثم فى يوم السبت خامس عشرينه خَلَعَ السلطانُ على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البُساطِىّ المالكى شيخ الخانقاه الناصرية فرج باستقرارِه قاضىَ قُضَاة المالكية بعد وفاة القاضى جمال الدين عبد الله بن مِقْدَاد الأقْفَهْسى .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه نزَلَ السلطانُ من القلعة وتوجّه إلى الميدان الكبير الناصرى بمُرَدَة الجبش ، وكان قد خَرِبَ وأُهْمِل أمرُه منذ أبطل الملكُ الظاهرُ بَرْقُوق الرّكُوبَ إليه ، ولَعِب الكُرَة فيه ، وتشعثت قصورُه وجُدْرانه ، وصار مَنْزِلا لِرَكْب الحاج من المغاربة ، فرسم السلطانُ فى أوّل هذا الشهر للصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله بعمارته ، فلما انتهى نزلَ السلطانُ إليه فى هذا اليوم وشاهَدَ ماعمِّر به فأعجبه ، ومضى منه إلى بيت ابن البَارِزِىّ ببُولاق وقد تحوّل المقامُ الصارمى إبراهيم من الخرُّوبية[1] إلى قاعة الحِجَازية[2] فزَارَه السلطانُ غيرَ مرّة بالحِجَازية ، وأنزل بالحريم السلطانىّ إلى بيت ابن البارزِىّ فأقاموا عنده .

فلما كان يوم الجمعة أوّل جمادى الآخرة صَلَّى السلطانُ صلاة الجمعة بالجامع الذى جَدَّده ابنُ البارِزى تجاه بيته ، وكان هذا الجامع يعرف قديمًا بجامع

(١) ورد فى هامش اللوحة «تحول المقام الصارمى من الخروبية» .

(٢) الحجازية : كانت قاعة تقابلها قاعة أخرى تسمى البراجية وهما على الشاطىء الشرقى للنيل تجاه بولاق .

الأُسْيُوطى[1] ، وخَطَب به وصلى قاضى القضاة جَلَالُ الدين البُلْقِينىّ .

ثم ركب السلطانُ من الغد فى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة إلى الميـدان المقدم ذكرُه وعمل به الخدمةَ السلطانيـة ، ثم توجه إلى القلعة وأقام بها إلى يوم الأربعاء سادسه فركب منها ونَزَل إلى بَيْتِ ابن البارِزِى وأقام به أياماً ، ثم عاد إلى القلعة .

٥ ثم فى يوم الأربعاء ثالث عشره حُمِلَ المقامُ الصارمى إبراهيم من الحِجَازية إلى القلعة على الأكتاف لعجزه عن ركوب المحفّة ، فمات ليـلة الجمعة خامس عشره[2] فارتجّت القاهرةُ لموته ، وجُهِّزَ من الغدِ وصُلِّى عليه ودُفِن بالجامع المؤيّدى ، وشهد السلطانُ الصلاةَ عليه ودفنه ، مع عدم نهضتِهِ للقيام من شِدّة مرضه وللوجْد الذى حَصَل له عَلَى ولَدِهِ ، وأقام السلطانُ بالجامع المؤيّدى إلى أن صلى به الجمعة ، وخطبَ القاضى

١٠ (١) جامع الأسيوطى : أنشأه القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم عمر الأسيوطى ناظر بيت المال المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وقال المقريزى فى الخطط (٢ : ٣١٥) « إنه بطرف جزيرة الفيل مما يلى ناحية بولاق ، وكان موقعه فى القديم غامرا بماء النيل ثم انحسر الماء عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق» وهذا المسجد هو الذى جدده ابن البارزى ، ويعرف حاليا بجامع الأخرس نسبه إلى الشيخ محمد الأخرس المدفون فيه بشارع السبتية الجوانى (الحاشية ٥ ص ٢٤٢ ج ١٠ من هذا الكتاب) .

١٥ (٢) ورد فى هامش اللوحة «وفاة المقام الصارمى بن السلطان» هذا ، وقد قال البدر العينى فى تاريخه (عقد الجمان ٦٨ : ٤٩٨ ، ٤٩٩) : وفى هذه الأيام بلغ كاتب السر ابن البارزى أن سيدى إبراهيم ابن السلطان يتوعده بالقتل ، وأنه إذا ظفر به لا يشرب عليه الماء ، فشرع كاتب السر عند السلطان بالحط عليه بالطريقة ، ويذكر عنده أشياء موهمة توهم منها السلطان ،فمن ذلك قال له : إنه يتمنى موتك ، ويعد الأمراء بمواعيد ،وأنه يعشق بعض حظاياك ، فلأجل ذلك يتمنى موتك ، ورتب له على ذلك أمارات وعلامات .

٢٠ إلى أن بغض السلطان ولده ، وأحب الراحة منه ، ورتبوا له أمورا ، وحسنوا له أن يقتله بالسم أو بغيره ، إن لم يمت من مرضه ، فإنه كان ضعيفا ، وأذن لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سببا لقتله من غير إسراع ، ودسوا عليه من سقاه من الماء الذى يطفى فيه الحديد (الزرنيخ) فلما شربه أحس بالمغص فى جوفه . فعالجه الأطباء مدة ، وندم السلطان على ما فرط منه ، وأمرهم بالمبالغة فى علاجه فلازموه نصف شهر إلى أن انفصل من مرضه قليلا ، فركب فى نصف الشهر إلى بيت زين الدين عبد الباسط بشاطىء النيل ، ثم ركب

٢٥ إلى الخروبية بالجيزة ، فأقام (٤٩٩) بها ، وكاد أن يتعافى فدسوا عليه من سقاه ثانيا بدون علم أبيه ، فانتكس ، واستمر إلى آخر الشهر ، فتحول إلى الحجازية ، ثم حمل فى الثالث من جمادى الآخرة إلى القلعة فمات ليلة الجمعة الخامس عشر منه ، فاشتد جزع السلطان عليه إلا أنه تجلد ، وأسف الناس كافة على فقده ، وكثر الترحم عليه ، وشاع بينهم أن أباه سمه» .

ناصر الدين بن البارزى عَلَى العادة ، وخطب خطبةً بليغةً من إنشائه ، وسبكَ في الخطبة الحديثَ الذى ذكَرَه النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — عند موت ولده إبراهيم « إنَّ العَيْنَ لَتَدْمَعُ وإنَّ القَلْبَ لَيَخْشَعُ وإنَّا لمَحْزُونونَ عَلَى فِرَاقِكَ يا إبْرَاهيم .. الخ » فلما ذكر ذلك ابنُ البارزى على المِنْبَر بَكى السلطانُ وبَكى الناسُ لبكائه فكانت ساعة عظيمة ، ثم رَكِبَ السلطانُ بعد الصلاة من الجامع المؤيّدى وعاد إلى القلعة ، وأقام ٥ القرّاء يقرءون القرآن على قبره سبعَ ليالٍ .

وفي هذه الأيام توقَّفَ النيلُ عن الزِّيادة ، وغَلَا سِعْرُ الغلال ، ونودى بالقاهرة بالصِّيَام ثلاثة أيام ، ثم بالخروج إلى الصحراء للاُسْتِسْقاء[١] ، فَصامَ أكثرُ الناس وصام السلطانُ ، فَنُودِى بزيادة إصْبَع مِمَّا نقصه ، ثم نُودِىَ في يوم الأحد رابع عشرينه بالخروج من الغد للصحراء خارج القاهرة ، فلما كان الغَدُ يوم الاثنين خرج شيخُ الإسلام قاضى ١٠ القضاة جلالُ الدين البُلْقِينى وسار حتى جَلَس في فم الوادى قَريباً من قُبَّة النَّصْر — وقد نصب هناك منبرٌ — فَقَرأَ سورةَ الأنعام ، وأقبَل الناس أفواجاً من كل جهة حتى كثر الجمعُ ومضى من شروق الشمس نحو الساعتين أقبلَ السلطانُ بمفرده على فَرَسٍ وقد تزيّا بزىّ أهلِ التَّصَوُّف ، واعتمّ على رأسه بمِـئْزَرٍ صوفٍ لطيف ، ولَبِسَ على بَدنِه ثوبَ صوفٍ أبيض ، وعلى عنقه مِئْزَر صوف [بعذبة][٢] مرخاة على بعض ظهره ، ولَيْسَ ١٥ في سَرْجِه ولا شيء من قماش فَرَسِه ذهبٌ ولا حَرِيرٌ ، فأُنْزِلَ عن الفرس وجَلَس على الأرض من غير بُسَاطٍ ولا سجّادَة مما يلى يَسارَ المِنْبَر ، فصلّى قاضى القضاة ركعتين كهيئة صلاة العيد والناسُ وراءه يصلُّون بصلاته ، ثم رَقَى المنبرَ فخطبَ خُطْبتين حَثّ الناسَ فيهما على التَّوْبَة والاُستغفار وأعمال البرّ وحذَّرهم ونهاهم ، وتحوّل فوقَ المِنْبرِ واستقبل القبلة ودَعا فأطال الدعاء ، والسلطان في ذلك كلِّه يَبْكِي وينْتَحِبُ وقَدْ بَاشَر في سجودِهِ ٢٠ التُّرَابَ بجبهتِهِ ، فلما انقضت الخطبةُ رَكِبَ السلطان فرسه مع عدم قُدْرَته على القيام ،

(١) ورد في هامش الوحة «الاستسقاء لتوقف النيل ونزول السلطان وتزييه بزى الفقراء» .
(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٤١٣) .

وإنما يُحمل عَلَى الأكتاف حتى يركب ، ثم يُحمل حتى ينزل ، وسار إلى جهة القلعة والعامة محيطةٌ به يدْعون له ، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة ، ومن أحسن ما نقل عنه فى هذه الرّكبة أن بعض العامة دعا له حالة الأستسقاء أنّ الله ينصره ، فقال لهم الملك المؤيد : آسألوا الله فيما نحن بصدده ، وإنما أنا واحدٌ منكم — لله دَرّه فيما قال .

٥ ثم فى غده نُودِى عَلَى النيل بزيادة آثنى عشر إصبعاً بعد ما رَدّ النقص ، وهو قريب سبعة وعشرين إصبعا ، فتباشرَ الناسُ باستجابة دعائهم .

ثم قدم الخبرُ عَلَى السلطان بنزول قَرَا يُوسف عَلَى بغداد وقد عصاهُ ولدُه شاه محمد[1] بها ، فحاصره ثلاثة أيام حتى خرج إليه ، فأمسكه أبوه قَرَايُوسف واستصفى أمواله وولّى عوضه عَلَى بغداد ابنه أميرزَة أصبهان ، ثم عاد قَرَا يوسف إلى مدينة تِبْرِيز لحركة ١٠ شاه رُخ بن تَيْمُورلَنْك عليه .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشر شهر رجب ركب السلطانُ من قلعة الجبل ونزلَ إلى بيت كاتب السرّ ابن البارزِىّ عَلَى عادته ليقيم به ونزلَ الأمراء بالدُّور من حَوْله ، وصارت الخِدْمة تُعمل هناك ، وكان السلطانُ قد آنقطع عن النزول إليه من يوم مات ابنُه .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشره جمع السلطانُ خاصّته ونزل إلى البحر وسبح فيه[2] ، ١٥ وعام من بيت كاتب السرّ إلى منية الشّيْرَج ثم عاد فى الحرّاقة ، وكثر تعجّب الناس من قوّة سَبْحِه مع زَمَانَةِ رِجْلِه وعجزه عن الحركة والقيام ، ولمّا أراد أن ينزل للسّباحة أُقْعِدَ فى تَخْتٍ من خشب كهيئة مقعد المحفّة ، وأُرْخِى من أعَلَى الدار بحبال وبَكَرَ إلى الماء ، فلمّا عاد فى الحرّاقة رُفِعَ فى التخت المذكور من الحرّاقة إلى أعلى الدّار حتى جَلَس عَلَى مرتبته ، فنُودِىَ من الغد عَلَى النِّيل بزيادة ثلاثين إصبعاً ، ولم يَزِد فى هذه ٢٠ السنة مثلها ، فتيامن الناسُ بعَوْمِ السلطان فى النيل ، وعدّوا ذلك من جملة سعادته ، وقالت العامة : الزيادة ببركته .

(١) ورد فى هامش اللوحة «خبر قرايوسف مع ولده» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «نزول السلطان البحر وسبحه فيه» .

ثم في يوم الجمعة حادى عشرين[1] شهر رجب المذكور ركب السلطان من بيت ابن البارزىّ في الحرّاقة وتَنَزَّه عَلَى ظهر النيل ، وتوجّه إلى [رباط][2] الآثار النبوية فزاره ، وبرّ مَنْ هناك مِنَ الفقراء والخدام وغيرهم ، ثم عاد إلى المقياس بجزيرة الرّوضة فصلّى الجمعة بجامع المقياس ، ورسم بهدمه وبنائه[3] ثانيا وتوسعته ، فَفُعِل ذلك ، ورسَمَ أيضا بترميم بلاط [رباط][4] الآثار النبوية ، ثم عاد إلى الجزيرة الوُسْطَى وركب منها إلى المَيْدَان الناصرى[5] وبات به ، وركب من الغد في يوم السبت إلى القلعة .

ثم في سابع عشرين شهر رجب المذكور من سنة ثلاث وعشرين قَدِمَ الخبرُ عَلَى السلطان من الأمير عثمان بن طُرْعَلى المدعو قرايلك[6] صاحب آمد أنه كبس عَلَى بير عمر حاكم أَرْزَنْكان[7] من قِبَل قَرَا يوسف وأَمْسَكه وقيّده هو وأربعة وعشرين نفسا من أهله وأولاده ، وأنه قتل من أعوانه ستين رجلا وغنم شيئا كثيراً ، فَسُرَّ السلطانُ بذلك ، ثم إنه قتل بير عمر المذكور ، وأرسل برأسه إلى السلطان ، فوصل الرأس إلى القاهرة في يوم الاثنين أول شعبان .

وكان السلطانُ قد كتب محاضر بكُفْر قَرَا يُوسُف وولده حاكم بغداد ، فأفتى مشايخ العِلم بوجوب قتاله ، ورسَمَ السلطانُ للأمراء بالتَّجْهيز للسفر[8] ، وحُمِلَت إليهم النَّفَقات ، فوقع التَّجْهيز في أمور السفر ، ونُودِى في رابع شعبان المذكور بالقاهرة بين يدَى

---

(١) في الأصل «عشر» والتصويب من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤١٥) .

(٢، ٤) الإضافة يقتضيها السياق .

(٣) ورد في هامش اللوحة «هدم جامع المقياس ، وبناؤه وتوسعته» .

(٥) الميدان الناصرى : هو الميدان الذى استجده الناصر محمد بن قلاوون على النيل وأعده للسباق والركوب ، وعرف بالميدان الناصرى ، والميدان السلطانى ، والميدان الكبير ، ومكانه اليوم منطقة القصر العالى «جاردن سيتى» وانظر الحاشية ٢ ص ٩٧ ج ٩ من هذا الكتاب .

(٦) قرايلك : ضبط هذا اللفظ في كل ما سبق بفتح القاف والراء ثم ألف ساكنه ثم ياء – أخر الحروف – مضمومة ولام مضمومة ثم كاف ، ولكنه في هذا الموضع ضبطه ناسخ نسخة أيا صوفيا بفتح اللام فقط .

(٧) ورد في هامش اللوحة «خبر بير عمر حاكم أرزنكان» .

(٨) ورد في هامش اللوحة «المرسوم الشريف للأمراء بالتجهيز لسفر قرايوسف» .

الخليفة والقضاة الأربعة بجميع نُوّابهم وبين يديهم القاضى بدر الدين حسن البُرْدينى أحد نوّاب الحكم الشافعية ، وهو راكب عَلَى بغلته وبيده ورقةٌ يقرأ منها استنفار الناس لقتال قَرا يُوسف وتِعْدَاد قبائحه ومساوئه .

قلت : هو كما قالوه وزيادة ، عليه وعَلَى ذُرّيته اللعنة ، فإنهم كانوا سببا لخراب بغداد وأعمالها ، وكانت بغدادُ منبع العلم ومأوى الصالحين حتى ملكها هؤلاء التُّرْكان رُعاة الأغنام فساءوا السِّيرة ، وسلَبُوا الناس أموالهم ، وأخربوا البلاد ، وأبادوا العباد من الظلم والجَوْر والعَسْف — ألا لعنة الله على الظالمين .

ثم فى يوم الاثنين ثامن شعبان — ويوافقه خامس عشرين مسرى أحد شهور القبط — أوفى النيل فرَكِبَ السلطانُ إلى المِقْيَاس حتى خَلَّقه على العادة ، ثم ركب الحرّاقة حتى فتح خليج السّدّ على العادة .

ثُمّ فى يوم الجمعة عَقَدَ السلطانُ عَقْدَ الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى على ابنته[1] بصَدَاقٍ مبلغُه[2] خمسة عشر ألف دينار هَرْجَه[3] بالجامع المؤيّدى بحضرة القُضَاة والأمراء والأعيان ، هذا وقد تهيّأ القَرْمَشِىّ للسّفر إلى البلاد الشّاميّة مقدّم العساكر ، وأصبح من الغد فى يوم السبت ثالث عشر شعبان المذكور بَرَّزَ الأميرُ الكبيرُ أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى طُلْبَه من القاهرة إلى الرَّيْدَانيّة خارج القاهرة ، ومعه من الأمراء مقدّمى الألوف جماعةٌ : الأميرُ أَلْطُنْبُغَا من عبد الواحد المعروف بالصّغير رأس نَوْبَة النُّوَب ، والأمير طُوغَان الأمير آخُور الكبير ، والأميرُ أَلْطُنْبُغَا المَرْقَبِىّ حاجب الحُجّاب ، والأمير جُلُبّان أمير آخور — كان — والأمير جَرِبَاش الكَرِيمِىّ قَاشَق ، والأمير آقْبَلَاط السَّيْفِى دَمُرْدَاش ، والأمير أَزْدَمُر الناصرى ، ونَدَبَهُم السلطانُ للتوجّه إلى حَلَب خشيةً من حركة قَرَا يُوسُف .

(١) ورد فى هامش اللوحة «عقد القرمشى على ابنة السلطان» .
(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٤١٦ «جملته» .
(٣) الهرجة : هى سبيكة من الذهب لها عيار مخصوص لأبد أن تجوزه وإلا لاتعتمد ، فإذا جازته ضربت دنانير ذهبية . وانظر (الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد — دار الضرب المصرية ص ٦٧–٧١) .

وفيه نزل السلطانُ من القلعة إلى بيت ابن البَارِزِىّ وأقام به إلى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان ، فتوجّه إلى المَيْدَان لِعَرْضِ المماليك الرّمّاحة ، فتوجّه إليه وجلس ولعبت مماليك السلطان بالرُّمح بين يديه مُخَاصَمَة ، وَلَعِب حتى المعلمين ، جَعَلَ لكُلِّ مُعَلِّم خصماً مِثْلَه وَلَعِبَهما بين يديه ، فوقعَ بين الرَّمَّاحة أُمُورٌ ومخاصمات ، وأبدوا غرائبَ في فنونهم ، كل ذلك لمعرفة الملك بهذا الشّأن ومحبّته لأَرْبَاب الكمالات من كُلِّ فَنّ ، فَلَمَّا انتهى لعبُهم والإنعامُ عليهم — كل واحد بحسب ما يَليق به — ركبَ آخِرَ النهار من الميدان المذكور على ظهر النيل في الحرّاقة الى بيت [ابن][1] البارِزِىّ ببُولاَق ، وأقام به وعمل الخدمة به إلى أن ركب منه إلى المَيْدَان ثانيا في نهار السبت العشرين من شعبان ، ولعبت الرَّمَّاحة بين يديه ، وهم غير من تقدم ذكرهم ؛ فإنه رَسَمَ أنّ في كل يوم من يَوْمى السبت والثلاثاء يَلْعَبُ مُعَلِّمَان هما وصبيانهما — لا غير — مخاصمة .

قلت : وهذه عادة الملوك ، لمّا تُعرض المماليك بين يديهم ، لا يُخاصم في كل يوم غير صِبْيَان مُعَلِّمٍ مع صِبْيَان مُعَلِّم آخر ، لكن زاد الملك المؤيد بأن لَعِبَ المعلمين أيضا ، فصار المعلِّمُ يقف يمينا [ويقف][2] صبيانُه صَفّاً واحداً تحته ، ويقف تجاهه معلِّمٌ آخر آخر وصبيانُه تحته ، فيخرج المعلّم للمعلّم ويتخاصمان إلى أن يُنْجِزَا أمرهما ، ثم يخرج النائب للنائب الذى يقابله من ذلك المعلّم ، ثم يَخْرُج كلٌّ واحد لمن هو مقابله إلى أن يستتمّ العرض بين الظّهر والعصر أو قبل الظهر أو بعده بحسب قِلّة الصِّبْيَان وكثرتهم ، ولمّا تمّ العَرْض في نهار السّبت المذكور بالميدان لم يتحرك السلطانُ من الميدان وبات به ، وأصبح يوم الأحد ركب الحرّاقة وتوجّه في النيل إلى [رباط][3] الآثار النبويّة وزاره وتصدق به ، ثم عاد إلى المقياس بالرّوضة ، وكشف عمارة جامع المِقْيَاس بالرّوضة ، ثم عاد في الحرّاقة الى الميدان ، فبات به وعرض في يوم الاثنين أيضا ، أرادَ بذلك انجازَ أَمْرِهِم

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤١٧) .
(٢) الإضافة يقتضيها السياق .
(٣) إضافة على الأصل .

فى العرض ، ولما انتهى العرض فى ذلك اليوم رَكِبَ الحرّاقة وتوجّه إلى [رباط][1] الآثار ثانيا وزارَه ، ثم عاد إلى جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية ، ونزل بها فى مخيمه ، فأقام بها يومه وعاد إلى الميدان وبات به ليلتين ، ثم رجَعَ فى النيل إلى بيت كاتب السّرّ ببُولاق فى يوم الخميس فبات به وصلّى الجمعة بجامع كاتب السِّرِّ ، وخطب وصلّى به قاضى القضاة جلالُ الدين البُلْقِينِىّ ، ثم ركب الحرّاقة بعد الصّلاة وتوجّه إلى المَيْدَان وبات به وركب إلى القلعة بُكْرَة يوم السبت سابع عشرين شعبان ، كل ذلك والسلطان صَائِمٌ فى شهر رَجَب وشعبان لم يُفْطِر فيهما إلا نحو عشرة أيّام عندما يتناوَل الأَدْوِية بسبب ألم رِجْلِه ، هذا مع شِدّة الحَرِّ فإنّ الوقت كان فى فصل الصَّيْف وزيادة النِّيل .

ولما استهلّ شهر رمضان بيوم الثلاثاء انتقض على السلطان ألمُ رجله ولَزِم الفراش وصارت الخدمةُ السلطانية تُعْمَلُ بالدُّور السلطانية من قلعة الجبل لِقلّة حركة السلطان مما به من الألم ، وهو مع ذلك صائم لا يفطر إلا يوم يتناول فيه الدّواء .

ثم فى رابع عشر شهر رمضان المذكور خَلَعَ السلطان على الصاحب تاج الدين عبد الرّزّاق بن الهَيْصَم باستقراره ناظر ديوان المُفْرد بعد مَوْت صلاح الدين خليل بن الكُوَيْز .

ثم فى هذا الشهر أيضاً ابتدأ مَرَضُ القاضى ناصر الدين بن البَارِزِى[2] كاتب السّر الذى مات به ، واستمرّ السلطان ضعيفاً شهر رمضان كله ، فلما كان يوم الأربعاء أوّل شوال صلى السلطان صلاة العيد بالقصر الكبير من قلعة الجبل عَجْزاً عن المشى إلى الجامع .

ثم فى رابعه ركبَ السلطانُ المحفّة من قلعة الجبَل ونَزَل إلى جهة « منظرة الخمس وجوه » التى استجدها بالقُرْب من التّاج وقد كملت ، والعامة تسميها «التاج والسبع وجوه» وليس

(١) إضافة على الأصل .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «ابتداء مرض ابن البارزى» .

هو كذلك ، وإنما هى ذات « خمس وجوه » ، وأما التاج فإنه خراب ، وقد أنشأ به عظيمُ الدّولة الصاحب جمال الدين بن يُوسف ناظر الجيش والخاص عمائر[1] هائلة وسبيلا ومكتباً وبستاناً وغير ذلك — انتهى .

ولمّا توجّه السلطانُ إلى « الخمس وجوه » أقام به نهاره ثم عاد إلى القلعة ، وأقام بها إلى يوم الأربعاء خامس عشر شوال فغضب عَلَى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخَوَاص وضربه بين يديه ضرباً مبرّحاً ، ثم أمر به فنزل إلى داره عَلَى وظائفه من غير عَزْل ، كل ذلك والسلطان مريضٌ ملازمٌ للفراش ، غير أنه يتنقّلُ من مكان إلى مكان محمولا على الأكتاف .

فلما كان يوم الاثنين عشرين شوال أُشيع بالقاهرة موتُ السلطان ، فاضطرب الناسُ ، ثم أفاق السلطانُ فسكنوا ، فطلعَ أميرُ حاج المحمل الأمير تَمُرْباى المُشِدّ وقبّل الأرض وخرج بالمحمل إلى بركة الحاج من يومه ، وسافر الحاجُ وهو على تخوُّفٍ من النّهْب بسبب الإشاعات بموت السلطان .

ثم فى يوم الاثنين المذكور طلب السلطانُ الخليفةَ والقضاة الأربعة والأمراء والأعيان وعَهِد إلى ولده الأمير أحمد[2] بالسلطنة من بعده ، وعُمْرُه سنةٌ واحدة ونحو خمسة أشهر وخمسة أيام ؛ فإن مولده فى جمادى الأولى من السنة الخالية ، وجعل الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى القائمَ بتدبير مُلكه إلى أن يَبْلُغ الحُلُم ، وأن يقوم بتدبير الدّوْلة مُدّةَ غيبة الأتابك أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى إلى أن يحضرَ الأمراء الثلاثة وهم : قَجْقَار القَرْدَمىّ أمير سلاح ، وتَنْبَك العَلاَئى مِيق المعزول عن نيابة الشام ، والأمير طَطَر أمير مجلس ، وحلّفَ السلطانُ الأمراء على العادة ، وأخذَ عليهم الأيْمان والعهود بالقيام فى طاعة ولده وطاعة مُدَبِّر مملكته ، ثم حلّف المماليك من الغد ، ثم أفاق السلطان وحضرت الأمراء الخِدْمَة على العادة .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «التاج هو ميدان عمارة الخاص» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «عهد السلطان لولده أحمد بالسلطنة» .

وخلع فى يوم السبت خامس عشرينه على القاضى كمال الدين محمد بن البارِزِى[١] باستقراره كاتبَ السِّر الشريف بالديار المصرية بعد وفاة والده القاضى ناصر الدين محمد ابن البَارِزِى ، ونزل إلى بيته فى مَوْكب جليل ، وبعد يومين خَلَع السلطانُ على القاضى بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد الدِّمشْقى المعروف بابن مُزْهِر ناظر الإسطبل باستقراره فى نيابة كتابة السر عوضاً عن كمال الدين بن البارزى المذكور .

ثم فى تاسع عشرين شوّال المذكور نَصَل السلطانُ من مرضه ، ونقص ما كان به من الألم ، ودخل الحَمَّام ، وتخلّق الناسُ بالزَّعْفَران وتداولت التّهانى بالقلعة وغيرها ، ونُودِى بزينة القاهرة ومصر ، وفرّق السلطانُ مالًا كثيراً فى الفقراء والفقهاء والناس ، وخلع على الأَطِبَّاء وأصحاب الوظائف .

وكان السلطان لمَّا مات القاضى ناصر الدين بن البارِزِى طلبَ الذى خَلَّفه من المال فلم يجد ولدُه شيئاً ، فظنّ السلطان أنه أخفى ذلك ، فحلَّفه ثم خلع عليه ، ونزل على أن يقوم للسلطان من ماله بأربعين ألف دينار ، فلما كان يوم [الخميس][٢] سلخ شوال حضرَ إلى [القاضى[٣]] كمال الدين المذكور شخصٌ من الموقعين يُعْرفُ بشهاب الدين أبى دُرَّابة وقال له : أنا أعرف لوالدك ذَخيرةً[٤] فى المكان الفلانى ، فلما سمع القاضى كمال الدين كلامه أخذه فى الحال وطَلَع به إلى السلطان وعرَّفه مقالة شهاب الدين المذكور ، فأرسل السلطانُ فى الحال الطواشى مَرْجان الهِنْدِى الخازندار وصحبته جماعة ، ومعهم شهاب الدين المذكور إلى بيت القاضى كمال الدين المذكور ، فدخلوا إلى المكان وفتحُوه فوجدوا فيه سبعين ألف دينار فأخذوها وطلعوا إلى السلطان ، وقد سألت أنا القاضى كمال الدين المذكور عن هذه الذخيرة ، وقلت له : كان لك بها عِلْمٌ ؟ فقال : لا والله ، ولا أعرف مكانها ، فإنى لم أحضرها حين جماها الوالدُ بهذا المكان ، ولا عند

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار كمال الدين بن البارزى فى كتابة السر» .

(٢، ٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢١) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «وجود ذخيرة ابن البارزى» .

أخذها أيضاً ، ولا عرّفني بها قبل موته ، غير أنه أوْصَى شهاب الدين المذكور وشخصاً بجماة (١) أنه إذا مات يعرفاني بها ، فلما عرّفني شهابُ الدين بها لم أجد بُدًّا من إعلام السلطان بها للأَيمان التي كان حلّفني أنني مهما وَجَدته من مالِ الوالد أُعَرِّفه به .

قلت : لِلّهِ دَرّه من كمال الدين ، ما كان أعْلَى همته وأحشمه وأسمحه . ٥

ثم في يوم الاثنين رابع ذى القعدة ركبَ السلطانُ من قلعة الجبَل وشقّ القاهرة من باب زُوَيْلَة وخرج من باب القنطرة ، وتوجه إلى « الخمس وجوه » وأقام بها إلى يوم الأربعاء سابع ذى القعدة ، فركب منها وشقّ القاهرة من باب القَنطرةِ إلى أن خرج من باب زُوَيْلَة وطلع إلى القلعة بعد ما أنقضى له بـ« الخمس وجوه » أوقات طيبة ، وعمل بها الخِدْمة ، وتردّدت الناسُ إليه بها لقضاء حوائجهم وللفرجة أيضاً . ١٠

ولما طلع السلطان إلى القلعة أقام بها يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، ثم نزل إليها ثانياً في يوم السبت تاسع ذى القعدة بخواصّه وبات بها .

ثم ركب من الغد في يوم الأحد ، وتصيّد ببرِّ الجيزة وأقام هناك ، وأمر بأخذ خزانة الخاص من عند ناظر الخاص الصّاحب بدر الدين بن نصر الله ، فنزل إليه زينُ الدين عبد الباسط بن خليل الدّمشْقى ناظرُ الخزانة والطواشى مَرجان الهِنْدِى ١٥ الخازندار ، وأخذا منه خزانة الخاص وهو ملازم للفراش من يوم ضُرِب ، وسُلِّمت للطواشى مَرْجان المذكور ، فتحدّث مَرْجانُ في وظيفة نظر الخاص عن السلطان من غير أن يُخْلَع عليه ، وأنفق كسوة المماليك السلطانية نحو ثمانيـة آلاف دينار ، وأقام السلطان بمنظرة « الخمس وجوه » إلى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى القعدة فعاد إلى القلعة في محفّة ، فأقام بالقلعة إلى يوم الجمعة خامس عشره وركب أيضاً وتوجّه إلى منظرة ٢٠ « الخمس وجوه » فأقام بها إلى سابع عشر ، وعاد إلى القلعة بعد أن ألْزَمَ أعيانَ الدّوْلة أن يعمِّرُوا لهم بُيُوتاً بالقُرْب من « الخمس وجوه » المذكورة لينزلوا فيها إذا توجّهُوا في

(١) في ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢١ «وشخصا آخر سماه » .

ركاب السلطان ، فشرع بعضُهم فى رمى الأساس ، واختط بعضهم أرضاً ، ثم ركب السلطانُ من القلعة بثياب جلوسه وشقّ القاهرة ، وعبَرَ من باب زُوَيْلَة ، وخرج من باب القنطرة ، وتوجّه إلى منظرة « الخمس وجوه » وأقام بها بخواصّه إلى يوم الجمعة ثانى عشرين ذى القعدة فركب منها وعدى النيل إلى الجيزة ، يُريد سَرْحة البُحَيْرة على العادة فى كل سنة ، وقد تهيأ الناس لذلك وخرجوا على عادتهم .

وقبل أن يعدّى السلطان النيل نزل بدار على شاطئ نيل مصر ، ودخل الحمام التى بجوار الجامع الجديد ، واغتسل طُهْرَ الجمعة ، ثم خرج إلى الجامع الجديد وصلى به الجمعة ، ثم عـدّى النيل وهو فى كل ذلك يُحْمَل على الأكتاف ، والذى يتولى حمله من خاصّكيته جماعةٌ منهم : خَجَا سُودُون[1] السَّيفى بَلَاط الأعرج ، وتَنْبَك من سيدى بك الناصرى البَجَمَقْدَار المصارع ، ثم جَانى بَك من سيدى بَك المؤيّدى .

وأقام السلطانُ يَوْمَه بالجيزة ثم ركب المحفة وسار بأمرائه وعساكره إلى أن وصل إلى الطَّرّانة اشتدَّ به المرضُ فتجلّد اليومَ الأوّل والثانى ، فأفرط به الإسهالُ حتى أُرْجِف بموته ، وكادت تكون فتنة من كثرة كلام الناس واختلاف أقوالهم ، إلى أن ركبَ السلطانُ من الطَّرّانة فى النيل عَجْزًا عن ركوب المحفّة ، وعادَ إلى جهة القاهرة حتى نزل بَرَّ مُنْبَابة ، فأقام بها حتى نَحَرَ قليلاً من ضحاياه ، ثم ركب النيلَ فى الحرّاقة وعدّى إلى بولاق فى آخر نهار العيد ، ونزل فى بيت كاتب السرّ ابن البارزِىّ على عادته ، وبات فى تلك الليلة ، وأصبح من الغد ركِبَ فى المحفة وطلعَ إلى قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء حادى عشر ذى الحجة ، وهو شديد المرض من الإسهال والزحير[2] والحصاة والحمّى والصُدَاع والمفاصل ، وهـذه آخر ركْبَةٍ ركبها الملكُ المؤيد ، ثم لزم الفراشَ إلى أن مات حسبما نذكره .

(١) ورد فى هامش الوحة « خجا سودون » .

(٢) الزحير : والزحار والزحارة هو إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عجز أو شدة (لسان العرب — زح ر) .

ولما كان ثامن عشر ذى الحجة قدِمَ كتابُ الملك العادل سليمان الأيُّوبى صاحب حِصْن كَيفًا من دِيار بَكْر على السلطان يتضمّن موت الأمير قَرَا يُوسف[1] بن قَرا محمد صاحب تِبْرِيز والعراق فى رابع عشر ذى القعدة مَسْمُومًا فيما بين السُّلْطانيَّة وتبريز، وهو متوجّه لقتال القان مُعين الدين شاه رُخّ بن تَيْمُورلَنْك ، فلم يتمّ سُرور السلطان بموته لشغله بنفسه . ٥

ثم فى ثامن عشرين ذى الحجة وصل مُبَشِّرُ الحاج فطلبه السلطانُ وسأله عن أمور الحجاز، كل ذلك والسلطان صحيح العقل بل ربما دَبَّر أمورَ مملكته فى بعض الأحيان .

ثم فى يوم السبت تاسع عشرينه أُرْجِف فى باكر النهار بموت السلطان ، وكان أُغمِى عليه، فلما أفاق قيل له إن بعض الناس يقول : سيّدى أحمد ولد السلطان صغيرٌ صِغَراً لا تصحُّ سلطنته، وشاوروه فى إثبات عهده فرَسَمَ لهم بذلك ، فأُثْبِتَ عهدُه على قاضى ١٠ القضاة زين الدين عبد الرحمن التَّفهنى الحنفى بالسلطنة ، ثم نُفِّذَ العهدُ على بقيّة القضاة ، فكَثُرَ عند ذلك اضطراب الناس بالقاهرة واختلفت الأقوال فى ضعف السلطان وأمره ، وتوقَّعُوا فتنة ، واشتد خَوْفُ خواصّ السلطان ، ونقلوا ما فى دورهم من القماش المثمّن وغير ذلك .

واستهلّ المحرّم من سنة أربع وعشرين وثمانمائة والسلطانُ ملازمٌ للفراش ، وقد ١٥ أفرط به الإسهال الدَّمَوِىّ مع تنَوّع الأسقام وتزايد الآلام ، بحيث إنه لم يبْقَ مرضٌ من الأمراض حتى اعتراه فى هذه الضَّعْفَة ، غير أنه صحيح العقل والفهم طَلْقُ اللسان .

فلما كان يوم الخميس خامس المحرّم سنة أربع وعشرين المذكورة طلع الأمراء والأعيان إلى قلعة الجبل وجلسوا عَلَى باب السّتارة ، فخرج إليهم بعض الخُدّام واعتذر لهم عن دخولهم بشدة ضعف السلطان ، فانصرفوا ، وكانوا عَلَى هذا مُدّة أيام ، يطلعون ٢٠ فى كل يَوْمِ موكب ، ويجلسون بباب الدور ، ثم ينزلون من غير أن يجتمعوا بالسلطان .

هذا وقد افترقت الأمراء والعساكر فرقًا : فرقة من أعيان المؤيديّة وكبيرهم الأمير

(١) ورد فى هامش اللوحة «خبر وفاة قرايوسف» .

طَطَر وقد خدعهم بتَنْميق كلامه وكَثرة دهائه من أنه يقوم بنُصْرة ابن أستاذهم، ويكون مدبّر مُلْكه، وهو كواحد منهم والأمر كُله إليهم، وهو معهم كيف ما شاءوا، ثم خوّفهم من وثُوب قَجْقَار القَرْدمى وركوبه لِمَا فى نفسه من الملك، فمالوا إليه وانخدعوا له، وصاروا من حزبه لايخفون عنه أمْرًا من الأمور، هذا مع ما استمال طَطَرُ أيضاً جماعة كبيرة من خُشْداشيّته الظاهريّة فى الباطن .

وفرقة من أعيان الأمراء والمماليك السلطانية من جنس التَّتَر والسَّيْفيَّة وكبيرهم قَجْقَار القَرْدَمى، وهو ظنين[1] بنفسه مع ما اشتمل عليه من سلامة الباطن — كما هى عادة جنس التَّتَر — والجهل المُفرط، مع انهما كه فى اللذات ليلا ونهاراً .

وفرقة صارت بمعزل عن الفريقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهم الظاهرية مماليك بَرْقُوق وكبيرهم الأمير تَنبَك مِيق، عَلَى أن ميلهم فى الباطن مع خُشْدَاشِهم ططر، غير أنهم يخافون عواقبَ الأمور — لعدم أهلية ططر لذلك — لكونه خلفَهُ مثلُ الأتابك أَلْطُنْبُغا القَرْمَشى مع من معه من الأمراء وعظمته فى النفوس، ومثلُ جَقْمَق الأَرْغُون شاوىّ الدوادار نائب الشام، ومثل يَشْبُك اليُوسُفى المؤيدى نائب حَلَب، وأيضاً مثلُ قَجْقَار القردمى أمير سلاح، هذا مع كثرة المماليك المؤيدية وشِدّة بأسهم حتى لو أن ططر كُفِىَ هَمّ الجميع من الأمراء لايستطيع الوثوب عَلَى الأمراء من هؤلاء المؤيدية، فلذلك كفّ عن موافقته كثيرٌ من خُشْدَاشِيَّتِهِ فى مبادىء الأمر، فلم يلتفت ططر إلى كلام متكلم، وأخذ فيما هو فيه من إبرام أمره، ولسان حاله يقول: «إما إكْدِيش أو نُشَّابة للريش» فإنه كان فى بحبوحة[2] من الفقر والإفلاس والخوف من الملك المؤيد، فلما وجد المقالَ قالَ، وانتهز الفرصة إمّا بها أو عليها، ولما عَظُم اضطرابُ الناس بالقاهرة أجمع الأمراء عَلَى تَوْلية التّاج بن سيفة الشَّوْبَكى أستادار الصحبة ولايةَ القاهرة عَلَى عادته أولا، نُخلع عليه بحضرة الأمراء فى بعض دور القلعة باستقراره فى ولاية القاهرة بعد عزل ابن قرى، فنزل التاج إلى القاهرة بخامته، وشق الشوارع وأبْرَق

(١) كذا فى الأصل، وأصلها «ضنين» ولكن قلبت الضاد ظاء كما فى لغة بعض العرب .

(٢) فى الأصل «بحبوه» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢٦) .

وأَرْعَد ، وأكثر من الوعيد لأرباب الفساد ، فلم يلتفت أحد إلى كلامه ، ومضى إلى بيته .

هذا وقد اشتدّ الأمر بالسلطان الملك المؤيّد من الآلام والأرْجَاف تَتَوَاتَر بموته ، والناس فى هرج إلى أن تُوُفِّىَ[1] قُبَيل الظّهر من يوم الاثنين تاسع المحرّم من سنة أربع المقدم ذكرها ، فارتجّ الناسُ لموته ساعةً ثم سكنوا ، وطلع الأمراء القلعة وطَلَبُوا الخليفةَ ٥ المعتضد بالله داود والقضاة والأعيانَ لإقامة الأمير أحمد بن السلطان فى السلطنة ، فَخُلِعَ عليه وتسلطنَ ، وتمّ أمره حسبما سنذكره فى محلّه من هذا الكتاب فى حينه إن شاء الله تعالى .

ثم أَخَذُوا فى تجهيز السّلطان الملك المؤيّد وتغسيله [وتكفينه][2] .

١٠ قال الشيخ تقيّ الدين المقريزى : وأخذ فى جهاز المؤيّد وصُلِّىَ عليه خارج باب القلعة ، وحمل إلى الجامع المؤيّدى فَدُفِن بالقبة قُبَيل العصر ، ولم يشهد دفنه كثير أحد من الأمراء والمماليك لتأخُّرِهم بالقلعة ، واتفق فى أمر المؤيّد موعظة فيها أعظم عِبْرَة ؛ وهو أنه لما غسّل لم توجد له مِنْشَفَة يُنَشَّف فيها ، فنُشِّف بمنديل بعض من حضر غسْلَه ، ولا وُجد له مِئْزَرٌ تُستَرُ به عورته حتى أُخذ له مِئْزَرٌ صوف صعيدىٌّ من فوق ١٥ رأس بعض جوَارٍ يه فستر به ، ولا وُجد له طاسة يُصَبُّ بها عليه الماء وهو يُغَسَّل مع كثرة ما خلَّفه من الأموال ، ومات وقد أنافَ على الخمسين .

وكانت مُدَّة ملكه ثمانى سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام ، وكان شجاعاً مِقْدَاماً يُحِبّ أهل العلم ويجالسهم ، ويُجِلُّ الشَّرْع النبوىّ ويُذْعِن له ، ولا يُنْكر على طَلَب مَنْ إذا تحاكم إليه أن يَمْضِىَ مِن بين يديه إلى قُضاة الشَّرْع ، بل يعجبُه ذلك ، وينكر ٢٠ على أمرائه معارضَةَ القضاة فى أحكامهم ، وكان غير مائلٍ إلى شىء من البِدَع ، وله قيامٌ

(١) ورد فى هامش اللوحة «وفاة الملك المؤيد شيخ» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢٦) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «ترجمة المؤيد شيخ» .

فى الليل إلى التهجد أحياناً ، إلا أنه كان بخيلا مسّيكا يشحّ حتى بالأكل ، لَحُوحًا غضوباً نكداً حسوداً معياناً ، يتظاهر بأنواع المُنْكَرَات ، فحّاشاً سبّاباً ، شديد المهابة ، حافظاً لأصحابه غير مُفَرِّطٍ فيهم ولا مُطيعٍ لهم .

وهو أكبر أسباب خراب مصر والشّام ؛ لكثرة ما كان يُثيره من الشُّرُور والفتن أيّام نيابته بطرابلُس ودمَشْق ، ثم ما أفسده فى أيّام مُلْكِه من كثْرة المظالم ونهب البلاد وتَسْليط أتباعه على الناس يسومونهم الذِّلّة ، ويأخذون ما قدروا عليه بغير وازع من عقل ولا ناهٍ من دين — انتهى كلام المقريزى برمته بعد تخبيطٍ كثير .

قلت : وكان يمكننى الرّدّ عليه فى جميع ما قاله بحق غير أننى لست مندوباً إلى ذلك ، فلهذا أضربتُ عن تسويد الوَرَق وتضييع الزمان ، والذى أعرفه أنا من حاله أنه كان سلطاناً جليلا مُهَاباً شجاعاً مِقْدَاماً عاقِلاً نَقَّادًا . حدثنى الأمير أَرَنبُغا اليُونُسِىّ[1] الناصرى — رحمه الله — قال : كان المؤيد ينظر إلى الرّجل وينقده بعينيه فيعرف من حاله ما يكتفى به عن السؤال عنه ، ثم يعطيه من الرِّزَق والإقطاعات ما يليق بشأنه كما يصفُ الطبيبُ الحاذقُ إلى المريض من الدواء ، فإن كان الرجل أعجبه رَقّاه فى أقلِّ مُدّة إلى أعلى المراتب ، وإن كان غير ذلك شحّ عليه حتى بالإقطاع الذى يعمل عشرة آلاف درهم فى السنة — انتهى كلام أَرَنْبُغَا .

قلت : هذا هو المطلوب من الملوك وإلاّ يَضِيعُ الصّالِحُ بالطّالِح .

وكان المؤيّد عالى الهمة ، كثير الحركات والأسفار ، جيّد التدبير ، حسن السياسة ، يباشر الأحكام بنفسه ، مع معرفة تامة وحِذْق وفطنة وجودة حَدْس فى أموره ، عظيم السّطوة على مماليكه وأمرائه ، هيِّناً مع جلسائه ونُدَمَائه ، طَرُوباً يميل إلى سَمَاع الشعر والأصوات الطيّبة ، على أنه كان يُحْسِن أيضا أدَاء الموسيقى ويقوله فى مجالس أُنْسِه ، وكان يميل إلى الدّقّة الأَدَبِيَّة ويفهمها بسرعة . قيل : أنه نظرَ مَرَّةً إلى آسمه وهو

(١) فى (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٢٨) «أرنبغا اليوسفى» .

مكتوبٌ على بعض الحيطان ، وقد كتب الدَّهَّانُ الشَّينَ من اسم شيخ بجرَّةٍ واحدة ، فلما نظره المؤيّد قال : مسكينٌ شَيْخ بلا سُنَيْنَات ، وله أشياء كثيرةٌ من ذلك .

وكان يشارك الفقهاء فى أبحاثهم ويتصوّر أقوالهم ويطرح عليهم المسائل المُشْكلة ، هذا مع ميله لأرباب الكمالات من كل علم وفَنٍّ ، وتعجبه المُدَاعَبَةُ اللطيفة .

٥ حدثنى القاضى كمال الدين بن البارزىّ كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية — رحمه الله — قال : كان المؤيّد جالسًا بالبارِزِيّة[1] على المقعد المُطِلّ على النيل ، ومحمود بن الأمير قَلَمطاى الدَّوادار واقفًا بجانبه ، ووالدى من جهة أُخْرَى وهو يقرأ القِصَصَ عَلَى السُّلطان، وكان فى جملة القِصَص قصة الشيخ عاشق محمود العجمى أحد نُدَماء السلطان ، فلما قرأ الوالدُ قصة عاشق محمود قال : المملوك ، وأشار بيده إلى نفسه ، ثم قال : عاشق محمود ، وأشار ١٠ بإصبعه إلى محمود بن قَلَمْطاى — وكان من أجمل الناس صورة — فلم يَفْطن لذلك أحدٌ غير السلطان ، فضحك وقال : تموت بهذه الحَسْرة .

وحدّثنى بعض أعيان المؤيدية قال : كان الأميرُ طُوغان الأميرُ آخُور أرسل إلى جَانِى بَك الساقى أحدخواصّ الملك المؤيدألف دينار ليَزُورَه ، فعرَّف جَانِى بَك المذكور السلطانَ بذلك ، فاشتدّ غضبُ السلطان وأرسل فى الحال خلف طُوغان المذكور ، فلما ١٥ تمثّل بين يديه سأله السلطان عن ذلك ، فقال طوغان : نعم أرسلت إليه ألف دينار ، ووالله العظيم لوْ لَمْ يكن مملوكك لكنتَ تُرْسِلُ أنتَ إليه عشرةَ آلاف دينار ، فتلومنى أن أرسلت إليه ألف دينار ؟ ! — يقول ذلك وهو فى غاية الحنق — فزال غضبُ الملك المؤيّد وضَحِك حتى استلقى على قفاه ، كل ذلك وهو محتفظ على ناموس الملك والسّير على ترتيب من تقدّمه من الملوك فى سائر أموره وحركاته .

٢٠ وقد تسلطن وأحوالُ المملكة غير مستقيمة مما جدّده الملكُ الناصر فرج من الوظائف والاستكثار من الخاصّكيّة ، حتى إن خاصّكيّته زادت عدّتُهُم على ألف نَفَر .

(١) البارزية : هى قصر كاتب السر ناصر الدين بن البارزى ، الذى تعود السلطان النزول إليه .

فلازال المؤيّد بهم حتى جعلهم ثمانين خاصّكيّا كما كانت أيام[1] أستاذه الملك الظاهر بَرْقُوق ، وكانت الدّوَادارية نحو ثمانين دَوَادَاراً ، فلا زال حتى جعلهم ستّة ، وكذلك الخَازِنْدَارية والبَجْمَقْدَارية والحجّاب ، وكان يتأمّر الشخصُ فى أيامه ويقيمُ سنين ولم يَسْمَح له بلبس تخفيفة[2] على رأسه ، كل ذلك مُرَاعاة لأفعال السّلف ، وكان عارفاً بأنواع الملاعيب ، رأساً فى لعب الرُّمح وسوق البرجاس[3] ، قوياً فى ضرب السّيف والرّمى بالنُّشّاب ، ماهراً فى فنون كثيرة جدٍّ وهزل ، لا يعجبة إلا الكامل فى فنه .

دخلت إليه مرّةً وأنا فى الخامسة فعلّمنى — قبل دخولى إليه — بعضُ مَن كان معى أن أطلبَ منه خُبْزاً ، فلما جلستُ عنده وكلّمنى سألتُه فى ذلك ، فغمز من كان واقفاً بين يديه وأنا لا أدْرى ، فأتاهُ برغيفٍ كبير من الخبْزِ السلطانى ، فأخذه بيده وناولنيه وقال : خذ هذا خبزٌ كبيرٌ مليح ، فأخذته من يده وألقيتُه إلى الأرض ، وقلت : أعْطِ هـذا للفقراء ، أنا ما أُريد إلا خبزاً بفلّاحِين يأتوننى بالغَنَم والأوز والدّجاج ، فضَحِك حتى كاد أن يُغشى عليه ، وأعجَبَه منى ذلك إلى الغاية ، وأمر لى بثلاثمائة دينار ، ووعدنى بما طلبته وزيادة — انتهى .

وكان يُحْسِن تربية مماليكه إلى الغاية ، ولا يُرَقِّيهم إلا بعد مُدَّة طويلةٍ ، ولذلك لم يَخمُل منهم أحدٌ بعد موته — فيما أعلم .

وكان يميل إلى جنس التُّرْك ويقدِّمُهم ، حتى إن غالب أمرائه كانوا أترَاكاً ، وكان يُكْثِرُ من استخدام السَّيْفيّة ويقول : هؤلاء قَاسُوا خُطُوبَ الدّهر ، وتأدبوا ، ومارسوا الأمور والوقائع ، وكان عارفاً بتَعْبِئة العساكر فى القتال ثَبَّاتاً فى الحروب ،

(١) ورد فى هامش اللوحة «إبطال ما جدد الناصر من الوظائف الزائدة عن الحد» .

(٢) التخفيفة : هى العمامة ، فإذا أطلقت فهى العمامة الصغيرة ، فإذا قيل تخفيفة كبيرة فهى مايسميها العامة بالناعورة ، وهى مثل التاج ، وربما يقال تخفيفة بقرون طويلة ، وهى تاج كتاج الفرس (ماير — الملابس المملوكية ص ١٦) .

(٣) البرجاس : معرب ، وهو هدف ينصب على رمح أو سارية ، ومعناه فى لغة أهل مصر ، رمح أو سارية فى أعلاه كرة من ذهب أو فضة يرميها الحذاق وهم على الجياد (معجم الوسيط ١ : ٨٤٦) .

مُحْجَاجاً فى الأجْوِبة ، قيل له : إن الناس تقول عنك إنك قتلتَ مِن أعيان الملوك نحو ثمانين نفساً ، فقال : ما قَتَلْتُ واحداً منهم إلا وقد استحقَّ القتلَ قبل ذلك ، والسلطان له أن يَقْتل مَن اُختار قَتْلَه ، وشَنّعَ عنه هذه المقالة مَن لا يعرفُ معناها من الأتراك الذين يَقْصُرُ فهمُهُم عن إدراك المعانى .

وأما فعله من وجوه البرّ فكثيرٌ ، وله مآثر مشهورة به ، وعمائر كثيرة ، ٥ أعظمها : الجامع المؤيّدى الذى لم يُبْن فى الإسلام أكثر زخرفة منه بعد الجامع الأموى بدمشق ، ثم تجديده لجامع المقياس ، ثم لمدرسة الخرُّوبية بالجيزة ، وأشياء غير ذلك كثيرة .

وأما ما خلَّفه من الأموال والخيول والجمال والسلاح فكثيرٌ جداً لم أقف على تحرير قَدْرِه . ١٠

وخلَّفَ من الأولاد ستةً — فيما أعلم — ذَكَرَيْن أحدهما الملكُ المظفرُ أحمد ، وأربع بنات ، الجميع دون البلوغ — انتهى والله سبحانه أعلم .

السنة الأولى من سلطنة الملك المؤيد شيخ

على مصر

وهى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على أن السلطانَ الملكَ الناصرَ فَرَجا حَكَمَ منها إلى يوم السبت خامس عشرين المحرّم[1] ، ثم حكم من يومئذ الخليفة المستعين العباس[2] إلى أن خُلِع من السَّلطنة بالملك المؤيّد هذا فى يوم الاثنين مُسْتَهَلّ شعبان ، فحكم المؤيّدُ من مُسْتَهلّ شعبان إلى آخرها ، فهى على هذا التقدير أوّل سنة حَكَمَها من سلطنته .

فيها : أعنى سنة خمس عشرة وثمانمائة تُوُفِّىَ قاضى قضاة دمشق شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن إسماعيل بن خليفة الدمشقى الشافعى ، المعروف بابن الحِسْبانى[3] ، فى يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الأوّل[4] بها ، عن خمس وسبعين سنة وأشهر ، وكان معدوداً من فقهاء الشّافعيّة ، أفتى ودرّس سنين وتولى قَضَاء دِمشق وقَدِم القاهرة غير مرّة .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة محبُّ الدين محمد بن محمد بن محمد الحلبى الحنفى ، المعروف بابن الشِّحْنَة[5] ، فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر بحلب عن ست وستين سنة ، وكان إماماً عالماً بارعاً ، أفتى ودرّس بحلب ودمشق والقاهرة ، ووَلِىَ القضاء بحلب ثم بدمشق ، ثم ولّاه الملكُ الناصر [فرج[6]] قضاء الديار المصرية لمّا حوصرَ بدمشق ، فى يوم الخميس

---

(١) وهو التاريخ الذى بايع فيه الأمراء الخليفة المستعين بالله العباس بالسلطنة ، وحلفوا له على الطاعة ، ونادوا بخلع السلطان الناصر فرج بن برقوق وهو محاصر بدمشق ، وقد قتل الناصر هذا بقلعة دمشق فى ١٦ صفر سنة ٨١٥ هـ (ج ١٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٩١ من هذا الكتاب ط. الهيئة العامة للتأليف) .

(٢) انظر ترجمته فى المرجع السابق ص ١٨٩) .

(٣) هو أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العالى النابلسى الحسبانى الأصل الدمشقى ، ولد فى أواخر سنة ٧٤٩ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٣٩) .

(٤) فى المرجع السابق : توفى فى عاشر ربيع الآخر .

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن الختلو الحلبى الحنفى ، ولد سنة ٧٤٩هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٣) و (الذيل على رفع الإصر ص ٤٠٦) .

(٦) إضافة للتوضيح .

ثالث عشرين المحرّم من هذه السّنة ، عِوَضًا عن ناصر الدِّين بن العَدِيم ، بحكم توجّهه إلى شيخ ونَوْرُوز ، فلم تَطُل مُدّته ، وعُزِل مِن قِبَلِ المُستعين ، وأعيدَ ابنُ العَديم .

وتُوُفِّيَ الوالدُ[1] — وهو على نِيَابة دمشق بها — في يوم الخميس سادس عشر المحرم ، ونذكر التعريف به :

فهو تغْرِى بَرْد بن عبد الله مِن خَواجا بَشْبُغَا ، كان روميّ الجنس ، اشتراه الملك الظّاهرُ بَرْقُوق في أوائل سلطنته ، وأعتقه ، وجعله في يوم عتقه خاصّكيًّا ، ثم جعله ساقيًا ، وأنعم عليه بحصّةٍ من شبين القصر[2] ، ثم جعله رأسَ نَوْبَةَ الجَمدَارية إلى أن نُكِبَ الملك الظاهر [بَرْقوق][3] وخُلِعَ وحُبِس بسجن الكَرَك[4] ، فَحُبِسَ الوالد بدمشق ؛ فإنه كان قد توجّه مع مَن توجّه من عسكر السلطان لقتال الناصري[5] ومِنطَاش[6] ، فقُبِض عليه هناك ، وسُجِن ، ودام في سجن دمشق إلى أن أخرجه الأمير بُزْلاَر العمرى نائب دمشق ، وجعله بخدمته هو ودَمُرْدَاش المحمدى ودُقْمَاق المحمدى .

واستمر الوالد بدمشق إلى أن خرج الملكُ الظّاهر بَرْقُوق من سجن الكَرَك ، فبادَر الوالدُ بالتَّوَجُّه إليه قَبْلَ أنْ يستفحل أمرُه ، وحَضَرَ معه الوقعة المشهورة التى كانت بينه وبين منطَاش ، وحَمَلَ الوالدُ في الوقعة المذكورة على شخصٍ من أمراء مِنطَاش يسمّى آقبُغَا اليَلْبُغَاوىّ ، فقَنْطَرَه عن فرسه ، فسأل بَرْقُوق عنه ، فقيل له تَغْرِى بَرْدِى ، فتفاءل بَرْقُوق باسمه ، لأنّ معناه : الله أعطى ، وأنعم عليه بإقطاع إمرة طَبْلَخَانَاه دفعة واحدة ، مع أنه كان أنعم عليه قبل خروجه للسفر بإمرة عشرة ، غير أنه لم يباشر ذلك .

(١) ورد في هامش اللوحة «تغرى بردى والد المؤرخ» .

(٢) شبين القصر : هي شبين القناطر ، أحد مراكز محافظة القليوبية الآن . وانظر (محمد رمزى — القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ج ١ ق ٢ : ٣٥ ، ٣٦) .

(٣) إضافة للتوضيح .

(٤) الكرك : مدينة وقلعة بأطراف الشام (الأردن حاليا) وانظر هامش (ج ٣ : ٣ من هذا الكتاب) .

(٥) هو سيف الدين يلبغا الناصرى الظاهرى .

(٦) منطاش : هو تمربغا بن عبد الله الأفضلى المعروف بمنطاش ، وانظر قصته وقصة يلبغا مع السلطان الظاهر برقوق فى (ج ١١ : ٢٥٦—٢٨٩ من هذا الكتاب) .

ثم أرسله الملك الظاهر [برقوق] [١] إلى مصر يُبَشِّر من بها بسلطنته ونصرته على منْطاش ، ودخل الظّاهر فى أثره إلى مصر ، وبعد قليل أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالدّيار المصرية ، ثم جعله رأس نَوْبَة النُّوَب ، ثم ولّاه نيابة حلب بعد جُلُبّان قَرَاسُقْل [٢] ، ثم عزله ، وأنعم عليه بتقدمة ألف بمصر على خُبْز شيخ الصَّفَوِىّ الخاصَكِىّ أمير مجلس ، وقَبْلَ أن يخلع عليه بإمْرَةِ مجلس نقله إلى إمْرَةِ سلاح عوضاً عن بَكْلَمُش العلائى بحكم مسكه ، واستمر على ذلك إلى أن كانت وقعة الأتابَك أَيْتَمُش [٣] مع الملك الناصر [فرج] [٤] فى سنة اثنتين وثمانمائة .

وكان الوالد قد انضم على أيْتَمُش هو وجماعةٌ من الأمراء — حسبما ذكرناه فى ترجمة الملك الناصر فرج — وانهزم الجميع بعد الوقعة ، وخرجوا من مصر إلى الأمير تَنَم [٥] نائب الشّام ، وعادوا صحبته ، فانكسر تَنَم أيضا ، وقُبِضَ على الجميع ، وقُتِلُوا بقلعة دِمَشْق إلاّ الوالد لشفاعة أم الملك الناصر [٦] فيه وآقْبُغَا الأُطْرُوش [٧] ، وقُتِلَ مَن عداهما ، ودام الوالدُ بسجن قلعةِ دِمَشْق إلى أن أُطْلِق ، وتوجّه إلى القدس بطّالاً بسفارة أم الملك النّاصر أيضاً ، فدَام بالقُدْس إلى أن طلبه الملكُ الناصر بغزّة وخلع عليه بنيابة دِمَشْق ،

---

(١) إضافة على الأصل .

(٢) هو جلبان بن عبدالله الكمشبغاوى الظاهرى برقوق المعروف بقراسقل، مات سنة ٨٠٢ ﻫ وانظر (ج ١٣ : ١٤ من هذا الكتاب) وربما رسم «صقل» بالصاد .

(٣) هو أيتمش بن عبد الله الأسندمرى البجاسى الجرجاوى ثم الظاهرى ، قتله الناصر فرج بقلعة دمشق سنة ٨٠٢ ﻫ ، وهو صاحب المدرسة الأيتمشية الحنفية بالقرب من باب الصوة ، وانظر (ج ١٣ : ١٢ من هذا الكتاب) و (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٣٢٤) .

(٤) إضافة للتوضيح .

(٥) هو سيف الدين تنبك الحسنى الظاهرى المدعو تنم ، مات خنقا فى ليلة الخميس رابع عشر رمضان سنة ٨٠٢ ﻫ ، وتربته بالقبيبات بظاهر دمشق ، وانظر (ج ١٣ : ١٦ من هذا الكتاب) و (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٤٤) .

(٦) هى عمة المؤلف خوند شيرين أم الملك الناصر فرج (ج ١٢ : ٢١٦ من هذا الكتاب) .

(٧) هو سيف الدين آقبغا بن عبد الله الجمالى الظاهرى برقوق الأطروش ، مات سنة ٨٠٦ ﻫ (ج ١٣ : ٣٦ من هذا الكتاب) و (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٣١٦) .

عوضاً عن سُودُون [١] قريب الملك الظّاهر بَرْقوق ، بحكم أسره مع تَيْمُور .

فحكم الوالدُ دمشقَ مُدّة ، ثم انهزم مع الملك الناصر [فرج] [٢] إلى الديار المصرية ، واستولى تَيْمُور على دمشق ، وأنعم [الملك الناصر فرج] [٣] على الوالد بتقدمة ألف بالقاهرة ، فدام مدّة يسيرة ، وخلع عليه [أيضا] [٤] بإعادته لنيابة دمشق ، بعد خروج تَيْمُور منها ، كل ذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ، فتوجّه [الوالد] [٥] إليها ، وأقام بها إلى أن بلغه [خبر] [٦] القبض عليـــه ، ففرّ منها وتوجّه إلى دَمُرْدَاش نائب حلب ، وعصَيَا معا ، ووقع لهما أمور وحروب إلى أن انهزما .

وتوجّه الوالدُ إلى بلاد التُّرْكُمَان ، فأقام بها مُدّة إلى أن طُلب إلى الدّيار المصريّة ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، وأجلس رأس الميسرة أتَابَكاً ، واستمرّ على ذلك إلى أن اختفى الملكُ الناصر [فرج] [٧] وخلع بأخيه المنصور عبد العزيز [٨] ، فخرج الوالد من الديار المصريّة على البريّة بجماعة من مماليكه إلى أن توجّه إلى القدْس ، فدام في بريّة القدْس إلى أن عاد الملك الناصر [فرج] [٩] إلى السّلطنة ودخل على الأخت ، وكان الناصر عقد عقده عليها قبل خلعه بحضرة الوالد ، فلما تسلطن ثانياً دخل بها في غيبة الوالد . ثم أرسل [الناصر فرج] [١٠] بطلب الوالد ، فحضر الوالدُ على حالِه أوّلا إلى أن خلَع عليه الملك الناصر باستقراره أتَابَك العساكر بالديار المصرية عوضا عن يَشْبُك الشَّعْبَاني في سنة عشر

(١) هو سيف الدين سودون بن عبد الله الظاهرى المعروف بسيدى سودون ، وقتل في أسر تيمور لنك بظاهر دمشق ، ودفن بقيوده سنة ٨٠٣ هـ (ج ١٣ : ٢٠ من هذا الكتاب) .

(٢، ٣، ٥) الإضافات للتوضيح .

(٤) إضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٣٣) .

(٦) إضافة يقتضيها السياق .

(٧، ٩) الإضافة للتوضيح .

(٨) حكم الملك المنصور عز الدين عبد العزيز بن برقوق من ٢٦ ربيع الأول سنة ٨٠٨ هـ ولمدة شهرين وعشرة أيام ، ثم خلعه أخوه الملك الناصر فرج ، وسفره وأخاه إبراهيم إلى الإسكندرية ، وسجنهما بها حتى ماتا في السجن في سابع ربيع الآخر سنة ٨٠٩ هـ ، واتهم أخوهما الملك الناصر باغتيالهما بالسم ، وانظر (ج ١٣ : ٤١–٤٧ من هذا الكتاب) .

(١) الإضافة للتوضيح .

وثمانمائة ، فدام على ذلك إلى أن نُقِل إلى نيابة دمشق فى أواخر سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، على كُرْه منه بعد واقعة الكَرَك .

وقد ذكرنا سبب ولايته فى ترجمة الملك الناصر، لما كان على حصار الكَرَك ، فدام على نيابة دِمَشْق إلى أن مات فى ولايته هذه ، وهى الثالثة لنيابة دمشق ، ودُفِنَ بتربة الأمير تَنَم [١] معه فى فسقية واحدة ، ولا أعلم من أخباره شيئًا لصغر سِنِّى فى حياته ؛ فإن كان مشكور السِّيرة فالله تعالى ينفعه بفعله ، وإن كان غير ذلك فالله [تعالى] [٢] يرحمه بفضله .

وخلّف الوالدُ عشرة أولاد ، ستة ذكور وأربع إناث ، أَسَنّ الجميع خَوَنْد [٣] فاطمة تُوُفِّيَت سنة ستٍّ وأربعين ، ثم الزَّينى قاسم فى قيد الحياة ، ومولده قَبْل القرن ، ثم الشَّرَفِىّ حمزة تُوُفِّىَ سنة تسع وأربعين بالطاعون ، ثم بَيْرَم ماتت فى سنة ستّ وعشرين ، ثم هَاجَر تُوُفِّيَت سنة خمس وأربعين ، ثم إبراهيم تُوُفِّى سنة ست وعشرين ، ثم محمد [مات] [٤] سنة تسع عشرة وثمانمائة ، ثم إسماعيل مات سنة ثلاث وثلاثين بالطاعون ، ثم شَقْرَاء فى قيد الحياة ، ثم كاتبه [٥] عفا الله [تعالى] [٦] عنه ، وأنا أصغر الجميع ومولدى بعد سنة إحدى عشرة وثمانمائة تخمينًا .

وخلف الوالد من الأموال والسلاح والخُيُول والجمال شيئا كثيراً إلى الغاية ، استولى على ذلك كلّه الملك النّاصر فَرَج لما عاد إلى دمشق منهزماً من الأمير شيخ ونَوْرُوز ، ثم قُتِلَ الملك النّاصر بعد أيّام ، وتَرَكَنَا فقراء من فقراء المسلمين ، فلم يُضَيِّعنا الله سبحانه وتعالى ، وأنْشَأنا على أجمل وجه من غير مال ولا عقار ، ولله الحمد .

---

(١) تربة الأمير تنم : وكانت بالقبيبات بظاهر دمشق ، وانظر حاشية ٥ ص ١١٦ من هذا الجزء .

(٢) الإضافة من (ط كاليفورنيا ٦ : ٤٣٤) .

(٣) خوند : لقب فارسى يطلق على الذكور والإناث ، وجرت العادة أن يخاطب به الملوك وزوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم ، وأيضا كبار الأمراء ، وانظر هامش (ج ١٣ : ١٠ من هذا الكتاب) . وخوند فاطمة هى زوجة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق .

(٤، ٦) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٣٤) .

(٥) ورد فى هامش اللوحة «وهو سيدى يوسف المؤلف» .

وتوفّى الأمير سيف الدين بَكْتَمُر بن عبد الله الظّاهِرىّ المعروف بجِلّق بالقاهرة في ثامن جمادى الآخرة من مرض تمادى به نحو الشهرين، وأصل ضعفه أن عقرَبًا لسعته بطريق دمشق في عوده إلى القاهرة صحبة الخليفة المستعين بالله، وبموته خلا الجو للملك المؤيد [شيخ] [1] حتى تسلطن، فإنه كان أمرّ عليه من نَوْرُوز الحافظىّ، وكان بَكْتَمُر أميراً جليلا شجاعاً مُهَاباً كريماً مُتَجمّلا في مماليكه ومَرْكَبه ومأكله، وقد وَلِىَ نيابة صَفَد ثم نيابة طَرَابُلُس ثم نيابة دمشق غير مرّة، ووقع له حروب مع الملك المؤيّد شيخ أيّام إمرته حسبما ذكرنا ذلك كله مفصلا في ترجمة الملك الناصر فَرَج — رحمه الله.

وقتل في هذه السّنة جماعة كبيرة في واقعة الملك الناصر مع الأمراء في اللَّجُّون [2] وغيره، وممّن قُتِل في هذه الوقعة الأمير سيف الدين مُقْبِل بن عبد الله الرُّومى الظاهرىّ أحد مقدمى الألوف بالدِّيار المصرية، وهو الذى كان زوّجه السلطان الملك الناصر بأخته خَوَنْد سارة زوجة [3] الأمير نَوْرُوز الحافظىّ، والأمير سيف الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله المعروف بشقل [4]، والأمير سيف الدين بَلَاط بن عبد الله الناصرى الأعرج شاد الشراب خاناه، وكان ممّن قُبِض عليه في وقعة اللَّجُّون ووسّطه الأمير شيخ المحمودى بعد أيام، وكان بَلَاط المذكور من مساوئ الدّهر، فاسقاً مُتهتِّكاً زِنْديقاً يُرْمَى بعظائم في دِينه، قِيلَ إنّه كان يقول للملك الناصر فَرَج: أنت أُستاذى وأبى وربّى ونبيّى، أنا لا أعرف أحدًا غَيْرَك، وكان يَسْخَر ممّن يُصلِّى، ويضحك عليه، وعُدَّ قَتْلُه من حسنات الملك المؤيّد [شيخ] [5] انتهى.

---

(١) الإضافة للتوضيح.

(٢) اللجون: بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٣٥١) و(ج ٨ : ٦٣ حاشية ١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب). وانظر هذه الواقعة وما جرى فيها في (ج ١٣ : ١٣٩–١٤١ من هذا الكتاب).

(٣) انظر قصة طلاق خوند سارة من الأمير نوروز على كره منها، وزواجها للأمير مقبل في (ج ١٣ : ١٣٢ من هذا الكتاب).

(٤) ورد في هامش اللوحة «ترجمة ألطنبغا وبلاط الزنديق». وألطنبغا هو الأمير يشبك بن عبد الله الموساوى الظاهرى المعروف بسيف الدين شقل، كما يعرف بالأقم، وانظر (ج ١٣ : ١٤٦، ٢١٦ من هذا الكتاب) و(السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٧٩).

(٥) إضافة للتوضيح.

والأمير بَلَاط الظاهرىّ أمير علم[١] ، وكان أيضاً ممن يُبَاشر قَتْل خُشْدَاشِيَّتِه المماليك الظاهريّة ، فوسّطه أيضاً المؤيد ، كل ذلك قَبْل سلطنته والملك الناصر محصورٌ بدمشق .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين سُودون بن عبد الله الظاهرىّ المعروف بسُودون الجَلَب[٢] ، بعد أن وَلِىَ نيابة طَرَابُلُس ولم يدخلها ، ثم وَلِىَ نيابة حلب ، فتوجّه إليها وهو مريض من جُرْح أصابه فى حصار الملك الناصر فرج ، فمات منه فى شهر ربيع الآخر .

وكان من الشُّجْعان ، يُحْكى عنه أعاجيب من خفّته وشجاعته وسرعة حركته ، وقد تقدّم ذكره فى عدة مواطن ، وهو أستاذ الأمير الكبير يَشْبُك السُّودونى المُشِدّ أتابَك العساكر بديار مصر فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين يَشْبُك بن عبد الله العثمانى الظاهرى ، أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية فى يوم الجمعة أول صفر ، من جُرح أصابه فى أمسه عند حصار دِمَشْق ، وكان من أعيان المماليك الظاهرية ، وممّن انضمّ مع الملك المؤيد شيخ أيّام تلك الفِتَن .

وتُوُفِّىَ السلطان ملك الهند صاحب بنجالة[٣] ، غياث الدين أبو المظفر ابن السلطان إسكندر شاه ، وكان من أجلّ ملوك الهند ، وممالكه متسعة جداً .

وتُوُفِّىَ الأمير سيفُ الدين قُطْلوبُغَا بن عبد الله الخليلى ، نائب إسكندرية بها فى هذه السنة .

---

(١) أمير علم : هو المتولى لأعلام السلطان والطبلخاناه وما يجرى مجرى ذلك (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٦) وانظر قصة بلاط فى (ج ١٣ : ١٤٦ من هذا الكتاب) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «سودون الجلب» وله ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٢٨٢) .

(٣) بنجالة : هى البنغال . وكانت تشمل معظم نواحى بردوان ووكالات وهاكه وراج شاهى وبها كلبور وشمالى بتنه ، وانظر (دائرة المعارف الإسلامية — ترجمة ا. خورشيد وآخرين ٤ : ٢٢٤—٢٢٧) .

وتُوُفِّىَ الشيخُ جمالُ الدين عبد الله بن محمد بن طَيْمان[1] ، المعروف بالطَّيْمانى الشافعى ، قُتِل بدمشق فى الفتنة ليلة الجمعة ثامن صفر ، وكان من الفضلاء ، انتقل من القاهرة إلى دمشق وسكنها .

وتُوُفِّىَ الشيخُ شهابُ الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد بن على بن الهائم[2] المصرىّ الشافعىّ بالقُدْس ، وكان فقيهًا بارعًا فى الحساب والفرائض ، وله مشاركة ٥ فى فنون .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ثلاثة أَذْرع سواء ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وثمانية عشر إصبعا .

---

(١) طيمان : بفتح الطاء وسكون الياء — آخر الحروف — ولد قبل السبعين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ٥٠) . ١٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن عماد بن على . الشهاب أبو العباس القرافى المصرى ثم المقدسى الشافعى ، ويعرف بابن الهائم ، ولد سنة ٧٥٦ هـ وقيل سنة ٧٥٣ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ١٥٧—١٥٨) .

السنة الثانية من سلطنة الملك المؤيد شيخ

على مصر

وهى سنة ست عشرة وثمانمائة .

فيها تُوُفِّىَ الشيخُ الإمام فخرالدين عثمان بن إبراهيم بن أحمد البِرْماوِىّ[(١)] الشافعىّ، شيخ القراء بمدرسة الملك الظاهر برقوق ، فى يوم الاثنين تاسع عشر شعبان فجأة بعد خروجه من الحمّام ، وكان بارعًا فى الفقه والحديث والقِرَاءات والعربية وغير ذلك ، وتصدّى للإقراء سنين .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة صدر الدين على ابن أمين الدين محمد بن محمد الدمشقى الحنفى المعروف بابن الأَدَمِىّ[(٢)] ، قاضى قضاة دمشق ، وكاتب سرِّها ، ثم قاضى [القضاة][(٣)] بالديار المصرية ، فى يوم السبت ثامن شهر رمضان بالقاهرة وهو قاض ، ومولدُه بدمشق فى سنة سبع وستين وسبعمائة ، وكان إمامًا بارعًا أديبًا فصيحًا ذكيًّا ، وَلِىَ نظر جيش دمشق ، ثم كتابة سِرِّها ، ثم قضاءها ، ثم نقله الملكُ المؤيد إلى الدّيار المصرية ، وولّاه قضاءها بعد عَزْلِ قاضى القضاة ناصر الدين بن العديم[(٤)] ، ثم جمع له بين القضاء وحِسْبَةِ القاهرة ، إلى أن مات ، ولما ولى كتابة السرّ بدمشق بعد عزل الشريف علاء الدين قال فيه العلامة شهاب الدين أحمد بن حجى : [الطويل]

تَهنْ بِصَدْرِ الدِّين يا مَنْصِبًا سَمَا وَقُلْ لِعَلَاءِ الدِّينِ أن يتأدبا

لَهُ شَرَفٌ عَالٍ وَبَيْتٌ وَمَنْصِبٌ وَلٰكِنْ رَأَيْنَا السِّرَّ لِلصَّدْرِ أنْسَبَا

(١) هو عثمان بن إبراهيم بن أحمد بن عبد اللطيف بن نجم بن عبد المعطى . الفخر أبو المجد البرماوى نسبة إلى بلدة برمة بمحافظة الغربية ، ولد بعد سنة ٧٦٠ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ١٢٣) .

(٢) ترجم له السخاوى فى (الضوء اللامع ٦ : ٨ والذيل على رفع الإصر ١٨٦—١٩٥) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٣٧) .

(٤) ترجم له المؤلف فى وفيات سنة ٨١٩ هـ من هذا الجزء ، وانظر (البدر العينى — السيف المهند ص ٣٤٥) .

وفيه يقول الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم المُزَيِّن[1] الدمشقي : [الطويل]

وِلايَةُ صَدْرِ الدِّينِ لِلسِرِّ كاتِبًا … لهَا في النُّفُوسِ المُطْمَئِنَّةِ مَوْقِعُ

فإنْ يَضَعُوا الأَشْيَا إذاً في مَحَلِّها … فلَمْ يَكُ غَيْرَ السِّرِ لِلصَّدْرِ مَوْضِعُ

قلت : وهجاه أيضا بعضهم فقال : [الرجز]

كِتابَةُ السِّرِّ غَدَتْ … وجُودُهَا كالْعَدَمِ ٥

وأَصْبَحَتْ بَيْنَ الْوَرَى … مَصفُوعَـةً بالأَدَمِ

ومن شعر قاضي القضاة صدر الدين المذكور أنشدني الشيخ شمس الدين محمد التَّفيسي قال : أنشدني قاضي القضاة صدر الدين بن الأَدَمي من لفظه لنفسه ، وهو مما يُقرأ على قافيتين : [السريع]

يَا مُتْهِمِي بالسُّقْمِ[2] كُنْ مُسْعِفِي … وَلا تُطِلْ رَفْضِي فإِنِّي عَلِيلْ ١٠

أَنْتَ خَلِيلِي فَبِحَقِّ الْهَوَى … كُنْ لِشُجُونِي رَاحِمًا يا خَلِيلْ

وله : [السريع]

قَدْ نَمَّقَ الْعَاذِلُ يا مُنْيَتِي … كلامَهُ بالزُّورِ عِنْدَ الْمَلَامْ

وَمَا دَرَى جَهْلًا بأَنِّي فَتًى … لَمْ يَرْعَ سَمْعِي عَاذِلاً فيك لامْ

وله القصيدة الطنّانة التي أولها : [الطويل] ١٥

عَدِمْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ قَلْبِي وَناظِرِي … فَيَامُقْلَتِي حَاكِي السَّحَابَ وَناظِرِي

— انتهى .

وتُوفِّيَ الشيخُ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حِجِّي بن موسى

---

(١) ترجم له المؤلف في (ج ١٣ : ١٧٣ من هذا الكتاب) ، واسمه محمد بن إبراهيم بن بركة العبدلي الدمشقي الشهير بالمزين - صنعته - توفي في شعبان سنة ٨١١ هـ ومولده سنة ٧٣١ هـ بدمشق . ٢٠

(٢) في الضوء اللامع للسخاوي ٦ : ٩ «يا متهمي بالصد كن منجلي» .

السّعدى ، الحِسْبَانى[١] الأصل ، الدِّمشقى الشافعى بدمشق ، وكان فقيهاً بارعاً ، أفتى ودرس سنين ، وخطب بجامع دمشق ، وقدم القاهرة فى دولة الملك الناصر [فرج][٢] فى الرّسلية عن الأمير شيخ ، أعنى الملك المؤيد ، وكان معدوداً من فقهاء دمشق وأعيانها .

٥ وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونى[٣] ، الشافعى الدمشقى ، بدمشق فى رابع المحرم ، ومولده بقرية باعُونَة من قُرَى عَجْلُون[٤] فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة تَخْميناً ، ونشأ بدِمَشْق وطلب العلم ، وتولى قضاء دِمَشْق وخطابة بيت المَقْدِس ، ودَرَّس وأفتى ، وقال الشِّعر ، ولما وَلِىَ قضاء دِمَشْق هَجَاهُ بعضهم بقوله : [مجزوء الوافر[٥]]

١٠ قَضَاءُ الشّامِ أَنْشَدَنِى بِدِينِى[٦] لاَ تَبِيعُونِى
صُفِعْتُ بِكُلِّ مَصْفَعَةٍ وَبَعْدَ الْكُلِّ بَاعُونِى

وهجاه آخر عند توليته خطابة القدْس بكلام مُزْعج ، الإضرابُ عنه أَلْيَق .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد الحِمْصِى الشّافعى ، المعروف بابن

(١) هو أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعيد بن غشم بن غزوان بن على بن مشرف بن تركى .
١٥ الشهاب أبو العباس ابن العلاء أبى محمد السعدى . نسبه للصحابى عطية بن عروة السعدى — الحسبانى الدمشقى الشافعى . ويعرف بابن حجى بكسر المهملة والجيم الثقيلة ، ولد فى المحرم سنة ٧٥١ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٦٩—٢٧١) .

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) هو أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن . الشهاب المقدسى الباعونى
٢٠ الناصرى ، ولد بالناصرة سنة ٧٥١ هـ تقريبا ، وانظر (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٢٣١—٢٣٣) .

(٤) عجلون : قلعة من جند الأردن فوق جبل عوف بالغور الشرقى ، بناها عز الدين أسامة بن منقذ أحد أمراء صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٠ هـ وكانت أولا دير راهب يسمى عجلون فنسبت إليه ، وتقع قبالة بيسان (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٠٥) .

(٥) إضافة على الأصل .

٢٥ (٦) فى الأصل « قضاء الشام قد أبكى وأنشد بدونى لا تبيعونى » وما أثبته يصح معه الوزن والمعنى .

الشُّنْبُلِيّ[١] ، في هذه السنة ، وكان فقيهاً بارعاً عالماً ، إلاّ أنه لَمّا وَلِيَ قضاء دِمَشْق لم تُحْمَد سيرته .

وتُوُفِّيَ قاضي القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدِّمَشْقِيّ ، الشافعي المعروف بابن الإخْنَائيّ[٢] ، بِدمَشْق في نصف شهر رجب عن نحو ستين سنة ، بعد أن أفتى ودرّس ، ووَلِيَ قضاء غزَّة وحَلَب ودِمَشْق ودِيارِ مصر عدّة سنين ، وكان معدوداً من رؤساء دمشق وأعْيانها ، وله مكارم وأفضال — رحمه الله .

وتُوُفِّيَ الأمير الوزير سيف الدين مُبارَك شَاه بن عبد الله المُظَفَّرِيّ الظّاهِرِيّ ، في شهر رمضان ، كان يخدم الملك الظاهر [برْقُوق[٣]] أيام جنديته تبعاً ، فلما تسلطن رقّاه وأمَّره ، ثم جعله من جُملة الحجّاب ، ثم وَلِيَ الوزارة ، ثم الأستادارية ، وأقام بعد عزله سنين إلى أن مات .

وتُوُفِّيَ قاضي المدينة النبويّة زين الدين أبو بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العثماني المراغي الشافعي المعروف بابن الحسين[٤] في سادس عشر ذي الحجة ، وكان من الفقَهَاء الفضلاء .

وتُوُفِّيَ الشيخُ الإمام المُفَنَّن العلاّمة ، بُرهان الدين إبراهيم بن محمد بن بَهَادرُ بن أحمد القُرَشيّ الغزي[٥] النَّوْفَلِيّ الشّافعي ، المعروف بابن زُقّاعَة ، في ثاني عشر

(١) هو أحمد بن أبي أحمد بن الشنبل — بضم المعجمة وسكون النون بعدها موحدة مضمومة ثم لام — والشنبل مكيال القمح بحمص — أبو العباس الحمصي (السخاوي — الضوء اللامع ١ : ٢٢٥) .

(٢) هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة السعدي الإخنائي الشافعي ، ولد سنة ٧٥٧ هـ (السخاوي — الذيل على رفع الإصر ٣٥٥—٣٥٧) والإخنائي نسبة إلى إخنا — بالقصر — بلدة بقرب الإسكندرية (السخاوي — الضوء اللامع ١١ : ١٨٣) .

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) هو أبو بكر بن الحسين بن أبي حفص عمر بن أبي عبد الله محمد بن يونس بن أبي الفخر بن محمد ابن عبد الرحمن بن نجم بن طولو . الزين أبومحمد القرشي العبشمي الأموي العثماني المراغي المصري الشافعي ، ويقال إن اسمه عبد الله ، ولد سنة ٧٢٧ هـ بالقاهرة (السخاوي — الضوء اللامع ١١ : ٢٨—٣) .

(٥) في الأصل «المغربي» وما أثبته هو الصواب لأنه ولد بغزة في ربيع الأول سنة ٧٤٥ هـ (السخاوي — الضوء اللامع ١ : ١٣٠) .

ذى الحجّة بالقاهرة ، عن اثنتين وتسعين سنة ، وزُقَّاعَه[1] — بضم الزاى المعجمة وفتح القاف وتشديدها وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء ساكنة — وكان إماماً عارفاً بفنون كثيرة ، لا سيّما علم النجوم ، والأعشاب ، وله نظم كثير ، وكانت له وَجَاهَة عند الملوك ، بحيث إنه كان يجلس فوق القضاة ، ومن شعره أنشدنا قاضى القضاة جمالُ الدين محمد أبو السعادات بن ظَهِيرَة قاضى مكّة من لفظه قال : أنشدنى الإمام العلاّمة بُرْهَان الدين إبراهيم بن زُقَّاعَة من لفظه لنفسه : [الوافر]

رَأَى عَقْلِي وَلُبِّي فِيهِ حَارَا ... فَأَضْرَمَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ نَارَا

وَخَلاَّنِي أَبِيتُ اللَّيْلَ مُلْقًى ... عَلَى الأَعْتَابِ أَحْسَبُهُ نَهَارَا

إِذَا لاَمَ الْعَوَاذِلُ فِيهِ جَهْلاً ... أَصِفْهُ لَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَيَارَى

وَإِنْ ذَكَرُوا السُّلوَّ يقُولُ قَلْبِي ... تَصَامَمْ عَنْ أَبَاطِيلِ النَّصَارَى

وَمَا عَلِمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّ صَبْرِي ... وَسُلْوَانِي قَدْ ارتحلا وَسَارَا

فَيَا لِلّٰهِ مِنْ وَجْدٍ تَوَلَّى ... عَلَى قَلْبِي فَأَعْدَمَهُ الْقَرَارَا

وَمِنْ حُبٍّ تَقَادَمَ فِيهِ عَهْدِي ... فَأَوْرَثَنِي عَنَاءً وَانْكِسَارَا

قَضَيْتُ هَوَاكُمُو عِشْرِينَ عَامًا ... وَعِشْرِينًا تُرَادِفُها اسْتِتَارَا

فَنَمَّ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي فَأَبْدَى ... سَرَائِرَ سِرٍّ مَا أُخْفِي جِهَارَا

إِذَا مَا نَسْمَةُ الْبَانَاتِ مَرَّتْ ... عَلَى نَجْدٍ وَصَافَحَتْ الْعِرَارَا

وَصَافَحتِ الْخُزَامَ وَعُنْظُوَانًا ... وشيحا ثُمَّ قَبَّلَت الْجِدَارَا[2]

(١) هو إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله — برهان الدين القرشى النوفلى الغزى الشافعى ويعرف بابن زقاعة (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ١٣٠) .

(٢) الخزام : شجر مثل شجر الدوم سواء ، وله أفنان وبسر صغار ، يسود إذا أينع ، مر عفص لا يأكله الناس ، ولكن الغربان حريصة عليه . والخزامى نبت طيب الريح ، وقيل عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق ، حمراء الزهرة طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج ولا يوجد من الزهر ماهو أطيب من نفحا (لسان العرب ١٥ : ٦٦) والعنظوان : شجر ، وقيل نبت أغبر ضخم وربما استظل الإنسان فى ظله ، وقيل : هو ضرب من النبات أو ضرب من الحمض (لسان العرب ٩ : ٣٢٨) والشيح : نبات طيب الرائحة ، ومنه نوع ينبت فى بلاد العرب ترعاه المواشى . وقد ورد البيت فى الأصل :—

وصافحت الخزام وعتقوانا وشيحا ...

جِدَارَ دِيَارِ مَنْ أَهْوَى قَدِيمًا رَعَى الرَّحْمَنُ هَاتِيكَ الدِّيَارَا
أَلاَ يَا لاَئِمِي دَعْنِي فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَوْتَ حَجًّا وَاعْتِمَارَا
فَأَهْلُ الْحُبِّ قَدْ سَكِرُوا وَلَكِنْ صحا[1] كُلٌّ وَفِرْقَتُنَا سُكَارَى

ومن شعره أيضاً فى فنّ التصوّف : [الوافر]

سَأَلْتُكَ بِالْحَوَامِيمِ[2] الْعَظِيمَهْ وَبِالسَّبْعِ الْمُطَوَّلَةِ[3] الْقَدِيمَهْ ٥
وَبِاللاَّمَيْنِ وَالْفَرْدِ الْمُبَدَّا بِهِ قَبْلَ الْحُرُوفِ الْمُسْتَقِيمَه
وبِالْقُطْبِ الْكَبِيرِ وَصَاحِبَيْهِ وبالأَرْضِ الْمُقَدَّسةِ الْكَرِيمَه
وبِالْغُصْنِ الذى عَكَفَتْ عليه طُيُورُ قُلُوبِ أصحابِ الْعَزِيمَه
وَبِالْمَسْطُورِ فى رَقِّ الْمعانى وبالمنشورِ فى يَوْمِ[4] الوليمه
وبِالْكَهْفِ الذى قَدْ حَلَّ فيه أَبُو فِتْيَانِهَا وَرأى رَقِيمَهْ ١٠
وبِالْمَعْمُورِ مِن زَمَنِ النصارى بِأحْجَارٍ بِحُجْرَتِها مُقِيمَهْ
فَفَجِّرْ فى فُؤَادِى عَيْنَ حُبٍّ تُرَوِّى مِن مشاربِهَا صَمِيمَهْ

قُلْتُ : وبعض تلامذته من الصُّوفيه يزعمون أن هذه الأبيات فيها الاسم الأعظم .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً . ١٥

= ولعل ما أثبته يستقيم معنى ووزنا .

(١) فى الأصل «صحت» وما أثبته عن (الضوء اللامع للسخاوى ١ : ١٣٣) .

(٢) الحواميم : هى سور القرآن الكريم المبدوءة بلفظ «حم» .

(٣) السبع المطولة : هى طوال المفصل (القرآن) .

(٤) فى الأصل «المنثور» وكذا فى الضوء اللامع ١ : ١٣٣ (وما أثبتناه يتفق مع الألفاظ القرآنية الواردة بأوائل «سورة الطور» والتى استخدمها الشاعر فى هذا البيت . ٢٠

السنة الثالثة من سلطنة الملك المؤيد شيخ

على مصر

وهى سنة سبع عشرة وثمانمائة

فى محرمها تجرد الملك المؤيد [شيخ][1] إلى البلاد الشامية ، لقتال الأمير نَوْرُوز الحافظى [2] ومن معه من الأمراء وظفر به ، وقتله حسبما نذكره .

وفيها قُتل الأمير سيف الدين نَوْرُوز بنُ عَبْد الله الحافظى بدمشق ، فى ليلة ثامن عشرين شهر ربيع الآخر ، وحُملت رأسُه إلى الدِّيار المصرية ، وَطِيفَ بها ثم عُلِّقت على باب زُوَيْلَة ، وكان أصل نَوْرُوز المذكور من مماليك المَلِك الظاهِرِ بَرْقوق ، ومن أعيان خاصكيته ، ثم رقّاه إلى أن جَعَلَه أمير مائة ومقدّم ألف [بالقاهرة] [3] ، ثم ولّاه رأس نَوْبَة النُّوَب بَعْدَ الوالدِ لمّا وَلِى نيابة حلب ، ثم جعله أمير آخور كبيراً بعد الأمير تَنِبَك اليَحْيَاوِى فى سنة ثمانمائة ، ثم أمسكه بعد فتنة عَلِى باى لأمر حكيناه فى وقته فى ترجمة الملك الظاهر بَرْقُوق ، وحبسه بالإسكندرية ، إلى أن أطلقه الملك الناصر [فرج] [4] وولاه رأس نَوْبة الأمراء ، وصار نَوْرُوز هو المشَارُ إليه فى المملكة وذلك بعد خروج أَيتَمُش والأمراء من مصر ، ثم وقع له أمور إلى أن وَلِىَ نيابة الشام ، ومن حينئذ ظهر أمرُ نَوْرُوز واُنضَمّ عليه شيخ ، فصار تارةً يتَاتل شيخًا ، وتارةً يصطلحان ، وقد تقدّم ذكر ذلك كله فى ترجمة الملك الناصر [فرج][5] إلى أن واقعا الملك الناصر بمن معهما فى أوَائلِ المحرَّم سنة خمس عشرة[6] ، واُنكسر الناصر ،

(١) إضافة للتوضيح .
(٢) ورد فى هامش اللوحة «نوروز الحافظى» .
(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٢٤٤) .
(٤) الإضافة للتوضيح .
(٥) الإضافة للتوضيح .
(٦) فى الأصل «أربع» والصواب ما أثبته .

وحُوصِر بدِمَشق إلى أنْ أُخِذَ وقُتِلَ ، وتقاسَمَ شيخ ونَوْرُوز الممالك والخليفةُ المُسْتَعين هُو السّلطان ، فأخذَ شَيخ الديار المصرية وصار أتابَكاً بها ، وأخذ نَوْرُوز البِلَاد الشامِيّة ، وصار نائبَ الشام ، فلما تسلطَن الملكُ المؤيد [شيخ] [١] خرج نَوْرُوز عن طاعته ، ووقعت أمور حُكِيَت فى أوّل ترجمة الملك المؤيد ، إلى أن خرج الملكُ المُؤيد لقتاله ، فَظَفِرَ به وَقَتَلَه .

وكان نَوْرُوز ملِكاً جليلاً ، كريماً شُجَاعا ، مِقْدَاماً عارفاً عاقلاً مُدَبِّرًا ، وجيهاً فى الدُّوَل ، وهو أحَدُ أعْيَان مماليك الظّاهر بَرْقُوق ، معدوداً من الملوك ، طالت أيّامه فى الرياسة ، وعظُمت شهرته ، وبَعُدَ صِيتُه فى الأقْطَار ، وكان متجمّلا فى مماليكه وحشمه ، بلغت عِدّةُ مماليكه زيادة على ألْفِ مملوك ، وكانت جامكيّة مماليكه بالشّام مِن مائة دينار إلى عَشَرَةِ دَنَانير ، ومات عن مماليك كثيرة ، وترقّوا بعده إلى المَرَاتِبِ السَّنِيَّة ، حتى إنّ كلّ مَنْ ذكرناه من بعده ، ونسبناه بِالنَّوْرُزِىّ فهو مَمْلُوكه وعتيقه ، وفى هذا كفاية .

وَقُتِلَ معه جماعة من أعْيَانِ الأُمَرَاء حَسْبَمَا نذكرهم أوّلاً بأوّل .

وفيها قُتِلَ من أصحاب نَوْرُوز الأمير سيف الدين يَشْبُك بن أزْدَمُر الظاهرى [٢] ، رأس نَوْبَة النُّوَب ، ثم نائب حلَب ، وكان مِمّن انضم مع نَوْرُوز بعد وفاة الوالد ، فإنّ الوَالِدَ كَانَ أخذه عنده بِدِمَشْق لَمَّا وَلِيَ نيابتها ، وَجَعَلَه الملكُ النّاصرُ أتابَكاً بها ، وعَقَدَ الوَالِدُ عقده على ابنته ، وسِنُّها نحو أربع سنين لئلا يصل إليه من المَلِكِ النّاصِر سوء .

وَدَامَ مَعَ نَوْرُوز إلى أنْ قُبِضَ عليه وقُتِل بدمشق حسبما تقدّم ذكرُه ، وكان رأسًا فى الشجاعة والإقدام ، شديد القوّة فى الرّمى بالنُّشّاب ، إليه المنتهى فيه .

(١) الإضافة للتوضيح

(٢) ورد فى هامش اللوحة « يشبك بن أزدمر» هذا وله ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٢٧٠) .

وفيها قُتِل الأمير سيفُ الدين طُوخ بن عبد الله الظّاهرى[١] المعروف بطوخ بَطِّيخ نائب حلب[٢] ، وهو أحد أصحاب نَوْرُوز ، ذُبِحَ بدِمَشق مع نَوْرُوز وغيره .

وفيها قُتِل الأميرُ سيف الدين قِمْش بن عبد الله الظّاهِرِى[٣] نائب طَرَابُلُس ، وهو أيضا من أصحاب نَوْرُوز . والجميع قُتِلوا فى ليلة ثانى عشرين شهر ربيع الآخر ، حسبما تقدم ذكره .

وفيها تُوُفِّىَ[٤] الأميرُ الكبير سيف الدين يَلْبُغَا النَّاصِرِىّ الظّاهرى[٥] أتابَك العساكر بالدِّيار المصرّية ، فى ليلة الجمعة ثانى شهر رمضان بالقاهرة ، بعد عَوْده من الشام صحبة السلطان وهو أيضا من أصحاب نَوْرُوز ، ومن أعيان خاصِّكيّة الملك الظاهر بَرْقُوق ، وأحد مماليكه ، وترَقَّى فى الدولة الناصرية إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرّية ، وقدْ مرّ من ذِكْرِه نبذة كبيرة فى دولة الناصر ، ثم المؤيّد ، وهو ثالث من وَلِىَ الأتابَكيّة بديار مصر ، ونعتَ بيَلْبُغَا الناصرى فى الدّولة التركيّة ، فالأوّل منهم يَلْبُغَا العمرى الناصرى صاحب الكَبْش[٦] ، وأستاذ بَرْقُوق ، والثانى الأتابك يَلْبُغَا النّاصرى اليَلْبُغَاوِىّ صاحب الوَقْعَة مع الملك الظاهر بَرْقُوق ، ونسبته بالناصرى إلى تاجرِه خواجا ناصر الدين ، وهو مملوك يَلْبُغَا السابق ذكره — انتهى .

والثالث يَلْبُغَا الناصرى هذا ، وهو من مماليك بَرْقُوق . ونسبتُه بالناصرى إلى

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ٩) .

(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٤٤ « حماة » .

(٣) قمش : هو أحد الأمراء المتقدمين من الظاهرية برقوق (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٢٢٥) .

(٤) فى الأصل «قتل» وما هنا من ط كاليفورنيا ٦ : ٤٤٤ ، و (البدر العينى — السيف المهند ص ٣٢٨) و (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٩٠) .

(٥) ورد فى هامش اللوحة (يلبغا الناصرى غير صاحب الوقعة مع الظاهر برقوق) .

(٦) هو يلبغا بن عبد الله العمرى الناصرى سمى بصاحب الكبش لأنه كان من الأمراء الذين سكنوا بالكبش ، وكان له به دار عظيمة ، وانظر (ج ٧ : ٧٢ ، ١١٩ ، ج ١٠ : ٣٠٧ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) وله ترجمة فى (المنهل الصافى للمؤلف م ١ : ١٧٢) و (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٩٠) .

تاجره خَوَاجا ناصر الدين ، وقد ذكرنا هؤلاء الثلاثة فى تاريخنا المنهل الصافى ، فى محل واحد فى حرف الياء ؛ كون الاسم والشهرة واحدة .

وتُوُفِّى[1] الأمير سيف الدين شاهين بن عبد الله الظاهرى الأَفْرَم أمير سلاح ، بَرمْلَة لُدّ[2] ، وهو عائد إلى مصر صُحْبة السلطان إلى حلب من جرح أصابه ، وكان أميراً شهماً شجاعاً ، رأسا فى ركوب الخيل وفنّ الفُرُوسيّة ، وقد تقدّم أن الفُرُوسيّة نوع ٥ آخر غير الشجاعة والإقدام ، فالشّجاع هو الذى يَلْقى غريمه بقوّة جَنَان ، وفارس الخيل هو الرجل الذى يُحْسِن تَسْريح الفرس فى كَرّه وفَرّه ، ويَدْرِى ما يلزمه من أمور فرسه وسلاحه ، وتدبير ذلك كُلّه ، بحيث إنه يسير فى ذلك على القوانين المقررة المعروفة بَيْنَ أرباب هذا الشأن .

قلت : نادرة أخرى ، وشاهين هذا هو أيضا ثالث أَفْرَم من أعيان الملوك فى ١٠ دولة التركيّة .

فالأول منهم : الأَفْرَمُ الكبير ، صاحب الرّباط[3] فى بِركة الحَبَش والأملاك الكثيرة ، وهو الأمير عز الدين أيْبَك أمير جاندار الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون[4] .

والثانى آقُوش الدَّوَادارِىّ المنصورى الأمير جمال الدين نائب الشام[5] ، والثالث ١٥ شاهين هذا . فهؤلاء من الملوك ، وأما غير الملوك فكثير لا يعتدّ بذكرهم .

---

(١) فى الأصل « وقتل » وما هنا من ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٤٥ و (البدر العينى — السيف المهند ص ٣٢٩) وفى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٢٩٢) « مات فى الرملة » .

(٢) اللد : قرية صغيرة قرب بيت المقدس (ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٣٥٤) .

(٣) الرباط : كان بسطح الجرف الذى عليه الرصد ، ويشرف على بركة الحبش ، وكان من أحسن ٢٠ متنزهات مصر . وانظر هامش (٨ : ٨١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) توفى الأفرم هذا فى القاهرة يوم السبت سابع شهر ربيع الأول سنة ٦٩٥ (ج ٨ : ٨٠ ، ٨١ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

(٥) هو آقوش بن الأفرم . جمال الدين بن عبدالله المنصورى المعروف بالأفرم الصغير ، توفى ببلاد مراغة عند ملك التتار فى ثالث عشر المحرم سنة ٧١٦ هـ (ج ٩ : ٢٣٦— ٢٣٧ من هذا الكتاب) . ٢٥

وتُوُفِّىَ[١] الأمير سيف الدين جانى بَك بن عبد الله المؤيدى الدَّوَادار بمدينة حِمْص ، وهو متوجّه صُحْبَة السلطان إلى حَلَب من جُرْح أصابه فى محاربة نَوْرُوز ، وكان من أعيان مماليك المؤيد أيّام إمرته ، فلما تسلطن رقّاه وأنعم عليه بإمرة طَبْلَخَاناه ، وجعله دَوَاداراً ثانياً ، ثم ولّاه الدَّواداريّة الكبرى بعد مَسْك طُوغَان الحسنى ، فلم تَطُل مُدّته ، وخرج إلى التَّجْرِيدَة وجُرِح ومات ، وكان عنده شجاعة وإقدام مع تِيهٍ وشَمَم وتكبر ، وتَوَلَّى خُشْدَاشُه الأمير آقْباى المؤيدى الخازِنْدار عوضه الدَّواداريّةَ الكبرى .

وتُوُفِّىَ قاضى مكّة ، ومُفْتِيها ، وخطيبُها ، جمالُ الدين أبو حامد محمد ابن عفيف الدين عبد الله بن ظَهِيرَة[٢] القُرَشىّ المخزومى المكىّ الشافعىّ بمكّة فى ليلة سابع عشرين شهر رمضان عن نحو سَبْع وستين سنة ، ومات ولم يخلف بعده بالحجاز مثله .

١٠ وتُوُفِّىَ قاضى الحنفيّة بالمدينة النّبويّة الشيخُ زينُ الدين عبد الرحمن ابن نور الدين على المدنىّ الحنفى[٣] بها ، وقد أنَاف على سبعين سنة ، بعد أن وَلِىَ قضاء المدينة ثلاثاً وثلاثين سنة مع حِسْبَتِها ، وشُكِرَت سيرتُه .

وتُوُفِّىَ بالقاهرة الشريف سليمان بن هبة الله بن جَمَّاز بن منصور الحُسَيْنى المَدَنى ، أمير المدينة النبويّة ، وهو معزول بسجن قلعة الجبل ، وقد ناهز الأربعين سنة من العمر .

١٥ وتُوُفِّىَ العلامةُ فريد عصره قاضى قضاة زبيد[٤] ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن

---

(١) فى الأصل «قتل» وما هنا من ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٤٦) ويؤيده ما جاء فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٦٠) .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن سليمان . الجمال أبو حامد بن العفيف القرشى المخزومى المكى الشافعى . ويعرف كأبيه بابن ظهيرة ، ولد ليلة عيد الفطر ٢٠ سنة ٧٥١ هـ بمكة (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ٩٢-٩٤) .

(٣) هو عبد الرحمن بن على بن يوسف بن الحسن بن محمود بن الحسن . الزين أبو الفرج بن النور الأنصارى الزرندى المدنى الحنفى — ولد فى ذى القعدة سنة ٧٤٦ هـ بالمدينة النبوية ، ومات فى ربيع الأول سنة ٨١٧ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ١٠٥ ، ١٠٦) .

(٤) زبيد : مدينة باليمن بناها محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد بن أبيه فى عهد الخليفة المأمون ٢٥ (ياقوت — معجم البلدان ٣ : ٢٧٥) .

يَعْقُوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفَيْرُوزَابادِى[١] الشيرازى الشافعىّ، اللُّغَوىّ النَّحْوى، صاحب كتاب «القامُوس» فى اللغة، فى ليلة العشرين من شوال عن ثمانٍ وثمانين سنة وأشهر، وهو مُتَمَتِّعٌ بحَواسِّه، وكان إماماً بارعًا نحويًّا لغويًّا مُصَنِّفًا، طافَ البلادَ، ورأى المشايخ، وأخذ عن العلماء، وقَدِمَ مِصْرَ وأَقْرَأَ بها، ثم توجّه إلى اليَمَن، ووَلِىَ قضاء زَبِيد نحو عشرين سنة حتى مات. أنشدنا الشيخ أبو الخير المكىُّ من لفظه قال: أنشدنى الأديب الفاضل على بن محمد بن حسين بن عُلَيْف المكى العكىّ العَدْنانى من لفظه لنفسه فى كتاب الشيخ مجد الدين [المسمى بالقاموس][٢] [الكامل]

مُذْ مَدَّ مجدُ الدِّينِ فى أَيَّامِه ... مِنْ بَعْضِ أَبْحُرِ عِلْمِهِ القَامُوسَا

ذَهَبَتْ صِحَاحُ الجَوْهَرِىِّ كأنَّها ... سِحْرُ المَدَائنِ يَوْمَ أَلْقَى مُوسَى

وقد آستَوْعَبْنَا مصنّفاته فى تاريخنا المَنْهل الصافى والمُسْتَوفِى بعد الوافى[٣]، إذ هو محل الإطناب فى التراجم.

وأمّا ما أثبت له من الشعر: أنشدنا الحافظ شهاب الدين أحمد بن حَجَر إجازة، قال أنشدنا العلّامة مجد الدين الفَيْرُوزَابادِى لنفسه إجازة إن لم يكن سماعا: [الوافر]

أَحِبَّتَنَا الأَمَاجِد إنْ رَحَلْتُم ... وَلَم تَرْعُوا لَنَا عَهْدًا وَإِلّا

نُودِّعكُم ونُودِعُكُم قُلُوبًا ... لَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُنَا وَإِلّا

أَعْتُرِضَ عليه فى « وإلا » الثانية فإنها من غير توطئة — انتهى.

أخبرنى الشيخ تقىّ الدين المَقْرِيزى رحمه الله قال: أخبرنى الشيخ الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الشِّيرازىّ الفَيْرُوزابادىّ من لفظه بمكة فى ذى الحجّة سنة تسعين وسبعمائة

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبى بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس ابن فضل الله بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف بن عبد الله. المجد أبو الطاهر وأبو عبيد الله ابن السراج أبى يوسف بن الصدر أبى إسحاق بن الحسام بن السراج الفيروزبادى الشيرازى اللغوى — الشافعى، ولد فى ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الآخرة سنة ٧٢٩ هـ بالكازرون من أعمال شيراز.

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٤٧).

(٣) انظر (المنهل للمؤلف ٣ : ٣١٧).

أنه حضر بستاناً بدمشق وقد جُمِعَ فيه الإمامُ العلّامة جمالُ الدين أحمد بن محمد الشَّرِيشىّ الشافعى وجماعةٌ من أعيان دِمَشق لمَأْدُبةٍ فى يوم الثلاثاء العشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وكان ممن حضر المجلس العلّامة بدرُ الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين الشَّرِيشى المذكور ، ومعه ما ينيف على أربعين سِفْراً من كُتُب اللغة منها صِحَاحُ الجوْهرى ، فأخذ كلٌّ من الحاضرين — وهم : الشيخ عماد الدين بن كثير ، والشيخ صلاح الدين الصَّفَدِى ، وشمس الدين المَوْصِلِىّ ، وصدر الدين بن العِزّ ، وجماعة أخر — فى يده سِفْراً من تلك الأسفار ، وامتحن البَدْر بن الشَّرِيشى فى السؤال عن الأبيات المُسْتَشْهَد بها ، فأنشد كلَّ ما وَقَعَ فى تلك الكتب ، وتكلَّم على الموادِّ اللغوية من غير أن يَشِذّ عنهُ شىء منها ، وتكلم عليها بكلام مُفيد مُتْقَن ، فجزم الحاضرون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ، وكتبوا له أجائز بذلك ، ومن جملة من كتب له الشيخُ مجدُ الدين هذا — انتهى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع .

السنة الرابعة من سلطنة الملك المؤيد شيخ

على مصر

وهى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة .

فيها فى شهر رجب تجرّد السلطانُ الملك المؤيد [شيخ] [1] إلى البلاد الشامية لقتال الأمير قانى باى نائب الشام ومن معه [2] حسبما تقدّم ذكره من قتاله لهم ، وقتله إياهم — يأتى ذكر الجميع فى هذه السنة — وأول من قتله منهم الأمير قانى باى المحمدىّ الظاهرىّ نائب الشام فى العشر الأوسط من شعبان بحَلَب ، وحُمِلَت رأسُه إلى القاهرة ، وطِيفَ بها ثم عُلِّقت أياماً ، وكان أصلُ قانى باى هذا من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق وأعيان خاصّكيته ، ثم تأمّر فى الدّولة الناصرية [فرَج] [3] إمرة مائة وتقدمة ألف ، ثم صار فى دولة الملك المؤيد شيخ رأس نوبة النُّوب ، ثمّ أمير آخور كبيراً ، وسكن بابَ السِّلسلة على العادة وعَمَّر مدرسته برأس سويقة [4] منعم من الصّليبة بالشارع الأعظم ، ثم وَلِىَ نيابة دِمَشْق بعد الأمير نَوْرُوز الحافظىّ بعد خروجه عن الطاعة ، فباشر نيابة دِمَشْق إلى أن أشِيعَ عنه الخروجُ عن الطاعة [5] وطلبه الملك المؤيد شيخ إلى القاهرة ليستقرّ أتابَكاً بها ، وولّى عوضه نيابةَ دِمَشْق الأتابَك أَلْطُنْبُغا العُثْمانى ، فلما بلغ قانى باى ذلك خرَج عن الطاعة [5] بعد أيام ، وقَاتَل أمراء دِمَشْق ، وملك دِمَشْق ، ووافقه الأمير إينال الصَّصْلانىّ نائب حَلَب ، والأمير سُودُون من عبد الرحمن نائب طَرَابُلُس ، والأمير تَنِبَك البَجَاسى نائب حماة ، والأمير طَرَباى نائب غَزّة ، وخرج إليه الملك المؤيد مُخِفا ، وقاتله بظواهر حَلَب ، حسبما ذكرنا ذلك كلّه فى أصل ترجمة الملك المؤيد من هذا الكتاب ، فَظَفِرَ به بعد أيام وقتله ، وكان من

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «قانى باى نائب الشام» .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) سويقه منعم : بخط الصليبة تجاه القصر السلطانى ، وانظر هامش (ج ١٢ : ٨٦ من هذا الكتاب) .

(٥–٥) ما بين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

أجَلِّ خاصّكِيّة الملك الظاهر بَرْقُوق ، وعنده رياسة وحِشْمَة وتَجَمُّل، ومات وسِنُّه دون الأربعين .

وفيها قُتِلَ الأميرُ سيفُ الدين إينَال بن عبد الله الصَّصْلَانى[1] الظاهرىّ نائب حَلَب أحد أصحاب قانِى بَاى المقدّم ذكرُه ، فى العشر الأوسط من شعبان ، وكان أصله أيضا من أعيان خاصّكِيّة الملك الظاهر بَرْقُوق ومماليكه ، وتأمّرَ أيضا فى دولة الملك الناصر فَرَج إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف ، وحاجب الحجّاب ، ثم صار فى دولة المؤيد أمير مَجْلِس ، ثم نُقِل إلى نيابة حَلَب بعد قتل نَوْرُوز الحافظىّ ، إلى أن خرج قانِى بَاى نائب الشّام عن الطاعة ، ووافقه إينَال هذا إلى أن كان من أمْرِهم ما كان ، وقُتِلَ وحُمِلَت رأسُه أيضا إلى القاهرة مع رأس قانِى بَاى ، وكان إينَال المذكور أميراً شُجَاعاً ، مِقْدَامًا كريمًا ، عاقلا سَيُوسًا ، معدوداً من الفرسان — رحمه الله تعالى .

وفيها قُتِلَ الأمير سيف الدين تَمَان تَمُر اليُوسُفِىّ الظاهرىّ ، أتَابَك حَلَب — المعروف بأرق — معهما فى التاريخ المقدّم ذكره ، وحُمِلَت رأسه أيضا إلى مصر ، وكان تَمَان تَمُرُ أيضا من أعيان المماليك الظاهرية ، وتَرَقّى بعد موت الملك الظاهر حتى وَلِىَ إمْرَة مائة وتقدمة ألف بديار مصر ، ثم صار أمير جانْدَار ، إلى أن قَبَضَ عليه الملكُ المؤيّد شيخ وحبسه مُدّة ، ثم أطلقه وولّاه أتَابَكِيّة حَلَب ، فلما خرج قانِى بَاى وإينال نائب حَلَب وَافَقَهُما مع من وافَقَهُما من الأمراء والنوّاب ، حتى قُبِضَ عليهم ، ووقع من أمرهم ما وقع ، وكان أيضا من الشجعان ، وكان تركىّ الجنس .

وفيها قُتِلَ أيضا الأمير سيفُ الدين جَرِبَاش بن عبد الله الظاهرىّ المعروف بكَبَّاشَة حاجب حُجّاب حَلَب ، وحُمِلَت رأسُه إلى القاهرة ، وكان أيضا من المماليك الظاهرية ، [برقوق][2] وتأمّر فى الدولة الناصرية [فرج][3] ، والمؤيّدية [شيخ][4] إلى أن أخرجه الملك المؤيد منفيًّا إلى القُدْس ، ثم اسْتَقَرّ بِهِ فى حَجُوبِيّة حَلَب ، إلى أن كان

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٣٢٧) واسمه هناك إينال الصصلاى .

(٢، ٣، ٤) الإضافات للتوضيح .

من أمر قاني باى وإينال ما كان، فقُتل معهما، وقُتِل غير هؤلاء أيضا خلائقُ فى الوَقْعَة وغيرها .

وفيها تُوُفِّيَ قاضى القضاة شمسُ الدين محمد ابن العلاّمة جلال الدين رسولا بن يُوسف التُّرْكُمانى الحنفى ، المعروف بابن التُّبَانى[1] ، قاضى قُضَاة دِمَشْق بها ، فى يوم الأحد ثامن عشرين شهر رمضان ، وكان أماما عالما فاضلا ، معدوداً من فقهاء الحنفية . ٥

وتُوُفِّيَ الوزير الصَّاحب سعد الدين إبراهيم بن بَرَكَة المعروف بابن البَشِيرِيّ[2] بالقَاهِرَة فى يوم الأربعاء رابع عَشَر صفر ، ومولِدُه فى ليلة السبت سابع ذى القَعْدَة سنة ستٍّ وستين وسبعمائة بالقاهرة ، وكان معدوداً من رؤساء الأَقْبَاط ، تنَقَّلَ فى عِدّة وظائف إلى أن وَلِيَ الوَزَر غير مرة ، ونظر الخاص .

وتُوُفِّيَ الشيخُ زين الدين حاجى الرُّومى[3] الحنفى شيخ التُّربة الناصرية التى أنشأها ١٠ الملك الناصر [فرج][4] على قَبْرِ أبيه الملك الظَّاهر بَرْقُوق بالصحراء[5] ، فى ليلة الخميس رابع شوال ، واستقر عِوَضَه فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البُسَاطِى المالكى ، بعناية الأمير طَطَر نائب الغيبة .

وتُوُفِّيَ الشيخُ المعتقد الصالح ، محمد الدَّيْلَمِيّ فى رابع ذى الحجة ، ودفن بالقرافة ، وكان للناس فيه اعتقاد ، ويُقْصَد للزيارة للتبرك به . ١٥

وتُوُفِّيَ الملكُ أميرزة إسكندر ابن أميرزة عُمَر شيخ بن تَيْمُورلَنْك ، صاحب بلاد فَارِس ، وكان مَلَكَها بعد قَتْل أخيه أميرزَة محمد ، ودام إسكندر على ملك فَارِس سنين إلى أن بَدَا له مُخَالفة عمّه شاه رُخّ بن تَيْمُورلنك ، فسار إليه شاه رُخّ المذكور ،

---

(١) هو محمد بن أحمد بن يوسف التركمانى الأصل التبانى — بالمثناة الفوقية وتشديد الموحدة نسبة إلى بيع التبن ، وله فى حدود السبعين وسبعمائة (ابن العماد — شذرات الذهب ٧ : ١٣٣ ، ١٣٤) . ٢٠

(٢) ولد ابن البشيرى هذا فى سابع ذى القعدة سنة ٧٦٦ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٣٣) .

(٣) هو حاجى بن عبدالله . الزين الرومى ، ويعرف بحاجى فقيه (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٨٧) .

(٤) إضافة على الأصل .

(٥) انظر فى التعريف بهذا القبر هامش (ج ٩ : ١٨٥ من هذا الكتاب) .

وقاتله وأسَرَه وسَمَل[١] عَيْنَيه بعد أمور وحروب، وأقام شاه رُخّ عوضه أخاه رُسْتُم ابن أميرزة عمر شيخ، فجمع إسكندر المذكور جمعًا ليس بذلك، وقدّم عليهم ابنه، وجهّزهم إلى أخيه رُسْتُم، فخرج إليهم رُسْتُم المذكور وقاتلهم وهزمهم، وأخذ إسكندرَ هذا أسيرا، ثم قتله بأمر عمّه شاه رُخّ، وكان إسكندر المذكور ملكا فاضلا ذكيًا فطنًا، يكتب المنسوب[٢] إلى الغاية فى الحسن، وبخطه ربعة عظيمة بمكة المشرفة، وكان حافظا للشعر ويقوله باللغة العجمية والتركية، وكانت لديه فضيلة ومشاركة فى فنون.

وفيها قُتِلَ الأميرُ الكبيرُ سيف الدين دَمُرْدَاش بن عبد الله المُحَمَّدِىّ الظاهرىّ بسجن الإسكندرية فى يوم السبت ثامن عشر المحرّم.

وكان دَمُرْداش هذا من أعيان مماليك الظاهر بَرْقُوق، وترَقّى فى أيّام أستاذه إلى أن وَلِىَ أتابَكيَّة دِمَشْق، ثم نيابة حَمَاة، ثم نيابة طَرَابُلُس، ثم أمْسَكَه وحَبَسه ساعةً، وأطلقه بسِفَارَةِ الوالد لمّا وَلِىَ نيابة حَلَب، فجعله الظاهر أتابَك العساكر بحَلَب، ثم نَقَله ثانيا إلى نيابة حَمَاة، ثم نَقَله إلى نيابة حَلَب بعد واقعة تَنَم الحسنى نائب الشّام، وقَدِمَ تَيْمُورلنك البلادَ الشاميّةَ فى نيابته، ثم خرج عن الطاعة مع الوالد، ووقع له بعد ذلك أمورٌ وحروب وخطوب — تقدّم ذكرُها فى ترجمة الملك الناصر فَرَج، ثم فى ترجمة الملك المؤيد شيخ — ومحصول هذا كله، أنه وَلِىَ أتابَكيَّة العساكر بالديارالمصرية بعد الوالد، ثم وَلِىَ نيابة الشّام بعده أيضا بحُكْم وفاته، ثم فرّ من الملك الناصر [فرج][٣] لمّا حُوصِرَ بدِمَشْق إلى البلاد الحلبيّة، ودام بها، إلى أن كانت فِتْنَةُ نَوْرُوز، وتوَلّى ابنُ أخيه قَرْقَماس سيدى الكبير نيابة الشّام عِوَضًا نَوْرُوز، وطلبه الملك

(١) سمل عينيه: أذهب بصرهما بوضع حديدة محماة فى النار أمامها، وقيل فقأها بمبضع أو بشوكة (لسان العرب س م ل).

(٢) الخط المنسوب: هو ذو القاعدة، هامش (ج ٧ : ٢٠٩ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) ويرجح الدكتور زيادة أنه الخط بعامة. هامش (المقريزى — السلوك ١ : ٧١٨).

(٣) إضافة على الأصل.

المؤيّد فقَدِمَ عليه من البَحْر ، وقد عاد قَرْقَماس إلى مِصْر ، فقبض الملك المؤيّد عليهما ، وأرسل قَبَض على ابن أخيه تَغْرِى بَرْدى سيدى الصغير من صالحية بُلْبَيْس ، وقال : هؤلاء أهمّ من الأمير نَوْرُوز ، وقَتَل تغرى بردىسيدى الصغير فى يوم عِيد الفطْر سنة ستّ عشرة ، ثمّ قَتَل أخاه قَرْقَماس سيدى الكبير بسجن الأسكندرية ، وأبقى عمَّهما دَمُرْداش هذا إلى هذا اليوم فقَتَله ، وقد تقدم من ذكر دَمُرْدَاش ما فيه ٥ غُنْيَةٌ عن ذكره هنا ثانيا .

وفيها قُتِلَ الأمير سيف الدين سُودُون بن عبد الله المحمدىّ الظاهرىّ المعروف بسودون تِلّى — أى مجنون — فى يوم السبت ثامن عشر المحرّم بسجن الإسكندرية ، مع الأمير دَمُرْدَاش المقدّم ذكره ، وكان سُودُون أيضا من أعيان المماليك الظاهريّة [برقوق][1] ، وترَقَّى فى دولة الملك الناصر فَرَج إلى أن صار أَمِير آخُور كبيرا ، ثم ١٠ خرج عن طاعة الملك الناصر ، ووقع له أمور ، وانضم على الأميرين شيخ ونَوْرُوز ، ودام معهما سنين إلى أن آنكَسَر الملكُ الناصر وقُتِل ، فقدم القاهرةَ — صُحْبَة الأمير الكبير شَيخ فى خِدْمَة الخليفة — على أعظم إقْطَاعات مصر ، وكان يميل إلى نَوْرُوز أكثر من شيخ ، غير أن نَوْرُوز أرسله مع الأمير شيخ هو والأمير بَكْتَمُر جِلّق صفة التَّرْسِيم ليمنعاه[2] من الوثُوب على السَّلطنة ، فمات بَكْتَمُر بعد أشهر ، فتلاشى أمرُ ١٥ سُودُون المذكور ، فأخَذَ الملكُ المؤيد يخادعه إلى أن استفحل أمرُه ، فقبض عليه وحبسه بالإسكندرية إلى أن قتله فى التاريخ المذكور .

وفيها أيضا قُتِلَ الأميرُ سيفُ الدين أَسَنْبُغَا الزَّرَدْكاش أحد المماليك الظاهريّة [برقوق][3] أيضا ، بسجن الإسكندرية مع دَمُرْداش وسُودُون المحمدى ، وكان مِمَّن صار أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية فى دولة الملك الناصر فَرَج ، وجعله بديار مصر ٢٠

---

(١) إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل « يمنعاه» .

(٣) إضافة على الأصل .

فى سفرته التى قُتِلَ فيها ، ودام بمصر إلى أن قَبَض عليه الملك المؤيد وحَبَسه بالإسكندرية ثم قتله فى التاريخ المقدم ذكره .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع ونصف ، مبلغ الزيادة عشرون ذراعا سواء .

السنة الخامسة من سلطنة الملك المؤيد على مصر

وهى سنة تسع عشرة وثمانمائة .

فيها تُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين تَنبَك بن عبد الله المؤيَّدى ، شاد الشراب خاناه ، وأحد أمراء الطّبلخانات ، فى سادس عشرين صفر ، وحَضَرَ السلطانُ الصلاةَ عليه بمصلّاة المؤمنى(١) ، وكان من أكابر المماليك المؤيَّدية ، خصيصاً عند السلطان ، مشكور السّيرة .

وتُوُفِّى أستادار الوالد الأمير الوزير شهاب الدين أحمد ابن الحاج عمر بن قُطَيْنة ، فى يوم الأحد ثانى عشرين المحرّم ، وكان يباشر فى بيوت الأمراء ، واتصل بخدمة الوالد سنين ، ثم وَلِى الوزارة فى الدّولة الناصرية دون الأسبوع فى سنة اثنتين وثمانمائة ، وَعُزِل وعاد إلى أستادارية الوالد ، وتصرّف مع ذلك فى عدة أعمال ، وكان معدوداً من أعيان المصريين .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمام نجم الدين [بن فتح الدين](٢) ، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالدايم الحنبلى ، فى هذه السنة ، وكان من أعيان فقهاء الحنابلة .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمام العلاّمة هُمامُ الدين محمد بن محمد الخوَارَزْمى(٣) ، الشّافعى ، شيخ المدرسة الناصرية المعروفة بالجمالية ، برحبة باب العيد بالقاهرة ، وكان عالماً فى عدة فنون .

---

(١) مصلاة المؤمنى : أنشأها سيف الدين عبد الله المؤمنى ، وهى بأول شارع السيدة عائشة ، وانظر هامش (ج ١٢ : ١٦١ من هذا الكتاب) .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٥٣) . وهو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدايم الباهى الحنبلى ، توفى عن بضع وثلاثين سنة (ابن العماد – شذرات الذهب ٧ : ١٤٢) .

(٣) هو همام بن أحمد الخوارزمى الشافعى . همام الدين (ابن العماد – شذرات الذهب ٧ : ١٤٣) .

وَتُوُفِّىَ القاضى شهاب الدين أحمد الصَّفَدى [(١)] ناظر البيمارَستان المنصُورى بالقاهرة وناظر الأحباس ، فى ثانى عشر شهر ربيع الأوّل ، وكان أولا يباشر التّوقيع بخدمة الملك المؤيّد شيخ فى أيام إمرته ، فلما رُشح للسلطنة خَلع عليه بنظر البيمارَستان ، وَاستقرّ القاضى ناصر الدين ابن البارِزِىّ عِوَضه فى توقيع الأمير شيخ ، فوصل بذلك إلى وَظيفة كتابة السِّرّ .

وَتُوُفِّىَ قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطّرَابلسِىّ [(٢)] الحنفى ، قاضى قضاة الدّيار المصرية ، فى ليلة السبت سادس عِشرين شهر ربيع الأول ، وقد تجاوز أربعين سنة ، وكان مشكور السِّيرة قليل البضاعة .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين قُمارِى [(٣)] بن عبد الله ، شادّ السلاح خاناه [(٤)] ، وأمير الرّكب الأوّل من الحاج ، فى رابع عشرين شوّال ، فى وادى القباب [(٥)] ، وهو متوجّهٌ إلى الحج .

وتُوُفِّىَ الشيخ الإمام المحدِّث تقىُّ الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد الجيتى [(٦)] ، الحنَفى قاضى العسكر بالدّيار المصرية بها ، وكان من الفضلاء ، معدوداً من فقهاء الحنفية ونحاتهم ، وكان وجيهاً فى الدّولة المؤيدية [شيخ] [(٧)] إلى الغاية .

(١) هو أحمد بن أبى أحمد . شهاب الدين الصفدى الشامى نزيل القاهرة . (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

(٢) هو عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن صديق ، الأمين بن الشمس أبى عبد الله بن الظهير أبى المناقب الطرابلسى الأصل القاهرى الحنفى ، ويعرف بابن الطرابلسى ، ولد فى ثامن ربيع الآخر سنة ٧٧٣ هـ وقيل ٧٧٤ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ١٠٦ ، ١٠٧) .

(٣) له ترجمة قصيرة فى (الضوء اللامع للسخاوى ٦ : ٢٢٤) .

(٤) السلاح خاناه : هى دار السلاح (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١١) .

(٥) وادى القباب : منزلة من منازل الحاج بين المنصرف وبين تيه بنى إسرائيل ، وهذا الوادى كثير الرمل (القلقشندى — صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٦) .

(٦) فى الأصول (الحبتى) بباء بعد الحاء — وهو أبو بكر بن عثمان بن محمد . تقى الدين الجيتى بكسر الجيم ثم تحتانية ساكنة بعدها مثناة ، ولد فى حدود الستين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ١١ : ٥٠) .

(٧) الإضافة للتوضيح .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين أَرْغون بن عبدالله من يَشْبُغا[(١)] الظاهرى ، الأمير آخور — كان — فى الدولة الناصرية فرج بطالا فى يوم الجمعة ثالث ذى القعدة ، وكان ديِّناً خيراً ، عفيفًا عن المنكرات والفروج ، وهو أحد أعيان المماليك الظاهرية وخُشْدَاش الوالد ، كلاهما جلَبهُ خَواجا يَشبغا ، وقد تقدَّم من ذكره نبذة كبيرة فى ترجمة الملك الناصر فرج . ٥

وتُوُفِّيَ الطواشى زين الدين مُقبل بن عبد الله الأشِقْتَمُرِىّ[(٢)] رأس نوبة الجمدارية فى ليلة الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر ، ودفن بمدرسته التى بخط التبّانة ، وكان رومى الجنس ، ولديه فضيلة .

وتُوُفِّيَ قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن أبى جَرَادة ، وابن العَديم[(٣)] الحلبى الحنفى قاضى قضاة الدِّيار المصرية ١٠ بها ، بعد مرض طويل ، فى ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر ، عن سبع وعشرين سنة ، بعد ما وَلِىَ القضاء نحو ثمانى سنين ، على أنه صُرِفَ منها مُدَّة ، وكان عالمًا ذكيًّا فطنًا ، مع طيش وخِفَّةٍ ، ومهابة وحُرْمة ، وثَرْوَة وحَشَم ، وقد ثَلَمَهُ الشيخُ تقى الدين المقريزى بقوادح ليست فيه ، والإنصاف فى ترجمته ما ذكرناه ، وأنا أعْرَفُ بحاله من الشيخ تقى الدين وغيره ؛ لكونه كان زَوْجَ كَرِيمتى ، ومات عنها ، وتَوَلَّى القضاء بعده ١٥ الشيخُ شمسُ الدين محمد الدَّيرىّ [الحنفى][(٤)] القُدْسى بعد أشهر .

وتُوُفِّيَ الشيخُ الإمامُ العالم العلامة عِزّ الدين محمد ابن شرف الدين أبى بكر ابن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٢٢٨) . وسماه باليسبغاوى .

(٢) ترجم له (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٦٧) . ٢٠

(٣) هو محمد بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة . ناصر الدين أبو غانم وأبو عبد الله الحلبى ثم القاهرى الحنفى ، ويعرف بابن العديم وبابن أبى جرادة ، ولد فى ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ٢٣٥ ، ٢٣٦).

(٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٥٥) .

جَماعة(١) — مَطْعُونًا — فى يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الأول ، ومولِدُه بمدينة اليَنْبُع(٢) بأرض الحجاز سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان بارعًا ، مُفَنِّنًا ، إمامًا فى العلوم العقليّة ، مُشاركا فى عِدّة فنون ، وبه تخرج غالب علماء عصرنا ، وكان احترز على نفسه من الطاعون ، واحتمى عن المُغَلَّظات ، وسلك طريق الحكماء ، واستعمل الأشياء الدافعة للطاعون والحمّ ، وأكثر من ذلك إلى أن طعن وهو أعظم ما يكون من الاحتراز ، فما شاء الله كان .

وتُوُفِّى الصاحبُ الوزير تقى الدين عبدُ الوهاب ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن الوزير الصاحب تاج الدين موسى ابن علم الدين أبى شاكر ابن تاج الدين أحمد ابن شرف الدولة إبراهيم ابن الشيخ سعيد الدّولة بالقاهرة فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة ، وكان مشكور السيرة ، يتنصّل من صحبة الأقْبَاط أبناء جنسه ، ويتديّن ويصحب الصُّلَحاء من المسلمين ، ولا يُدْخِل فى بيته أحداً من نسوة النصارى البتّة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيت خَوَنْد أخْتُ الملك الظاهر بَرْقُوق ، بنت الأمير آنص الجاركسية ، أم الأتَابَك بِيبَرْس ، فى ليلة الأحد رابع عشر ذى القعدة ، بعد سن عال ، وهى الصُّغرى من أخوة بَرْقُوق .

وتُوُفِّى الشيخُ زين الدين أبو هُرَيْرَة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبى أمامة محمد ابن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم الدُّكالىّ الشّافعىّ ، المعروف بابن النّقاش(٣) ،

---

(١) هو محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حازم بن صخر ابن عبد الله . العز أبو عبد الله الحموى الأصل المصرى الشافعى ، ويعرف بابن جماعة ، ولد سنة ٧٤٩ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ١٧١ — ١٧٤) .

(٢) الينبع : قرية على طريق الحاج الشامى ، وانظر (الحاشية ٥ ص ١٨ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن محمد بن يحيى بن عبد الرحيم ، الدكالى الأصل المصرى الشافعى ، ويعرف كأبيه بابن النقاش ، ولد فى ذى الحجة سنة سبع وأربعين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ١٤٠ — ١٤٢) .

خطيب جامع أحمد بن طولون، فى يوم عيد النحر ، وكان يعظ ، ولكلامه مَوْقِعٌ فى القلوب ، مع فضيلة تامّة ، ودين متين ، وقيام فى ذات الله [تعالى] (١) .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شمسُ الدِّين محمد بن على بن مَعْبَد المَقْدِسِىّ ، المعروف بالمَدَنى(٢) المالكى ، فى يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الأوّل عن سبعين سنة ، وكان مشكورَ السِّيرة فى ولايته بالعفة ، على أن بضاعته من العلم كانت مُزْجَاة . ٥

وتُوُفِّيَتْ (٣) خَوَنْدبنت الملك الناصر فَرَج ، زوجة المقام الصّارمى إبراهيم ابن الملك المؤيدى شيخ ، فى شهر ربيع الأوّل ، وهى أكبر أولاد الناصر ، وهى التى كان تزوّجها بَكْتَمُر جِلِّق فى حياة والدها ، وسنها دون عشر سنين .

وفيها كان الطاعون والغلاء بالديار المصرية حسبما تقدم ذكره .

أمرُ النيل فى هذه السنه : الماء القديم سبعة أذرع ونصف ، مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً سواء كالعام الماضى . ١٠

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٥٦).

(٢) هو محمد بن على بن معبد بن عبد الله . الشمس المقدسى المدنى ثم القاهرى المالكى ، ويعرف بالمدنى . ولد سنة تسع وخمسين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ٢٢٠) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «خوند بنت الناصر فرج زوج المقام الصارمى» . ١٥

السنة السادسة من سلطنة الملك المؤيد شيخ

على مصر

وهى سنة عشرين وثمانمائة .

فيها تجرّد السلطان الملك المؤيد المذكور إلى البلاد الشامية ، وفتح عدّة قلاع ببلاد
٥ الروم مثل كَخْتَا وكَرْكَر وبَهَسْنا وغيرها ، وهى تجريدته الثالثة ، وأيضًا آخرُ سفراته
إلى الشام .

وفيها تُوُفِّىَ الأميرُ زين الدين فرج ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك
الظاهر بَرْقُوق ابن الأمير آنص الجاركسىّ بسجن الإسكندرية فى ليلة الجمعة سادس
عشرين [شهر] (١) ربيع الأوّل ، ودُفِن بالإسكندرية ، ثم نقلت جثته إلى القاهرة ،
١٠ ودفنت بتربة والده التى بناها الملك الناصر على قبر أبيه الملك الظاهر [بَرْقُوق] (٢)
بالصحراء خارج القاهرة ، ومات ولم يَبْلُغ الحُلُم ، وهو أكبر أولاد الملك الناصر فَرَج
من الذكور ، وبموته خمدت نفوس الظاهرية .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين آقْبَرْدى بن عبد الله المؤيدى المِنْقَار ، أحد أمراء الألوف
بالديار المصرية ، فى ليلة الخميس سابع عشرين صفر بدمشق ، وكان توجه إليها صُحْبَة
١٥ أستاذه الملك المؤيد ، وهو أحد أعيان مماليك [الملك] (٣) المؤيد شيخ ، اشتراه أيام إمرته
وقاسَى معه تلك الحروب والفتن والتشتت فى البلاد ، فلما تسلطن أمَّره عشرة ، ثم نقله
إلى إمْرَة طَبْلَخَاناه ، وجعله رأس نوبة ثانيًا ، وهو أول من حَكَمَ مِمَّن وَلِىَ هذه
الوظيفة ، وقعدت النُّقَباء على بابه ، ثم أنعم عليه بإمْرَة مائة وتقدمة ألف بديار مصر ،
ثم وَلِىَ نيابة إسكندرية مُدَّة ، ثم عزله وأقرّه على إقطاعه ، وأخذه صحبته إلى التجريدة
٢٠ وهو مريض فى محفَّة فمات بالبلاد الشاميَّة ، وكان شجاعًا مِقْدامًا كريمًا ، مع جهل

(١ ، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٥٧) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٥٨) .

وظُلْم وجبرُوت ، وخُلُق سيّئ ، وبطش وحِدَّةِ مِزَاج ، وقُبْح مَنظَر . قلت : وعلى كل حال مساوئه أكثر من محاسنه .

وتُوُفِّيَ القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن الفُوى الحنفي[1] . أخو الصاحب بدر الدين بن نصر الله ، كان وكيل بيت المال ، وناظر الكُسْوَة ، وأحد نواب الحكم الحنفيّة ، وهو والد صاحبنا القاضي تقي الدين بن نصر الله ، في ليلة السبت ٥ ثالث عشر جمادى الآخرة بالقاهرة ، وكان مَوْلِدُه في سنة ستين وسبعمائة ، ومات في حياة والده ، وكان من أعيان الديار المصرية ورؤسائها .

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع شرف الدين موسى بن على المُنَاوِي[2] المالكي الفقيه العابد ، بمكة المشرفة في ثاني شهر رمضان ، وكان من الأبدال ، جاور بمكة والمدينة سنين ، وكان أوّلا بالقاهرة في طلب العلم ، وحفظ الموطّأ حفظًا جيّدًا ، ١٠ وبَرَعَ في الفقه والعربيّة ، وشارك في فنون ، ثم تزَهّدَ في الدنيا ، وتَرَكَ ما كان بيده من الوظائف من غير عِوَض يُعَوِّضه في ذلك ، وانفرَدَ بالصحراء مُدَّة ، ثم خَرَجَ إلى مكّة في سنة تسعٍ وتسعين وسبعمائة ، وأقبَلَ على العِبَادة مُتَخَلِّيًا مِن كُلِّ شيء مِن أُمُور الدّنيا ، مُعْرِضًا عن جميع الناس حتى صار أكثرُ إقامته بمكّة في الجبال ، لا يدخلها إلاّ في يَوْم الجمعة ، أَوْ في النّادِر ، وكان يُقْصَدُ للزّيارة والتّبرُّك به ، وكان مِمَّن ١٥ لا يريد الشُّهْرة .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيف الدين آقْبَاى[3] بن عبد الله المؤيّدِي نائب الشّام بها في قلعة

---

(١) هو عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن — ويقال له حسون — بن محمد بن أحمد . التاج الفوى ثم القاهرى (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ١١٥) .

(٢) هو موسى بن على بن محمد المناوى — القاهرى ثم الحجازى المالكى ، ولد سنة بضع وخمسين ٢٠ وسبعمائة — قيل ولد بمنية القائد (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٨٦ ، ١٨٧) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «آقبغا نائب الشام» .

دمشق [فى ذى القعدة][1] ، وقد مرّ مِنْ ذِكْرِه ما فيه كفاية عن ذكره ثانياً عند خروجه من قَلْعة دِمَشْق والقَبْض عليه ، كلُّ ذلك فى ترجمة أُستاذه الملك المؤيد[شيخ][2] وهو أحد أعيان مماليك المؤيد ، وأحد الأربعة المعدودة بالشَّهامة والشجاعة .

وهم : الأمير جانى بَك المؤيدى الدَّوادار ، والأمير آقْبَاى الخازندار ثم الدَّوَادار هذا ، والأمير يَشْبُك اليُوسُفِىّ المؤيدى المُشِدّ ثم نائب حَلَب الآتى ذِكْرُه ، والأمير آقْبَرْدِى المؤيَّدِى المِنْقَار المقدم ذكره فى هذه السنة ، فهؤلاء الأربعة كانوا من الشجعان[3] [ضاهوا أعْيَان مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، بل بالغ بعض خُشْدَاشِيَّتِهم بأنَّهُم أعظم وأشهَم ، وفى ذلك نظر][3] .

وتُوُفِّىَ الشيخُ شمسُ الدين محمد بن على بن جعفر البِلاَلِى[4] الشافعى ، شيخ خانقاه سعيد السعداء[5] بها ، فى يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان ، وكان فقيهاً فاضلا مُعْتَقداً ، وَلَهُ شُهْرَة كبيرة ، وكان الوالد يُحِبُّه ، ويبَرُّه بالأَمْوَال والغِلاَل ، وغير ذلك .

وَتُوُفِّىَ الأميرُ ناصر الدين محمد السَّلاَخُورِىّ ، نائب دِمْيَاط ، قتيلا فى رابع عشر ذى الحجّة ، بعد ما وَلِىَ عِدَّة وظائف بالبَذْلِ والسَّعى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع سواء ، مبلغ الزّيادة تسعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع .

(١ ، ٢ ، ٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٥٩) .

(٤) هو محمد بن على بن جعفر. الشمس العجلونى ثم القاهرى الشافعى الصوفى ، ويعرف بالبلالى — بكسر الموحدة ثم لام خفيفة — ولد قبل الخمسين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ١٧٨ ، ١٧٩) .

(٥) خانقاه سعيد السعداء : انظر فى التعريف بها (الحاشية ٤ ص ٥ ج ٤ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

السنة السابعة من سلطنة الملك المؤيد شيخ

على مصر

وهى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .

فيها كان الطاعون بالديار المصرية ، ومات جماعة من الأعيان وغيرهم ، ووقع الطاعون بها أيضا فى التى تليها حسبما يأتى ذكره . ٥

وفيها تُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين مُشْتَرَك بن عبد الله القاسمى الظاهرىّ نائب غَزَّة — كان — ثم أحد مقدّمى الألوف بدمَشْق بها ، فى سادس عشر جمادى الأولى ، وهو أحد المماليك الظاهرية بَرْقُوق ، وتأمَّرَ فى دولة الملك الناصر فَرَج ، ثم ولاَّه الملكُ المؤيد نيابة غَزَّة ، ثم نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمَشْق ، إلى أن مات .

وتُوُفِّىَ الشريف النقيب شرف الدين أبو الحسن على ابن الشريف النقيب ١٠ فخر الدين أحمد ابن الشريف النقيب شرف الدين محمد بن على بن الحسين بن محمد ابن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن زَيْد بن الحسين بن مُظَفَّر بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — الأرمَوىّ الحُسَيْنىّ ، نقيب الأشراف بالديار المصرية ، فى يوم الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الأوّل ، وكان رئيساً نبيلا ، عاريًا عن العُلُوم والفضائل ، ١٥ مُنْهَمِكاً فى اللّذات ، وله مكارِمُ وأفضال — عفا الله [تعالى][1] عنه .

وتُوُفِّىَ الأميرُ [سيف الدين][1] حُسيْن بن كِبك التُّرْكُمانى أحد أمراء التُّرْكُمان قتيلا فى ثالث جمادى الأولى .

وتُوُفِّىَ القاضى شهاب الدين أحمد بن عبد الله القَلْقَشَنْدِىّ[2] الشَّافعى فى ليلة السَّبْت عاشر جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة ، بعد أن كَتَب فى الإنشاء[3] سنين ، وبَرَع ٢٠

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٠) .

(٢) هو أحمد بن على بن أحمد القلقشندى الشافعى ، أشهر مصنفاته كتاب « صبح الأعشى » وانظر (ابن العماد — شذرات الذهب ٧ : ١٤٩) ، (حاجى خليفة — كشف الظنون ج ٢) ، (الزركلى — الأعلام ١ : ١٧٢)

(٣) أى ديوان الإنشاء.

فى العربيّة ، وشارك فى الفقه ، وناب فى الحكم بالقاهرة ، وعرف الفرائض ، ونَظَم ونَثَر ، وصنّف كتاب صُبح الأعْشَى فى صناعة الإنشا ، جمع فيه جَمْعًا كبيراً مفيداً ، وكتب فى الفقه وغيره .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين بَيْسَق بن عبد الله الشَّيْخِىّ الظاهرىّ ، أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات ، وأمير آخور ثانى ، فى جمادى الآخرة بالقُدْس بَطَّالا ، بعد أن وَلِىَ إمْرَة الحاجّ فى أيّام أستاذه الملك الظاهر بَرْقُوق ، وأيّام ابن أستاذه الملك الناصر فَرَج غير مرّة ، وَوَلِىَ عِمَارَة المَسْجِد الحَرَام بمكّة لَمـّا احْتَرَق فى سنة ثلاث وثمانمائة ، ثم تَنَكَّر عليه الملك الناصر ، وأخرجه مَنْفياً إلى صِهْرِه الأمير إسْفَنْدِيَار مَلِك الرُّوم ، فأقام بها حتى تسلطن الملك المؤيد شَيخ ، فقدِمَ عليه ، فلم يُقْبِل عليه الملكُ المؤيَّد شيخ لأنّه كان من حَوَاشِى الأمير نَوْرُوز الحافظى ، وأقام بدَارِه مُدَّةً ، ثم أخرجه المؤيد إلى القُدْس بَطَّالا ، فمات به ، وكان أميراً عاقلا ، عارفاً بالأمور ، متعصباً للفقهاء الحنفيّة ، وفيه بِرٌّ وصدقة ، مع شراسة خُلُق وحِدَّة مِزَاج ، وقد ترجمه الشيخ تقىُّ الدين الفاسى[1] قاضى مَكَّة ومُؤَرِّخُها ، ونعته بالأمير الكبير ، على أنّ بَيْسَق ، لم يُعْطَ إمْرَة مائة ولا تقدمة ألف البتَّة ، وإنما أعظم ما وصل إليه الأمير آخورية الثانية ، وإمْرَة طَبْلَخَاناه لا غير ، فبَيْنَه وبَين المقدّم درجات ، وبين المقدم والأمير الكبير درجات ، فترجمه الفاسى بالأمير الكبير دفعة واحدة ، وكذا وقع له فى جماعة كبيرة من أعيان المصريين ، فكلّ ذلك لعدم ممارسته لهذا الشأن ، وإن كان الرجل حافظا ثقة ، عارفا بفن الحديث ورجاله ، إمَامًا فى معرفة أهل بلده ، وأحوال المسجد الحرام ، وقد أجاد فيما صنفَه من تاريخ مَكَّة المُشَرَّفة إلى الغاية بخلاف تأريخه التَّرَاجِم ، فإنه قصَّرَ فيه إلى الغاية ، وأَقْلَبَ ملوكَ الأقطار وأعيانَها — ما عدا أهل مكة — ظهرا لبطن ، وأعظم من رَأَيْنَاه فى هذا الشأن الشيخ تقى الدين المَقْرِيزِىّ ، وقاضى القضاة بدر الدين العَيْنى ، وما عداهما فمن مَقُولَة الشيخ تقى الدين الفاسى ، ولم أُرِدْ بذلك الحطّ على أحد ،

(١) ورد فى هامش اللوحة «ما قاله الجمالى يوسف عن تقى الدين الفاسى وعن باقى المؤرخين»

وإنما الحقُّ يُقَال على أى وجه كان ، وها [هى][1] مصنّفات الجميع باقية ، فمن لم يَرْضَ بحُكْمِى فلْيَتَأَمّلها ، ويقتدى بنفسه — انتهى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ علاء الدين[2] آقْبُغَا بن عبد الله المعروف بالشَّيْطَان — مقتولا — فى ليلة الخميس سادس شعبان ، وأصله من صِغَار مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، وعظم فى الدَّوْلة المؤيّدية ، حتى إنه جمع بين ولاية القاهرة وحِسْبَتِها وشَدّ الدّواوين بها فى وقت واحد ، وكان عارفاً حاذقاً فطِناً ، عفيفاً عن المُنْكَرَات ، مع معرفة بالمباشرة ، غير أنه كان فيه ظُلْم وعَسْف .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين بُرْدبَك بن عبد الله الخليلى الظاهرىّ ، المعروف بقَصْقَا ، نائب صَفَد بها ، فى ليلة الخميس نصف شهر رَجَب ، وكان أصلُه من خاصّكيّة الملك الظاهر بَرْقُوق ومماليكه ، وتَرَقّى بعد موته إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف ، ثم رأس نوبة النُّوَب فى دولة الملك المؤيّد شيخ ، ثم نُقِلَ إلى نيابة طَرَابُلُس ، فساءت سيرتُه بها ، فعُزِلَ عنها ونُقِلَ إلى نيابة صفَد فدام بها إلى أن توفى ، وكان غير مشكور السِّيرة .

وتُوُفِّىَ الأميرُ [سيف الدين][3] سُودُون بن عبد الله الأسَنْدَمُرِىّ الظاهرىّ ، أتابك طَرَابُلُس قتيلا — فى الوقعة التى كانت بين الأمير بَرْسبَاى الدقاق نائب طَرَابُلُس وبين التُّركمان خارج طرابلس — فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان ، وكان وَلِىَ الأمير آخورِيّة الثانية فى الدولة الناصرية ، ثم أمسكه الملك الناصر وحبسه بسجن الإسكندرية ، إلى أن أطلقه الملك المؤيد ، وأنعم عليه بعد مُدّة بأتابكيّة طرابلس ، فدام بها إلى أن قُتِلَ .

وتُوُفِّىَ الأستاذ إبراهيم بن بَابَاى الرُّومى العوّاد ، أحد نُدَمَاء الملك الناصر فَرَج ،

(١) إضافة على الأصل .
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٢ «علم الدين» وانظر ترجمته فى (المنهل الصافى ١ : ٢٣٦) .
(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٢) .

ثم الملك المؤيد شيخ ، ببستانه بجزيرة الفيل المعروف ببستان الحلّى فى ليلة الجمعة مستهلّ شهر ربيع الأوّل ، وقد انتهت إليه الرياسة فى الضّرْب بالعود ، وخلّف مالًا جزيلا ، وكان فيه تكبُّرٌ وشَمَم ، وكان حَظِيًّا عند الملوك ، نالته السعادة بسبب آلته وغنائه ، ومات وهو فى عشر السبعين ، ولم يخلف بعده مثله إلى يومنا هذا ، ومع قوته فى العود ٥ ومعرفته بالموسيقى لم يُصَنِّف شيئًا فى الموسيقى ، كما كانت عادة مَنْ قَبْلَه من الأستاذين — انتهى .

وتُوُفّى الأميرُ الوزيرُ فخرُ الدين عبد الغنى ابن الوزير تاج الدين عبد الرزّاق بن أبى الفَرَج بن نقولا[١] الأرْمَنِىّ الملكى أستادار العالية ، فى يوم الاثنين النِّصف من شوال ، بداره بين السورين من القاهرة ، ودُفِنَ بجامعه[٢] الذى أنشأه تجاه داره المذكورة ، ١٠ وتولى الأستادارية من بعده الزَّينى أبو بكر بن قُطْلُو بَك ، المعروف بابن المُزَوِّق ، وكان مولدُ فخر الدين المذكور فى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، ونشأ فى كنف والده ، ولما وَلِىَ أبوه الوزارة من ولاية قَطْيًا فى الأيام الظاهرية بَرْقُوق ، وَلّاه موضعَه بقَطْيا ، ثم وَلِىَ كَشْفَ الوجه الشَّرْقِىّ فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، ووضع السيفَ فى العرب الصالح والطالح ، وأسْرَف فى سَفْكِ الدِّماء وأخذ الأموال ، حتى تجَاوَزَ عن الحد فى ١٥ الظُّلْم والعَسْف ، ثم طابَ الزيادة فى الظلم والفساد ، وَبَذَل للملك الناصر أربعين ألف دينار ، وَوَلِىَ الأستادارِية عوضًا عن تاج الدين عبد الرزّاق بن الهيصم فى سنة أربع عشرة المذكورة .

قال المقريزى فَوَضَع يَدَه فى الناس يأْخُذُ أموالهم بغير شُبْهَة من شُبَه الظلَمَة حتى دَاخَل الرُّعبُ كلَّ برىء ، وكثرت الشناعةُ عليه ، وساءت القَالَةُ فيه ، فَصُرِف فى ٢٠ ذى الحجة من السّنة ، وَسُرّ الناس بعزله سروراً كبيراً ، وعُوقِبَ عقوبة لم يُعْهَدْ مثلُهَا فى الكثرة ، حتى أيِسَ منه كلُّ أحد ، ورَقّ له أعداؤه ، وهو فى ذلك يُظْهِر قوّةَ النفس ،

(١) ورد فى هامش اللوحة «وفاة ابن أبى الفرج وترجمته» .
(٢) هذا الجامع هو المعروف بجامع البنات بشارع الأزهر — حاليا — وانظر (على مبارك — الخطط ٦ : ٦٦) .

وشِدّة الجَلَد ، مالا يُوصَف ، ثم خُلِّىَ عنه ، وعاد إلى ولاية قَطْيَا ، ثم صُرِفَ عنها ، وخرَج مع الناصر إلى دِمَشق من غير وظيفة .

فلما قُتِلَ الناصر تعلّق بحواشى الأمير شيخ ، وأُعِيدَ إلى كَشْفِ الوَجه البحرى ، — انتهى كلام المقريزى باختصار .

قلتُ : ثمَّ وَلِىَ الأستادارية ثانيًا بعد ابن مُحِبّ الدين فى سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وَسُلِّمَ إليه ابن مُحِبِّ الدين ، فعاقبه وأَخَذَ منه أموالا كثيرة ، ثم أُضِيفَ إليه الوَزَر ، وتقدَّم عند الملك المؤيّد ، ثم تغيَّر عليه المؤيّد ، ففرَّ منه فخرُ الدين المذكور من على حَماة إلى بغْدَاد ، وغَابَ هناك إلى أن قَدِمَ بأمانٍ من الملك المؤيد وعاد إلى وظيفة الأستادارية ، واستمرَّ على وظيفته إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره .

قال المقريزى رحمه الله : وكان جَبّاراً قاسيًا شديداً ، جلداً عَبُوسا بعيداً عن الترف ، قَتَل من عِبَاد الله مالا يُحْصَى ، وخرّب إقليم مِصْر بكماله ، وأفقر أهله ظلما وعُتُوًّا وفساداً فى الأرض ؛ لِيُرْضِىَ سلطانَه ، فأخذه الله أخذاً وبيلا — انتهى كلام المقريزى [باختصار] [١] .

قلت : لا يُنْكَر عليه ما كان يفعله من الظُّلم والجَوْر ، فإنه كان من بَيْتِ ظُلْم وعَسْف ، كان عنده جَبرُوت الأرْمَن ، ودهاء النَّصَارى ، وشيطنةُ الأَقْبَاط ، وظُلْمُ المَكَسَة ، فإن أصله من الأرْمَن ، ورُبِّىَ مع النصارى ، وتدرَّب بالأقباط ، ونشأ مع المكَسَة بقَطْيَا ، فاجتمع فيه من قِلَّةِ الدين ، وخصائل السُّوء مالم يجتمع فى غيره ، ولعمرى لهو أَحَقُّ بقَوْل القائل : [الوافر]

مَسَاوِئُ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي ... لَمَا أُمْهِرنَ إلّا بالطَّلَاقِ

قيل إنه لما دُفِنَ بقبره بالقُبَّة من مدرسته سمعه جماعةٌ من الصُّوفيَّة وغيرهم وهو يصيح فى قَبرِه ، وتَدَاوَلَ هذا الخبر على أفواه الناس ، قلت : وما خفاهم أعظم [٢] ، غير أنى

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٤) .

(٢) كذا فى الأصل وفى ط كاليفورنيا ، ولعله تصحيف « وما خفى فهو أعظم » .

أَحْمَدُ الله تعالى على هَلَاكِ هذا الظَّالم فى عُنْفُوَان شبيبته ، ولوطال عُمْرُه لَمَلأَ ظلمُه وجَوْرُه الأرضَ ، وقد أستوعبنا ترجمتَه فى تاريخنا المنهل الصَّافى[1] بأطول من هـذا ، وذكرنا من اقتدَى به من أقاربه فى الظُّلْم والجَوْر وسوء السِّيرة ، ألا لَعْنَةُ الله على الظَّالمين .

قُلْتُ : وأعجب من ظلمهم إنشاؤهم المدارس والرُّبُط ، من هذا المال القبيح ، الذى هو من دماء المسلمين [وأموالهم][2] . وأما مدرسة فخر الدين هذا ، ومدرسة جمال الدين البِيرِىّ الأستادار[3] ، ومدرسة أخرى ، بالقرب من باب سعادة ، فهذه[4] المدارس الثلاث فى غاية ما يكون من الحُسْن ، والعمل المُتقَن من الزَّخْرَفة ، والرُّخام الهائل ، ومع هذا أرى أن القلوب ترتاح إلى بلاط دهليز خانقاه سعيد السُّعَدَاء ، وبياضها الشَّعث أكثر من زَخْرَفَةِ هؤلاء ورُخامهم ، وليس يَخْفَى هذا على أَرْباب القُلوب النَّيِّرَةِ ، والأفكار الجليلة — انتهى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ الطَّوَاشى بدر الدين لُؤْلُؤ العِزّى الرُّومىّ ، كاشِف الوَجْه القِبْلى ، فى يوم الأربعاء رابع عشرين شوّال ، وكان يَلِى الأعمالَ ، فصُودِرَ وعُوقِبَ غير مَرّة ، وكان من الظَّلَمَةِ الفتّاكين ، وكانت أعيانُ الخُدّام تَكْرَه منه دخولَه فى هذا الباب ، وتلومُه على ذلك .

وتُوُفِّىَ الأميرُ الكبير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله العثمانى [الظاهرى][5] أتابك العساكر بالدّيار المصرية ، ثمّ نائب الشام بطالا بالقُدْس ، فى يوم الاثنين ثانى عشرين شوّال ، وكان أعظمَ مماليك الملك الظاهر بَرْقوق فى زمانه ، وأجلَّهم قدراً ، وأرفعهم منْزِلَةً ، فإنه وَلِىَ نيابة صَفَد فى دولة أستاذه الملك الظاهر بَرْقوق ، والملك المؤيد

---

(١) انظر (المنهل الصافى ٢ : ٣٣٦) .
(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٥) .
(٣) مدرسة جمال الدين الأستادار : انظر ص ٤٠ من هذا الجزء . وانظر (على مبارك — الخطط ٢ : ٧٤) .
(٤) فى الأصل «فهؤلاء» .
(٥) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٥) .

يوم ذاك من جُمْلَة أُمَراء العشرات ، ثم لازال ينتقل من الأعمال والوظائف إلى أن ولّاه الملكُ المؤيد شيخ أتابَك العساكر بالديار المصرية ، بعد وفاة الأتابَك يَلْبُغَا الناصرى ، ثم نقله إلى نيابة دِمَشْق بعد خروج قانِى بَاى المحمدى ، ثمّ أمسكه وسجنه بقلعة دمَشْق مُدّة أيام ، ثم أطلقه ورَسمَ له بالتوجُّه إلى القُدْس بَطالا ، فتوجّه إليه ودام به إلى أن مات ، وكان أميراً جليلا عاقلا ساكناً مُتَواضعًا وَقُورًا وجيها فى الدّولة ، طالت أيامه فى السعادة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير علاء الدين قُطْلُوبُغَا نائب الإسكندرية بها فى يوم الخميس خامس عشر ذى الحجة ، وكان وَلِىَ الُحجُوبيَّةَ فى دولة الملك المنصور حاجى[1] بتقدمة ألف بالقاهرة ، فلمّا عاد الظاهرُ بَرْقوق إلى المُلْك أَخْرَجَ عنه إقطاعَه ، وطال خمولهُ ، وحَطَّهُ الدّهْرُ وافتقر ، إلى أن طلبه المؤيد وولّاه نيابة الإسكندرية ، وهو لا يَمْلِكُ القُوتَ اليومىّ . وقد تقدّم ذكرُ ذلك فى أصل ترجمة الملك المؤيد من هذا الكتاب .

وتُوُفِّىَ المُسْنِدُ المُعمَّرُ المُحَدِّثُ شرف الدين محمد ابن عز الدين أبى اليمن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبى‌الفتح الشهير بابن‌الكُوَيْك[2] الرّبعى الإسكندرى الشافعى ، فى يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة ، ومَوْلِدُه فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة ، وكان تفرّد بأشياء عالية ، وتصدّى للإسماع عِدّة سنين ، وأُخِّرَ قَبْل موته ، وكان خَيِّرًا ساكنًا ، كافّا عن الشّرّ ، من بَيْت رياسة وفَضْل ، وأول سماعه — حضوراً — سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ولم يَشْتَهِر بعلم .

---

(١) المقصود حاجى ابن الناصر محمد بن قلاوون ، تولى السلطنة — بعد خلع أخيه الكامل — فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، وقتل يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . وانظر (ج ١٠ : ١٤٨—١٧٣ من هذا الكتاب) .

(٢) هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبى الفتح . الشرف أبو الطاهر بن العز أبى اليمن الربعى التكريتى ثم السكندرى القاهرى الشافعى ، ويعرف بابن الكويك ، ولد فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١١١ ، ١١٢) .

وتُوُفِّىَ الأميرُ أبو الفَتْح موسى ابن السلطان الملك المؤيد شيخ ، فى يوم الأحد تاسع عشرين شهر رمضان ، وهو فى الشهر الخامس من العُمْر ، ودفِنَ بالجامع المؤيدى ، وأمّه أمّ وَلد جاركسيّة تُسَمَّى قُطلُبُاى ، تزَوّجها الأميرُ إينال الجكَمِىّ بعد مَوْت الملك المؤيد .

أمر النّيل فى هذه السنة : الماء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وعشرة أصابع .

السنة الثامنة من سلطنة الملك المؤيد شيخ[1]

على مصر

وهى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .

فيها توجّه المقامُ الصارمى إبراهيم ابن السلطان الملك المؤيد شيخ إلى البلاد الشاميّة ، وسار إلى الرُّوم ومعه عِدّةٌ من أعيان الأمراء والعساكر ، وسَلَك بلاد ابن قَرَمان وأباده ، وقد تقدّم ذِكْرُ ذلك كلّه فى أصل ترجمة الملك المؤيد من هذا الكتاب .

وفيها كان الطاعون أيضاً بالديار المصرية ، ولكنه كان أخف من السنة الخالية .

وفيها تُوُفِّىَ الأمير شرف الدين يحيى بن بَرَكَة بن محمد بن لاقى ، أحد ندماء السلطان الملك المؤيد ، فى يوم الأربعاء حادى عشر صفر ، قريباً من غَزّة ، وحُمِلَ ودفن بغزّة فى يوم الجمعة ، وكان أوّلاً من أمراء دِمَشْق ، ثم قدِم مع المؤيد شيخ إلى مِصْر ، وصار من أعيان الدَّوْلة ، واستقرّ مِهْمَنْدارًا وأستادار الجلال ، ثم انحطّ قدْرُه ، ونُفِى إلى البلاد الشاميّة ، فمات فى الطريق ، وكان سبب نَفْيه تَنَكُّر الأمير جقْمَق الأرْغُونْ شاوِىّ الدَّوادار عليه ، بسبب كلام نقله عنه للسلطان ، فتبيّن الأمر بخلاف ما نقله ، فَرَسم السُّلطانُ بنَفْيه مِن القاهرة على حمار .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين كُزُل بن عبد الله الأَرْغُونْ شَاوِىّ ، أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات بديار مِصْر ، ثمّ نائب الكَرَك بعد عزله عن نيابة الكَرَك ، وتوجهه إلى الشّام على إمْرَةِ طَبْلَخَاناه ، بُحكْم طُولِ مَرَضِه ، فمات بعد أيّام فى خامس عشرين المحرّم ، وكان أصلُه من مماليك الأمير أَرْغُون شاه ، أمير مجلس أيّام الملك الظاهر بَرقُوق ، وتَرَقَّى إلى أن كان من أَمْرِه ما ذكرناه ، وكان عاقِلا سَاكناً .

وتُوُفِّىَ الأديبُ القاضل مجدُ الدين فضلُ الله ابن الوزير الأديبِ فخرِ الدين

(١) لفظة «شيخ» مضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٦٧) .

عبد الرحمن بن عبد الرزّاق بن إبراهيم بن مُكَانِس المِصْرى القِبْطِى الحنفى ، الشّاعر المشهور ، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر ، ومولدُه فى شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة ، ونشأ تحت كَنَفِ والده ، وعَنْه أَخَذَ الأَدَبَ وتفقّه على مَذْهب أبى حنيفة — رضى الله عنه — وقرأ النحوَ واللّغة ، وبَرَع فى الأدب ، وكتبَ فى الإنشاء مُدّة ، وكانت له تَرَسُّلَات بديعة ونَظْم رائق ، وفيه يقول أبوه فخر الدين رحمه الله تعالى : [الطويل]

أَرَى ولَدِى قَدْ زَادَهُ اللهُ بهْجةً وكَمَّلَه فِى الخَلْقِ والخُلْقِ مُذْ نَشَا
سأَشْكُر ربِّى حيثُ أُوتِيتُ مثْلَه وذَلِكَ فضْلُ اللهِ يؤتيه من يشَا

ومن شعر مجد الدين صاحب الترجمة قوله : [الوافر]

بحقِّ اللهِ دعْ ظلمُ المُعَنَّى ومتِّعْهُ كمَا يهْوَى بأُنْسِك
وكيفَ الصَّدُّ يا مَوْلَاى عمَّن بِيَوْمِكَ رحْتَ تهجُرُه وأَمْسِك

وله أيضا : [الطويل]

جزَى الله شَيْبِى كلَّ خيرٍ فإنه دعَانى لما يُرضِى الإلٰه وحرَّضَا
فأقْلَعتُ عنْ ذَنْبى وأَخْلَصْتُ تائباً وأمسكْتُ لمَّا لَاحَ لِى الخيطُ أبيضا

وله أيضا : [الوافر]

تساومنا شذا أزهارِ روضٍ تحيرَّ ناظرِى فِيه وفِكْرِى
فقُلتُ نَبيعُك الأَروَاحَ حقًّا بعَرْفٍ طيِّبٍ منه ونَشْرِى

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين سُودُون بن عبد الله القاضى الظاهرى ، نائب طَرَابُلُس بها ، فى رابع عشر ذى القعدة ، وكان أصْلُهُ من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، وترَقَّى بعد موته إلى أن وَلِىَ فى الدّولة المؤيّدية حَجُوبيّة الُحجّاب ، ثم رَأْس نَوْبة النُّوَب ، ثم قُبِضَ عليه ، وحُبِسَ مُدَّة ، ثم أطلقه الملكُ المؤيّد ، وولّاه كَشْفَ الوَجْهِ القِبْلِى ، ثم نقله إلى نيابة طَرَابُلُس بعد مَسْكِ الأمير بَرْسباى

الدُّقْمَاقِىّ ، أعنى الأَشْرَف ، فدَام على نيابة طرَابُلُس إلى أن مات ، وكان سبب تسميته بالقاضى لأنّه كان إنّيًّا[1] للأمير تَنبَك القاضى ، فسُمِّى على اسم أغَاته ، والعَجَبُ أنه صار رأس نَوْبة النُّوب وأغاتُه تَنبَك المذكور من جملة رءوس النُّوب العشرات ، يمشى فى خدمة إنيه .

٥ وتُوُفِّى القاضى عزّ الدين عبد العزيز بن أبى بكر بن مُظَفَّر بن نصير البُلْقِينِىّ الشافعى ، أحد فقهاء الشافعيّة وخلفاء الحُكْم بالديار المصريّة ، فى يوم الجمعة ثالث عشر جُمَادى الأولى ، وكان فقيها شافعيًّا ، عارفا بالفقه والأصول والعربية ، رضِىّ الخُلُق ، ناب فى الحُكم من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وتُوُفِّى الأميرُ شهابُ الدِّين أحمد ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البَارِزِىّ
١٠ الجُهَنِىّ الحَمَوِى — فى حياة والده — بداره على النِّيل بساحل بُولَاق ، فى يوم الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر ، وحضر السلطانُ الملكُ المؤيد الصلاةَ ، ووجَد عليه أبُوهُ كثيرا .

وتُوُفِّى الأميرُ أبو المعالى محمد ابن السلطان الملك المؤيد شيخ فى عاشر ذى الحجّة ، ودُفِنَ بالجامع المؤيدى وعمرُه أيضا دون السَّنة .

١٥ وتوفى الشيخ بُرْهَان الدين إبراهيم ابن غَرْس الدين خليل بن علوة الإسكندرى ، رئيس الأطباء ، وابن رئيسها ، فى يوم الاثنين آخر صفر ، وكان حاذقًا فى صناعته ، عارفًا بالطبّ والعلاج .

أمرُ النّيل فى هذه السَّنة : الماء القديم ثلاثة أذرع وستة وعشرون إصبعا ، مَبْلَغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وأربعة عشر إصبعا .

(١) إنيا : انظر فى التعريف بهذا المصطلح (الحاشية ٣ ص ٩ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

السنة التاسعة من سلطنة[1] الملك المؤيد شيخ على مصر

وهى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

فيها جرّدَ السلطانُ الملك المؤيد الأتابك ألْطُنْبُغا القَرَمشى إلى البلاد الشامية ، وصحبته
٥ عِدة من أمراء الألوف قد ذكرنا أسماءهم فى أصل الترجمة عند خُرُوجِهم من القاهرة .

وفيها تُوُفِّىَ قاضى القضاة جمالُ الدين عبد الله بن مِقْدَاد بن إسماعيل الأَقْفَهْسِىّ[2] المالكى ، قاضى قضاة الدِّيار المصرية فى رابع عشر جمادى الأولى عن نحو ثمانين سنة ، وهو قاض فى ولايته الثانية ، وكان إماماً بارعاً مفتياً مدرساً ، ومات والمعوّل على فَتْوَاه بمصر .

١٠ وتُوُفِّىَ القاضى شمسُ الدين محمد بن محمد بن حسين البرق[3] الحنفى ، أحد نُوَّاب الحكْم الحنفيَّة فى سابع جمادى الآخرة .

وتُوُفِّىَ الشيخُ على كَهَنْبُوش[4] ، صاحب الزَّاوية التى عمَّرها له سُودُون الفخرى الشَّيْخُونى النَّائب ، خارج قُبة النَّصر ، بالقرب من الجبل الأحمر ، والزاوية معروفة به إلى يومنا هذا ، وكان مَشْكور السِّيرة ، محمود الطريقة ، يشتهر بصلاح ودين ، وقيل إنه
١٥ جاركسى الجِنْس ، هكذا ذكر لى بعضُ المماليك الجاركسية ، والمشهور أنه كان من فقراء الرُّوم — انتهى .

---

(١) فى الأصل «من ولاية» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٠) .

(٢) هو عبد الله بن مقداد بن إسماعيل بن عبد الله — الجمال الأقفهسى ، ولد بعد الأربعين وسبعمائة. ومات وقد قارب الثمانين (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ٧١) .

٢٠ (٣) هو محمد بن محمد بن حسين المخزومى البرقى — له ترجمة قصيرة فى (ابن العماد — شذرات الذهب ٧ : ١٦١) .

(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٦٢) . واسمه كهنفوش .

وتُوُفِّيَ الرئيس صلاحُ الدين خليلُ ابن زين الدين عبد الرحمن بن الكُوَيْز[1] ناظر ديوان المفرد في عاشر شهر رمضان ، وكان مِمّن قَدِم إلى مصر صحبة الأمير شيخ ، وتولى نَظر ديوان المفرد ، وعظم في الدولة ، وأظنه كان أسنّ من أخيه علم الدين داود ناظر الجيش ، والله أعلم .

٥ وتُوُفِّيَ العلامة القاضي ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عز الدين بن عثمان ابن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله الجهني[2] الحموي الشافعي ، المعروف بابن البارزي ، كاتب السِّرِّ الشريف بالديار المصرية ، وعظيمُ الدولة المؤيدية ، في يوم الأربعاء ثامن شوال ، ودفن على ولده الشهابي أحمد المقدم ذكره في السنة الخالية ، تجاه شُباك الإمام الشافعي — رضي الله عنه — ومولدُه بحماة في يوم ١٠ الاثنين رابع شوّال سنة تسع وستين وسبعمائة ، ومات أبوه في سنة ست وسبعين ، ونشأ تحت كنف أخواله ، وحفظ القرآن الكريم ، وكتاب الحاوي في الفقه ، وطلب العلم ، وتفقَّه بجماعة ، وبرع في الفقه والعربية والأدب والإنشاء ، وتولى قضاء حماة ، ثم ولِيَ كتابة سرِّها ، ثم صحب الملك المؤيَّد في أيام نيابته بدمشق ، ولازم خدمته ، وتولّى قضاء حَلَب في نيابة المؤيد حلبها ، ثم قبض عليه الملك الناصر ، وحبسه ببرج ١٥ الخيالة بقلعة دمشق ، ونظم وهو في السجن المذكور قصيدته المشهورة التي أولها :

[البسيط]

هُو الزمانُ فلا تلقاه بالرهبِ سلامةُ المرء فيه غايةُ العجبِ

أنشدني القصيدة المذكورة ولدُه العلّامة كمالُ الدين بن البارزي من لفظه ، وقد سمعها من لفظ أبيه غير مرّة ، وأثبت القصيدة بتمامها في ترجمته في تاريخنا « المنهل

٢٠ (١) هو خليل بن عبد الرحمن . صلاح الدين بن الكويز ، قدم مع المؤيد شيخ إلى القاهرة بعد قتل الناصر فرج سنة خمس عشرة وثمانمائة (السخاوي — الضوء اللامع ٣ : ١٩٧) .

(٢) ورد في هامش اللوحة «ترجمة ناصر الدين البارزي» هذا وقد ولد يوم الاثنين رابع شوال سنة ٧٦٩ هـ (السخاوي — الضوء اللامع ٩ : ١٣٧-١٣٩) .

الصافى » إذ هو محلّ التطويل فى التراجم ، ومن شعره أيضا — وهو مما أنشدنى ولدُه القاضى كمال الدين المقدّمُ ذكره عن أبيه : [الكامل]

طَابَ افتِضَاحى فى هوَاهُ مُحَارِبًا فلَهَوْتُ عنْ عِلمى وعَنْ آدابى
وَبِذِكْرِهِ عِندَ الصّلاةِ وَبِٱسمِهِ أَشْدُو فَوَاطَرَباهُ فى المِحْرابِ

٥ ولا زال بالحبس بقلعه دِمَشق إلى أن قَدِمَها الملكُ الناصر فرَج ، وأراد قتله ، فشفع فيه الوالدُ وأطلقه والسلطان عنده على باب دار السعادة بدِمَشق ، وتوجّه إلى حَمَاة ، ثم عاد إلى الملك المؤيد ثانيا ، ولا زال معه حتى قُتِل الملك الناصر ، وقَدِمَ صُحْبته إلى مصر وتَوَلى تَوْقيعَه عِوَضًا عن شهاب الدين الصفَدى وهو أتابَك ، فلما تسلطن خلع عليه فى شوّال من سنة خمس عشرة وثمانمائة بأستقراره كاتب السرِّ الشريف

١٠ بالديار المصرية ، عِوَضا عن [فتح الدين][1] فتح الله بعد عَزْلِه ومُصادرته ، فباشَرَ الوظيفه بحُرْمة وافرة ، ومهابة زائدة ، وعظم وضخم ونالته السّعادةُ ، وصار هو صاحب الحل والعَقْد فى المملكة ، وكان يَبيتُ عندَ الملك المؤيد فى ليالى البطالة ، وينادمه ويجاريه فى كل فَنّ من الجدِّ والهَزْل ، لا يدانيه أحدٌ من جلساء الملك المؤيد فى ذلك ، هذا مع الفضل الغزير ، وطَلَاقة اللسان ، وحفظ الشِّعْر ، وحُسْن المحاضَرة ،

١٥ والإقدام والتجرى على الملوك ، والمراجعة لهم فيما لا يعجبه ، وهو مع ذلك قريبٌ من خواطرهم لحسن تأدِّيه ما يختاره ، وبالجملة فهو أعظم من رأيناه مِمّن وَلى هذه الوظيفة ، ثم بعدَه ابنه القاضى كمال الدّين الآتى ذكره فى محلّه ، بل كان ولده المذكور أرجح فى أمور يأتى بيانها فى محلّها .

وتُوُفِّىَ الصاحبُ كريم الدين عبد الكريم بن أبى شاكر بن عبد الله بن الغنام

٢٠ فى سابع عشرين شوال ، وقد أنافَ على المائة سنة وحواسُّه سليمةٌ ، بعد أن وزر

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٢) .

مرّتين ، وأنشأ مدرسة بالقرب من الجامع الأزهر[(١)] معروفة به ، وكان من بيت رياسة وكتابة .

وتُوُفِّيَ ملكُ الغرب وصاحب فاس — قَتِيلاً — السلطانُ أبو سعيد عثمان ابن السلطان أبى العبّاس أحمد ابن السلطان أبى سالم إبراهيم ابن السلطان أبى الحَسَن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحقّ المَرِينى الفاسى ، فى ليلة ثالث عشر شوال ، قتله ٥ وزيرُه عبد العزيز اللبانى[(٢)] ، وأقام عِوَضه ابنه أبا عبد الله محمدا ، وكانت مُدَّتُه ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أشهر — رحمه الله .

وتُوُفِّيَ مُتَمَلِّكُ بَغْدَاد وتبريز والعِرَاق[(٣)] الأَمِير قَرَا يُوسُف ابن الأمير قَرَا محمد بن بَيْرَم خَجَا التُّرْكُمَانى ، فى رابع عشر ذى القِعْدَة ، ومَلَكَ بعده ابنُه شاه محمد ابن قَرَا يُوسُف ، وأوّل من ظَهَر من آبائه بَيْرَم خَجَا بعد سنة ستّين وسبعمائة ، ١٠ وتغلّب بَيْرَم خَجَا على المَوْصِل حتّى أخذها ، ثم أخَذَها منه أُوَيْس ثانيا ، وصار بَيْرَم خَجَا له كالعامل إلى أن مات ، فملك بعده ابنُه قَرَا محمد ، حتى مات فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، فمَلَكَ بعدَه ابنُه قَرَا يُوسُف ، فحاربه القَانُ غياثُ الدين أحمد بن أُوَيْس صاحب بَغْدَاد على المَوْصِل ، ووَقَع لهما بسبب ذلك حروبٌ إلى أن اصْطَلَحَا ، وانْتَمى قَرَا يُوسُف إلى السلطان أحمد ، وصار يُنْجِدُهُ فى حُروبه ، وقَدْ مَرَّ دخول ١٥ قَرَا يُوسُف إلى الشَّام وقُدُومه صحبة الأمير شيخ المحمودى إلى جهة القاهرة فى وَقْعَة السَّعِيدِيّة[(٤)] مع الملك الناصر وعَوْده إلى بلاده ، وفى عِدّة مواضع أُخَر ، وآخرُ الحال أنه وَقَع بين قَرَا يُوسُف وبين السلطان أحمد وتَحَارَبا ، وغَلَبَ قَرَا يُوسُف

(١) مدرسة أبى شاكر بن الغنام : وتعرف بالمدرسة الغنامية . أنشأها ابن الغنام سنة ٧٧٤ هـ وهى موجودة بحارة كتامة ، والآن داخلة فى حرم الجامعة الأزهرية (المقريزى — الخطط ٢ : ١٠) و (على مبارك — ٢٠ الخطط ٢ : ٩٣) .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل صحتها «اللباقى» وانظر (الاستقصاء ٢ : ٩٤) .

(٣) ورد فى هامش الرحة «قرا يوسف بن قرا محمد صاحب بغداد وتبريز» .

(٤) وقعة السعيدية . انظر فى التعريف بها (ج ١٢ : ٣١٩ من هذا الكتاب) .

السّلطانَ [أحمدَ][1] وأخذَ بَغْدَاد منه ، ودامَ بها إلى أن أخرجه منها حفيد تَيمُور لنك أميرزة أبو بكر بن مِيرَان شاه بن تَيمُور ، وفرَّ قرَا يُوسُف إلى دِمَشْق ، وقَدِمَها فى شهر ربيع الآخر سنة ستٍّ وثمانمائة ، فقبَض عليه الأمير شيخ المحموديّ نائب دمشق : أعنى المؤيّد ، وأمسك معه أيضا السلطان أحمد ، وحَبَسَهُمَا بقلعة دمَشْق ، وهذه أوّل عَدَاوَة وقعت بين المؤيّد وقرا يُوسُف ، وداما فى السِّجن إلى أن أُفرِج عنهما فى سابع شهر رجب سنة سبع وثمانمائة ، وخَلَع على قرا يُوسُف هذا ، وأنعم عليه ، وأخذه معه إلى جهة مصر ، وحَضَر وقعة السَّعِيديّة المقدم ذكرها ، ووَصَل قرا يُوسف فى هذه الحركة إلى دار الضِّيَافة[2] بالقرْب من قلعة الجبل ، ولم يدْخُل القاهرة ، ثم عاد إلى بلاده ، ثمّ وقع بينه وبين السلطان أحمد أيضا حروب إلى أن ظفر قرا يُوسف بالسلطان أحمد المذكور وقتَله فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة واستولى من حينئذ على العراقَين ، وبعث ابنه شاه محمد إلى بغْدَاد فحصل بين شاه محمد [المذكور][3] وبين أهل بغْدَاد حرُوب ، وَوَقَع لهم معه أمورٌ يَطُولُ شَرْحُها .

ومِنْ يوم قدِمَها هذا الكَعبُ الشُّؤْمُ تمّت الحروب ببغداد إلى أن خَرِبَت بَغْدَادُ والعِرَاقُ بأجمعه من كثرة الفِتَن التى كانت فى أيّام قرَا يُوسُف هذا ، ثم فى أيّام أولاده من بعده ، واستمرّ قرا يُوسُف بتلك الممالك إلى أن مات فى التاريخ المتقدم ذكره ، وملك بعده [بغداد][4] ابنُه شاه محمد ، وتنصّر ودعا الناس إلى دين النَّصْرَانِيَّة ، وأبادَ العلماء والمسلمين ، ثم ملك بعده إسكندر وكان على ما كان عليه شاه محمد وزِيَادة ، ثم أخوهما أصْبَهَان ، فكان زِنْدِيقًا لا يتديّن بدين ، فقرا يُوسف وذرّيّتُه هم كانوا سببا لخراب بَغْدَاد التى كانت كُرْسِيَّ الإسلام ، ومَنْبَعَ العلوم ، ومَدْفَن الأئمّة الأعْلَام ، وقد بقى الآن من أولاده لصُلْبه جِهَان شاه متملّك العراقَيْن وأذْرَبِيجَان ، والى أطراف العَجَم ، والناسُ منه على وَجَل ، لعلمهم أنه من

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٤) .
(٢) دار الضيافة : انظر فى التعريف بها (الحاشية ٢ ص ٢٠١ ج ١١ من هذا الكتاب) .
(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٤) .
(٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٥) .

هذه السُّلالَة الخبيثة النجسة ، فالله تعالى يُلْحِقُه بمن سلف من آبائه وإخوته الكَفَرَة الزنادقة — فإنهم شَرُّ عصابةٍ وأقبح الناس سيرةً — قريبا غير بعيد .

وتُوُفِّيَ شرفُ الدين محمد بن على بن الحيرىّ مُحْتَسِب القاهرة فى ثانى عشر شهر ربيع الأوّل . قال المقريزىّ : وقَدْ وَلِيَ حِسْبَة القاهرة ومِصْر غير مَرّة ، بعد ما كان من شِرَارِ العامّة ، ويُشْهَر بتبارُح من السُّخْفِ والمجون وسوء السِّيرة . ٥

وتُوُفِّيَ الأميرُ ناصر الدين محمد ابن الأمير مُبَارَك شاه الطَّازىّ أخو الخليفة المُسْتعين بالله فى هذه السّنة ، وقد تَقَدَّمَ من ذِكره نبذة يُعْرَف منها حالُه عند خَلْع الملك الناصر فَرَج من المُلْك ، وتَوْلِيَة الخليفة المُسْتعين بالله السَّلْطَنَة ، ولما تَوَلَّى أخوه المُسْتعين بالله العباس السَّلطنة أنعم على ابن الطَّازىّ هذا بإمْرَة طَبْلَخَاناه وصارَ دَوَادار المُسْتعين ، ودام ذلك إلى أن قدم المستعين إلى القاهرة استفحل أمر الأمير شيخ وانحطّ أمر المستعين إلى أن خُلِعَ مِنَ السَّلطنة ، ثم من الخلافة ، فأَخْرَج الملكُ المؤيد إقْطَاع ابن الطَّازىّ هذا وأبعده ومَقَتَه إلى أن مات . ١٠

وكان ابنُ الطازىّ هـذا رأْسًا فى لَعِب الرُّمْح ، أستاذاً فى فَنِّ الفُرُوسِيَّة ، أخذ عنه فنّ الرمح وغيره الأميرُ آقْبُغَا التَّمْرَازى ، والأمير كُزُل السُّودُونى المُعَلِّم ، وبه تَخَرَّج كُزُل المذكور ، والأمير قُجَق المُعَلِّم رَأْس نوبة وغيرهم ، ١٥ وكان من عجائب الله [تعالى][1] فى فَنِّه ، نَظَرْتُه غير أننى لم آخُذْ عنه شيئاً لصغر سِنِّي يوم ذاك ، وأنا أتعجّب من أَمْرِ ابن الطازىّ هذا مع الملك المؤيد ؛ فإن المؤيد كان صاحب فُنُون ويُقرِّب أرباب الكمالات من كل فنّ ويُجِلُّ مِقْدارَهم ، كيف حَطَّ قَدْرَ ابن الطازى هذا ؟ ! ولعل ابن الطازى أطلق لسانه فى حقِّ الملك المؤيد لَمَّا أرادَ خَلْع الخليفة من السَّلْطَنَة ، فأثَّرَ ذلك عند المؤيد ، وكان ذلك سبباً لإبعاده [والله تعالى أعلم][2] . ٢٠

وتُوُفِّيَ المقامُ الصارمىّ إبراهيم[3] ابن السلطان الملك المؤيد شيخ فى ليلة الجمعة خامس

(١ ، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٦) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «المقام الصارمى بن السلطان» .

عشر جمادى الآخرة بقلعة الجبل ، وحضر الصلاة عليه السلطان ، ودفنه بالجامع المؤيدى فى صبيحة يوم الجمعة ، وكَثُرَ أسف الناس عليه ، وكان لموته يومٌ عظيم بالقاهرة ، ومات وسنُّه زيادة على عشرين سنة ، وأمّه أم ولد ، وكان مَوْلِدُه بالبلاد الشاميّة فى أوائل القَرْن تَخْميناً ، فإنه لما تسلطن والدُه كان سِنُّه يَوْمَ ذاك دون البلوغ ، وكان نَبيلاً حاذِقًا ، فأنعم عليه أبوه بإمْرَة مائة وتقدمة ألف ، وتجرَّدَ صُحْبَة والده إلى البلاد الشامية ، ثم عاد معه ، ثم لَمَّا كبر وتَرَعْرَع سَفّره أبوه إلى البلاد الشمالية مُقَدَّم العساكر ، فسار إلى بلاد ابن قَرَمان وغيره ، وأظهر فى هذه السَّفْرَة من الشجاعة والإقدام ، والكرم والحِشْمَة ما أذْهَل الناس ، هذا مع حُسن الشَّكالَة ، وطَلاقة المُحَيَّا ، والإحسان الزائد لمن يَقْصِدهُ ويتردَّدُ إليه ؛ ولعمرى إنه كان خليقاً للسلطنة ، لائقاً للملك — فما شاء الله كان [1] [وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم] [1] .

أمْرُ النيل فى هذه السنة : الماء القديم ثلاثة أذرع سواء ، مبلغ الزّيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة أصابع — انتهى .

(١–١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٧٦) .

ذكر سلطنة الملك المظفر أحمد
على مصر (١)

السلطان الملك المظفَّر أبو السعادات أحمد ابن السلطان الملك المؤيد أبى النَّصْر شيخ المحمودى الظاهرى الجاركسى الجنس ، تسلطن يوم مات أبوه الملك المؤيد شيخ ، على مُضىِّ خمس دَرَج من نصف نهار الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، وعُمْرُه يوم بُويعَ بالمُلْك وجَلَس على سَرِير السلطنة سنةٌ واحدة وثمانية أشهر وسبعة أيام ، وهو السُّلْطَان التَّاسع والعشرون من ملوك التُّرْك وأولادهم، والخامس من الجراكسة ،وأُمّه خَوَنْد سَعادات بنت الأمير صَرْغَتَمُش ، أحد أمراء دِمَشْق ، وهى إلى الآن فى قَيْد الحياة .

ولَمَّا مات أبوه السلطان الملك المؤيد طُلب الملك المظفر [أحمد](٢) هذا من الحريم بالدُّور السُّلطانيّة ، فأُخْرِجَ إليهم ، فبايعوه بالسَّلطنة بعهد من أبيه إليه بالمُلْك قَبْل تاريخه ، وألبسوه خِلْعَة السلطنة ، ورَكِبَ فَرَس النَّوبَة بأبهة السلطنة ، وشِعارِ المُلْك من باب السِّتارة بقلعة الجبل ، ومشت الأُمَراء بَيْن يديه وهو يَبْكى من صِغَر سِنّه ، مما أذهلَه من عِظَم الغَوْغاء ، وقُوّة الحَرَكة ، وصارَ مَنْ حَوْلَه من الأمَراء وغيرهم يشغله بالكلام ، ويَتَلَطَّف به ، ويُسَكِّن رَوْعه ، ويناوِلُه منَ التُّحَف ما يشغله به عن البكاء ، حتى وصل إلى القَصْر السُّلْطانى من القلعة ، فأُنْزِل من على فرسه ، وحُمِل حتى أُجْلِس على سَرِير الملك وهو يَبْكى ، وقبَّلَ الأمراء الأرض بين يديه بسرعة ، ولَقَّبُوه بالملِك المظفَّر بحضرة الخليفة المعتضد بالله أبى الفتح داود ، والقضاة الأربعة ، ونُودِى فى الحال بالقاهرة ومصر باسمه وسلطنته .

ثم أخَذَ الأمراء فى تجهيز السُّلطان الملك المؤيد ، وتَغْسيله ودَفْنِه ، حسبما تقدّم ذِكْرُه فى ترجمته .

---

(١) العنوان فى (ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٧٧) « ذكر سلطنة الملك المظفر ابن الملك المؤيد شيخ على مصر » هذا وقد ذكر فى هامش الأصل « المظفر أحمد بن المؤيد» .

(٢) الإضافة للتوضيح .

وقَبْلَ أن يُدْفَن الملكُ المؤيد أبرَمَ الأميرُ طَطر أميرُ مجلس أمْرَه مع الأمَراء ، وقبَض على الأمير قَجْقار[1] القَرْدَمِىّ أمير سلاح ، وأمسكه بمعاونة أكابر المماليك المؤيدية ، وأيضاً بمعاونة خشداشيته من المماليك الظاهريّة بَرْقوق ، فارتجّت القاهرةُ وماجَت الناسُ ساعةً وتخوّفوا من وقوع فِتنة ، فلم يقع شىء ؛ وذلك لعدم حاشية قَجْقار القَرْدمى ، فإنه أحد مماليك الأمراء ليس له شوكة ولاخُشْدَاشِين ، وسَكَنَ الأمرُ ، ونبَل ططرُ فى أعين الناس من يومئذ ، وتفتّحت العُيُون إليه .

ثم لما كان يوم الثلاثاء عاشر المحرّم — وهو صبيحة يوم وفاة [الملك][2] المؤيّد — عملت الخِدْمة بالقصر السُّلطانى من القلعة ، وأُجْلِس الملك المظفر [أحمد][3] على مَرْتبة السّلطنة ، وكانت وظيفة طَطَر أميرَ مجلس ، ومنزلة جلوسه فى الميمنة تحت الأمير الكبير ، وكان الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى قد توجّه إلى البلاد الشاميّة قبل ذلك بأشهر ، فصار طَطَر يجلِس رأسَ الميمنة لغيبة الأمير الكبير ، ومنزلة جلوس الأمير تَنبَك العلائى مِيق المعزول عن نيابة الشام رأس الميسرة فوق أمير سلاح — كل ذلك فى حياة الملك المؤيد — فلما تسلطن الملك المظفر هذا ، وعُملت الخِدمةُ بعد مَسْك قَجْقار القَرْدَمى ، وكان الملك المؤيد جعل التّحدُّث فى تدبير مملكة وَلَدِه الملك المظفر لهؤلاء الثلاثة ، أعنى تَنبَك مِيق ، وقَجْقار القَرْدَمى أمير سلاح ، وطَطَر أمير مجلس ، فصار التحدّث الآن إلى تَنبَك مِيق وإلى طَطَر فقط .

فلما دخل الأمراءُ الخِدْمَة على العادة ، وقَبْلَ الجلوس أومأ الأميرُ طَطَر إلى الأمير تنبَك مِيق أن يَتَوجّه إلى ميمنة السلطان ويَجْلِس بها على أنه يكون مكان الأمير الكبير ، ويَجْلس هو [على][4] مَيْسَرة السُّلطان ، فامتنع تنبَك من ذلك ، فألحّ عليه طَطَرُ فى ذلك واحتشم معه ، وتأدّب إلى الغاية ، فحَلَفَ تنبَك بالأَيمان المُغَلّظَة أنه لا يفعل ، وأنه لا يجلس إلا مكانه أوّلا

(١) ورد فى هامش اللوحة « التبض على قجقار » .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٨) .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٩ «هو رأس ميسرة»

فى الميسرة، وأن طَطر يجلس فى المَيْمَنة ، وإن لم يفعل [ططر] (١) ذلك تَرَكَ تنبك الإمرة وتوجَّه إلى الجامع الأزهر بطالا ، فجلس عند ذلك ططرُ على الميمنة ، وعند ما اُستقر بهم الجلوس ، وقُرِىء الجيشُ على السلطان [(٢) فلم يتكلم أحدٌ من الأمراء فى أمر الذى قرأه ناظر الجيش (٢)] فسكت ناظرُ الجيش عن قِرَاءة القصَص لعدم من يجيبه ، فعند ذلك عرَض الأميرُ ططرُ أيضاً التكلّم على الأمير ٥ تنبك مِيق ، وقال له : أنت أغاتنا ، وأكبرُ منا سِنًّا وقَدْراً ، والأليق أن تكون أنت مُدَبِّرَ المملكة ونحن فى طاعتك ، نمتثِل أوَامِرك ، وما ترْسُم به ، فامْتنع الأميرُ تنبك أيضًا من التكلُّم وتدبير المملكة أشدَّ امتناع ، وأشار إلى الأمير طَطر بأن يكون هو مُدَبِّر المملكة ، والقائم بأمورها ، وأنه يكون هو تحت طاعته ، فاُستَصْوب مَن حضر من الأمراء هذا القوْل ، فامتنع طَطر مِن ذلك قليلا حتى ١٠ ألحّ عليه الأمراءُ ، وكلَّمه أكابرُ الأمراء المؤيدية فى القبول ، فعند ذلك قَبِلَ وتكلَّم فى المملكة ، وقرئ الجيش ، وحضرت العلامة ، ثم مُدَّ السِّماط على العادة ، فعند ما نجز السِّماط أُحضِرَت خِلْعَةٌ جليلة للأمير طَطر ، فلبسها باُستقراره لَالَا (٣) السلطان الملك المظفر [أحمد] (٤) وكافل المملكة ومُدَبرها ، ثم أُحضِرت خِلْعَةٌ أخرى للأمير تنبك مِيق فلبسها ، وهى خِلْعَة الرضى والاستمرار على حاله ، وانفضَّت الخِدْمَة بعد أن أوْصَل ١٥ الأمراءُ السلطانَ إلى الدُّور السُّلطانية ، وأُعِيد الملكُ المظفر إلى أمه بالحريم السلطانى .

هذا وقد استقرّ سكَنُ الأميرُ طَطر بطبقة الأشْرَفية من قَلْعة الجبل ، فجَلَس طَطرُ بطبقة الأشْرَفية ، بعد أن فُرِشت له ، وَوَقَف الأمراءُ ومباشرو الدَّوْلة والأعيان بين يَدَيْه ، فأخَذَ وأعْطى ، ونفَّذ الأمورَ على أحسن وَجْه ، وأجمل صورة ، فهَابَتْهُ النَّاس ، وعَلِموا أنه سيكون من أمْرِه ما يكون من أوّل جلوسه فى هذا اليوم ، ثم رَسَم بكتابة ٢٠

(١ ، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٧٩).

(٣) لالا : هو المربى ، وانظر (الحاشية ٣ ص ٤١٨ ج ١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٤) إضافة للتوضيح .

الخَبَر بمَوْت الملك المؤيد ، وسلطنة ولده الملك المظفر إلى الأقطار ، وأوعد المماليك السلطانية بالنَّفَقَة فيهم على العادة ، فكَثُرَ الدُّعاء له ، والفَرَحُ بتكلُّمِه فى السلطنة .

ثم فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم رَسم الأميرُ طَطر نظامُ المُلْك بالقبض على الأمير جُلُبَّان رأس نوبة سيدى ، وعلى الأمير شاهين الفارسى ، وهما من مقدمى الألوف بالديار المصرية ، فَمُسِكَا وقُيِّدَا وحُبِسَا ، ثم طلب الأميرُ طَطر القضاة ودخل معهم إلى الخِزانة السُّلطانية ، وختَم بحضُورهم على خِزَانة المالِ بعد أن أخرج منها أربعمائة ألف دينار بِرَسم نفقةِ المماليك السُّلطانية ، ثم نَزل القضاةُ .

فلما كانَ الليل اضْطَرَب الناس ، وَوَقَعَتْ هَجَّةٌ بالقاهرة ، ولم يَدْرِ أحدٌ ما الخبر حتى طلع الفَجْر ، فأسفرت القضيّة على أن الأمير مُقْبِلًا الحسَامِىَّ الدَّوَادار الكبير رَكِبَ بمماليكه وعليهم السلاحُ فى الليل ، وخَرَج من القاهرة ومعه السَّيْفى يَلْخَجَا مِن مَامِش[١] السّاقى الناصرى ، وسار إلى جهة الشام خَوْفًا من القبض عليه .

فلما كان الغد من يوم الخميس ، اجتمع الأمراءُ عند الأمير ططر بالقلعة وعَرَّفوه أمر مُقْبِل المذكور ، وسألوه أن يرسل أحداً منهم فى أثره فلم يَلْتَفِت إلى ذلك ، وأخَذ فيما هو فيه من أمر نفقة المماليك السُّلطانية ، ونَفَق فيهم لِكُلٍّ واحد منهم مائة دينار مصرية ، فشَكَرَ المماليكُ له ذلك ، ثم أمر فَنُودِىَ بالقاهرة بإبطال المَغَارِم[٢] التى أُحْدِثت[٣] على الجراريف فى عمل الجُسُور بأعمال مصر ، فوَقَع ذلك من الناس المَوْقعَ الحسن .

وأما أمرُ مُقبل الدَّوَادَار ، فإنه لما خَرَج من بيته بمَنْ مَعَه اجتاز بظاهر خانقاه سرقوياس[٤] ، وقصد الطينة بمن معه ، فَفَطِنَ بهم العُرْبان أربابُ الأدْرَاك فاجتمعوا وقصدوه وحاربُوه ، هو ومَن معه ، فلا زَالَ يقاتلهم وهو سَائرٌ إلى أن وصل إلى الطينة،

(١) ورد فى هامش اللوحة «يلخجا من مامش» .
(٢) ورد فى هامش اللوحة «إبطال المغارم» .
(٣) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨١ «جددت» .
(٤) خانقاه سرياقوس : انظر فى التعريف بها (الحاشية ٢ ص ٧٠ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

فَوَجَد بها غُرَابًا[١] مهيئًا للسفر فرَكِبَ فيه بمن معه ، ونهبت الأعرابُ جميع خيولهم وأثقالهم وما كان معهم ، وسافر مقبل فى الغراب المذكور إلى الشام ، ولحق بالأمير جَقْمَق الأرغون شاوى الدوادار نائب الشام ، وانضمّ عليه وصار من حزبه ، ودَامَ معه إلى أن انهزم جقمق من القَرمَشى إلى الصُّبَيبة وقبض عليه ، فأمسك مقبل هذا أيضا ، وحُبِسَ كما سيأتى ذكره فى محله إن شاء الله تعالى — انتهى . ٥

ثم أمرَ الأميرُ طَطَرُ فنُودِىَ[٢] بالقاهرة لأجناد الحلقة بالحضور إليه ليردّ إليهم ما كان أخذه منهم الملكُ المؤيد فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة من المال برسم السفر ، وكان الذى تحصَّلَ منهم تحت يد السيفى أَقْطُوَه الموساوى الدوادار، فلما حَضروا أمر ططر أَقْطُوَه أن يدفع لكلٍّ واحدٍ منهم ما أُخِذ منه ، فضج الناسُ له بالدعاء ، وصاحت الألسن بالشكر له والثناء عليه ، ثم أخذ الأميرُ ططر وهو جالس فى الموكب بإزاء السلطان بيد السلطان الملك المظفر وفيها قَلَمُ العلامة حتى عَلَّمَ على المناشير ونحوها ، بحضور الأمراء وأرباب الدولة ، واستمر ذلك فى بعض المواكب ،والغالب لا يُعَلِّم إلا الأمير طَطَر . ١٠

ثم فى يوم الجمعة ثالث عشر المحرم حُمل الأمير قَجْقَار القَرْدمى ، والأمير جُلُبّان ، والأمير شاهين الفارسى فى القيود إلى سجن الإسكندرية . ١٥

ثم فى يوم السَّبت رابع عشره خلع الأميرُ طَطَر على الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله وأُعِيدَ إلى نظـــر الخاص ، ومنع الطواشى مَرجان الخازندار من التكلّم فيها .

وفيه أيضاً خلَع على القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى وأعيد إلى حسبة القاهرة عوضاً عن صارم الدين إبراهيم بن الحسام ، وأنعم عليه الأميرُ طَطَر بثمانين ديناراً ، ورتّب له على ديوان الجوالى بالقاهرة فى كل يوم ديناراً . ٢٠

---

(١) الغراب : نوع من السفن الحربية على هيئة طائر ، وانظر (الدكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٥٥ ، ٣٥٦) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة والمناداة برد ما كان أخذ من أجناد الحلقة من المال».

وفى هذا اليوم استتمّت نفقةُ المماليك السلطانية .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشر المحرم خلع السلطانُ على الأمير ططر باستقراره نظامَ الملك ، وخلع على الأمير تَنِبَكْ مِيق باستقراره أمير مجلس عوضاً عن الأمير طَطر ، وخلع على الأمير جانى بَك الصوفى باستقراره أمير سلاح عوضاً عن قَجْقار القردمى ، وأنعم عليه بخبز آق بلاط الدمرداش أحد الأمراء المُجردين صحبة الأمير الـكبير أُلْطُنْبُغا القرمَشى ، وخلع على الأمير تغرى بردى المؤيّدى المعروف بأخى قَصْرُوَه أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة باستقراره أمير مائة ومقدّم ألف وأمير آخور كبيرا دفعة واحدة عوضاً عن الأمير طوغان الأمير آخور بحُـكْم سَفره صُحبة الأتابك أُلْطُنْبُغا القرمشى ، وخلع على الأمير[1] إينال الجكمى أحـــد أمراء الطبلخانات وشادّ الشراب خاناه [واستقر][2] رأس نوبة النُّوَب عوضا عن الأمير ألطنبغا من عبد الواحد المعروف بالصغير ، بحكم سفَره أيضا مع القرمشى ، وخلَع على الأمير على باى المؤيدى[3] أحد أمراء العشرات ورأس نوبة باستقراءه داوادارا كبيرا عوضا عن مُقْبل الحُسامى المتوجّه إلى البلاد الشاميّة ، وأنعم على الأمير آقْ خجَا الأحمدى أحد أمراء الطبلخانات واشتقرّ أمير مائة ومقدّم ألف ، وخلَع على الأمير قَشْتَم المؤيدى أحد أمَرَاء العشرات باستقراره أمير مائة ومقدّم ألف ونائب الإسكندرية عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن العطار ، وخلع على الأمير يشبك أنالى المؤيدى الأستادار خلعة الاستمرار على وظيفته ، وخلع على التاج بن سيفة الشوبَكى خِلْعَة الاستمرار بولاية القاهرة ، وأن يكون حاجبا[4] ، فاستغرب الناس ذلك ، من أن الحجوبية تضاف إلى ولاية القاهرة .

ثم فى يوم الثلاثاء سابع عشره تَوَجَّهت القُصَّادُ بتشاريف نُوَّاب البلاد الشّاميّة ،

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار إينال الجكمى مقدم ألف» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨٢) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «استقرار على باى دوادارا كبيرا عوضا عن مقبل» .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « إضافة الحجوبية إلى الولاية » .

وتقاليدهم المُظَفَّرِيَّة [أحمد][1] باستمرارهم على عادتهم فى كَفَالاَتِهم ، وكَتَبَ الأمير طَطَر نظامُ المُلك العَلاَمَةَ على الأَمْثِلَة ونحوها كما يَكْتُب السلطان .

[2]ثم فى يوم الأربعاء ثامن عشر المحرم ابتدأ الأميرُ أَقْطُوه بِرَدِّ مال أجناد الحلقة إليهم ، وتَوَلَّى ذلك فى أوّل يوم الأميرُ طَطَر بنفسه .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشره خَلَع نظامُ المُلْك على القُضَاة الأربعة وبقيّة أرباب الدَّوْلة من المُتَعَمِّمين على عادتهم ، وخَلَع على القاضى شَرَف الدين محمد ابن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله مُوَقِّع الأمير طَطَر باستقراره فى نظر أوقاف الأشراف، وكان يليه الأميرُ طَطَر من يوم مات القاضى ناصر الدين محمد بن البارزىّ كاتب السِّرِّ .

وفيه استعفى القاضى عَلَم الدين داود بن الكُوَيْز من وظيفة نَظَر الجيش ، فأُعفِى وخُلِع عليه كاملية [بسمّور][3] ، ونزل إلى داره ، كل ذلك حيلة لتَوَصّله لوظيفة كتابة السِّر — وهى بيد صهره القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ — حتى وَلِيَها حسبما يأتى ذكره .

ثم فى يوم الجمعة نُودِىَ بأن الأمير الكبيرَ طَطَر يَجْلِس للحكم بين الناس ، فلما انقضَت الصلاةُ توجَّه الأميرُ الكبيرُ طَطَر فجَلَس بالمقعد من الإِسْطَبْل السلطانى كما كان الملك المؤيد يجلس للحكم به ، إلا أنه قعد على يسار الكُرْسِىّ ولم يَجْلِس فوقه ، وحَضَرَ أمراء الدَّولة على العادة ، وقَعَدَ كاتبُ السِّرِّ القاضى كمالُ الدين بنُ البارزىّ على الدَّكة وقرأ عليه القصص ، ووقف نقيبُ الجيش وَوَالى القاهرة والحُجّاب بين يديه ، وحكم بين الرَّعيّة ، ورَدَّ المظالم ، وساس النَّاس أحسن سياسة ؛ فإنه كانت لديه فضيلة وعنده يقظة وفطنة ومشاركة جيدة فى الفقه وغيره ، وله مَحَبَّةٌ فى طلب العلم لا سيَّما [مذهب][3] السادة الحنفية ، فإنهم كانوا عنده فى مَحَلٍّ عظيم من الإكرام .

ثم انفضَّ الموكبُ ، وطلع إلى طبقة الأشرفية ، وجميع الأمراء بين يديه فى خدمته إلى أن أكل السِّمَاط ، ونَفَّذَ الأُمورَ ، ونزل كلُّ أحد إلى منزله .

(١) إضافة على الأصل .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «ابتداء رد المال على أجناد الحلقة» .

(٣،٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨٤) .

وأصبح يوم السبت حادى عشرين المحرّم غَضِبَ على الصاحب تاج الدين عبد الرزّاق بن الهَيْصَم ، وعَزَلَه عن نَظَر ديوان المُفْرَد .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشرينه قَدِمَ أمير حاج المحمل بالمحمل .

وفيه طلبَ الأميرُ طَطَر تاجَ الدين عبد الرّزّاق ابن شمس الدين عبد الوهاب ، ٥ المعروف بابن كاتب المناخ ، مُستَوْفِى ديوان المُفْرَد ، وخَلَع عليه باستقراره ناظر ديوان المُفْرد ، عوضا عن الصاحب تاج الدين عبد الرّزّاق بن الهيصم ، وخرج من بين يدى الأمير الكبير وعليه الخلعة حتى جاوز دَهْليز القَصْر ، فطلبه الأميرُ طَطَر ثانيا ، ونَزَع الخِلْعَة مِن عليه ، وخَلَع عليه تشريفَ الوزارة ، فلبسها على كُرْهٍ منه ، عِوَضًا عن الصاحب بدر الدين بن نصر الله برغبته عنها ، وطَلَبَ الصاحبَ تاجَ الدين عبد الرّزّاق بن الهيصم ، ١٠ وخلع عليه بإعادته إلى نظر الدّيوان المُفْرد ، وخَلَع على الصاحب بدر الدين بن نصر الله باستِمْرارِه فى وظيفته نظر الخاصّ ، وخَلَع على الأمير يَشْبُكَ أنالى المؤيّدىّ الأستادار باستقراره كاشفَ الكُشّاف بالوجه القبلى والبحرى .

ثم فى يوم الخميس سادس عشرينه خَلَع على القاضى كمال الدين محمد بن البَارِزِىّ كاتب السِّرّ باستقراره فى وظيفة نظر الجيش عِوَضًا عن عَلَم الدين بن الكُوَيْز .

١٥ ثم حَكَم الأميرُ طَطَر فى يوم الجمعة أيضا بعد الصلاة بالإسطبل السلطانى كما حكم به أوّلا .

ثم فى يوم الاثنين سَلْخَ المُحَرَّم خَلَع الأميرُ الكبير طَطَر على عَلَم الدين بن الكُوَيْز باستقراره فى وظيفة كاتب السِّرّ ، عِوَضًا عن صِهْرِه القاضى كمال الدين ابن البارزِىّ .

٢٠ قال المقريزى : فتسلّم القَوْسَ غيرُ بَارِيها ، وَوُسِّدَت الأمورُ إلى غير أهلها .

قلت : ومعنى قول المقريزى لهذا الكلام لم يُرِد الحطّ على ابن الكُوَيْز ، غير أن وظيفة كتابة السِّرّ وظيفة جليلة ، يكون مُتَولِّيها له اليد الطُّولَى فى الفقه والنحو ،

والنَّظْم والنَّثْر والتَّرَسُّل والمكاتبات ، والباع الواسع فى التاريخ وأيام الناس وأفعال السلف ، كما وَقَع للملك الظّاهر بَرْقُوق لمّا وَرَدَ عليه كتابٌ من بعض ملوك العَجَم فلم يَقْدِر القاضى بدر الدين بن فضل الله على حَلِّه —وهو [كاتب سره][1]— فاحتاج السلطانُ إلى أن طلب من أثناء طريق دمشق الشيخَ بدرَ الدين محمود الكُلُسْتَانى ، وهو من جملة صُوفية خانقاه شَيْخُون[2] ، حتى حَلَّ له ألفاظه ، وصادف ٥ ذلك قُرْبَ أجل ابن فضل الله فَسَعَى فى وظيفة كتابة السر جماعةٌ [كبيرة][3] من الأعيان بمال له صورة ، فلم يلتفت بَرْقُوق إليهم ، وأرسل أحضَر الكُلُسْتَانى ، ولم يكن عليه مَلُوطة يتجمل بها ، وخلع عليه باستقراره فى كتابة السر ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كله فى ترجمة الملك الظاهر بَرْقُوق الثانية ، فصار الكُلُسْتَانى على طريق أذهل فيها الملك الظاهر بَرْقُوق ونبّههُ على أشياء لم يكن سَمِعَها من غيره ، ثم لم يَلِ هذه الوظيفة ١٠ بعد الكُلُسْتَانى أمثل من القاضى ناصر الدين بن البارِزِىّ ، ثم ولده كمال الدين هذا ، فإنهما كانا أهلا لها وزيادة ، فعند ماعُزِلَ واستقرَّ عوضه عَلَمُ الدين هذا شَقَّ ذلك على أهل العلم والذَّوْق ، وصادَف ذلك بأنه لما جَلَس عَلَمُ الدين على الدكّة ، وقرأ القِصَصَ على الأمير الكبير ططر صَحّف اسم ابن جَمّاز بابن الحمار ، وقال ابن الحمّار ، فردّ عليه نقيبُ الجيش فى الملأ ابن جَمّاز ابن جمّاز ، وكرّر ذلك حتى ضَحِك الناس ، وطلع ١٥ الأميرُ ططر إلى الأشرفية ، وَوَعَد فى تلك الليلة الشيخ بَدْرَ الدين بن الأقْصَرَائى سِرًّا بوظيفة كتابة السِّر إن تمّ أمْرُه ، وأمره أن يَكْتُمَ ذلك إلى وقته .

ثم قَدِمَ الخبرُ من الشام بأن الأمير[4] جَقْمَق الأرْغُون شَاوِى نائب الشام امتنع من الدخول فى طاعة الأمير ططر ، وأنه أخذ قلعة دمَشق واستَوْلى عليها ، وعلى ما فيها

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨٥) . ٢٠

(٢) خانقاه شيخون : أنشأها الأمير سيف الدين شيخو الناصرى سنة ٧٥٦ هـ ولا تزال قائمة فى شارع الصليبة ، وانظر (على مبارك — الخطط ٢ : ١١٦) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨٥) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «قدوم الخبر بعصيان جقمق نائب الشام» .

من الأموال والسّلاح وغير ذلك ، وكان بها نحو المائة ألف دينار ، فاضطرب أهلُ الدّولة إلا الأمير ططر فإنه لم يتحرّك لذلك وطلع إليه حَمُوه الأمير سُودون الفقيه الظاهرى ، وكان له عنده مكانة عظيمة ، فجاراه سُودون فى أمر جَقْمَق ، فقال له ططر : يا أبى الأهم أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى الظاهرى ، وأما جَقْمَق فإنه رَجلٌ غريبٌ مملوكُ أمير ليس له من يقوم بنُصْرَتِه ، ولا من يعينه على ما يرومه ، غير أنه يلعب فى ذهاب مهجته ، فقال له سُودون الفقيه : وإن يكن فافعل الأَحْوَط ، وأشار عليه بما يفعله .

فلما كان يوم الخميس عاشر صفر[1] جمع الأَميرُ الكبيرُ القضاة عنده بطبقة الأَشرفية من القلعة ، وسائر أمراء الدّولة ومباشريها وكثيرا مِنَ المَماليك السُّلطانية ، وأعلمهم بأن نُوّاب الشام والأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى ومن معه من الأمراء المجردين لم يرضوا بما عمله الأميرُ طَطَر بعد مَوْت السُّلطان الملك المؤيّد ، ثم قال : ولا بد للناس من حاكِمٍ يَتَولى أمر تدبير أمورهم ، وأن يعينوا رجلاً يَرْضونه ليقوم بأعباء المملكة ، ويستبدّ بالأمور ، فقال جميعُ من حَضَر بلسان واحدٍ قد رضينا بك ، وكان الخليفة حاضِراً فيهم ، فأشهد الأمير طَطَر عليه أنه فوّض جميعَ أمور الرّعيّة إلى الأمير الكبير طَطَر ، وجعل إليه عَزْل مَنْ يُرِيد عَزْله ، وَوِلاية من يريد ولايته من سائر الناس ، وأن يُعْطى مَن يختار ، ويَمْنَع من شاء من العَطَايا ، ما عدا اللّقب السلطانى ، والدُّعاء على المَنَابر وضَرْب الاسم على الدّينار والدّرْهم ، فإن هذه الثلاثة باقية على ماهى عليه باسم السلطان الملك المظفّر أحمد ، وأثبت قاضى القضاة زينُ الدين عبد الرحمن التَّفَهْنِى الحنفى هذا الإشهاد ، وحكم بصحته ونفّذ حكمه قضاةُ القُضاة الثلاثة ، ثم حلف الأمراءُ جميعهم للأمير الكبير طَطر يمينَهم المعهودَ [بالطاعة له] [2] فى كل قليل .

وكان سبب هذا أن بعض أعيان الفقهاء الحنفية ذكر للأمير ططر نقلا[3] أخرجه إليه مِن فروع المذهب أن السلطان إذا كان صغيرا ، وأجمع أهل الشوكة على إقامة رجل

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « جمع الأمير ططر عنده بطبقة الأشرفية القضاة والأمراء » .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) أى نصا — وفى الأصل « بنقل » وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٨٧) .

للتحدّث عنه فى أمور الرّعيّة حتى يَبْلُغَ رُشْده ، نَفَذت أحكامُه ، فوضع هذا القول فى محله ، وقوى قلوب حواشى الأمير طَطَر بذلك ، وقالوا : نحن على الحق ومن خالفنا على الباطل .

وبينما الأمير ططر فى ذلك ، وَرِدَ عليه[1] الخبرُ بسيف الأمير يَشْبُك اليُوسُفِيّ نائب حَلَب ، وقد قُتِلَ فى وَقْعَة كانت بينه وبين الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِيّ فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم .

قال المقريزى : وكان يَشْبُك من شِرَار خَلْق الله تعالى ؛ لِمَا هو عليه من الفجور ، والجرأة على الفُسُوق ، والتهوُّن فى سَفْك الدِّماء ، وأخذِ الأموال ، وكان الملك المؤيّد قد استوحش منه لِمَا يَبْلُغُه من أخذِه فى أسباب الخرُوج عليه ، وأَسَرَّ للأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِيّ فى إعمال الحيلة فى القَبْض عليه ، فأتاهُ اللهُ من حيث لم يَحْتَسِب ، وأخذَه أخذاً وَبِيلا — ولله الحمد — انتهى كلام المقريزى .

قُلْتُ : وكانَ مِن خبر يَشْبُك هذا مع الأمير الكبير أَلْطُنْبغا القَرْمَشِيّ ، أنه لمّا خَرَج من الديار المصرية إلى البِلَاد الشاميه وصحبته الأمراءُ ، وهم : الأمير طُوغان أمير آخور ، وأَلْطُنْبغا من عبد الواحد الصغير رأس نوبة النُّوب ، وأَزْدَمُر الناصرى ، وآقْ بَلَاط الدّمُرداش ، وسُودُون اللَّـكّاش ، وجُلُبّان أمير آخور الذى تَوَلّى نيابة دِمَشْق فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وقَبْلَ خُرُوج القَرْمَشِيّ من القاهرة أَسَرَّ إليه الملك المؤيد بالقبض على الأمير الكبير يَشْبُك اليُوسفِيّ نائب حَلَب إن أمكنه ذلك ، فسار القَرْمَشِيّ إلى البلاد الشامية مُقَدّمًا للعساكر ، ثم تَوَجَّه إلى البلاد الحلبية ، ثم ساروا من حَلَبَ هو ورفقته إلى حيث نَدَبَهُم إليه الملك المؤيد ، وعادُوا إلى حَلَب فى أوّل سنة أربع وعشرين وأقامُوا بها ، فاستَوْحش الأميرُ يَشْبُك نائب حَلَب منهم ، ولم يجسر القَرْمَشِى على مَسْكه ، وبينماهم فى ذلك طَرَقَهُم الخبرُ بموت السلطان الملك المؤيد ، فاضطرب الأمراءُ المجرّدُون ، وعَزَم الأمير الكبيرُ أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِيّ على العَوْد إلى الدّيار

[1] ورد فى هامش اللوحة «خبر يشبك نائب حلب» .

المصرية ، ووَافَقَهُ على ذلك رُفْقَتُه من الأمراء ، وبرز بمن معه إلى ظاهر حَلَب ، وخرجُوا من باب المَقَام ، وبلغ ذلك الأميرَ يشْبُك نائب حَلَب وكان لم يخرج لتَوْدِيعهم ، فَعزَم على أن يركب ويقاتلهم ، وبَلَغَ ذلك القَرْمَشِى فى الحال ، فأرسلَ إليه دَوَادَاره السَّيْفى خُشْـكَلْدِى القَرْمَشِى .

٥ حدَّثنى خُشْـكَلْدِى المذكور من لفظه قال : ندَبَنِى أستاذى الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى أن أتَوَجَّه إلى الأمير يَشْبُك ؛ وأذكر له مقالةَ القَرْمَشى له ، فتوجَّهْتُ إليـه ، فإذا به قد طَلَع إلى مَنَارة جامع حَلَب ، فطلعتُ إليه بها ، وسلَّمْتُ عليـه فرَدَّ علىَّ السلام ، وقال : هاتِ ما معك . فقلتُ : قدْ تعبْتُ من طُلُوعِ السُّلّم ، أَمْهِلْ عَلَىَّ ساعةً فإنى جئتُ من مَلِكٍ إلى مَلك ، فأمْهَلَنِى ساعةً فبدَأْتُه بأن قُلْتُ : الأميرُ الكبيرُ يُسلِم عليك ، ويقول لك بَلَغَهُ أنَّك تريدُ قِتاله بِمَنْ معه من الأمراء ، وهو يَسْأَلُك ما القَصْدُ ١٠ فى قِتاله ، وقد آستَوْلى طَطَرُ على الدِّيار المصرية ، وجَقْمَق على البلاد الشاميّة ؟ فاقصدهما فإنهما هما الأهمُّ ، فإن أَجْلَيْتَهُما عَمَّا مَلَكاه فنَحْنُ فى قبْضَتِك ، وإن كانت الأخرَى فما بالك بالتشْوِيش عَلَيْنا لِغَيْرِك ، ونَحْنُ ناسٌ سُفَّارٌ غُرَباء البلاد ، قال : فلما سَمِعَ كَلَامى سَكَتَ ساعةً ، وقال : يسافروا ، مَنْ وَقَفَ فى طريقهم ؟ ومن هو الذى يقاتلهم ؟

١٥ أو معنى هذا الكلام ، قال : فبُسْتُ يدهُ وعُدْتُ بالجَوَاب إلى الأمير الكبير ، وقبـل أن أبلغه الرِّسالة إذا يَشْبُك المذكور نزَل من المَنارَة ، ولَبِسَ آلةَ الحرْب هو ومماليكه فى الحال ، وقَصَد الأمراءَ وهم بالسّعدى ، فلما رآه الأمراءُ المصريون رَكِبُوا ، وَرَجَعوا إليه وحملوا عليه حَمْلةً واحدة انكسرَ فيها ، وتَقَنْطَر عن فرسه ، وقُطِعت رأسهُ فى الوَقت ، فعاد الأميرُ الكبيرُ أَلْطُنبغَا القَرْمَشى بمن معه من الأُمراء إلى حَلب ،

٢٠ ونزل بدار السعادة ، ومِن غريب ما اتّفق أن الأمير يَشْبُك المذكور كان قد اُستوى سِماطُه ، فأخَّرَه إلى أن يَقْبِض على الأمَراء ، ويعود يأكله ، فقُتِل فى الحال ودخل القَرْمَشِى بِمَنْ معه ومُدَّ السِّماط بين أيديهم فأكلوه ، وكانوا فى حاجةٍ إلى الأكل ، واستمرَّ القَرْمَشى بحَلَب مُدَّةً إلى أن وَلِى نيابةَ حَلَب الأميرَ أَلْطُنْبغَا

من عبد الواحد الصَّغير رأس نوبة ، وعاد إلى دِمَشق ، واتفق مع الأمير جَقْمَق نائب الشام على قِتَال المصريين لمخالفتهم لما أوصى به الملكُ المؤيد [شيخ][1] قبل موته ، وكانت وَصِيّة الملك المؤيد أن يكون ابنه سُلطانا ، وأنْ يكون أَلْطُنْبُغا القَرْمَشى هو المتحدث فى تَدْبِير مملكته ، فخالف ذلك الأميرُ ططر، وصَارَ هو المُتحَدِّث ، وأخرَجَ إقطاعات الأمراء المجرَّدين صحبته .

وبَينما هُم فى ذلك بَلغَهُم أن الأمير ططر عَزم على الخُرُوج من الدِّيار المصرية ومعه السلطان الملك المظفر [أحمد][2] إلى البلاد الشامية ، فتهيَّئوا لِقتاله ، ثُمَّ بعد مُدَّة يسيره وَقَع بينهما وحشةٌ وتقَاتلا ، فانهزَم جقْمق إلى الصُبَيْبة ، ومَلَكَ القَرْمَشيُّ دِمشق حسبما يأتى ذكره .

هذا ما كان من أمر القَرْمشى مع يَشْبُك ، وأما الأمير ططر فإنه لما بلغه قَتْلُ يَشْبُك سُرَّ بذلك سُرُوراً عظيما ، وقال فى نفسه : قد كُفِيتُ أمْرَ بعض أعدائى ، بل كان يَشْبُك أشدَّ عليه من جميع مَنْ خالفَه — انتهى .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر صفر قَدِمَ الأميرُ قُجَق العِيساوِىّ حاجب الحجّاب — كان — فى الدولة الناصرية ، والأمير بَيْبُغا المُظَفَّرىّ أمير مجلس — كان — من سجن الإسكندرية بأمر الأمير طَطَر ، وقَبَّلَا الأرض بين يدى السلطان ، ثم يَدَ الأمير طَطَر ، ثم قَدِمَ الأميرُ يَشْبُك الساق [الظَّاهرى][3] الأعْرَج ، وكان الملك المؤيد قد نفاهُ من دِمَشق إلى مكَّة ، لَمَّا حضر إليه من قَلْعَة حَلَب فى حصاره الأمير نَوْرُوز الحافظى بدِمَشْق ، بحيلةٍ دَبَّرها الملكُ المؤيد على يَشْبُك المذكور حتى اسْتَنزَله من قَلْعة حَلَب ، فإنه كان نائبها من قِبَلِ الأمير نَوْرُوز ، ولما ظَفِرَ به المؤيد [شيخ][4] أراد قتله فيمن قَتَلَه من أصحاب نَوْروز من الأمراء الظاهرية [برقوق][5] ، فشفَع فيه الأمير ططر ، فأخرجه الملك المؤيد [شيخ][6] إلى مكة فأقام بها سنين ، ثم نَقَله إلى القُدْس ، فلم تَطُل

(١ ، ٢ ، ٤ ، ٦) الإضافات للتوضيح .

(٣ ، ٥) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٩٠) وقد ورد فى هامش اللوحة « قدم يشبك الأعرج » .

مُدَّتُه به حتى مات الملك المؤيد، وتحكَّمَ ططر، فكتب بحضوره إلى القاهرة، وكان له مُنذ خَرَج من الدِّيار المصرية نحو العشرين سنة، فإنَّه جُرِح فى نَوْبَة بِرْكة الحَبَش من سنة أربع وثمانمائة[١] الجرح الذى كان سبباً لعرجه، وخرج من القاهرة، ودام بالبلاد الشاميّة إلى يوم تاريخه.

٥ قلت: ويَشْبُك هذا هو الذى صار أتابكاً بالديار المصرية فى دولة الملك الأشْرَف بَرْسْباى، وهو الذى حَسَّنَ للملك الأشرف [بَرْسْباى][٢] الاستيلاء على بَنْدر جدَّة[٣] حتى وَقَع ذلك، وكان يَشْبُك من رجال الدهر عَقْلاً وحَزْماً ورأياً وتَدْبيراً، لم تَرَ عَيْنِى مِثْلَه فى أبناء جِنْسه، ويأتى ذِكْرُه فى مَحَلّه إن شاء الله تعالى — انتهى.

ثم قَدِمَ أيضاً سُودون الأَعْرَج الظاهرىّ من قُوص[٤]، وكان الملكُ المؤيَّدُ أيضاً قد نفاهُ ١٠ إليها من سنين عديدة، وكان سُودون أيضاً من أعيان المماليك الظاهرية بَرْقُوق، وفى ظَنّه أنه من مَقُولَة الأمير يَشْبُك الأَعْرَج، والأمر بخلاف ذلك، والفرق بينهما ظاهرٌ.

ثم أفرج الأميرُ طَطَر نِظامُ المُلْك عن الأمير ناصر الدين بَك بن على بَك بن قَرَمان، وخَلَع عليه، ورسم بتجهيزه ليعودَ إلى مملكته، فتجهَّزَ وسار فى النِّيل يوم السبت سادس عشرين صفر إلى ناحية رشيد[٥] ليركب منها إلى البحر المِلْح ويتوجّه إلى جهة بلاده.

١٥ ثم فى يوم الأربعاء أوّل شهر ربيع الأول قَدِمَ الخبرُ على الأمير طَطَر على يد بعض الشاميّين ومعه كتاب الأمير الكبير أَلْطُنْبُغا القَرْمَشِى من حَلَب، وهو يتضمّن: أنه لما قتل الأميرَ يشبُك نائب حَلَب وَلّى عِوَضَه الأميرَ أَلْطُنْبُغا من عبد الواحد

(١) واقعة بركة الحبش، انظر (ج ١٢ : ٢٨٥ من هذا الكتاب). والتعريف ببركة الحبش انظر هامش (ج ٦ : ٣٨١ وما بعدها من هذا الكتاب ط. دار الكتب).

٢٠ (٢) إضافة على الأصل.

(٣) بندر جدة: هى ميناء مكة على البحر الأحمر (القلزم) وعلى مرحلتين منها (أربعين ميلا) وهى ميقات من قطع البحر حاجا من جهة عيذاب (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٥٨).

(٤) قوص: قرية من صعيد مصر فى البر الشرقى للنيل، وكانت عاصمة الأعمال القوصية (القلقشندى صبح الأعشى ٣ : ٣٩٧) وهى حاليا مركز بمحافظة قنا.

٢٥ (٥) رشيد: مدينة غربى فرع النيل الغربى عند مصبه فى البحر الأبيض شرقى الإسكندرية على مرحلة منها. ويسمى فرع النيل باسمها «فرع رشيد» ولها تعريف مفصل فى (على مبارك — الخطط ١١ : ٧٥).

الصّغير رأس نوبة النوب فإنه عندما وَرَدَ عليه الخبرُ بموت السلطان [الملك][1] المؤيد [شيخ][2] بعدما عَهِدَ بالسّلطنة من بعده لابنه الملك المظفّر أحمد ، وأن يكون القائم بتدبير الدّولة ألْطُنْبُغا القَرْمَشِيّ ، وأنه قد أُقيم في السلطنة الملك المُظَفّر كما عهد الملك المؤيد ، أخذ هو ومن معه من الأمراء في الرّحيل من حَلَب إلى جهة الديار المصرية كما رُسم له به ، وكان من أمر يَشْبُك ما كان فاشتغل بذلك عن المَسِير ، ثم ورد عليه الخبر باستقرار نُوّاب الممالك الشاميّة على عوائدهم ، وتحليفهم للسلطان الملك المُظَفّر أحمد ، وللأمير الكبير ططر ، فحمل الأمر في ذلك على أنه غلط من الكاتب ، وسأل أن يفصح له عن ذلك ، وأبرَق وأرْعَد . ولم يعلم بأن الأمرَ انقضى وفاته ما أراد ، وقد انتهز الأميرُ ططر الفُرْصَة ، وتمثل لسان حاله بقول القائل : [الوافر]

إذا هبّتْ رِياحُكَ فاغْتَنِمْها فإنّ لِكُلّ خافِقَةٍ سكُونَا

ثم أمر الأميرُ ططر بكتابة جوابه ، فأجيب بكلام مُتَحَصّلُه : أنه لما عَهِدَ الملك المؤيد [شيخ][2] لابنه بالملك ، وأقيم في السلطنة ، طَلَبَ الأمراء والخاصكيّة والمماليك السلطانية أن يكون المُتَحَدِّثُ في أُمُورِ الدّولة الأمير ططر ، ورَغِبُوا إليه في ذلك ، فَفَوّض إليه الخليفةُ جميعَ أمور المملكَة بأسْرِها ، فليحضر الأميرُ بمن معه إلى الديار المصرية ليكونوا على إمْرِيّاتهم وإقطاعاتهم على عادتهم ، ثم أنكر عليه استقرار ألْطُنْبُغا الصغير في نيابة حلب من غير استئذانه .

ثم قدِمَ الخبرُ أيضاً على الأمير طَطر بأن علي بن بشارة قاتل الأميرَ قُطْلُوبُغا التَنَمِيّ نائب صَفَد وكَسَره ، فانحصر بمدينة صَفَد إلى أن فرّ منها إلى دِمَشق ، وانضم على نائبها الأمير جَقْمَق ، وأن جَقْمق قد استعدّ بدِمَشق ، واستخدمَ جماعةً كبيرةً من المماليك ، وسكن قَلْعَة دِمَشق ، فتحقّق الأميرُ ططر عند ذلك خروج جَقْمق عن طاعته ، وكذلك الأمير الكبير ألْطُنْبُغا القَرْمَشِي وأخذ في إبرام أمْرِه .

فلما كان يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأول [المذكور][3] خلع على الأمير تَنبك

(١ ، ٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٩٢) . (٢) الإضافة للتوضيح .

ميق العَلَائى باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عِوَضًا عن ألْطُنْبُغا القَرْمَشى ، وأنعم عليه بإقطاعه ، وأنعم بإقطاع تَنِبَك بيق على الأمير إينال السَّيْفى شيخ الصَّفَوى[1] المعروف بالأَرْغَزِىّ ، وأنعم بإقطاع إينال الأرغزى المذكور على الأمير قُجَق العِيساوِىّ القادم من سِجْن الإسكندرية قبل تاريخه ، وأنعم بإقطاع الأمير طُوغان أمير آخُور أحد الأمراء المجرّدين على الأمير تَغْرِى بَرْدِى من آقْبُغا المؤيدى المعروف بأخى قَصْرُوَه المقدم ذكره ، وأنعم بإقطاع الأمير ألْطُنْبُغا الصغير رأس نوبة النُّوَب المستقرّ فى نيابة حَلَب على سُودون العلائى ، وأنعم بإقطاع سُودون العلائى على الأمير قُطُج من تِمْرَاز الظاهِرِىّ ، وأنعم بإقطاع الأمير أزْدَمُر الناصِرِىّ أحد مقدّمى الألوف المجرّدين على الأمير يَشْبُغا المظفرى الظاهرى الذى قَدِمَ قبل تاريخه من سجن الإسكندرية .

وأنعمَ بإقطاع الأمير جَرْبَاش الكَرِيمىّ المعروف بقَاشَق أحد المقدّمين المجرّدين على الأمير تَمُرْبَاى من قَرْمَش المؤيّدى شادّ الشراب خاناه ، وأنعم بإقطاع الأمير تَمُرْبَاى المذكور وهو إمْرَة طَبْلَخَانَاه على الأمير أرْكَمَاس اليُوسُفِىّ ، وبإقطاع الأمير أرْكَمَاس المذكور على سُودُون النَّوْرُوزِىّ الحَمَوِىّ ، وبإقطاع سُودُون الحَمَوِىّ على شاهين الحَسَنِىّ وتَغْرِى بَرْدِى المحمدى — قُسِّمَ بينهما — وأنعم بإقطاع الأمير جُلُبَّان الأمير آخُور — كان — أحدِ المقدَّمين المُتَجرِّدين على الأمير على بَاى من علم شيخ المؤيّدى الدوادَار الكبير ، وأنعم بإقطاع على بَاى المذكور على الدِّيوان المُفْرَد[2] .

وأنعمَ بإقطاع الأمير مُقْبل الحُسَامِىّ الدَّوَادَار الكبير الذى تَسَحَّبَ قبل تاريخه من القاهرة إلى الشّام على الأمير جَقْمَق العلائى الخَازِنْدَار ، وهو الملك الظاهر جَقْمَق ، وأنعم بإقطاع الأمير ألْطُنْبُغا المَرْقَبِىّ حاجب الحجّاب أحد المجرّدين على الأمير قَصْرُوَه من تِمْرَاز الظَّاهِرِىّ ، وأنعم بإقطاع قَصْرُوَه على مُغُلْبَاى البُوبَكْرِى المؤيّدى السَّاقى ،

(١) شيخ الصفوى : هو شيخ بن عبد الله الصفوى الخاصكى ، مات بسجن المرقب فى سنة ٨٠١ هـ وهو أول أمير عظيم سمى بشيخ (ج ١٣ : ٨ من هذا الكتاب) .

(٢) الديوان المفرد : هو الخاص بما أفرد لشخص السلطان ، ويقال له ديوان الخاص هامش (ج ١٣ : ٩٣ من هذا الكتاب) .

ثم أنعم على الأمير قَانِبَاى الحَمْزَاوِىّ ثانى رأس نوبة بإمْرَةِ مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية .

ثم فى يوم الأربعاء ثانى عشرين شهر ربيع الأول المذكور فَرّق الأميرُ ططر على الأمراء والمماليك — فى دفعة واحدة — أربعمائة فَرس برسْمِ السَّفر إلى الشّام ، وقد عزم على المسير إلى البلاد الشّاميّة صُحْبَة السلطان الملك المظَفر أحمد ، بعد أن رَسَم للأمراء والمماليك بالتجهز إلى السفر .

ثم قَدِمَ قُصَّاد الأمراء الجردِين إلى مِصر بِطَلَبِ جمالهم وأموالهم ، فَمُنِعُوا من ذلك ، وكتب للأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِىّ بأن الجَمَال فرّقها السلطانُ ، وقد عزم على السَّفر ، وأنتَ مُخَيَّرٌ بين أن تحضر على مَا كُنْتَ عليه ، وبين أن تستقرّ فى نيابة الشّام عِوَضاً عن جَقْمَق الأَرْغُون شَاوِىّ .

ثم أخذ الأميرُ ططر فى التهيؤ والاهتمام إلى السفر .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرينه خلع الأميرُ ططر على الأمير صلاح الدين محمد ابن الصّاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخَوَاصّ[(١)] باستقراره أستادار العالية[(٢)] عوضا عن الأمير يَشْبُك المؤيّدِى المعروف بأنالى بعد عزله ، وأنعم على صلاح الدين المذكور بإمْرَة مائة وتقدمة ألف .

وفى هذا اليوم والذى قبله نُودِىَ بالقاهرة وظَوَاهِرِها بأن لا يُسَافِرَ أحدٌ إلى البلاد الشّاميّة[(٣)] ، وهُدِّدَ مَن وُجِدَ مسافرا إليها بالقَتْل ، وكان القَصْدُ بهذه القَضِيَّة تَعْمِيَةَ أخبار مِصْر وأحوالها عن الأمراء بالبلاد الشّامية والمخالفين عليه .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار نصر الله أستادارا عوضا عن يشبك أنالى» .

(٢) أستادار العالية : ويطلق على أستادار السلطان وأستادار الصحبة الشريفة . والأستادار هو المتحدث على بيوت السلطان كلها ، وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٠ ، ٢١) و(د. إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٤٧٩) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «المناداة بأن أحدا لا يسافر من مصر إلى البلاد الشامية» .

قلت : ولهذه الفعلة وأشباهها كان يعجبنى أفعال الأمير طَطر ، فإنه كان يسيرُ على طريق ملوك السَّلف فى غالب حركاته ، لكثرة اطِّلاعِه لأخبارهم وأمورهم ، ومن تعمِيَة الأخبار على العدو ، والتَّوَرِّى فى الأسفار من أن يقصد مكانا فيُورِىَ بآخر ، ومن مخادعة أعدائه والترَقُّق لهم ؛ فإنه بلغه — لمَّا استفحل أمْرُه — عن الأمير على باى المؤيَّدى الدَّوَادَار ، أنه يقول لخُجداشِيته المؤيَّدية : لا تكترثوا بأمْره أنا كفاية له ، إن استقامَ فهو على حاله ، وإن تعوّج أخذتُه بيدى وألقيتُه من أعلى النَّصْر إلى الأرض ، وأيش هو ططر ؟ فلَمَّا سَمِعَ ذلك أمَرَ القائِلَ له بالكِتْمَان ، وأخذ فى الإمام على على باى [المذكور][1] وإظهاره على سِرِّه ، وهو مع ذلك فى قلبه منه أمورٌ وحَزَازَات ، وأيضا لمَّا وَصَل إلى الشَّام حسبما نذكره .

وقدم عليه خُجْدَاشِيته[2] من عند قرا يُوسُف على أقبح حال من الفقر : أعنى عن الأمراء الذين هربوا من الملك المؤيّد فى وقعة قَانِى بَاى نائب الشَّام ، وهم سُودُون من عبد الرحْمن نائب طرابُلُس ، وتَنِبك البَجَاسِىّ نائب حَمَاة ، وطربَاى نائب غزَّة ، وجانِى بَك الحَمْزَاوِىّ ، ويَشْبُك الجَكَمِىّ الدوَادَار الثانى الذى كان فر مِن الحِجَاز إلى العِرَاق ، وغيرهم ، فلماَّ وَصلُوا إلى دِمَشْق وتمثلوا بين يَدَىْ ططر ورآهم على باى الدوادار المذكور ، وتَغْرى بَرْدى المؤيَّدى أمير آخُور كبير قالا للأمير ططر — لَماَّ أتوا — : هؤلاء يُرِيدُون العَوْدَ إلى ما كانوا عليه ، وهم أعداء أستاذِنَا ، فقال لهما طَطَرُ : أعوذ بالله ، هؤلاء ما بقى فيهم بقيّة لطلب ما ذَكَرْتُموه مِمَّا قاسُوه من الغُرْبَة والتَّشَتُّت ، وإنما قَصْدُ كُلٍّ واحد منهم ما يقوم بأوَدِه ، مثل إقطاع حلقة[3] ويقيم بالقُدْس ، أو مرتَّبٍ ويقيم بدِمْيَاط ، أو شىء على الجوالى[4] ، وأنتم تعرفون

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٩٥)

(٢) الخجداشية : هم الخشداشية ، وانظر هامش (ج ٧ : ٣٣٠ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٣) إقطاع حلقة : أى ما يقطع لجندى من جنود الحلقة . وهم دون المماليك السلطانية وإقطاعاتهم أقل ، وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٦) و (د. إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٤٧٩) .

(٤) الجوالى : الضرائب التى تؤخذ من أهل الذمة كجزية مقررة على رقابهم كل سنة (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٤٦٢) .

أنهم خُشْداشِيَّتُنا لا يمكننا إلاّ النّظر فى أحوالهم بنحو ما ذكرناه ، فلمّا سَمِعَ المؤيدية ذلك قالوا : هذا ما نقول فيه شيئا ، وأما غيرُ ذلك فلا ، فقال لهم طَطَر : وما تَمَّ غير ما قلته ، فانخدعوا وسكتوا على ما سنذكره من أمرهم عند قدومهم على الأمير طَطَر بدِمَشْق — انتهى .

ثم أخذ الأميرُ طَطَر — بعد المناداة — فى تجهيز أمْرِه وأمْرِ السلطان إلى السَّفَر . ٥

فلمّا كان يومُ الاثنين رابع شهر ربيع الآخر ركب الأميرُ طَطَر نظامُ المُلك من قَلْعَةِ الجَبَل ومعه الأمراء والخاصكيّة والمماليك السلطانيّة ، وسار إلى جهة قُبّة النصر[1] ثم عاد ودَخَل القاهرة من باب النَّصر ، وخَرَج من باب زُوَيْلة إلى أن طَلَع إلى القَلْعَة فى مَوْكِب سلطانى لم يفقد فيه إلا الجاويشيَّة والعِصَابة السلطانيّة[2] ، وهذا أوّل مَوْكِب رَكِبَه الأميرُ طَطَر من يوم تحكُّمِه فى الديار المصريّة ، وهو من يوم دوت ١٠ [الملك][3] المؤيد شيخ .

ثم فى سادسه نُودِيَ فى المماليك السلطانيّة بالطلوع إلى القَلْعَة لأخذ نفقة السَّفر فى يوم الخميس ، فلما كان يوم الخميس المذكور جلسَ الأميرُ طَطَر نِظَامُ المُلْك بقلعة الجبل ، وأنفقَ فى المماليك السلطانية نفقة السَّفر ، لكل واحد مائة دينار إفْرَنْتِيَّة ، ثم فى تاسعه أنفق على الأمراء والمماليك أيضا ، فحمل للأمير الكبير تَنِبَك مِيق خمسة آلاف دينار ، ١٥ ولمن عداه أربعة آلاف دينار وثلاثة آلاف دينار .

وفى عاشره أخرج الأميرُ طَطَر ولَدَىْ الملك الناصر فَرَج من قلعة الجَبَل ، ووجَّهَهُمَا إلى سجن الإسكندرية كما كانا أوّلا به ، وكان سببُ قُدُومهما من الإسكندرية إلى مصر أن عمّتهما خَوَنْد زَيْنَب بنت السلطان الملك الظاهر بَرْقُوق وزوجة الملك المؤيّد

(١) قبة النصر : انظر فى التعريف بها حاشى (ج ٧ : ٤١ من هذا الكتاب ط. دارالكتب) . ٢٠

(٢) العصابة : راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٨) .

(٣) إضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٤٩٦) .

شيخ كانت سألت زَوْجَهَا الملكَ المؤيّدَ فى قُدُومِهما بسبب ختانهما ، فقدما إلى القلعة وخُتِنَا ، وهما محمد وخليل ، فأقاما عند عَمّتِهِمَا إلى أن مات الملكُ المؤيّد ، فلما عزم طَطَرُ على التوجّه إلى البلاد الشاميّة أمر بعودتهما إلى الإسكندرية وسجنهما بها كما كانا أوّلا .

٥ ثم فى رابع عشر شهر ربيع الآخر خرجت مُدَوَّرَة السلطان إلى الرَّيْدَانيّة خارج القاهرة ، فَقَدِمَ الخبرُ على الأمير طَطَر بأن عساكر دِمَشْق بَرَزَت منها إلى اللَّجُّون ، فَرَكِبَ الأميرُ طَطَر فى يوم الثلاثاء تاسع عشره من قلعة الجبل ومعه السلطان الملك المظفر أحمد والأمراء وسائر أرباب الدولة ، ونزل من قلعة الجبل إلى الريْدَانيّة بمخيّمِهِ ، وسافرت أمُّ السلطان الملك المظفّر أحمد خَوَنْد سَعَادَات فى مَحَفَّة[1] صحبة ولدها ، وأصْبَح ١٠ من الغد فى يوم الأربعاء رحل الأميرُ الكبيرُ تَنِبَك مِيق من الرَّيْدَانيّة ومعه عدّةُ أمراء جاليشا .

ثم استقلّ الأمير طَطَر بالسَّفر ومعه السلطانُ والخليفة والقضاةُ الأربعة وبقيّة العساكر فى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر ربيع الآخر المذكور ، والمَوْكِبُ جميعُه لطَطَر بعد أن جعل الأميرَ قَانِى بَاى الحمزاوىّ نائب الغيبة[2] بالديار المصريّة ، وهو يومئذ ١٥ غائب ببلاد الصَّعِيد ، وأن يَنُوبَ عنه فى نيابة الغَيْبة الأميرُ جَقْمَقْ العلائى أخو چاركس المُصَارِع إلى أن يحضر قَانِى بَاى ، وجعل معهما أيضا فى القاهرة مِنَ الأمراء المقدّمين الأميرَ آقْبُغَا التِّمْرَازِىّ ، والأمير قَرَا مُرَاد خجا الشَّعبانى .

وسار الأميرُ طَطَر من الرَّيدانيّة بالسلطان إلى أن وَصَل مدينة غَزّة فى يوم الاثنين ثانى جمادى الأولى .

---

٢٠ (١) المحفة : هودج يحمل على ظهور الجمال ، وانظر هامش (ج ٧ : ١١ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) نائب الغيبة : هو من ينوب عن السلطان عند غيبته فى سفر ونحوه ، ويحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ، وانظر هامش (ج ١٣ : ٥٥ من هذا الكتاب) .

وفى مُدَّة إقامته بغَزَّة قَدِمَ عليه جماعةٌ من الأُمَرَاء ممن خرج من عَسْكر دِمَشْق، مِنْهُم الأميرُ جُلُبّان أمير آخور وكان أحد الأمراء المجرَّدِين إلى حَلَب فى أيام المَلِك المُؤَيَّد، والأمير إينال النَّوْرُوزِىّ نائب حَمَاة، وغيرهما، فسُرَّ الأميرُ طَطر بهما، وفرَّ منهم — ممن كان خَرَج معهم من دِمَشْق — الأميرُ مُقْبِلٌ الحسامى الدَّوَادَار — كان — فى طائفة يُرِيدُ دِمَشْق إلى الأمير جَقْمَق. ٥

ثم سار الأميرُ طَطَر من غَزَّة بالسلطان والعساكر يريدُ دِمَشْق حتى وصلَ إلى بَيْسَان[1] فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى فَوَرَدَ عليه الخبرُ من دِمَشْق بأن الأمير مقبلا الدوادار لما وَصَل إلى دمشق، وأخبرَ الأمراء بدخول الأمير جُلُبّان والأمير إينال النوروزى فى طاعة الأمير طَطَر شَقَّ ذلك على الأمير جقمق الأرغون شاوى نائب الشّام، وعلى الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى ومن ١٠ معه من الأمراء المصريين، واضطربَ أمرُهم وتكلَّمُوا فى المصلحة، فلم ينتظم لهم أمرٌ واختلفا: أعنى القرمشى وجقمق نائب الشام، فاقتضى رأى ألطنبغا القرمشى ومن معه الدُّخُول فى طاعة الأمير طَطَر، والتسليم له فيما يفعل، وامتنع جقمق نائبُ الشّام مِن ذلك وأَبى إلا قتال طَطر، وافترقا من يومئذ، وصارا فى تَبَايُن، إلى أن كان يوم الثلاثاء ثالث جُمَادى الأولى المذكورة بلغ الأمير ألطنبغا القرمشى عن جقمق أنه يُرِيدُ ١٥ القبض عليه، وعَلَى مَن مَعَه من الأمراء، فطلب أصحابَه وشاوَرَهم فيما يفعل، فاقتضى رأيهُم محاربته، فبادر القرمشى إلى محاربة جَقْمَق، وركب بمماليكه وأصحابه بآلة الحَرْب وعليهم السِّلاح، ووقف بهم تجاه قَلْعة دمشق، وقد رفع الصَّنْجَق السلطانى[2]، وأُعلن بطاعة السلطان، فأتاهُ جماعةٌ كبيرةٌ من أُمراء دِمَشْق وغيرها راغبين فى الطّاعة.

وبلغ جقمق ذلك، فتهيّأ لقتاله، ولبس السلاح، ونزل بمماليكه وأصحابه، وصدم ٢٠

(١) بيسان: مدينة بين حوران وفلسطين (ياقوت — معجم البلدان ١ : ٨٧٨) وهى من قرى فلسطين جنوبى طبرية (المنجد — أعلام الشرق والغرب ص ٩٧).

(٢) الصنجق السلطانى: أى الأعلام الصغيرة الصفر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٩).

بهم الأميرَ ألطنبغا القرمشى ومن معه ، وقاتلهم ، فكان بينه وبينهم وقعةٌ هائلةٌ طول النهار ، إلى أن انكسر الأمير جَقْمَق ، وتوجّه هو والأميرُ طوغان أمير آخور ، والأمير مُقْبِل الحسامى الدَّوادَار فى نحو الخمسين فارسًا إلى جهة صرخد[1] ، وأن الأمير ألطنبغا القرمشى استولى على مدينة دِمَشْق ، وتقدّم إلى القضاة والأعيان أن يتوجّهُوا إلى ملاقاة السلطان والأمير ططر ، فَسُرَّ الأميرُ ططر بذلك غاية السرور ، وعلم أن الأمرَ قَدْهَان ، وتحقق كل أحد ثبات أمره ، وأنه سيصيرُ أمرُه إلى ما سنذكره .

وكان الذى قدم عليه بهذا الخبر الأميرُ أزْدَمُر الناصرى ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، ممن كان صحبة القرمشى بالبلاد الحلبية ، ثم قدم على الأمير ططر أيضًا الأمير قطلوبغا التنمى نائب صَفَد ، وخلع عليه الأميرُ ططر باستقراره على نيابة صَفَد .

ثم ركب الأميرُ ططر ومعه السلطان والعساكر إلى نحو دمشق حتى دخلها من غير ممانع بكرة الأحد خامس عشر جمادى الأولى المذكورة بعد أن تلقاه الأمير الكبيرُ ألطنبغا القرمشى ومعه الأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجّاب بالديار المصرية ، والأمير جرباش الكريمى المعروف بقاشق أحد مقدّمى الألوف بديار مصر والأمير سُودُون اللكاشى أحد مقدّمى الألوف أيضًا ، والأمير آقْ بَلَاط الدمرداش أحد مقدّمى الألوف أيضًا .

ولما دخل[2] القرمشى على السلطان الملك المظفر [أحمد][3] نَزَل وقَبَّل الأرضَ له بمن معه ، وسلّم على الأمير طَطَر ، ثم ركب وسَارَ فى خدمة السُّلطان فتأدّب معه الأميرُ ططر نظامُ الملك بأن يسير فى ميمنة السلطان الملك المظفر ، فامتنع من ذلك ، وألحَّ

---

(١) صرخد : بلدة وقلعة ملاصقة لحوران ، وهى من أعمال دمشق (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٠٧) .

(٢) فى الأصل «وصل» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٤٩٩) .

(٣) إضافة على الأصل .

عليه فأبى إلا سيره فى ميسرة السلطان ، كل ذلك بعد أن خلع السلطان على القرمشى ، وسار السلطان إلى أن طلع إلى قلعة دِمَشْق ومعه الأميرُ ططر .

فأوّل مابدأ به الأميرُ ططر أن قَبَض على الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى ، وعلى الأمير جَرِباش الكريمى ، وعلى الأمير ألطنبغا المرقبى ، وعلى الأمير أَرْدبُغا من أمراء الألوف بدمشق ، وعلى الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسى أستادارا المؤيَّد [شيخ][(١)] وعلى جماعة أخر . ٥

وأصبح يوم الاثنين سادس عشره جلس للخدمة بقلعة دمشق ، وخلع على الأمير تنبك مِيق العلائى باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن جقمق الأرغون شاوى الدوادار ، وخلع على الأمير إينال الجكمى[(٢)] رأس نوبة النوب واستقر به فى نيابة حلب ، عوضا عن الأمير ألطنبغا مِن عبد الواحد المعروف بالصغير ، وعلى الأمير يونس الرُّكْنى الأَعْور أتَابك دِمشْق باستقراره فى نيابة غَزة عوضا عن أَرْكَماس الجُلُبَّانِى . ١٠

ثم خلع على الأمير جانِى بك الصُّوفى أمير سلاح باستقراره أتَابك العساكر بالدِّيار المصرية عوضا عن تَنبك ميق[(٣)] .

ثم أخذ الأَمير ططر فى العمل على مَسْك جَقْمق الدَّوَادار ، فبعثَ إليه الأَمير بَيْبغا المظَفَّرى أمير مَجْلس ، والأَمير إينال الشَّيْخِى الأَرغزى ، والأمير يشْبُك أنالى المعْزُول عن الأُستادارية ، والأمير سُودون اللَّكَّاشِىّ ، ومعهم مائتا مملوك من المماليك السلطانية فساروا إلى صَرْخَد . ١٥

وأرسل الأمير ططر المُبَشِّر إلى الديار المصرية بقُدُوم السلطان إلى دِمشق و بالقَبْض على الأمير أَلْطُنْبُغا القَرْمَشى ، فدقت البشائر بقامة الجبل لذلك ثلاثة أيام ، وزينت القاهرة عشرة أيام . ٢٠

---

(١) إضافة على الأصل .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «استقرار إينال الجكمى فى نيابة حلب» .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «استقرار جانى بك الصوفى أتابك مصر» .

ثم تزوّج الأميرُ الكبير طَطَر بأم السلطان[1] الملك المُظَفَّر أحمد ، صاحب التَّرْجَمة وهى خَوَنْد سَعَادَات بنت الأمير صَرْغَتْمُش ، وبَنَى بها ، فصار عمّ السلطان زوجَ أمّه ونظام مُلكه مع ما تمهد له [من الأمر][2] من مسك الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى ورفقته ، ومن وُرُود الخبر عليه بمجىء خُچداشِيَّتِه الأمراء الذين كانوا فرّوا من الملك المؤيَّد فى وقعة الأمير قَانِى بَاىْ المحمدى نائب الشام المقدّم ذكرهم .

فلمَّا كان يوم الثلاثاء ثامن جُمَادَى الآخرة ، قَدِمَ الأمراءُ المقدّم ذكرهم من عند قَرَا يُوسُف بعد موته ، وكانوا عند قَرا يُوسُف من يوم فروا من وقعة الأمير قَانِى بَاى ، وهم الأمير سُودُون من عبد الرحمن نائب طَرَابُلُس كان ، والأمير تَنْبَك البَجَاسِىّ نائب حَمَاة كان ، والأمير طَرَبَاى الظَّاهِرِىّ نائب غَزّة كان ، والأمير يَشْبُك الجَكَمِىّ الدّوادار الثانى كان ، وهو الذى فرّ من المدينة الشَّرِيفة لما كان أمير الحاجّ [وتوجّه][3] إلى العراق فى سنة إحْدى وعشرين وثمانمائة ، والأمير جَارِى بَك الحمزاوىّ ، والأمير مُوسى الكَرْكَرِى بمن كان معهم ، فخلع عليهم الأميرُ طَطَر وأنعمَ عليهم بالمال والخيل والسلاح ، غير أنه لم يعط أحداً منهم إقطاعا ولا إمْرَة خَوْفاً من المماليك المؤيدية ، وكذلك الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقى نائب طَرَابُلُس[4] كانَ ، أعنى الملكَ الأشرف لَمَّا أطلقه من سجن قلعة دِمَشْق لم يُنعم عليه بإقطاع ، وكان من خَبَرِه أنّ الملك المؤيّد جعله بعد إطلاقه من سجن المَرْقَب أمير مائة ومقدّم ألف بدِمَشق ، فقَبَضَ عليه الأميرُ جَقْمق وحَبسه إلى أن أطلقه طَطَر — انتهى .

ثم أمر الأميرُ طَطَر بابن محب الدين الأستادار — كان — فصُودِرَ وعُوقب أشدّ عقوبة ، وأُجْرِىَ عليه العذاب ، وأَخذَ منه جُمَلا مُستكْثَرَة ولا زَال فى العُقُوبة إلى أن مات فى سابع عشرين جُمادى الآخرة ، كل ذلك بعد قَتْل الأمير أَلْطُنْبُغا القَرْمَشِىّ .

(١) ورد فى هامش اللوحة «تزويج الأمير الكبير ططر بخوند أم السلطان» .

(٢، ٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٠) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « خبر الأمير برسباى الدقماقى »

وخبره أن الأمير ططر لما طلع إلى قلعة دمشق وقبض عليه فى الحال ارتج العسكر لمسكه، وعظم ذلك على جماعة كبيرة من المماليك السلطانية الظاهرية، وطلبوا من الأمير ططر إبقاءه، فرأى ططر أنه لا يتم له أمر مع بقائه، وأرسل القرمشى أيضا يترقق له، فلم يلتفت ططر إلى هذا كله، وتمثل لسان حاله بقول المتنبى :

[الكامل] ٥

لا يخدعنك من عدوك دمعه وارحم شبابك من عدو ترحم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وجسر عليه وقتله بعد أيام، فلم ينتطح فى ذلك عنزان .

وكان الأمير ألطنبغا القرمشى حسنة من حسنات الدهر عقلا وحشمة ورياسة وسؤددا وكرما، مع اللين والأدب والتواضع، كما سيأتى ذكره فى حوادث سنة أربع ١٠ وعشرين وثمانمائة إن شاء الله تعالى .

ولما أن مهد الأمير ططر أمور دمشق، وقوى جانبه بخشداشيته وأصحابه، عزم على التوجه إلى حلب .

فلما كان يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الآخرة المذكور ركب الأمير ططر من قلعة دمشق ومعه السلطان الملك المظفر وجميع عساكره، وتوجه إلى ١٥ جهة البلاد الحلبية، وسار حتى وصلها فى العشر الأول من شهر رجب، بعد أن فر منها الأمير ألطنبغا الصغير قبل قدومه بمدة، وملكها الأمير إينال الجكمى، وسكن بدار السعادة على عادة النواب، وأقام الأمير ططر بحلب، وأخذ فى إصلاح أمرها، وخلع على أمراء التركمان والعربان، وبعث رسله إلى البلاد، وبينما هو فى ذلك قدم عليه الأمير مقبل الحسامى الدوادار — كان — أحد أصحاب جقمق طائعا، وقد ٢٠ فارق الأمير جقمق من صرخد بعد أن حوصر جقمق من الأمير بيبغا المظفرى المقدم ذكره ورفقته أياما، فخلع الأمير ططر على الأمير مقبل المذكور وعفا عنه — وفى النفس من ذلك شىء — ثم خلع الأمير ططر على الأمير تغرى بردى من آقبغا المؤيدى

الأمير آخور الكبير المعروف بأخى قَصْرُوَه ، باستقراره فى نيابة حلَب عوضا عن الأمير إينال الجَكَمِىّ ، وخلع على الأمير إينال الجَكَمِىّ باستقراره أمير سلاح[1] عوضا عن جانى بك الصُّوفى بحكم انتقاله إلى أتا بَكيّة العساكر بديار مصر ، وخَلَع على الأمير تَمُرْبَاى اليُوسُفِىّ المؤيَّدِى المُشِد باستقراره أميرَ حاج المحمل ، فخرج من حلَب وسار إلى الديار المصريّة ليتجهّز إلى سَفَر الحجاز .

ثم أبطأ على الأمير طَطَر أمرُ جَقْمَق بصَرْخَد ، فندَبَ له الأميرَ بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقِى نائب طَرَابُلُس — كان — ومعه القاضى بدر الدين محمد بن مُزْهِر ناظر الإسطبل ونائب كاتب السِّرّ ، وأَرْسَل معه أمانًا لجَقْمَق المذكور ولِمَن معه ، وحَلَفَ له أنه لا يمسّه بِسُوء إن سَلَّمَ إليه صَرْخَد وقَدِمَ إلى طاعته ، فرَكِب بَرْسْبَاى وتوجّه إلى صَرْخَد ، وما زال بالأمير جَقْمَق ومن عنده حتّى أذْعَنُوا لِطاعةِ الأميرِ طَطَر ، ونزلوا مِن قلعة صَرْخَد ، وتَوَجَّهُوا صُحْبَة الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقِى إلى دِمَشْق ، وهم : الأميرُ جَقْمَق نائب الشّام ، والأمير طوغَان أمير آخور الملك المؤيّد وغيرهم ، فلمّا قَدِمُوا إلى دِمَشْق قَبَض عليهم الأميرُ تَنِبَك مِيق نائب الشّام ، ولم يلتفت إلى كلام الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقى ، وحبس[2] الأميرَ جَقْمَق والأميرَ طوغَان أمير آخور بقلعة دِمَشْق ، وقال: إذا جاء الأميرُ الكبيرُ طَطَر إنْ شَاءَ يُطْلِقُهُما وإن شاء يَقْتُلُهُما ، فاحتدّ الأميرُ بَرْسْبَاى لذلك قليلا ثم سَكَن ما بِه لَمَّا عَلِمَ المصلحة فى قَبْضِهِما ، وقيل إن الأمير بَرْسْبَاى لما قَدِمَ بِهِمَا إلى دِمَشْق قال للأمير تَنِبَك مِيق : أنا قد حلفتُ لهما فاقْبِض عليهما أنت ، ففعل تَنِبَك ذلك ، والصَّوَاب عندى هو القَوْلُ الثانى .

وأما الأميرُ طَطَر فإنه أقام بحَلَب هو والسلطان والعساكر إلى يوم الاثنين حادى عشر شعبان ، فبَرَزَ فيه من مدينة حَلَب يريد مدينة دِمَشْق ، بعد أن مَهَّدَ أمورَ البلاد الحلبيّة ، وخَلَع على مَمْلُوكِه — ورأس نوبة — الأمير بَاك ، باستقرارِه فى نيابة قلعة حَلَب ، وكان الأمير بَاك من أخصّاء الأمير طَطَر وأعيان مماليكه .

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار إينال الجكمى أمير سلاح» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «القبض على جقمق نائب الشام كان» .

وسَارَ الأميرُ طَطَرَ إلى أن دخل دِمَشق هو والسلطانُ الملكُ المظفرُ أحمد فى يوم السبت ثالث عشرين شعبان ، فارتجت دمشق لدخوله ، وعبر دمشق وجميع الأمراء بين يديه ، والسلطانُ معه كالآلة على عادته ، وطلع إلى قلعة دِمَشق ، وشكر الأميرَ تَنِبَك مِيق على قبضه على جَقْمَق ، ثم أمر بجَقْمَق فعُوقِبَ على المال [١] ، ثم قُتِل بقلعة دِمَشق .

ثم أخرج الأميرَ طُوغَان الأمير آخُور من حَبْس قلعة دِمَشق ، وأرسله إلى القُدْس بَطَّالا ، فخفَّ الأمر كثيراً على الأمير طَطَرَ بقتل الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِيّ ، ثم بقتل الأمير جَقْمَق نائب الشّام ، ولم يَبْقَ عليه إلا الأمراء المؤيّديّة — وكانت لهم شَوْكَة وسَطْوَة بخشداشيّتهم المماليك المؤيدية — فأخذ الأميرُ طَطَرُ عند ذلك يُدَبِّر على قَبْضِهم وَجَبُن عن ذلك ، وتكلم مع خشداشيّته المماليك الظاهريّة [برقوق] [٢] فى ذلك ، فاختلفت آراؤهم فى القَبْض عليهم ، فنهم من رأى أن القبض عليهم بالبلاد الشّامية أصلح ، ومنهم من قَالَ المصلحة أن الأمير الكبير طَطَر يَعُودُ إلى مِصْرَ ، ثم يفعل ما بدا له بعد أن يصير بقلعة الجَبَل ، فمال طَطَرُ إلى القول الثانى من أنه يعود إلى مصر ، ثم يقبض عليهم ، ثم يتسلطن ، فلم يرض الأميرُ قَصْرُوَه مِن تِمرَاز بذلك ، وقام فى القَبْضِ عليهم ، وبالغ فى ذلك ، وهوّن أمر المؤيّديّة [شيخ] [٣] على الأمير طَطَرَ إلى الغاية ، حتى قال له : لا تتكلّم أنت فى أمرهم، وأنا والأمير بَيْبُغَا المظفرى نكفيك أمرَ هؤلاء الأجلاب ، كل ذلك لِمَا كان فى نفس قَصْرُوَه من أستاذهم الملك المؤيد ؛ فإنه حدثنى بعض أعيان المماليك الظاهريّة قال : لمّا أخرَجَ الملكُ المُؤيّد قَصْرُوَه من السِّجن وأنعمَ عليه بإمْرَةِ عشرة صَادَفْتُهُ فى بعض الأيام عند باب زُوَيلَة ، فسلمتُ عليه ورَجَعْتُ معه ، فقال لى : يا أخى فلان ، فقلتُ له : نعم ، قال « تنظر ما يفعل [بنا] [٤] هذا الرجل وبخُشْدَاشِيّتنا ؟ قلتُ : [نعم] [٥] نظرتُ ، قال [٦] : الله لا يحيِنى حتى أفعلَ

(١) ورد فى هامش اللوحة «عقوبة جقمق نائب الشام على المال» .
(٢، ٣) إضافة على الأصل .
(٤، ٥) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٤) .
(٦) فى الأصل «وإنه» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٤).

بمماليكه ما فعل بُخشْداشيَّتِنا من الحَبْس والقتل والتشتت . فقلتُ له : هل قلت هذا الكلام لأحد غيرى ؟ قال : لا . فقلتُ له عند ذلك : أمسِك ما معك ، لأن غَرِيمك صَعبٌ ، ومتى ما سَمِعَ بعضَ هذا الكلام عَنْكَ لا يُبقِيك ساعةً واحدةً . فقال : أعرف هذا ، فاكْتُم أنتَ أيضا ما سمعته منى ، وتفارقنا ، فلم يكن إلا بعد مُدَّة يسيرة ومات الملك المؤيّد ، ووقع ما وقَع من أمرِ الأمير طَطَر ، إلى أن قام قَصْرُوه فى مَسْك المؤيّديّة ، ومُسِكوا عن آخرهم ، فلمّا كان بعد أيّام رآنى وقال : أخى فلان، فقلتُ : نعم ، [قال][1] : هل وفَّيْتُ بما قُلْتُ أم لا ؟ فقلتُ : نعم وَفَّيْتَ وزيادة — انتهى.

وقَدْ خرجنا عن المقصود ، ولنعد لما كُنّا فيه .

ولما سَمِع الأميرُ ططر كلامَ قَصْرُوَه ، هانَ عليه أمرُ المؤيديّة ، ووَافق قَصْرُوه الأميرُ تَغْرى بَرْدِى المحمودى الناصرىّ ، والأمير بَيْبُغا المُظَفَّرى أمير مجلس ، والأمير يَشْبُك الجَكَمِيّ ، القادم من عند قَرَا يُوسُف ، والأمير أَزْدَمُر شَايا ، والأمير أَيْنَتمُش الخضرىّ ، ولا زالوا بالأمير طَطَر حتى واقهم على القَبْض عليهم ، بعد أن قال لهم : اصبروا حتى نكْتُب بقَتْل الأمير قَجْقَار القَرْدَمى أمير سلاح ، وكتب إلى مِصر ، ثم إلى نائب إسكندرية الأمير قَشْتَم المؤيدى بقتله ، فقتل فى شعبان المذكور .

وصار طَطَر يتردَّد فى القَبْض على المؤيّديّة ، إلى أن كان يوم الخميس ثامن عشرين شعبان من سنة أربع وعشرين المذكورة ، وحضَر الأمراء الخِدْمَة على العادة ، وقرِئ الجيش ، وفرغت العلامة[2] . وقبل أن يحضر السِمَاط ، مَدّت الأمراء الظاهرية أيديهم فقبضوا على الأمراء المؤيدية فى الحال ، الذين حضروا الخِدْمة والذين تأخّروا عن

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٤) .

(٢) وقرىء الجيش وفرغت العلامة : يراد بهذا التعبير أن ناظر الجيش قرأ قائمة بأمراء الجيش وإقطاعاتهم والقصص (الشكاوى) المقدمة من بعضهم ونوقش ذلك واعتمده السلطان أو من يقوم مقامه بقلم العلامة (التوقيع) .

الخِدْمَة ، فكان ممن قُبِض عليه منهم سبعة من مقدَّمى الألوف[١] من مشتروات الملك المؤيد ، وممن أنشأه ، وهم : —

الأمير إينال الجَكَمِى أمير سلاح — أصلُه من مماليك جَكَمَ من عَوَض نائب حَلَب إلّا أن المؤيد هو الذى أنشأه ورقّاه .

والأمير إينال الشَّيْخِى الأرغزىّ حاجب الحُجّاب ، وكان أصلُه من مماليك الأمير شيخ الصفَوِىّ ، أمير مجلس فى دولة الملك الظاهر برقوق ، غير أنه خدم الملك المؤيد قديماً ، واختصّ به أيام [تلك][٢] الفتن ، فلما تسلطن رقّاه وقرّبه إلى الغاية .

والأمير سُودُون اللَّكَّاش [الظاهرى][٣] أحد الأمراء المجرّدين [إلى حلب][٤] صُحْبَة الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى ، وكان أصله من مماليك الأمير آقْبُغَا اللَّكَّاش الظاهرى ، وخَدَم الملكَ المؤيد قديماً ، فلما ملك مصر أنعم عليه ورقاه حتى جعله أمير مائة ومقدّم ألف بديار مصر .

والأمير جُلُبَّان أمير آخور كان ، وهو أيضاً من جُمْلَة مَن كان مجرّداً صُحبة القَرْمَشىّ ، وفى مُعْتَقِه أقوالٌ كثيرة ، وأصلُه من مماليك الأمير تَنِبَك أمير آخور اليحياوىّ الظاهرى ، ثم أخذه بعده إينالُ حَطَب ، ثم جاركسُ المصارع ، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيد [شيخ][٥] ، وصار أمير آخور قبل سلطنته ، فلما تسلْطَن رقاه حتى صار مِن جُمْلَة أمراء الألوف بالقاهرة .

ثم على الأمير أَزْدَمُر الناصرى ، وكان من جملة الأمراء المجرّدين مع أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشى ، وأصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ، ونسبتُه بالناصرى إلى تاجره خَواجَا نَاصر الدين ، وهو مِمَّنْ أنشأه الملكُ المؤيد من خُشْدَاشِيَّته ورقاه ، وكان رأساً فى لَعِب الرُّمح .

(١) ورد فى هامش اللوحة « القبض على إينال الجكمى وباقى الأمراء المؤيدية » .
(٢ ، ٣ ، ٤) الإضافات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٥) .
(٥) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٦) .

وعلى الأمير يَشْبُك أنالى المؤيدى رأس نَوبَة النُّواب ، الذى كان وَلِىَ الأستادارية فى دَوْلة أستاذه المؤيد ، وهو [1] من أكابر المماليك المؤيدية ، ونسبته أنالى أى له أم .

وعلى الأمير على باى من علم شيخ المؤيدى الدَّوَادار ، وهو أعظم مماليك المؤيد يوم ذاك ، وهؤلاء من أمراء الألوف .

وأما الذين قُبِضَ عليهم من أمراء الطبلخانات والعشرات فكثير ، منهم : الأمير مُغُلْباى الأبو بكرى السّاقى ، وعلى الأمير مُبَارك شاه الرَّماح ، وعلى الأمير مَامِش المؤيدى رأس نوبة ، وعلى جماعة أُخر ، ثم قبض على الطَّوَاشى مَرْجان المسلمى الهِنْدِى الخازِنْدار ، ثم أطلقه .

وبعد مسك هؤلاء الأمراء خلا الجوُّ للأمير ططر ، وعلم أنه لم يَبْق له منازعٌ فيما يَرُومُه ، فإنه كان فى قلق كبير من على باى الدَّوادار وخشداشيته ، وفى تَخَوُّفٍ عظيم ، بحيث إنه كان فى غالب سفَرِه منذُ خَرَجَ من الديار المصرية لايفارق لِبْس الزَّرَدِية [2] من تحتِ ثيابه حتى أوْرَث له ذلك مرضاً فى باطنه من شِدّة برد الزَّرَدية ، وتسلسل فيه ذلك من شىء إلى شىء حتى مات حسبما نذكره .

فلما قَبَض على هؤلاء عزَم على خلع السلطان الملك المُظَفَّر [أحمد] [3] من السَّلطنة ووافقه على ذلك جميعُ الأمراء والخاصَّكيّة ، هذا وقد صار ططر يأخذ بخاطر من بَقِىَ من صِغار المماليك المؤيدية ويقرِّبُهم ويُدْنيهم ، ويُسَكِّن رَوْعَهم ، على أن كل واحد منهم انتمى لشخص من حواشى ظطر ، كما هى عادة العساكر المفلولة [4] ممّن زالت دولتهم ، وذَهَبَتْ شَوْكَتُهم ، وتخلّف منهم جماعة بالبلاد الشاميّة ، وانحطّ

(١) فى (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٦) «كان» .

(٢) الزردية : هى الدرع المصنوع من صفائح الحديد يتداخل بعضها فى بعض (محيط المحيط) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا : ٦ : ٥٠٦).

(٤) المفلولة : أى المتفرقة المهزومة (محيط المحيط)

قدْرُهم وخدموا الأمراء سنين إلى أن أعيـدوا فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق إلى بيت السلطان .

ولمّا كان يوم تاسع عشرين شعبان من سنة أربع وعشرين وثمانمائة خُلِـع السلطان الملك المُظفر أحمد بن المؤيد بالسلطان الملك الظاهر ططر ، وأُدْخِل المظفرُ إلى أُمّه خَوَنْد سعادات ، وكان ططر قد تزَوَّجها حسبما ذكرناه ، فمن يوم خلع ابنها المظفر لم يَدْخُل إليها ٥ ططرُ ، ثم طلّقها بعد ذلك .

وكانت مُدّة سلطنة الملك المظفر من يوم جلوسه على تخت الملك — وهو يوم موت أبيه الملك المؤيد شيخ — إلى أن خُلِـعَ فى هذا اليوم ، سبعة أشهر وعشرين يوماً ، وعاد صحبة الملك الظاهر ططر إلى الدِّيار المصرية ، وأقام بقَلْعة الجبَل مُدّة ، ثم أُخْرِج هو وأخوه إبراهيم ابن الملك المؤيد إلى سِجْن الإسكندرية ، فسُجِنَا بها إلى أن مات الملكُ ١٠ المظفرُ أحمد هذا فى الثّغر المذكور بالطاعُون فى ليلة الخميس آخر جُمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، فى سلطنة الملك الأشْرف بَرْسْبَاى ، ومات أخوه إبراهيم بَعْدَه بمُدة يسيرة بالطاعون أيضاً ، ودُفنا بالإسكندرية ، ثم نُقِلا إلى القاهرة ودُفِنا بالقبة من الجامع المؤيدى داخِل باب زُوَيلَة ، ولم يكن للملك المظفر أمرٌ فى السلطنة لتُشكَرَ أفعالُه أو تُذَمّ لعدم تحكّمِه فى الدّولة ، وأيضاً لصغَرِ سنه ، فإنه مات بعد خلعه بسنين وهو لم يبلغ ١٥ الحُلُم ، وأما أخُوهُ إبراهيم فإنه كان أصغر منه ، وكانت أمه أم ولد جَرْكَسِيّة تسمّى قطلُبَاى ، تزوّجها الأمير إينال الجَكَمى بعد مَوْت الملك المؤيد وماتت عنده . انتهى والله أعلم .

ذكر سلطنة الملك الظاهر ططر

على مصر(١)

السلطانُ الملكُ الظّاهِر سيف الدين أبو الفتح طَطَر ، تسلطن بعد خَلْع السلطان الملك المظفّر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ فى يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، بقلعة دِمَشْق ، وكان الموافق لهذا اليوم يوم نَوْرُوز القِبْط بمصر . ولَبِس خِلْعَة السَّلْطَنَة من قَصْر قَلْعَة دِمَشْق ، وَرَكِبَ بشعار السَّلطنة وأبَّهة المُلك ، ولُقِّبَ بالملك الظاهر طَطَر ، وذلك بعد أن ثبَت خلعُ الملك المُظَفّر ، وحَضَر الخليفةُ المعتضد بالله دَاوُد والقضاة بقلعة دمَشق ، وبايعوه بالسلطنة بحضرة الملأ من الأمراء والخاصّكيّة ، بعد أن سألهم الخليفة فى قيامه فى السلطنة ، فقالوا الجميع : نحن راضون بالأمير الكبير ططر ، وتمّ أمرُه فى السَّلْطَنة ، وقبّلت الأمراء الأرضَ بين يديه ، وحُمِلَت القُبّةُ والطّير على رأسه ، وخُطِبَ له على مَنابِر دمَشق من يَوْمه . والملك الظاهر هذا هو السلطان الثلاثون من ملوك الترك بالديار المصرية ، والسادس من الجراكسة وأولادهم .

قال المقريزى رحمه الله : كان جاركسى الجِنْس ، يعنى عن الملك الظاهر طَطَر ، ربّاه بعضُ التُّجّار ، وعلّمه شيئاً من القرآن وفِقْهِ الحنفيّة ، وقَدِمَ به إلى القاهرة فى سنة إحدى وثمانمائة وهو صَبِىّ ، فدلّ عليه الأميرُ قانى باى — لقرابته به — وسأل السلطانَ الملكَ الظاهر فيه ، حتى أخذه من تاجره ، ومات السلطانُ قَبْل أن يَصْرِفَ ثمنه ، فوزن الأمير الكبير أيْتَمُش ثمنَه اثنى عشر ألف درهم ، ونَزّله فى جملة مماليك الملك الظاهر فى الطِّباق ونشأ بينهم ، وكان الملك الناصر أعتقه ، فلم يزل فى جملة مماليك الطِّباق حتى عاد السلطان الملك الناصر فرج إلى المُلْك بعد أخيه المنصور عبدالعزيز ، فأخرج له الخيلَ وأعطاه إقطاعاً فى الحلقة ، فانضمّ على الأمير نَوْروز الحافظى ، وتقلب معه فى تلك الفتن — انتهى كلام المقريزى باختصار .

---

(١) لفظا « على مصر » إضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٨) .

قلتُ : هذا هو الُخبَاط[1] بعينه ، ولم أقف على هـذا النقل إلا من خَطِّه بعد موته ، ولم أسمعه من لفظه ، فإن هذا القَوْل يُستحيا من ذكْره ؛ فأما قَوْلُه «اشتراه الملكُ الظاهر برقوق من تاجره» فمُسَلّم غير أنه قبل سنة إحدى وثمانمائة ، وأنه لم يُعْطِ ثمنَه فيُمْكن ، وأما قَوْلُه « وأعتقه الملكُ الناصر فَرَج » فهذا القولُ لم يَقُلْه أحـدٌ غيرُه ، وبإجماع المماليك الظاهرية إن الملك الظاهر بَرْقوق أعتقه ، وأخْرَج له الخيل والقُمَاش فى عِدَّة ٥ كبيرة من المماليك ، منهم جماعة [كبيرة][2] فى قَيْد الحياة إلى يوْمنا هذا ، ثم أخرج الملك الظاهرُ خَرْجا آخر من المماليك بعد ذلك قَبْل مَوْته ، من جملتهم الملك الأشرف بَرْسْباى الدُّقْمَاقى ، والملك الظاهر جَقْمق العلائى وغيره ، وكانت عادة بَرْقوق ، أنه لا يُخْرِج لمماليكه الُجلبان خيلا ؛ إلا بعد إقامتهم فى الأطْباق مُدّة سنين ، وأنّه لا يُخْرِج فى سنة واحدة خَرْجَيْن ، وإنّما كان يُخْرِج فى كل مُدّة طويلة خَرْجًا من مماليكه ، ١٠ ثم يُتْبِعهُ بعد ذلك بمدّةٍ طويلة بخَرْجٍ آخر ، وهذه كانت عادة ملوك السّلف ، فعلى هذا يكون مُشْتَرى طَطَر هذا قبل سنة إحْدَى وثمانمائة بسنين .

ولـما أرادَ الملكُ الظاهر عِتْقَ ططر المذكور ، عَرَضَه فى جُمْلة من عرض من مماليك الطِّبَاق الـكتابيّة ، وكان ططر قَصيرَ القامة ، فاعتقد الظاهرُ أنه صغير ، فردّه إلى الطّبقة فيمن ردّ من صِغَار المماليك ، وكان الأميرُ جَرِباش الشَّيْخىّ الظاهرىّ[3] رأس نوبة ١٥ واقفًا ، فمَسَك ططر من كتفه وقال : يا مولانا السلطان ، هذا فقيه طالبُ عِلْم ، قُرْناص[4] يَسْتأْهِل الخير ، فأمر له الملك الظاهر بالخَيْل وكتب عَتَاقَته أمام السلطان الملك الظاهر سُوَيدَانُ المُقرِى ، فكان ططر فى أيّام إمْرَته ، وبعد سلطنته ، كُلّما رأى الناصرَ محمدَ

(١) الخباط : داء كالجنون (لسان العرب ٩ : ١٥٢) . ولعل المراد الخلط والاضطراب .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٠٩) . ٢٠

(٣) ورد فى هامش المخطوطة «جرباش الشيخى هو والد صاحبنا محمد» .

(٤) قرناص : واحد القرانصة . وهم طائفة من الأجناد فى رتبة أمراء الخمسات ، وهم القديمو الهجرة والمرشحون للإمرات . وظلوا بهذا الاسم طوال العصر المملوكى (د. إبراهيم طرخان – النظم الإقطاعية ص ٥٠٠) .

ابن جَرِباش الشيخى يترحَّم على والده ويقول ، لم يعتقنى الملكُ الظاهرُ برقُوق إلا بسفارة الأمير جَرِباش الشيخى — رحمه الله — وأحسن إلى ولده المذكور .

وأما قَوْله « وأقام ططرُ فى الطَبَقة حتى عاد الملكُ الناصر إلى مُلكه بعد أخيه المنصور عبد العزيز » فهذا يكون فى سنة ثمان وثمانمائة ، فهذه مُجازَفةٌ لايدرى معناها ؛ فإنّ ططر كان يَوْمَ ذاك من رءوس الفِتَن ، مُرَشَّحاً للإمرة وولاية الأعْمال ، بل كان قَبْل ذلك فى واقعة تَيْمُور لَنْك فى سنة ثلاث وثمانمائة من أعيان القَوْم الذين أرادُوا سلطنة الشيخ لاجين الچاركسىّ بالقاهرة ، وعادُوا إلى مصر ، وهو يوم ذاك يُخْشى شَرُّه ، وأيضا إنه فى سنة ثمان المذكورة كان بَرْسْباى الدُّقْماقِىّ —أعنى الملك الأشرف— صار من جُملة الخاصكيّة السُّقاة الخاص[1] الأعيان ، وكان من جُمْلة أصْحاب ططر الصِّغار مِمّن يَنْتَمى إليه ، وبسفارته اتَّصَل إلى ما ذكرناه من الوَظيفة وغيرها ، ولازال على ذلك إلى أن شفع فيه ططر — بعد أن حَبَسه الملكُ المؤيد بالمَرْقَب— وأخرجه إلى دِمَشْق ، كل ذلك وططر مُقَدَّم عليه وعلى غيره من أعيان الظاهرية ، ويسمُّونه أغاة[2] مِنْ تلك الأيام ، فلو كان كما قاله المقريزى « إن الملك الناصر فرج أعتقه فى سنة ثمان » كان ططر من أصاغر المماليك الناصرية ؛ فإن الذين أعتقهم الملكُ الناصر مِمَّن وَرِثهم من أبيه — وهم أول خَرْجٍ أخْرَجه — جماعةٌ كبيرة مثل الملك الأشرف إينال العلائى سلطان زَماننا ، والأمير طُوخ من تِمرَاز أمير مَجْلس زماننا ، والأمير يُونُس العلائى أحد مُقَدَّمى الألوف فى زماننا ، فيكون هؤلاء بالنسبة إلى ططر قَرانيص وأكابر ، وقدماء هِجْرَة ، فهذا القَوْل لا يَقُولُه إلَّا من ليس له خِبْرَةٌ بقواعد السّلاطين ، ولا يعرف ما الملوكُ عليه بالكلِّيَّة ، ولولا أن المقريزى ذكر هذه المقالة فى عِدّة كتب من مصنّفاته ما كنت أتعرَّض إلى جواب ذلك ، فإن هذا شىء لايَشُكّ فيه أحدٌ ، ولم يختلف فيه اثنان غير أنى أعذره فيما نَقَل ؛ فإنه كان بمعْزِلٍ عن الدولة ، وينْقُل أخبارَ الأتراك عن

(١) الخاصكية السقاة الخاص : كذا فى الأصول ، ولعل المراد بكلمة «الخاص» أى المخصصون لشخص السلطان . وإلا فالكلمة تكون زائدة من الناسخ .

(٢) أغاة : انظر فى التعريف بها هامش (ج ١٣ : ١١٦ من هذا الكتاب) .

الآحاد ، فكان يَقَعُ له من هذا وأشباهِهِ أوْهامٌ كثيرةٌ نبَّهْتُه على كثير منها فأصْلَحَها مُعْتَمِداً على قولى ، وها هى مصلوحة بخطه فى مَظَنّات الأتراك وأسمائهم ووقائعهم — انتهى .

واستَمرَّ الملكُ الظاهرُ طَطَر بقلعة دِمَشْق ، وعمل الخِدْمَة السُّلطانيَّة بها فى يوم الاثنين ثالث شهر رمضان ، وخلع على الخليفة والقضاة باستمرارهم ، وعلى أعيان الأمراء ٥ على عادتهم ، ثم خلع على الأمير طَرباى الظَّاهِرِىّ نائب غَزَّة — كان — فى دولة الملك المؤيّد بعد قدومه من عند قَرَا يُوسف باستقراره حاجب الحجاب بالديار المصريّة عوضا عن إينَال الأرغزىّ المقدّم ذكره ، وعلى الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاق نائب طَرَابُلُس — كان ، وكان بَطَّالاً بدِمَشْق — باستقراره دَوَادَاراً كبيرا ، عوضا عن الأمير على باى المؤيّدى بُحكم القَبْض عليه ، و[أنعم][1] على الأمير يَشْبك الجَكَمِىّ ١٠ الدَّوَادَار الثانى — كان ، وهو أيضا مِمَّن قَدِمَ مِن بلاد الشَّرق — باُستقرارِه أمير آخور كبيرا ، عوضا عن تَغرِى بَرْدِى المؤيّدى المُنْتَقِل إلى نيابة حَلَب ، ثم خَلَع بعد ذلك على الأمير بَيْبُغَا المظفرِى الظاهرِىّ أمير مَجْلس باستقراره أمير سلاح ، عوضا عن الأمير إينَال الجَكَمِىّ بُحكْم القَبْض عليه ، [وأنعم][2] على الأمير قُجَق العيسَاوِىّ الظاهرىّ حاجب الحجابَ — كان فى الدولة المؤيديّة — باستقراره أميرَ ١٥ مجلس ، عوضا عن بَيْبُغَا المظفرى ، وخلع على الأمير قَصْرُوَه من تَمراز الظاهرِى باستقراره رأسَ نوبة النُّوب ، عوضا عن يشْبك أنالى المؤيّدى بُحكْم القَبْض عليه أيضا ، ثم أنعم على جماعةٍ كبيرة بتَقَادم ألوف بالديار المصرية ، مثل الأمير أزْبُك المحمدى الظاهرى إنِىّ برْسْبُغَا الدوَادار ، ومثل الأمير تغرِى برْدِى المحمودى الناصرى ، ومثل الأمير قَرْمَش الأعور الظاهرى ، وغيرهم ، وأنعم على جماعة من مماليكه وحواشيه بإمْرة ٢٠ طَبلخَانَات وعشرات ، منهم : صهره البدْرِى حسن بن سُودُون الفقيه ، أنعم عليه بأمرة طبلخاناه عوضا عن مُغُلْبَاى السّاقى المؤيّدى بُحكْم القَبْض عليه ، و [أنعم][3]

(١، ٢، ٣) إضافة يقتضيها السياق .

على الأمير قَرْقَمَاس الشَّعْبَانى الناصرى بإمْرة طبلخاناه ، واستقرّ به دوَادارا ثانيا ، وعلى الأمير قَانصُوه النَّوْرُوزِى أيضا بإمْرة طبلخاناه ، وجعله من جملة رءوس النُّوب ، وعلى رأس نوبته الثانى قَانِى بَاى الأبوبكرى الناصرىّ البهْلَوان بإمْرة طبلخاناه ، وجعله أيضا من جملة رءوس النُّوب ، وعلى فارس دوَاداره [الثانى][1] بإمْرة
٥ طبلخاناه ، وأنعم على مُشدّه يَشْبُك السُّودُونى باستقراره شاد الشراب خاناه ، وعلى أمير آخوره بُرْدْبك السيفى يشْبُك بن أَزْدَمُر باستقراره أميرَ آخور ثانيا ، وعلى جماعة أخر من حواشيه ومماليكه ، وجعل جميع مماليكه الذين كانوا بخدمته قبل سلطنته خاصّكيّة ، وأنعم على بعضهم بعدة وظائف .

ثم أمر السلطانُ الملكُ الظاهر فكُتب بسلطنته إلى مِصْر وأعمالها ، وإلى البلاد
١٠ الحلَبيّة والسواحل و الثغور ، وإلى نُواب الأقطار ، وحملت إليهم التشَاريف والتقَاليد بولايتهم على عادتهم ، وهم : الأمير تَغرِى برْدى المؤيّدى المعروف بأخى قَصْرُوَه نائب حلَب ، والأمير تَنبَك البَجاسىّ نائب طرابُلُس ، والأمير جارقُطْلُو الظاهرى نائب حمَاة ، والأمير قُطْلُوبُغَا التنَمِىّ نائب صفَد ، والأمير يُونُس الرُّكْنِى نائب غزة .

ثم خلع على الأمير تَنبك ميق نائب الشام باستمراره على كَفَالته ، وعلى الأمير برْسْبَاى
١٥ الجزاوِىّ الناصرى باستقراره حاجب حُجاب دِمشْق ، وعلى الأمير أَرْكَمَاس الظاهرى باستقراره نائب قلعة دمشْق ، وعلى الأمير كَمَشْبُغَا طُولُو باستقراره حاجبا ثانيا .

ثم أخذ الملكُ الظاهر فى تمهيد أمور دمشق والبلاد الشّاميّة إلى أن تمّ له ذلك ، فبرز من دمشْق بأمرائه وعساكره فى يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان من سنة
٢٠ أربع وعشرين وثمانمائة يريد الديار المصرية .

هذا ما كان من أمر الملك الظاهر ططَر بالبلاد الشّاميّة .

وأما أخبار الديار المصرية فى غيبته فإنه لمّا سافر الأمير ططَر بالسُّلطان الملك

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥١٢) .

المظفر وعساكره من الرَّيْدَانيَّة استقلّ بالحكم بين الناس الأمير جَقْمَق العَلَائى إلى أن حضر الأميرُ قَانى باى الحمزاوى من بلاد الصَّعيد فى يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى ، وحكم فى نيابة الغَيْبَة ، وأرسل إلى الأمير جَقْمَق بالكَفّ عن الحكم بين الناس وخَاشَنَه فى الكلام ، فانكفّت يدُ الأمير جَقْمَق أخى جاركس المُصَارِع عن الحكم ، وكانت سيرتُه جيّدة فى أحكامه . ٥

ثم قَدِمَ الخبرُ على الأمير قَانى باى الحمزاوىّ بدُخول السلطان الملك المظفر إلى دِمَشق وقَبْضه على التَرْمَشى وغيره ، فدقت البشائر لذلك بالقاهرة ثلاثة أيام وزُينت عشرة أيام .

ثم فى يوم الأربعاء خامس شهر رمضان خلع الأمير قانى باى الحمزاوىّ على القاضى جمال الدين يوسف البساطى باستقراره فى حِسْبَة القاهرة عوضاً عن القاضى صدر الدين بن العجمى ، وكان سبب ولايته أنه طالت عطلته سنين ، فتذكّر الأمير طَطر صُحْبَته ، فكتب لقانى باى الحمزاوىّ بولايته . ١٠

ثم فى ثامن شهر رمضان قدِمَ الخبرُ إلى الديار المصرية بخلع الملك المظفّر وسلطنة الملك الظاهر طَطَر .

وأما السلطان الملك الظاهر طَطَر فإنه سار بعساكره إلى جهة الدّيار المصرية إلى أن نزَل بمنزلة الصالحيّة فى يوم الاثنين أوّل شوال ، فخرج الناسُ إلى لقائه وقد تزايد سرور الناس بقدومه ، ثم رَكِب من الصالحيّة وسار إلى أن طَلَع إلى قلعة الجبَل فى يوم الخميس رابع شوال ، وحُمِلَت القُبّةُ والطَّيْرُ على رأسه — حملها الأمير [جانى بَك][1] الصُّوفى أتابك العساكر ، ولما طلع إلى القَلْعَة أنزَل الملكُ الظاهرُ [طَطَر][2] الملكَ المظفر [أحمد][3] وأمّه بالقاعة المعلقة من دور القَلْعة . ١٥ ٢٠

ثم فى يوم خامس شوال خلع السلطانُ الملك الظاهر [ططَر][4] على الطواشى

(١، ٢، ٣ ، ٤) الإضافة للتوضيح .

مَرْجَان الهِنْدِي الخازندار باستقراره زَمّاماً(١) ، عوضاً عن الطواشي كافور الرُّومي الشِّبلي الصِّرْغَتْمُشي بحُكْمْ عَزْله .

ثم في يوم الاثنين ثامن شوّال ابتدأ السلطان بعرض مماليك الطِبَاق ، وأنزل منهم جماعةً كثيرة إلى إصطبلاتهم من القاهرة .

٥ ثم في يوم الاثنين(٢) استدعى السلطانُ الشيخَ وَلِيَّ الدين أحمد ابن الحافظ زين الدين عبد الرحيم العِرَاقيّ الشافعي وخلع عليه باستقراره قاضي قضاة الشافعيّة بالديار المصرية ، بعد موت قاضي القضاة جَلَال الدين [عبد الرحمن] (٣) البُلْقيني ، فنزل العِراقيُّ إلى داره في مَوْكب جليل بعد أن اشترط على السلطان أنه لا يَقْبَل شفاعةَ أميرٍ في حُكم ، فسُرّ الناسُ بولايته .

١٠ وفي يوم الاثنين ثاني عشرين شوال ابتدأ بالسلطان الملك الظاهر ططر مرضُ مَوْتِه ، وأصبحَ مُلَازماً للفراش واستمرّ في مرضه والخِدْمَة تعمل بالدُّور السلطانية ، ويجلس السلطانُ ويُنَفِّذ الأمورَ ويعلِّم على المناشِير وغيرها .

وأنعم في هذه الأيام على الأمير كُزُل العَجمي الأَجْرُود ، الذي كان وَلِي حُجُوبية الحجّاب في الدّوْلة الناصرية ، وعلى الأمير سُودُون الأَشقر الذي كان وَلِي في دولة المؤيّد
١٥ رأس نَوبة النُّوَب ثم أمير مجلس ، وكانا مَنْفِيَّيْن بقَرْية المَيْمُون من الوجه القبلي ؛ بحكم أنه يكون كل واحد منهم أمير عشرين فارساً ، فَدَخَلا إلى الخِدْمَة السلطانية بعد ذلك في كل يوم ، وصارا يقفان من جملة أمراء الطبْلَخانات والعشرات ، ومقدمو الألوف جلوسٌ بين يدي السلطان .

واستمر السلطان على فراشه إلى يوم الثلاثاء أوّل ذي القعدة فنصلَ السلطان من

٢٠ (١) الزمام : كلمة محرفة عن الزنان ، وهو الذي يتحدث على ستارة باب السلطان أو الأمير ، وغالبا يكون من الخصيان ويوكل بحفظ الحريم (القلقشندي — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

(٢) لم يحدد المؤلف تاريخه ، وبما أنه يقع بين الاثنين الثامن من شوال ، وبين الاثنين الثاني والعشرين منه ، فيكون هو الخامس عشر من شوال .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥١٤) .

مرضه ودخل الحمّام ، وخلع على الأطباء وأنعم عليهم ، ودقّت البشائر لذلك ، وتخلّقت الناس بالزّعفران .

ثم فى ثالث ذى القعدة خلع السلطانُ على دَوَادَاره الأمير فارس باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضاً عن الأمير قَشْتَم المؤيدى بحُكم عزله ، وقد حضر قَشْتَم المذكور إلى القاهرة ، وطلع إلى الخِدْمَة ، ثم أمر السلطانُ فقُبِض على الأمير قشتم المذكور ، ٥ وعلى الأمير قانى باى الحمزاوى نائب الغَيْبَة [1] وقُيِّدَا فى الحال وحُمِلا إلى ثغر الإسكندرية فسجنا بها .

ثم فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة خلع السلطانُ على عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدِّمشقى ناظر الخزانة باستقراره ناظرَ الجيوش [2] المنصورة بعد عزل القاضى كمال الدين بن البارزى ولزومه داره ، وخلع السلطان أيضاً على مُوَقِّعه القاضى ١٠ شرف الدين محمد ابن القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله باستقراره فى نَظَر أوقاف الأشراف ونظر الكسوة [3] ونَظَر الخِزانة عِوَضًا عن عبد الباسط المذكور ، وكان الملك الظاهر أراد تولية شرف الدين المذكور وظيفة نظر الجيش فسعى عبد الباسط فيها سَعْيًا زائداً حتى وليها .

ودخل السلطانُ فى هذه الأيام إلى القصر السلطانى وعمل الخِدْمَة به ، ثم انتكس ١٥ السلطانُ فى يوم الخميس عاشر ذى القعدة ولَزِمَ الفراش ثانياً ، وانقطع بالدُّور السلطانية ، وعُمِلَت الخِدْمَة غير مرّة .

فلما كان يوم الجمعة خامس عشرينه عَزَل القاضى وَلِىُّ الدين العراقىُّ نفسَه عن القضاء لمعارضة بعض الأمراء له فى ولاية القضاء بالأعمال .

ثم فى سادس عشرين ذى القعدة رسم السلطان بالإفراج عن أمير المؤمنين ٢٠ المُستَعِين بالله العباس من سجنه بثغر الإسكندرية ، وأن يسكن بقاعة فى الثغر المذكور ،

(١) ورد فى هامش اللوحة «القبض على قانى باى الحمزاوى» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «استقرار عبد الباسط فى نظر الجيش» .

(٣) نظر الكسوة : وظيفة تختص بخزانة الكسوة ، وهى خزانة الخاص وفيها الحواصل من الأقمشة وكذلك الطشت خاناه (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٤٧٢) . ٢٥

ويخرج لصلاة الجمعة بالجامع الذى بالثّغر، ويركب حيث يشاء، وأرسل إليه فرسا بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكش وبُقْجَة [(١)] قُمَاش، ورتّب له على الثّغر فى كل يوم ثمانمائة درهم لمصارف نفقته، فوقع ذلك من الناس الموقع الحسن.

واستهل ذو الحجة يوم الخميس والسلطان فى زيادة [ألم] [(٢)] من مرضه ونُمُوّه، والأقوال مختلفةٌ فى أمره، والإرجاف بمرضه يقوَى.

فلمّا كان يوم الجمعة ثانى ذى الحجة استدعى السلطانُ الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدّولة إلى القلعة — وقد اجتمع بها غالبُ المماليك السلطانيّة — فلما اجتمعوا عند السلطان كلم الخليفة والأمراء فى إقامة أبنه فى السلطنة بعدَه، فأجابُوه إلى ذلك، فعَهِد إلى أبنه محمد بالملك، وأن يكون الأمير جانِى بَك الصّوفىّ هو القائم بأمره ومُدَبِّر مملكته، وأن يكون الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقىّ لاَلاَ السلطان والمتكفّل بتربيته، وحلفَ الأمراء على ذلك كما حلفوا لابن الملك المؤيّد شيخ.

ثم أذِنَ السلطانُ لقاضى القضاة وَلِىِّ الدين العراقى أن يحكم، وأعيد إلى القضاء، وانفض المَوْكِب ونزَلَ الناسُ إلى دورهم، وقد كثر الكلام بسبب ضعف السلطان، وأخذ الناس وأعيان الدّولة فى توزيع أمتعتهم وقماشهم من دُورِهم، خوفًا من وُقُوع فِتْنَة.

وثَقُلَ السلطانُ فى الضّعف، وأخذ من أواخر يوم السّبت ثالثه فى بَوَادِر النَّزْع إلى أن تُوُفِّىَ ضَحْوَةَ [(٣)] نهار الأحد رابع ذى الحجّة من سنة أربع وعشرين وثمانمائة، فأضطربَ الناسُ ساعةً ثم سكنوا عندما تسلطَن ولدُه الملكُ الصالح محمد — حسبما يأتى ذكرُه — ثم أخذَ الأمراءُ فى تجهيز الملك الظّاهر ططَر، فغُسِّل وكُفِّن وصُلِّى عليه، وأخرج من باب السِّلسلة، وليس معه إلا نحو عشرين رجلا لِشُغْل الناس بسلطنة وَلَدِه، وساروا به حتى دُفِنَ بالقرافة من يومه بجوار الإمام اللَّيث بن سعد رضى الله عنه،

(١) بقجة: هى الصرة القماش، توضع فيها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة، وهى فارسية، وتجمع على بقج (محيط المحيط).

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥١٦).

(٣) ورد فى هامش اللوحة «وفاة الملك الظاهر ططر سقى الله عهده ويرحمه بكل خير».

ومات وهو فى مبادئ الكهولية ، وكانت مُدّة تحكّمه منذ مات الملكُ المؤيّد شيخ إلى أن مات أحدَ عشر شهرا تنقص خمسة أيام ، منها مُدّة سلطنته أربعة وتسعون يوما ، وباقى ذلك أيام أتابكيّته .

قال المقريزى فى تاريخه عن الملك الظاهر ططر : وكان يميلُ إلى تديُّن ، وفيه لين وإغضاء وكرم مع طَيْش وخِفَّة ، وكان شديدَ التعصّب لمذهب الحنفية ، يريد أن لا يدع ٥ من الفقهاء غيرَ الحنفية ، وأتلف فى مدته — مع قِلّتها — أموالا عظيمة ، وحمّل الدولة كُلَفًا كثيرة ، أتعب بها من بعدَه ، ولم تطُل أيّامُه لتُشكر أفعالُه أو تُذَمّ — انتهى كلام المقريزى .

قلتُ : ولعل الصّوَاب فى حقّ الملك الظّاهر ططَر بخلاف ما قاله المقريزى مما سنذكره مع عدم التعصّب له ، فإنه كان يَغُضُّ من الوالد كونه قبض على بعض أقاربه ١٠ وخشداشيّته بأمر الملك الناصر فرَج فى ولايته على دِمَشْق الثالثة ، غير أن الحقّ يقال على أى وجه كان .

كان ططَرُ مَلِكاً [عظيما][1] جليلا كريما ، عالِيَ الهمة ، جيّد الحَدْس ، حسن التّدْبير ، سَئُوسا ، توثّب على الأمور مع من كان أكبر منه قدرا وسنا ، ومع عِظَم شوكة المماليك المؤيّدية [شيخ][2] ، وقوة بأسهم ، مع فَقْر كان به وإملاق ، فلازال يحسن ١٥ سياسته ، ويُدَبِّر أمورَه ، ويخادِعُ أعداءه إلى أن استفحَلَ أمره ، وثبت قدمه ، وأقلبَ دولةً بدولة غيرها فى أيسر مُدَّة وأهون طريقة . كان تارَةً يَمْلِقُ هذا ، وتارة يغدق على هذا ، وتارة يقرّب هذا ويُظهره على أسراره الخفيّة ، كل ذلك وهو فى إصلاح شأنه فى الباطن مع من لا يُقرِّبُهُ فى الظاهر ، فكان حاله مع من يخافه كالطبيب الحاذق الذى يلاطف عدّة مرضى قد اختلف داؤهم ، فينظر كل واحد ممن يخشى شرّه ، فإن كان ٢٠ شهما رقّاه إلى المرَاتب العلية وأوعده بأضعاف ذلك ، وإن كان طماعاً أبذل إليه الأموَال وأشبعه ، حتى إنه دفع لبعض المماليك المؤيديّة الأجناد فى دفعات متفرّقة فى مُدّة يسيرة

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥١٨) .

(٢) إضافة للتوضيح .

نحو عشرة آلاف دينار ، وإن كان شهما رَغْبَتُه الأمر والنهى ولأَّه أعظم الوظائف ، كما فعل بالأمير على باى المؤيّدى والأمير تَنْرِى بَرْدِى المؤيّدى المعروف بأخى قَصْرُوَه ؛ وَلّى كلاً منهما أجلّ وظيفة بديار مصر ، فأقر على باى فى الدَّوادارية الكُبْرى دفعة واحدة من إمرة عشرة ، وأقرّ تَنْرِى بَرْدِى فى الأمير آخورية الكبرى دفعة واحدة ، ومع هذا لم يتجنّ عليهما أبداً بل صار معهما فيما أراداه ، يعطى من أحبَّا ويمنع من أبغضا حتى إن تَنْرِى بَرْدِى المذكور وسَّط الأمير راشد بن أحمد ابن بقر خارج باب النصر[1] ظُلْماً لِمَا كان فى نفسه منه ، فلم يسأله ططَر عن ذنبه .

كل ذلك لكثرة دهائه وعظيم احتماله ، ولم يكن فعله هذا مع على باى وتَنْرِى بَرْدِى فقط ، بل[2] مع غالب أشرار المؤيّديّة .

هذا وهو يقرب خشداشيته الظاهرية [برقوق][3] واحداً بعد واحد ، يقصد بذلك تقوية أَمْرِه فى الباطن ، فأطلق مثل جَانِبَك الصُّوفى ، ومثل بَيْبُغَا المظَفَّرىّ ، ومثل قُجق العِيساوِى . كل ذلك وهو مستمرٌّ فى بَذْل الأموال والإقطاعات لمن تقدّم ذكرهم ، حتى إنه كلَّمه بعضُ أصحابه سِرًّا بعد عوده من دِمَشْق فيما أتلفه من الأموال ، فقال : «يافلان أتظن أن الذى فرقته راح من حاصلى ؟ جميعُه فى قَبْضَتى أسترجِعُه فى أَيْسَر مُدَّة ، إلّا ما أعطيتُه للفقهاء والصُّلَحاء» فمن يكن فيه طيشٌ وخِفَّة لا يطيق هذا الصَّبر ولو تلفت روحه .

وكان مِقْداماً جريئاً على الأمور بعد ما يحسب عواقبها ، شهماً يحب التجمُّل ؛ كانت مماليكه أيام إمرته مع فاقته أجَلّ من جميع مماليك رفقته من الأمراء ، فيهم الناصرية والحكَمِيّة والنَّوْروزِية وغيرهم .

ولما حصل له ما أراد وصَفَا له الوقتُ وَوَثَب على مُلْك مِصر أقام له شوكةً وحاشية من خشداشيته ومماليكه فى هذه الأيام القليلة ، لم ينهض بمثلها من جاء قَبْله ولا بعده أن يُنْشِئ مثلها فى طول مملكته ؛ وهو أنه أعطى لصِهْرِه البَدْرِى حسن بن سُودون الفقيه

(١) ورد فى هامش اللوحة «قتل راشد بن بقر» .

(٢) هذه الكلمة واردة فى هامش اللوحة .

(٣) إضافة للتوضيح .

إمْرَة طبلخاناه ، ثم نقله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية ، ولم يكن قبلها من جملة مماليك السلطان ولا من أولاد الملوك ، فإن والده سُودون الفقيه مات بعد سنة ثلاثين جُنْدِيًّا ، وكذا فعل مع فارس دَاوَاداره ، أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ونيابة الإسكندرية ، ومع جماعة أخر قد تقدم ذكرُهم ؛ فهذا مما يَدُلّ على قُوّة جنانه وإقدامه وشجاعته ، فإنه أنشأ هذا كلّه في مُدّة سلطنته ، وهي ثلاثة أشهر وأربعة أيام ٥

وأنا أقول : إن مُدّة سلطنته كانت ثمانية عشر يوماً ، وهي مُدّة إقامته بمصر ، وباقي ذلك مضى في سفره ومرض موته ، وكان يُحِبُّ مُجَالَسَةَ العلماء والفقهاء وأرباب الفضائل من كل فن ، وله اطلاع جيّد ونظر في فروع مذهبه ، ويسأل في مجالسه الأسئلة المُفْحِمَة المُشْكِلَة ، مع الإنصاف والتواضع ولين الجانب مع جلسائه وأعوانه وخدمه ، وكان يحب إنشاد الشعر بين يَدَيْه لاسيما الشعر الذي باللغة التركية ؛ فإنه كان حافظًا له ولنظامه ، ويميل ١٠ إلى الصوت الحسن ، ولسماع الوَتَر ، مع عفته عن سائر المنكرات — قديمًا وحديثًا — من المشارب . وأما الفروج فإنه كان يُرْمى بمحبة الشّبّاب على ما قيل — والله أعلم بحاله .

ومع قصر مُدّته انتفع بسلطنته سائرُ أصحابه وحواشيه ومماليكه ، فإن أول ما طالت يده رقّاهم وأنعم عليهم بالأموال والإقطاعات والوظائف والرّوَاتب ؛ قيل إنه أعطى الشيخ شمس الدين محمدا الحنفيّ في دفعة واحدة عشرة آلاف دينار ، وأوقف على زاويته[1] إقطاعًا ١٥ هائلا ، وتنوّعت عطَايَاهُ لأصحابه على أنواع كثيرة ، وأحبه غالبُ الناس لبشاشته وكرمه . وأظنُّه لو طالت مُدّتُه أظهر في أيامه محاسن ، ودام مُلْكه سنين كثيرة لكثرة عطائه . فإنه يقال في الأمثال وهو من الجناس الملفق [المتقارب]

إِذَا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذَاهِبَة فَدَعْهُ فَدَوْلَتُه ذَاهِبَةٌ

---

(١) زاوية الشيخ شمس الدين الحنفي : أنشئت عام ٨١٧ هـ ولا تزال موجودة باسم جامع شمس الدين الحنفي بدرب المياتم (علي مبارك — الخطط ٣ : ٩٢) . ٢٠

قلت : وهو ثانى سلطان ملك الديار المصرية ممن له ذَوْق فى العُلُوم والفنون والآداب ومعاشرة الفضلاء والأدباء والظرفاء من المماليك الذين مَسّهم الرِّق : الأول الملك المؤيد شيخ، والثانى ططر هـذا ، غير أن الملك المؤيد طالت مُدّته فَعلِمَ حالَهُ الناسُ أجمعون و[الملك الظاهر[1]] هذا قصرت مدته فَخَفِيَ أمرُه على آخرين — انتهت [ترجمة الظاهر رحمه الله] [2] .

(١ و ٢) الإضافات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٢٠) .

ذكر سلطنة الملك الصالح محمد بن ططر [1]

على مصر

السلطانُ الملكُ الصالحُ ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبى الفتح ططر بن عبد الله الظاهرىّ ، تسلطن بعد مَوْت أبيه — بعَهْدٍ مِنْه إليه [2] — فى يوم الأحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة ؛ وهو أنه لما مات أبوه حضر الخليفةُ المعتضدُ بالله أبو الفتح داود والقضاة والأمراء وجلسوا بباب السِّتَارة من القَلْعة ، وطلبوا محمداً هذا من الدُّور السلطانية ، فحضر إليهم ، فلما رآه الخليفةُ قامَ له وأجلسه بجانبه ، وبايعه بالسلطنة ، ثم ألبسوه خلْعَة السلطنة الجُبَّة السَّوْدَاء الخليفتيّة من مجلسه بباب السِّتارة ، وركب فَرَس النَّوْبة بشعار الملك وأبهة السلطنة ، وسار إلى القصر السلطانى ، والأمراءُ وجميع أرباب الدَّولة مشاة بين يديه حتى دخل إلى القصر السلطانى بقلعة الجبل ، وجلس على تَخْت الملك ، وقَبَّلَ الأمراء الأرضَ بين يديه على العادة ، وخلع على الخليفة وعلى الأمير الكبير جانى بَك الصوفى ، كونه حمل القبّة والطيْر على رأسه ، ولُقِّبَ بالملك الصالح ، وفى الحال دُقّت البشائر ، ونُودى بالقاهرة ومصر بسلطنته، وسِنُّه يوم تسلطن نحو العشر سنين تخميناً ، وأُمّه خَوَنْد بنت سُودون الفقيه الظاهرى ، وهى إلى الآن فى قَيْد الحياة ،وهى من الصالحات الخيِّرات ،لم تَتزَوّج بعد الملك الظاهر ططر .

والملك الصالح [محمد][3] هذا هو السلطان الحادى والثلاثون من ملوك الترك ، والسابع من الجراكسة وأولادهم ، وتَمّ أمرُه فى السلطنة ، واستقرّ الأتابَكُ جانى بك الصوفى مدبر مملكته ، وسكن بالحرّاقة من الإسطبل السلطانى بباب السلسلة ، وانضمّ عليه معظمُ الأمراء والمماليك السلطانية ، وأقام الأميرُ بَرْسْباى الدُّقماق الدّوادار واللالا

(١) لفظا «ابن ططر » إضافة من (ط كاليفورنيا ٦ : ٥٢٩) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «الصالح محمد بن ططر» .

(٣) إضافة على الأصل .

أيضا بطبقة الأشرفية فى عدّة أيضا من الأمراء المقدّمين ، أعظمهم الأمير طَرَباى حاجب الحجّاب ، والأمير قَصْرُوه من تِمْرَاز رأس نوبة النوب ، والأمير جَقْمق العلائى نائب قلعة الجبل وأحد مقدّمى الألوف المعروف بأخى جَرْكَس المُصَارع ، والأمير تَغْرى بَرْدى المحمودى ، وأما الأمير بَيْبُغا المظفّرى أمير سلاح ، والأمير قُجَق أمير مَجْلس ، والأمير سودون من عبدالرحمن وغيرهم من الأمراء صارُوا حِزْبًا وتشاوروا إلى من يذهبون ، إلى أن تكلم الأمير سودون من عبدالرحمن مع الأتابك جانى بك الصُّوفى ، فردّ عليه الجواب بما لا يرضى ، فعند ذلك تحوّل سودون من عبدالرحمن ورفقتُه وصاروا من حزب بَرْسْباى وطرباى على ما سنذكر مقالتهما فيما بعد ، وباتوا الجميع بالقلعة وباب السِّلْسِلة مستعدّين للقتال ، فلم يتحرك ساكن ، وأصبحوا يوم الاثنين خامس ذى الحجة وقد تجمّع المماليك بسوق الخَيْل[1] يطلُبُون النَّفَقَة عليهم — على العادة — والأضحية ، وأغْلظوا فى القَوْل ، وأفحشوا فى الكلام حتى كادت الفتنة أن تقوم ، فلا زال الأمراء بهم يترضّونهم — وقد اجتمع الجميع عند السلطان الملك الصالح — حتى رضوا ، وتفرّق جمعهم .

ولما كانت الخِدْمَةُ بَتَّ الأتابَكُ جَانى بَك الصُّوفِى بعضَ الأمور ، وقُرِىء الجيش ، وخلع على جماعة ، وهو كالخائف الوجل من رُفْقته الأمير بَرْسْبَاى والأمير طَرَبَاى وغيرهما .

وظهر فى اليوم المذكور أن الأمر لا يَسْكُن إلا بوقوع فِتْنَة ، وبذهاب بعض الطائفتين ؛ لاختلاف الآراء واضطراب الدَّولة ، وعدم اجتماع الناس على واحد بعينه ، يكون الأمر متوقِّفًا على ما يَرْسُم به ، وعلى ما يفعله ، على أن الأمير بَرْسْبَاى جالس فى اليوم المذكور بين يَدَى جانِى بَك الصُّوفى وامتثلَ أوامِرَه فى وقت قراءة الجَيْش .

ثم بعد انتهاء قراءة الجَيْش والعلامة قام بَيْن يَدَيْه على قَدَمَيْه ، وشاوَرَه فى قضاء أشغال النَّاس على عادة ما يفعله الدَّوَادَار مع السُّلطان ، غير أن القلوب متنافرة ،

---

(١) سوق الخيل : هو الرميلة ، ويطابق حاليا الفضاء الواقع أمام مسجد السلطان حسن وجامع المحمودية والقلعة ومبنى شرطة الخليفة ، وانظر (الحاشية ٣ ص ٣١ ج ١٠ من هذا الكتاب) .

والبواطن مشغولة لما سيكون ، ثم انفض المَوْكِبُ وباتَ كلُّ أحد على أُهْبَة القتال .
وأصبحُوا يوم الثلاثاء سادسه فى تفرقة الأُضَاحِى ، فأخذ كلُّ مملوك رأْسين من الضأن .

ثم تجمعوا أيضا تحت القَلعة لطَلَبِ النَّفَقة ، وأفحشوا فى الكلام على عادتهم ،
وتردَّدَت الرسل بينهم وبين الأتَابَك جانِى بَك الصُّوفى ، وطال النِزّاع بينهم ، حتى
تراضوا [على][1] أن يُنفِق فيهم بعد عشرة أيّام من غير أن يُعيِّن لهم مقدار ماينفقه ٥
فيهم ، فانفضُّوا على ذلك ، وسكَن الأمرُ من جهة المماليك السّلطانية ، وانفضّ
المَوْكِبُ من عند الأتَابَك جانِى بَك الصُّوفى ، وطَلَع الأميرُ بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقِىّ
الدَّوَادَار واللالا إلى طبقة الأَشْرَفِيَّة هو والأميرُ طَرَبَاى والأمير قَصْرُوَه ، وبعد
طلوعهم تكلَّم [بعض][2] أصحاب جانِى بَك الصُّوفى معه — لمّا رأوا أمرَه قد
عَظُم — فى نزول الأمراء من القلعة إلى دُورهم حتى يَتِمّ أمرُه ، وتنفذ كلمتُه ، ١٠
وحسَّنُوا له ذلك .

وقالوا له : إن لم يقع ذلك وإلا فأمرُك غير منتظم ؛ فمال الأتابَك جانى بك الصُّوفى
إلى كلامهم — وكان فيه طَيْشٌ وخفّة — فبعث فى الحال إلى الأمير بَرْسْبَاى الدقاقى أن
يَنزِلَ من القلعة هو والأمير طَرَبَاى حاجب الحجّاب والأمير قَصْرُوَه رأس نوبة
النّوب ، وأن يسكنوا بدورهم من القاهرة ، ويقيم الأميرُ جَقْمَق العلائى عند السلطان ١٥
لا غير ، فلما بلغ الأمراء ذلك أرادَ الأميرُ بَرْسْبَاى الإفحاش فى الجواب فنَهرَه الأميرُ
طَرَبَاى وأسكته ، وأجاب بالسَّمْع والطاعة ، وأنّهم ينزلون بعد ثلاثة أيّام ، وعاد الرسولُ
إلى الأتَابَك جانِى بَك الصُّوفى بذلك ، فسكتَ ولم تسكت حواشيه عن ذلك ، وهم
الأميرُ يَشْبَكُ الجَكَمىّ الأمير آخُور الكبير ، والأمير قَرْمَش الأعْوَر الظاهرىّ
وغيرهما ، وعرّفُوه أنهم يريدون بذلك إبْرَام أمرِه ، وألحوا عليه فى أن يرسل إليهم ٢٠
بنزُولِهم فى اليومِ المذكور قبل أن يستفحل أمرُهم ، فلم يسمع لكونِ أن الأمير

(١ - ٢) الاضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٢٣) .

طَرَبَاى نزلَ فى الحال من القلعة مُظْهِراً أنه فى طاعة الأمير الكبير جَانِى بَك الصُّوفى ، وأن بَرْسْبَاى وقَصْرُوه وغيرهما فى تجهيز أمرهم بعده إلى النزول ، فمَشَى عليه ذلك .

وكان أمر الامير طَرَبَاى فى الباطن بخلاف ما ظنه جانى بك الصوفى ؛ فإنه أخذَ فى تدبير أمرِه ، وإحكام الأمر للأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقى ولنفسه ، واستمال فى ذلك اليوم كثيرا من الأمراء والمماليك السلطانية ، وساعده فى ذلك قلّة سعد جانى بك الصُّوفى من نُفُور الأمراء عنه ، وهو ما وعدنا بذكره من أمر سودُون مِن عبد الرحمن مع جانى بك الصُّوفى .

وقد تقدّم أن سودون من عبد الرحمن وغيره ممن تقدّم ذكرهُم صاروا حِزْباً يحضر كُلُّ واحد منهم الخِدْمَة ، ثم ينزل إلى داره ليرى ما يكون بعد ذلك ، ثم بدا لهم أن يكونوا من حزب جانى بك الصّوفى ؛ كونه أتابَك العساكر ومرشحا إلى السلطنة ، بعد أن يكلّموه فى أمرٍ ، فإن قبله كانوا من حزبه ، وإن لم يفعل مالوا إلى بَرْسْبَاى وطرَباى ؛ والذى يكلِّمُوه بسببه هو الأمير يَشْبُك الجَكَمىّ الأمير آخور ؛ فإنهم لمّا كانوا عند قَرَا يُوسُف بالشرق ثم جاءهم أمير يَشْبُك المذكور أيضا فارًا من الحجاز خوفاً من الملك المؤيّد ، أكرمه قَرَا يُوسف زيادة على هؤلاء — تعطفا من الله — والذين كانوا قبله عند قَرَايُوسف ، هم سُودُون من عبد الرحمن وطرَبَاى وتَنَبك البَجَاسِىّ وجانى بَك الحمْزاوى ، ومُوسى الكركرى وغيرهم .

وكلٌّ منهم ينظر يَشْبُك المذكور فى مقام مملوكه ، كونه مملوك خشداشهم جَكَمَ ، فشَقّ عليهم خصوصيتهعند قَرَا يُوسف وانفراده عنهم ، ووقعت المباينة بينهم ، ولم يسعهم يوم ذاك إلا السكات لوقته .

فلمّا مات قَرَا يُوسف — وبعده بقليل تُوُفى الملك المؤيّد — قدموا الجميع على

طَطَر وهم فى أسوا حال ، فقرَّبهم ططَرُ وأ كرمهم ، واختص أيضاً يَشْبُك المذكور اختصاصاً عظيما بحيث إنه ولاّه الأمير آخورية الكبرى ، وعقد عقده على ابنتـه خَوَنْد فاطمة التى تزوَّجها الملكُ الأشرف بَرْسْبَاى ، فلم يسعهم أيضاً إلا السكات ، لعظم ميل ططر إليه .

فلما مات ططر انضم يشبُكُ المذكورُ على جانى بَك الصُّوفى وصار له كالعضد ، فعند ٥ ذلك وجد الأمراءُ المقالَ فقالوا ، وركب الأميرُ سُودُون من عبد الرحمن و الأمير قَرْمَش الأعور — وهو من أصحاب جانى بَك الصُّوفى — وواحد[1] آخر ، وأظنه بَيْبُغَا المظفرى ، ودخلوا على جَانى بَك الصُّوفى بالحرَّاقة من باب السِّلْسِلَة ، ومرُّوا فى دخولهم على يَشْبُك الأمير آخور وهو فى أمْرِه ونهيه بباب السِّلْسِلَة ، فقامَ إليهم فلم يُسَلِّم عليه سُودُون مِنْ عبدالرحمن، وسلَّم عليه قرْمَش والآخرُ ، وعند ما دخلوا على الأتابَك جانى بَك الصُّوفى وسلَّمُوا ١٠ عليه وجلسوا كان متكلم القوم سُودُون من عبد الرحمن ، فبدأ بأن قال : أنا ، والأمراء نسلم عليك ، ونقول لك أنت كبيرنا [ورأسنا][2] وأغاتنا ، ونحن راضون بك فيما تفعل وتريد ، غير أن هذا الصبى يشْبُك مملوك خشداشنا جَكَمَ ليس هو منا ، وقد وقع عنه قلةُ أدب فى حقنا ببلاد الشَّرْق عند قرا يُوسف ، ثم هو الآن أمير آخُور كبير منزلتُه أ كبر من منازلنا ، ونحن لا نرْضَى بذلك ، ثم إننا لا نريدُ من ١٥ الأمير الكبير مَسْكه ولا حَبْسَه لكونه انتمى إليه ، غير أننا نريد إبعَادَه عنّا فيوليه الأميرُ الكبيرُ بعضَ الأعمال بالبلاد الشاميّة ، ثم نكون بعد ذلك جميعاً تحت طاعة الأمير الكبير ، ونقول قد عاش الملك الظاهر برقوق[3] ونحن فى خدمته ، لأنّنا قد مللنا من الشتات والغُربة والحروب فيطمئن كل أحد على نفسه وماله ووطنه .

٢٠
(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٢٥ « وشخص » .
(٢) الإضافة من ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٢٥
(٣) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٢٥ « الظاهر ططر » .

فلما سمع جانى بَك الصوفى كلامَ سُودُون من عبدالرحمن وفهمه ، حنق منه واشتدَّ غضبه ، وأغلظ فى الجواب بكلام متحصله : رجلٌ مَلِكٌ رَكَن إلىّ وانضم علىّ كيف يمكننى إبعادُه لأجل خواطركم ؟ ثم أخذ فى الحط على خشداشيته الظاهرية [برقوق] [1] ومجيئهم لإثارة الفتن والشرور ، فسكت عند ذلك سُودُون ، وأخذ قرْمَش يراجعه فى ذلك ويحذّره المخالفة غير مرّة ، مُدِلاً عليه كونه من حواشيه وهو لا يلتفت إلى كلامه ، فلما أعياهُ أمرُه سكت ، فأراد الآخر [أن] [2] يتكلم فأشار عليه سُودُون من عبد الرحمن بالسكات ، فأمسك عن الكلام .

فتكلم سودُون عند ذلك بباطن بأن قال : يا خَوَنْد نحنُ ما قلنا هذا الكلام إلا نظن أن الأمير الكبير ليس له ميلٌ إليه ، فلما تحققنا أنه من ألزام الأمير الكبير وأخصّائه فتَسَكُت عن ذلك ونأخذ فى إصلاح الأمر بينه وبين الأمراء لتكون الكلمة واحدة ، بحيث إننا نصير فى خدمته كما نكون فى خدمة الأمير الكبير ، فانخدع جانى بَك لكلامه وظنه [أنه] [3] على جَلِيّته ، وقال : نعم ، أما هذا فيكون .

وقاموا عنه ورجع قرمَش إلى حال سبيله ، وعاد سودُون من عبد الرحمن إلى رفقته الأمراء ، وذكر لهم الحكاية برمّتها ، وعظم عليهم الأمر إلى أن قال لهم : تيقنوا جميعكم بأنكم تكونون فى خدمة يَشْبُك الجكمىّ إن أطعتم جانى بَك الصُّوفى ، فإنّ يشبُك عنده مقام روحه ، وربما إن تمّ له الأمرُ يعهد بالملك إليه من بعده ، فلما سمع الأمراء ذلك قامت قيامتهم ، ومالوا بأجمعهم إلى الأمير برسباى الدقماقى الدوادار الكبير والأمير طَرَبَاى حاجب الحجّاب ، وقالوا : هذا تركنا ونحن خشداشيته لأجل يشبُك فما عساه يفعل معنا إن صار الأمرُ إليه ؟ لا والله لانطيعُه ولو ذهبَت أرواحُنا . وأخذ الجميع فى التدبير عليه فى الباطن ، ولقد سمعتُ هذا القولَ من الأمير سودُون من عبد الرحمن وهو يقول لى فى ضمنه: كان جانى بك الصُّوفى مجنوناً ، أقول له : نحن بأجمعنا فى طاعتك ،

(١) إضافة للتوضيح .
(٢ ، ٣) إضافة يقتضيها السياق .

وقد مات الملك المؤيد بحسرة أن نكون فى طاعته ، فيتركنا ويميل إلى يَشْبُك الجكمى وهو رجل غريب ليس له شوكة ولا حاشية — انتهى .

ولما خرج سُودُون من عبد الرحمن من عند جانى بك الصوفى طلب جانى بك الصوفى يَشْبُك الأمير آخور المذكور ، وعرّفه قولَ سودُون من عبد الرحمن ، واستشاره فيما يفعل معهم — وقد بلغه أن الأمراء تغيّروا عليه — فاتفق رأيُهما على أنه ٥ يتمارض ، فإذا نزل الأمراء لعيادته قبَضَ عليهم ، وافترقوا على ذلك . وباتوا تلك الليلة وقد عظم جمع طَرَباى وبرسْبَاى من الأمراء والمماليك السلطانية ، ولم ينضم على جانى بك الصوفى غير جماعة من المماليك المؤيدية الصغار أعظمهم دُولات باى المحمودى السّاقى .

ولما أصبح يوم الأربعاء ثامن ذى الحجة أُشيع أن الأمير الكبير جانى بك الصوفى متوعك ، فتكلم الناسُ فى الحال أنها مكيدة حتى ينزل إليه الأمير برسْبَاى ١٠ فيقبض عليه ، فلم ينزل إليه برسباى وتمادى الحال إلى يوم الجمعة عاشره وهو يوم عيد النحر .

فلما أصبح نهار الجمعة انتظر الأمير برسباى طلوع الأمير الكبير لصلاة العيد ، فلم يحضر ولم يطلع ، فتقدم الأمير برسباى وأخرج السلطان من الحريم وتوجّه به إلى الجامع ومعه سائر الأمراء والمماليك ، فصلّى بهم قاضى القضاة الشافعى صلاة العيد ، وخطب على العادة ، ثم مضى الأميران برسباى وطَرَباى بالسلطان إلى باب السِّتارة فنحر السلطان ١٥ هناك ضحاياه من الغنم ، وذبح الأمير برسباى ما هناك من البقر نيابة عن السلطان ، ثم انفض الموْكِبُ ، ونزل الأميرُ طَرَباى إلى بيته هو وجميع الأمراء وذبحوا ضحاياهم ، وتوجه الأمير برسباى إلى طبقة الأشرفية ، وبينما هو ينحر ضحاياه بلغه أن الأمير الكبير جانى بك الصوفى لبس السلاح وألبس مماليكه ، ولبس معه جماعة كبيرة من المؤيدية ، وغيرهم ، فاضطرب الناس ، وأغلق باب القلعة ودقت الكوسات حربياً . ٢٠

وكان من خبر جانى بك الصوفى أنه لَمَّا تمارض لم يأت إليه أحدٌ ممن كان أراد مسكه ، فأجمع رأيه حينئذ على الركوب ، وجمع له الأمير يَشْبُك جماعة من إنياته من المماليك المؤيدية ومن أصحابهم .

حدثنى السيفى جانى بك من سيدى بك البجمقدار المؤيدى ، وهو أعظم إنيات يشبك الحكمى المذكور قال : لبسنا ودخلنا على الأتابك جانى بك الصوفى وعنده الأمير يشبك أمير آخور وكلمناه فى أنه يقوم يصلى العيد ، ثم يلبس السلاح بعد الصلاة ، فقال : صلاة العيد ما هى فرض علينا نتركها ونركب الآن قبل أن يبدءونا بالقتال ، قال فقلت فى نفسى : بعيد أن ينجح[(١)] أمر هذا ، قلت وقد وافق رأى جانى بك البجمقدار فى هذا القول قول من قال : « صل واركب ما تنكب » على أنه كان غتميا لا يعرف ما قلته ، فوقع لجانى بك الصوفى أنه لم يصل وركب فنكب ، ولما بلغ الأمير برسباى ركوب جانى بك الصوفى لبس الأمير برسباى وحاشيته آلة الحرب ، وتوجه إلى القصر السلطانى ، وترامت الطائفتان بالنشاب ساعة فلم يكن غير قليل حتى خرج الأمير طرباى من داره فى عسكر كبير من الأمراء ، وعليهم السلاح ، ووقفوا تجاه باب السلسلة ، فلم يجدوا بباب السلسلة ما يهولهم من كثرة العساكر ، فأوقف الأمير طرباى بقية الأمراء ، وسار هو والأمير قجق أمير مجلس ، وطلعوا إلى باب السلسلة إلى الأمير الكبير جانى بك الصوفى — على أن طرباى فى طاعته — ودخلا عليه وهو لابس ، وعنده الأمير يشبك الأمير آخور ، فأخذ طرباى يلومه على تأخره عن صلاة العيد مع السلطان ، وما فعله من لبس السلاح ، وأنه يقاتل من؟![(٢)] [فإن الجميع فى طاعة السلطان و][(٢)] طاعة الأمير الكبير ، فشكا الأمير الكبير جانى بك من الأمير برسباى الدقماقى من عدم تأدبه معه فى أمور المملكة ، وأنه لا يمكن اجتماعنا أبداً فى بلد واحد ، فقال له طرباى : السمع والطاعة ، كلم الأمراء فى ذلك فإنهم فى طاعتك ، قال : وأين الأمراء ، فقال ها هم وقوف تجاه باب السلسلة ، انزل أنت والأمير يشبك إلى بيت الأمير بيبغا المظفرى أمير السلاح ، واجلس به ، واطلب الأمراء إلى عندك وكلهم فيما تختار ، فأخذ يشبك يقول له : كيف تنزل من باب السلسلة إلى بيت من ليس هو معنا ؟ فنهره الأمير طرباى فانقمع ، ولا زال يخادع الأمير جانى بك الصوفى حتى

(١) فى الأصل «أن ينتج» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٢٨) .
(٢-٢) ما بين الرقمين من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٢٩) .

انخدع له وقام معه هو والأمير يَشْبُك المذكور ، وركبا ونزلا من باب السِّلسلة ، وسارا إلى بيت الأمير بَيْبُغا المظفَّري — وهو تجاه مصلاة المؤمنيّ — المعرف ببيت الأمير نَوْرُوز ، وبه الآن جَكَم خال الملك العزيز ، فمشى وقد تحاوطه القَوْمُ . قلت : ما يفعل الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهل في نفسه .

٥ فلمّا وصل الأميرُ جاني بك الصّوفيّ[1] إلى باب الدّار المذكورة ودخله بفرسه صاح الأميرُ أزْبك المحمّدى الظاهرىّ : هذا غريم السّلطان قد دخل إلى عندكم أحترصوا عليه ، وقَبْل أن يتكامل دخولهم أغْلَق البابَ على جاني بك الصّوفي ومن معه فعند ذلك زاغ بصرُ جاني بك الصوفي ، وشرع يترقّق لهم ، ويقول : المروءة افعلوا معنا ما أنتم أهلهُ ، ودخلوا إلى الدّار المذكورة ، وإذا بالأمير بَيْبُغا المظفَّري عليه قميصٌ أبيض ورأسه ١٠ مكشوف ، وقد أخرج يده اليمنى من طَوْق قميصه وهو جالس على دِكّة صغيرة عند بوائك الخيل ، وبين يديه مَنْقَلُ نار عليه أسْيَاخ من اللّحم تُشْوَى ، وبُكَل[2] فيها بوزا[3] ، وعلى ركبته قوسٌ تَتَرِى وعِدّة سهام ، فعند ما رأى الأمراء قام إليهم على هيئته ، وقَبْلَ أن يصلوا إلى عنده ركس الأميرُ أزْدَمُر شَايَا ثاني رأس نوبة ، وأخذ خوذة الأمير يَشْبُك الأمير آخُور من على رأسه ، فدَمَعَت عينا يَشْبُك ، فشقّ ذلك على الأمير بَيْبُغا ١٥ وأخذ قَوْسَه بيده ، واستوفى عليه بفردة نُشّاب ليقتله ، فهربَ أزْدَمُر ودخل إلى بوَائِك الخيل بعد أن أوسعه بَيْبُغا المذكور من السّب والتوبيخ ، ويقول : الملك إذا نُكِبَ تَرُوح حرمته ولو مات حُرْمَتُه باقية ، حتى سكن غضبُه . وأنزل جاني بك الصُّوفيّ ويَشْبُك الأمير آخور ، فتقدّم الأمراءُ وقيّدُوهما في الحال[4] وأُخذا أسيرين إلى القلعة وملك الأميرُ بَرْسْبَاى بابَ السلسلة من غير قتال ولا مانع ، فإن الأمير الكبير جاني بك

---

٢٠ (١) ورد في هامش اللوحة «واقعة جاني بك الصوفي في دار بيبغا المظفري» .

(٢) البكل : جمع بكلة وهى الوعاء أو الإناء — وأهل الفيوم يقولون للقلة بكلة حتّى الآن .

(٣) البوزا : حلوى من سكر وحليب تجمد بالتبريد (المنجد ٥٤) وهى أيضا خليط من دقيق الشعير والماء والسكر يخمر ثم يشرب .

(٤) ورد في هامش اللوحة « القبض على جاني بك الصوفي » .

الصُّوفىّ تركه ونزل من غير [أمر][1] أوجب نزوله ، على أنه لما رَكِبَ وأراد النزول مع طرباى قال له بعض مماليكه أو حواشيه : ياخَوَند ، هذا باب السِّلسلة الذى تروح عليه الأرواح ، أين تنزل وتخليه ؟ فقال له : لمصلحة نراها ، فقال له : فاتتك المصلحةُ بنزولك ، والله لاتعود إليه أبداً ، فلم يلتفت إليه جانى بك وتمادى فى غيِّه لقلة سعادته ، ولأمر سبق، ولمقاساةٍ نالته بعد هروبه من سجن الإسكندرية ونالت أيضا خلائق بسبب هروبه [من سجن الإسكندرية [2]] على ما يأتى ذكر ذلك فى ترجمة الملك الأشرف بَرْسْباى — إن شاء الله تعالى .

ولمّا ملك الأميرُ برسْبَاى والأمير طَرَبَاى بابَ السِّلسلة [فى الحال][3] نُودِىَ بالقاهرة بنفقة المماليك السلطانية ، فلما سمع المماليكُ هذه المناداة سكنوا بإذن الله ، وذهبَ كلٌّ واحد إلى داره ، وفتِحَت الأسواقُ ، وشرع الناسُ فى بيعهم وشرائهم ، بعد ما كان فى ظَنِّ الناس أن الفتنة تطولُ بين هؤلاء أيّاما كثيرة ؛ لأن كل [واحد][4] منهم مالكٌ جهة من جهات القلعة ، ومع كل طائفة خلائق لا تُحْصى ، فجاء الأمر بخلاف ما كان فى ظنهم ، ويأبى الله إلاّ ما أراد .

واستبدّ من يومئذ الأمير بَرْسْبَاى بالأمر ، وبتدبير المملكة مع مشاركة الأمير طَرَبَاى له فى ذلك .

فلما كان يوم السبت حادى عشر ذى الحجة استدعى الأمير أَرْغُون شاه النَّوْروزىَّ الأعور وخلعَ عليه باستقراره أستادارًا بعد عَزْل الأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله ، وكان أرغُون شاه المذكور قد قَدِم إلى القاهرة صُحْبَة الملك الظاهر طَطَر من دِمَشْق .

وفيه رسم بحمل الأميرين جانى بك الصّوفِىّ ويَشْبُك الجكَمىّ الأمير آخور إلى ثغر الإسكندرية ، وسجنا بها .

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٠) .

(٢ ، ٣ ، ٤) الإضافات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣١) .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجة خلع على الأمير آقْ خَجا الحاجب الثانى باستقرارِه فى كَشفِ الوَجْه القِبلى ، ثم عُمِلَت الخدمةُ السلطانيةُ فى يوم الخميس سادس عشره بالقصر السلطانى ، وحضر الخليفةُ والقضاةُ المَوكِبَ ، فخلع على الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقِىّ الدَّوادار الكبير واللالا باستقراره نظامَ المُلْك ومدبّرَ المملكة ، كما كان الملك الظاهر ططَر فى دولة الملك المظفر أحمد بن [المؤيد][1] شيخ عوضا عن جانى بك الصُوفِى ، وخلع على الأمير طَربَاى حاجب الحجاب باستقراره أتَابَك العساكر بالديار المصرية عوضا عن جانى بَك الصُوفى أيضا ، وخلع على الأمير سُودُون من عبد الرحمن باستقراره دَوادَارا كبيرا عوضا عن بِرْسْبَاى الدُّقماقى ، وخلع على الأمير قَصْرُوَه من تِمرَاز رأس نوبةالنُّوَب باستقراره أميرَ آخُور كبيرا عوضا عن يَشْبُك الجَكَمِى ، وخلع على الأمير جَقْمَق العلائى[2] نائب القلعة باستقراره حاجب الحجاب عوضا عن طربَاى ، وعلى الأمير أَزْبك المحمدىّ باستقراره رأس نوبة النُّوب عوضا عن قَصْروه .

ثم فَوض الخليفةُ المعتضد بالله للأمير بَرْسْبَاى الدُّقماقىّ نظام الملك أمور الدولة بأسرها ، ليقوم بتدبير ذلك عن السلطان الصالح محمد إلى أن يبلغ رشْدَه ، وحَكَم بصحة ذلك قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التَّفَهْنى الحنفىّ ؛ ومع هذا كله تقرر الحالُ على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بين الأمير برسْبَاى وبين الأمير طربَاى ، وأن يسكن الأمير برسْبَاى بطبقة الأشرفية على عادته ، ويسكن الأمير طربَاى الأتَابَك بداره تجاه باب السِّلسلة ، وهو بيت قَوصُون[3] ، وأنْ طربَاى يحضر الخدمَة عند الأمير برسْبَاى بالأشرفية ، وانفض المَوكِب ، وخرج جميع الأمراء وسائر أَربابُ الدَّولة من الخدمة السلطانية بالقصر مشاة فى خدمة الأمير بِرسْبَاى نظام الملك حتى دخل الأَشْرفيَّة التى صارت سكنه من يوم مات الملك الظاهر ططر ، وعُملت بها الخدمةُ ثانيا بين يديه ، وصرّفَ أمور الدولة على حسب اختياره ومُقْتَضَى رأيه ،

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٢) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «جقمق الذى تسلطن فيما بعد» .

(٣) بيت قوصون : انظر فى التعريف به (الحاشية ٤ ص ١١٠ ج ٥ من هذا الكتاب ط. دار الكتب).

واستمر على هذا ، فعند ذلك كثر تردد الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم ، وعظم وضخم .

ولما كان يوم ثامن عشر ذى الحجة [المذكورة][1] ورد الخبرُ بأن الأمير تغرى بَردِى المؤيّدىّ نائب حَلَب خَرَج عن طاعة السلطان ، وقبَض على الأمراء الحلبيّين ، واستدعى التُّرْكُمان والعُرْبان ، وأكثر من استخدام المماليك .

وسبب خروجه عن الطاعة أنّه بَلَغه أن الملك الظَّاهر طَطَر عزله ، وأقرَّ عوضه فى نيابة حَلَب الأمير تَنبك البَجَاسِىّ نائب طَرَابُلُس ؛ فلما تحقّق ذلك خرجَ عن الطاعة وفعل مافعل ، فشاورَ الأميرُ بَرْسْبَاى الأمراءَ فى أمره ، فوقَعَ الاتفاقُ على أن يكتب للأمير تَنبَك البَجَاسِىّ بالتوجّه إليه وصحبته العساكر وقتاله ، وأخْذ مدينة حَلَب منه ، وباستقراره فى نيابتها كما كان الملك الظَّاهر طَطَر أقرّه ، وكتب له بذلك .

ثم فى يوم ثالث عشرين ذى الحجّة : خَلَعَ الأميرُ بَرسباى على القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى باستقراره فى حِسْبة القاهرة على عادته ، بعد عَزْل قاضى القضاة جمال الدين يوسف البُسَاطى .

ثم فى يوم سابع عشرينه ابتدأ الأميرُ بَرْسْبَاى نِظَامُ الملك فى نفقة المماليك السلطانية ، وهو والأمراء على تَخَوُّفٍ من المماليك السُّلطانية أن يمتنعوا من أخذها ؛ وذلك أنّهم وَعَدوا المماليك فى نوبة الأمير الكبير جَانِى بَك الصُّوفِى لكل واحد بمائة دينار ، فلم يُصَرَّ لكلِ واحد سوى خمسين دينارا من أجل قِلّة المال ؛ فإن الملكَ الظاهر طَطَر فرّق الأموال التى خلّفها الملك المؤيد [شيخ][2] جميعها ، حتى إنه لم يبق منها بالخزانة السّلطانية غير ستين ألف دينار ، ومع ما فرّقه من الأموال زادَ فى جوامك المماليك بالدِّيوان المُفْرَد فى كل شهر ماينيف على عشرة آلاف دينار ، ولذلك أُستعفى صلاحُ الدين بن نصر الله من وظيفة الأُستادَارِيَّة ، بعد أن قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٢) .
(٢) الإضافة للتوضيح .

حسن بن نصر الله ناظر الخواص الشريفة بعشرة آلاف دينار فى ثمن الأضحية ، وبعشرين ألف دينار مساعدة فى نفقة المماليك السلطانية ، ثم تقرّر على كلّ من مباشرى الدّولة شيء من الذّهب حتى تُجْمَعَ من ذلك كلة نفقةُ المماليك .

ولما جَلَسَ السلطانُ والأمراء لنفقة المماليك أخذ الأميرُ بَرْسْبَاى نظامُ الملك الصُّرّة من النفقة بيده ، وكلّم المماليك السلطانية بما معناه : إن الملك الظاهر ظَطَر لم يَدَعْ فى بيت المال من الذّهَب سوى ماهو كيت وكيب ، وأنّهم عَجَزُوا فى تحصيل المال لتكملة النفقة ، ولم يقدروا إلا على هذا الذى تَحَصَّل معهم ، ثم وعدهم بكلّ خير ، وأمرَ كاتبَ المماليك فاستدعى اسم أوّل من هو بطبقة الرَّفْرَف [1] ، وكانت المماليك قبل أن يدخلوا الحوشَ السّلطانى آتفقوا على أنه إذا آستدعى كاتبُ المماليك اسمَ أحد فلا يخرج إليه ، ولا يأخذ النفقة إلا إن كانت مائة دينار ، وتوعّدوا من أخَذَ ذلك بالقَتْل والإخراق ، فلمّا استدعى كاتبُ المماليك اسمَ ذلك الرجل خرج بعد أن سمع كلامَ الأميرِ [برسْباى] [2] نِظَام الملك من العُذر الذى أبداه ، وقال : إن أعطانا السلطانُ كفّ تُراب أخذناه ، فشكره نِظَامُ الملك على ذلك ، ورمى له الصُّرّة فأخذها ، وقبّل الأرضَ وخَرَج ، ولم يجسر أحدٌ على أن يكلّمه الكلمة الواحدة بعد ذلك التّهديد والوعيد ، ثم صاح كاتبُ المماليك باسم غيره فخرَجَ وأخَذَ ، وتداول ذلك منه وكل من استُدْعِى [3] اسمُه خرجَ وأخذ إلى آخرهم ، فأخذ الجميعُ النّفَقة ، وانفضّوا بغير شرّ .

قلت : وهذه عادة المماليك يطلعون من ألف وينزلون إلى درهم ، وكان الذى أخَذَ النفقة فى هذه النّوبة ثلاثة آلاف ومائتى مملوك ، والمبلغ مائة وستّين ألف دينار .

---

(١) طبقة الرفرف : هى شرفة أنشأها الأشرف خليل بن قلاوون بمثابة مكان لجلوس السلطان والأمراء . وهدمها الناصر محمد قلاوون وبنى عليها طبقة للماليك وانظر (المقريزى – الخطط ٢ : ٢١٣) .

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) عبارة الأصل «فكل من خرج اسمه خرج وأخذ إلى آخرهم . فأخذ الجميع» وما هنا من ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٤) .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة قَدِمَ مُبَشِّر الحاج، وأخبر بسلامة الحاج، وأن الوقفة كانت يوم الجمعة.

ثم فى يوم الأحد ثالث المحرّم من سنة خمس وعشرين وثمانمائة وَرَد الخبرُ إلى الدّيار المصريّة بفرار الأمير تَغْرِى بَرْدِى المؤيّدى المعروف بأخى قَصْرُوه نائب حَلَب منها، بعد وقعةٍ كانت بينه وبين تَنِبَك البَجَاسِىّ المنتقل عوضه إلى نيابة حَلَب، فدقّت البَشَائر لذلك.

وكان من خبر تَنِبَك البَجَاسِىّ المذكور أنه لمّا قَدِم على الملك الظاهر طَطَر من بلاد الشَّرق مع من قَدِم من الأمراء — وقد تقدّم ذكرُهُم فى عِدّة مواضع — ولّاه نيابة حَمَاة كما كان أوّلا فى دولة المؤيد [شيخ][1]، ثم خرج الملك الظاهر طَطَر من دِمَشْق يريد الديار المصريّة بعد مارسَمَ بانتقاله من نيابة حماة إلى نيابة طَرَابُلُس، فلما بلغ تَنِبَك البَجَاسىّ ذاك وهو بحَمَاة رَكِبَ الهجن من وقته، وساق خلف الملك الظاهر طَطَر إلى أن أدْرَكه بالغُور، فنَزَلَ وقَبَّل الأرضَ بين يديه، ولبس التّشريف بنيابة طَرَابُلُس عوضا عن الأمير أرْكَمَاس الجُلُبَّانىّ، ثم خرج وسار إلى جهة ولايته، وقبل أن يسافر الأمير تنبك المذكور أسَرَّ له الأمير بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقىّ الدَّوَادار الكبير بأن الملك الظاهر [ططر[2]] يريد توليته نيابة حَلَب عوضا عن تَغْرِى بَرْدِى المؤيّدى — وكان بينهما صداقة؛ أعنى بين بَرْسبَاى الدُّقْمَاقى وبين تَنِبَك البَجَاسِىّ، ثم أمره بَرْسْبَاى أن يكتُمَ ذلك لوقته، وكان ذلك فى شهر رمضان، فاستمرّ تَنِبَك فى نيابة طَرَابُلُس إلى يوم عرفة مِنَ السَّنة فورد عليه مَرْسُومٌ شريفٌ من الملك الظَّاهِر [طَطَر][3] بنِيَابة حَلَب عوضا عن تَغْرِى بَرْدِى المؤيّدى المعروف بأخى قَصْرُوه بحكم عصيانه، وبالتوجُّه لقتال تَغْرِى بَرْدى المذكور، فخرج تَنِبَك

(١، ٢) إضافة للتوضيح.

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٥).

من طَرَابُلُس بالعساكر في رابع عشر ذى الحجة من سنة أربع وعشرين [وثمانمائة][1] إلى ظاهر طَرَابُلُس ، وأقام يتجهّز بالمكان المذكور إلى سادس عشر ذى الحجة ، وبينما هو في ذلك ورد عليه الخبرُ بموت الملك الظاهر طَطَر ، فأمْسَكَ عند ذلك الأمير تَنِبَك [البجاسىّ][2] عن المَسير إلى حَلَب حتى ورَدَ عليه مَرْسُوم الملك الصالح محمد ابن الملك الظاهر ططر باستمراره على نيابة حَلَب ، وصحبة المرسوم الخلعةُ والتشريف بنيابة حَلَب ، وبالمسير إلى حَلَب ، فسار إليها لإخراج تَغْرِى بَرْدى منها ، وعند مسيرِه إلى جهة حلب وافاهُ الأمير إينَال النَّوْرُوزىّ نائب صَفَد بعسكرها ، وتوجّه الجميعُ إلى حلب ، فلما سمع تَغْرِى بَرْدى بقدومهم فرّ من حلب قبل أن يقاتلهم ، وتوجّه نحو بلاد الرُّوم ، وقيل قاتلهم وانكسر ، وسار الأميرُ تنِبَك البَجاسِيُّ خلفه من ظاهر حَلَب إلى الباب[3] فلم يدركه ، ورجع إلى حلب وأقام بها إلى ما يأتي ذكره .

وفي رابع عشرين المحرّم قَدِمَ أميرُ حاج المحمل بالمحمل ، وهو الأمير تَمُرْبَاى اليُوسُفِىّ [المؤيدى المُشِدّ كان ، وهو يومئذ من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية ، وقد كَثُرَ ثناءُ الناس عليه بحسن سيرته فيهم ، فخلع عليه ونزل إلى داره ، فلما كان يوم الخميس ثامن عشرين المحرم طَلَع المذكورُ إلى الخدمة السلطانية ، فقُبِضَ عليه وعلى الأمير قَرْمَش الأعور الظاهرىّ بَرْقوق أحد مقدمى الألوف ، وكان قَرْمَش أحدَ أعيان أصحاب جانى بك الصوفىّ ، وأُخْرِجَ هو وتَمُرْباى إلى ثَغْر دمْيَاط ، وأنعم على الأمير يَشْبُك الساقى الظاهرى الأعرج بإمرته دفعة واحدة من الجندية .

وكان من خَبَر قَرْمَش هذا مع الأمير بَرْسْباى الدُّقْماق أن الأمير الكبير جانى بك الصوفى ، لما صار أمرُ المملكةَ إليه بعد موت الملك الظاهر ططر أمَرَهُ بالجلوس بباب السِّتارة ليكون عَيْنًا على الأمير بَرْسْباى الدُّقْماق ، فأخذ الأمير بَرْسْباى [الدُّقْماق][4]

(١ ، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٦) .

(٣) الباب : بلدة على مرحلة من حلب في الجهة الشمالية الشرقية بها مشهد به قبر عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٢٨)

(٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٧) .

يستميله بكل ما وَصَلَت القدرةُ إليه ، فلم يقدر يحوّله عن جانى بَك الصوفى ، واعتذر بأنه ربّاه فى بلاد الجِرْكَس ، وأنه كان يحمل جانى بَك الصوفى على كتفه ، فكيف يمكنه مفارقته ؟ فلمّا وقع من أمر جانى بك الصوفى ما وقع ، وتمّ أمرُ الأمير بَرْسْباى الدقماق التفت إلى قَرْمَش ، وأخرج إقطاعه ، ونفاه إلى دِمْيَاط لِما كان فى نفسه منه .

٥ ثم فى يوم الاثنين ثانى صفر أمسك الأمير الكبير بَرْسْباى الأميرَ أَيْتَمُش الخضرى الظاهرى أحد أمراء العشرات ، ونفاه إلى القُدْس بطّالا[1] .

ثم فى يوم الأربعاء ثامن عشر صفر جمع الأميرُ الكبيرُ بَرْسْباى الدقماق الصيّارف بالإصطبل السلطانى للنظر فى الدَّرَاهم المؤيدية ، فإنه كثر هَرْشُ الدراهم منها ، ومعنى الهرش أن يُبْرَدَ من الدِّرْهم الذى زنتُه نصف درهم حتى يَخِفَّ ويصير وزنُه ربع درهم ، ١٠ فأضَرَّ ذلك بحال الناس ، فأمرَ الأميرُ الكبيرُ بإبطال المُعَامَلَة بالعدد ، واستقرت المُعامَلَة بها وزناً لا عدداً ، ورسمَ بأن يكون وَزْن الدرهم منها بعشرين درهما فلوساً ، وأن يكون الدينار الإفرنتىّ بمائتين وعشرين درهما فلوساً ، وبأحد عشر درهما من الفضة الموازنة ، فشَقّ ذلك على الناس كونهم كانوا يتعاملون بالفضة معاددة فصارت الآن بالميزان ، واحتاج كل بائع أن يأخذَ عنده ميزاناً وتشكَّوا من ذلك ، فلم يلتفت الأميرُ بَرْسْباى ١٥ إلى كلامهم وهدَّدهم ، فمشى الحال .

وفى هذا الشهر ابتدأت الوَحْشة بين الأمير بَرْسْباى الدقماق نظام المُلْك وبين الأمير الكبير طَرَباى أتابَك العساكر ، وتنكر الحال بينهما فى الباطن ، وسببه أن الأمير طَرَباى شقّ عليه استبدادُ الأمير بَرْسْباى الدقماق بأمور المملكة وَحْدَه ، وتردُّدُ الناس إلى بابه ، وخاف إن دام ذلك ربما يصير من أمر بَرْسباى ما أشاعه الناس ، وكان طرباى يقولُ فى ٢٠ نفسه : إنه هو الذى مَهّد الديار المصرية ، ودَبَّر على قبض جانى بك الصوفى حتى كان من أمره ما كان ، ولولاه لم يقدر برسباى على جانِى بَك الصوفى ولا غيره ، وكان الاتفاق بينهما أن يكون أمرُ المملكة بينهما نصفَين بالسَّوِيَّة لا يختص أحدُهما عن الآخر بأمر

(١) ورد فى هامش اللوحة « نفى أيتمش الخضرى » .

من الأمور ، وكان الأميرُ طرباى فى الأصل من يوم مات الملك الظاهر برْقوق[1] متميِّزًا على بَرْسْباى ، ويرى أنه هو الأكبر والأعظم فى النُّفُوس ، وأنه هو الذى أقام بَرْسْباى فى هذه المنزلة من كونه استمال المماليك السلطانيَّة إليه ، ونفَّرهُم عن الأمير الكبير جانى بك الصوفى حتى تمَّ له ذلك ، وأنه هو الذى خدع جانى بك الصوفى حتى أنزله من باب السلسلة ، وقام مع الأمير برسباى إلى أن رَضِيَهُ الناس بأن يكون مُدبِّر المملكة ، كل ذلك ليكون برسباى تحت أوامره ، ولا يفعل شيئا إلا بمشاورته ؛ فلما رأى طرباى أن الأمر بخلاف ما أمَّلَه نَدِمَ على ما كان من أَمْرِه فى حَقِّ جانى بك الصوفى حيث لا ينفعه النَّدم ، وتكلَّم مع حواشيه فيما يفعله مع الأمير برسباى ، وكان له شوكة كبيرة من خشداشيته المماليك الظاهرية [برقوق][2] وغيرهم ، فأشاروا عليه أن ينقطع عن طلوع الخدمة أيامًا لينظروا فيما يفعلونه ، وكان طرباى مُطاعًا فى خشداشيته ولهم فيه[3] محبة زائدة ، وتعصُّبٌ عظيم له على برسباى ، فاغترّ طرباى بكلامهم ، وعدى بمماليكه إلى برّ الجيزة حيث هو مَرْبَط خيوله على الرَّبيع كالمتنزِّه ، وأقام به بقيَّة صفَر .

وأما الأمير برسباى لمـا علم أن الأمير طرباى توَغَّر خاطرُه منه ، وعلم أنه لا يتِم له أمر مع وجوده ، أخذ يدبر عليه فيما يفعله معه حتى يمكنه القبض عليه ، ثم يفعل مابدا له ، هذا وقد انضم عليه جماعة كبيرة من أمراء الألوف ، أعظمهم الأمير سُودون من عبد الرحمن الدَّوادار الكبير ، والأمير قَصْرُوه من تِمرْاز رأس نَوْبة النُّوَب ، والأمير يَشْبُك الساقى الأعرج — وكان أعظمهم دَهاء ومعرفة ، وله دُرْبَةٌ بالأمور — والأمير تَغْرى بردى المحمودى الناصرى وغيرهم ، وباقى الأمراء هم أيضا فى خدمة الأمير برسباى فى الظاهر ، غير أنهم فى الباطن جميعهم مع طرباى ؛ ولكنهم حيثما ما أمكنهم الكلام مع برسباى أو طرباى قالوا له : أنت خشداشنا وأغاتنا ؛ لأن كليهما من مماليك برقوق ، بهذا المقتضى صار الأمير برسباى لا يعرف من هو معه من خشداشيته الظاهرية ،

(١) فى (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٨) «ططر» .

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) فى الأصل « له فيهم» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٣٨) .

ولا من هو عليه غير من ذكرنا من الأمراء ؛ فإنهم باينوا طرباى ، وانضموا على برسباى ظاهراً وباطناً .

فلما علم بَرْسْبَاى أن هؤلاء الأمراء معه حقيقةً قوى قلبُه بهم ، وألقى مقاليد أمر طربَاى فى رقبة الأمير يَشْبُك السَّاقى الأعرج أن ينزل إليه ، ويعمل جهده فى طلوعه إلى الخدمة السلطانية ، ثم سلَّطَ أيضا جماعةً أُخَر على الأمير طربَاى يُحسِّنون له الحضور من الربيع ، هذا مع ما يقوى جأشه الأمير تَغرى بردِى المحمودى فى الإقدام على طرباى ويهوِّن عليه أمره ، والأمير بَرْسْباى يجبن عن ذلك حتى استهل شهر ربيع الأوّل .

فلما كان يوم الثلاثاء ثانيه قدم الأمير الكبير طرباى من الربيع ، ونَزل بداره تجاه باب السلسلة ، وتردَّد إليه الأمير يَشْبُك الساقى الأعرج ، وحسّن له الطلوع بأن قال له : إن كل خشداشيته من الظاهرية [برقوق] [(١)] معه ، وأنهم لا يؤثرون عليه أحداً ، وأنه بطلوعه يستفحلُ أمرُه ، وبعدم طلوعه ربما يُجَبَّنُ ويضمحلّ أمرُه ؛ فإن الناس مع القائم ، وإذا حضرت أنت تلاشى أمرُ بَرْسْبَاى ، وهوّن عليه أمرَ بَرْسْبَاى ، ولازال به حتى انخدع له وَأَذْعَنَ بالطلوع .

فلما أصبح يوم الأربعاء ثالثه أَمسَكَ الأميرُ بَرْسْبَاى الأميرَ سُودُون الحموىّ أحد أمراء الطبلخانات ، والأمير قَانصُوَه النَّوروزىّ أحد أمراء الطبلخانات أيضا ، وكانا من [جملة] [(٢)] أصحاب طَرَبَاى ، فعظُمَ ذلك على طَرَبَاى ، وقامت قيامة أصحابه وحذَّرُوه عن الطلوع فى غَدِه — فإنه كان قَرَّرَ مع الأمير يَشْبُك الأعرج الطلوع إلى الخِدْمَة فى يوم الخميس رابعه — فلما وَقَع مَسْكُ هؤلاء نَهاهُ أصحابُه عن الطلوع ، فأبى إلّا الطلوع ليتكلَّم مع الأمير بَرْسْبَاى بسبب مَسْكه لهؤلاء ويطلقهما منه ، فألَحوا عليه فى عَدم الطلوع ، وأكثروا من ذلك ، وهو لا يُصْغِى إلى قولهم ، وفى ظنه أن

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٠) .

الأمير بَرْسْبَاى لاينهض بأمر يفعله فى حقه، وأيضا لايقابله بسوء لماله عليه من الأيادى قديماً وحديثا .

فلما أصبحَ نهارُ الخميس رابع شهر ربيع الأوّل ركب الأمير الكبير طَرَبَاى من داره ومعه جماعة كبيرة من حواشيه، وطَلَع إلى القلعة، وكان لقلة سعده غالب من هو معه من خشداشيته رءوس نُوَب، ليس فى أوساطهم سيوف، فما هو إلا أن دخل فى[1] ٥
الخِدْمَة، واستقرّ به الجُلُوس فى منزلته وَقُرِئَ الجيشُ[2] على السُّلطان، وانتهت العلامة[3]، وأحضر السِّماط وقام الجميعُ على أقدامهم، أبتدأ الأميرُ [الكبير][4] بَرْسْبَاى الدُّقْمَاقى نظامُ الملك بأن قال : الحال ضائع، والكلمةُ متفرّقة، وأحوال الناس متوقّفة لعدم اجتماع الناس على كبير يُرْجَع إليه فيما يَرُمُّهُ به، ولابدّ للناس من كبير يُرْجَع إليه فى أمور الرَّعية، فأجابه فى الحال — قبل أن يتكلّم طَرَبَاى — الأميرُ قَصْرُوَه ١٠
رأسُ نَوْبة النُّوَب، وقال : أنت كبيرنا ومع وجـودك من يكون خلافك؟ افعل ماشئت، فقال الأمير بَرْسْبَاى عند ذلك : اقبضوا على هذا وعَنَى الأميرَ الكبيرَ طَرَبَاى، فلما سمع طَرَبَاى ذلك جَذَب سيفَه ليدفع عن نفسه، وأرادَ القيام فسبقه الأميرُ بَرْسْبَاى نظامُ الملك، وضَرَبَه بالسيف ضربةً جاءت فى يده كادت تُبِينُها — وهى على ظاهر كفه حيث كان قابضا بها على سيفه — ثم بادَرَهُ الأميرُ قَصْرُوَه وأعاقه عن تمام القيام، وتقدّم ١٥
إليه الأميرُ تَغْرِى بَرْدِى المحمودىّ وقبض عليه من خلفه كالمعانق له، وحُمِلَ من وقته إلى أعلى القَصْر، وقُيِّدَ فى الحال، وقد تضمّخ بدَمِه، ووقعت الهجّة بالقصر، وتسللت

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٠ «إلى الخدمة».

(٢) قرىء الجيش : يرد هذا التعبير كثيرا فى هذه الحقبة التاريخية ولعل المراد هو قراءة إقطاعات أمراء الجيش وأجناده، وعرض أسماء القادة فيه — وقد كان من مهات ناظر الجيش قراءة ما يختص بشئون الجيش وإقطاعات أمرائه والقصص الخاصة بهم أمام السلطان عند توليه أو فى الجلوس للمواكب وأخذ موافقته عليها، وانظر ما مر عند سلطنة الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد شيخ، وقيام الأمير ططر نظام الملك بأمور الدولة ص ١٦٩، وانظر الحاشية ٢ ص ١٩٤ . ٢٠

(٣) أى التوقيع بالقلم المخصص للتوقيع .

(٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٠) . ٢٥

السيوف من حواشى طَرَباى بعد أن فات الأمرُ وقد خطف الأمير بَرْسْبَاى التُّرْس الفولاذ من يد السلطان الملك الصالح محمد وتترّس به ، وأعطى ظَهْرَه إلى الشّباك وسيفه مسلولٌ بيده فلم يجسر أحدٌ على التقدّم إليه لكثرة حاشيته ، ولقوة شوكته ، ثم سكنت الهجّةُ فى الحال ، وردّ كلٌّ واحد من أصحاب طَرَبَاى سيفَه إلى غِمْده عندما رأوا أن الأمر فاتهم ، وقالوا : نحن من أصحاب بَرْسْبَاى ، فعرف بَرْسْبَاى الجميعَ ولم يؤاخذ أحداً منهم بعد ذلك ، وتكسّر بعض صينىّ مما كان فيه الطعام للسِّماط السلطانى لضيق المكان ، فإن الحركةَ المذكورة كانت بالقصر الصغير السلطانى[1] حيث فيه الشرابخاناه ، وطلب الأمير بَرْسْبَاى فى الحال المزيّنَ وأرسله إلى طَرَبَاى نخَاطَ جِرَاحه بعد ماقيّده ، ثم أصبح من الغد حَمَلَه إلى الإسكندرية فسجن بها ، إلى أن أطلقه فى أيّام سلطنته حسبما نذكره فى محلّه فى ترجمة الملك الأشرف بَرْسْبَاى إن شاء الله تعالى .

وخلا الجوّ للأمير بَرْسْبَاى بمَسْكِ الأمير طَرَبَاى هذا .

قلت : وكان فى أمر الأمير طَرَبَاى هذا عبرةٌ لمن اعتبر ، وهو أن طَرَبَاى لازال يُجانِى بَكَ الصُّوفىّ حتى خدعه وغَدَرَ به عندما أنزله من الحرّاقة بباب السِّلسلة وتحيَّل عليه حتى قبضه وحمله مقيَّداً إلى سجن الإسكندرية وسجن بها ، وقد ظنّ أن الأمر صَفَا له وأنه لا يُعْدَل عنه إلى غيره لاستخفافه بالأمير بَرْسْبَاى فأتاه الله من حيث لم يحتسب ، وعمل عليه الأميرُ بَرْسْبَاى حتى خدَعه وأطلعه إلى القلعة ، وصار فى يده بعد ما امتنع ببرِّ الجيزة أيّاما ، والناس تترقّب حركته ليكونوا فى خدمته ، وفى قتال عَدُوِّه ، إلى أن عدّى من برّ الجيزة وَمَشى لحتفه بِقَدَمَيْه ، فكان حالُه فى ذلك كقول الإمام أبى الفتح البُسْتِىّ حيث قال [رحمه الله تعالى][2] .

أرى قَدَمِى أراقَ دمى

وإن كان طَرَبَاى لم يهلك — فى هذه — الموتة المكتوبة فقد مات مَعنى ، وحُمِلَ

(١) كذا فى الأصل : وفى طبعة كاليفورنيا ٦ : ٥٤١ «الوسطانى» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٢) .

إلى الإسكندرية ، فأدخل به عند أخصامه الأمير الكبير جَانِى بَك الصُّوفىّ وغيره .

قلت : لتُجْزى كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

ولما تمّ أمر الأمير بِرْسْبَاى فيما أراد من القبض على الأمير طَرَبَاى والاستبداد بالأمر أخرَجَ الأميرَ سُودُون الحموىّ منفيا إلى ثغر دِمْيَاط ، ثم أخذ فى إبْرام أمره ليترقّى إلى أعلى المراتب ، فلم يَلْق فى طريقه من يمنعه من ذلك ، وساعده فى ذلك موتُ الأمير حسن بن سُودُون الفقيه خال الملك الصالح محمد هـــذا فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر ؛ فإنه كان أحد مقدمى الألوف وخال السلطان الملك الصالح ، وسُكْناه بقلعة الجبل ، وكان جميع حواشى الملك الظاهر طَطَر يميلون إليه فكُفِىَ الأميرُ بَرْسْبَاى همّه أيضا بموته ، فلما رأى بَرْسْباى أنه ما ثَمّ عنده مانع يمنعه من بلوغ غرضه بالديار المصرية ، خشى عاقبة الأمير تَنبَك مِيق نائب الشّام ، وقال لابُدّ من حضوره ومَشُورَتِه فيما تريد نفعله ، فندب لإحضاره الأميرَ ناصر الدين محمداً بن الأمير إبراهيم ابن الأمير مَنْجَك اليُوسُفىّ لخضر ، نخرج المذكور مُسْرِعاً من الديار المصرية إلى دِمَشْق لإحضار [الأمير][1] تَنِبَك المذكور ، وأخذَ الأميرُ بَرْسْبَاى فيما هو فيه من عمل مصالح الناس وتنفيذ الأمور ، فَرَسَم بإحضار الأمير أَيْتَمُش الخضرى من القُدْس[2] .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشرين شهر ربيع الأوّل أمسك الأمير الطواشىّ مَرْجَان الهندى الزِّمَّام المعروف بالخازندار ، وسلمه للأمير أَرْغُون شاه النَّوروزِىّ الأعور الأستادار ليصادره ، ويستخلص منه الأموال ، وطلب الأميرَ الطواشىَّ كافورَ الرومىّ الصَّرْغَتْمُشِىَّ وخلع عليه باستقراره زِمَّاماً على عادته أوّلاً ، ثم قدم أَيْتَمُش الخضرى إلى القاهرة[3] فَرَسَم له الأميرُ بَرْسْبَاى بلزوم داره بَطَّالاً ، واستمر مَرْجَان عند الأمير أَرْغُون شاه المذكور إلى أن قرّرَ عليه حملَ عشرين ألف دينـار لحملها ، وضَمِنَهُ جماعةٌ أخر فى حَمْلِ عشرة آلاف دينار أخرى ، وأُطْلق فى يوم الأربعاء ثامن عشر شهر ربيع الآخر .

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٢) .
(٢) ورد فى هامش اللوحة «عود الخضرى من نفيه» .
(٣) ورد فى هامش اللوحة «قدوم الخضرى» .

ثم فى سادس عشر [شهر] [١] ربيع الآخر المذكور قَدِمَ الأميرُ تَنبك مِيق نائب الشام إلى الديار المصرية ، بعد أن تلقّاه جميعُ أعيان الدولة ، وطلع إلى القلعة ، فخرج الأميرُ الكبيرُ بَرْسْبَاى لتلقّيه خارج باب القصر السلطانى ، ونثر على رأسه خفايف الذّهب والفضة ، وعاد معه إلى داخل القَصْر بعد أن اعتذر له عن عَدَم نزوله إلى تلقّيه مخافة من المماليك الأجلاب ، فقَبِلَ الأميرُ تَنبَك عذرَه ، ثم قُدِّمَت خلعةٌ جابلة فلبسها الأمير تنبَك [نائب الشام [٢]] المذكور وهى خلعة الاستمرار له على نيابة دِمَشْق على عادته ، ثم خلا به الأميرُ بَرْسْبَاى وتكلّم معه واستشاره فيمن يكون سلطانا ؛ لأن الديار المصرية لابد لها من سلطان تجتمع الناسُ على طاعته ، ثم قال له : وإن كان ولابد فيكون أنت ، فإنك أغاتُنا وكبيرُنا وأقدمُنا هجرة ، فاستعاذ الأميرُ تَنبَك من ذلك وقام فى الحال ، وقبَّلَ الأرض بين يديه وقال : ليس لها غيرُك ، فشكر له الأميرُ بَرْسْبَاى على ذلك ، ثم اتّفَق جميعُ الأمراء على سلطنته ، وخَلْع الملكِ الصالح محمد من السّلطنة ، فوقع ذلك فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر [من] [٣] سنة خمس وعشرين وثمانمائة حسبما يأتى ذكره فى أوّل ترجمة الملك الأشرف برسباى .

قلت : وكما تَدِين تُدَان جوزِىَ الملك الظاهرُ ططَر فى وَلَدِه كما فعل [هو] [٤] بابن الملك المؤيد [شيخ] [٥] الملك المظفر أحمد ، غير أن الأمير ططَر كانت له مندوحة بِصِغَرِ ابن الملك المؤيد [شيخ] [٦] من أنه كان [بَقِىَ] [٧] لبلوغه الحلم سنين طويلة ، وأما الملك الصالح هذا فكان مُرَاهِقاً ، غير أنهم احتجوا أيضا بأنه كان فى عقله شىء شبه الخلل .

قلت : وإن توقَّفَ الأمر على أنّ كلّ واحد من هؤلاء يُخْلَع بأمر من الأمور ، ويكون ذلك حجّة لمن خلعه ، فيلزم الخالعَ من ذلك أمورٌ كثيرة لا يطيق التخلّص منها أبداً ، ليس لإبدائها هنا محلٌّ ، وقد دار هذا الدّورُ على أُناس أخر بعدهما ، والكأس ممزوج لمن

(١ ، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٣) .
(٣ ، ٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٤) .
(٥ ، ٦) إضافة على الأصل .
(٧) إضافة يقتضيها السياق .

يشرب به من يد ساقيه ، كما جرت به العادةُ ؛ والعادة لها حكمٌ ،وهى تثبت عند الشافعية بمرّةٍ واحدة — انتهى .

ولمّا خُلِعَ الملكُ الصالح من السلطنة أُدخِل إلى أُمّه خَوَنْد بنت سُودُون الفقيه ببعض الدُّور السلطانية ، ودام بها سنين عديدة من غير تَرْسِيم ولا حَرَج حتى إنه بعد سنين صارَ يرْكَبُ وينزل صحبة الناصرى محمد ابن السلطان الملك الأشرف بَرْسْبَاى ٥ إلى القاهرة من غير أن يحتفظ به أحدٌ ، وحضر معه مرّة مأتم والدته خَوَنْد زوجة الملك الأشرف بالمدرسة الأشرفية بخط العنبريِّين[1] ، وجلسا فى الملأ بصدر المدرسة ، فتعجَّبَ الناس من ذلك غاية العجب ؛ كَوْن الملك الصالح المذكور كان سلطاناً ثمّ خُلِعَ مِن المُلْك وبعد مُدّة يسيرة صار يركب وينزل إلى القاهرة ، ودام الملك الصالح [محمد] [2] بقلعة الجبل سنين حتى بلغ الحُلُم ، وزوّجه الملك الاشرف [بَرْسْبَاى] [3] بابنة الأتابَك ١٠ يَشْبُك السّاقى الأعرج ، ودامت معه حتى مات عنها فى الطاعون بقلعة الجبل فى ليلة الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، وهو فى حدود العشرين سنة من العمُر تخميناً ، وكان أهوج وعنده بعض بَلَهٍ وسَذَاجَة ، مع خفّةٍ وسُرعة حركة ، وسلامة باطن ، وعدم تجمُّلٍ فى ملبسه ، ولم يكن عنده شىء من الكِبْر والترَفُّع ولم يتأسّف على المُلْك أبدا ، وكان غالب حواشى الملك الأشرف [بَرْسْبَاى] [4] يسمُّونه ١٥ فى وجهه سيدى محمد ، ويصيحون له بذلك ، ومما يُنْسب إليه من السَّذَاجة أنّه ركب مرة فرساً ثم طلبه ثانيا فقال : هاتوا فرسى الأبيض ، فنهرَهُ بعض حواشيه وقال [له] [5] : لِمَ لاتقول فرسى البُوز ، ثم أُتِىَ بعد ذلك بمشروب منَ السّكّر فقال : ما أشرب إلاّ فى سلطانيتى البُوز ، فنهره ذلك الرّجُل بعينه وقال [له] [6] : لم لا تقول سلطانيّتى البَيْضَاء ،

---

(١) خط العنبريين : هو فيما بين الحريريين وبين قيسارية العصفر تجاه الخراطين (المقريزى — ٢٠ الخطط ٢ : ٤٧٤) وهو يشمل المنطقة التى على جانبى شارع المعز لدين الله الفاطمى فى المسافة بين شارع الأزهر وشارع الموسكى .

(٢، ٣، ٤) إضافات للتوضيح .

(٥، ٦) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٥) .

فقال : والله تحيّرتُ بينكم ، تارةً تقولون لاتقل أبيض وقل بُوز ، وتارة تقولون بالعَكْس، كيف يكون عملى معكم ؟ وله أشياء من ذلك كثيرة ، على أنه كان يحفظ القرآن ، ويعرف بلسان الجاركسى ، ولِبَلُوهِيَّتِهِ حلاوةٌ وطلاوةٌ مع خِفَّة روح — انتهى والله تعالى أعلم .

السنة التى حكم فيها أربعة سلاطين

وهى سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

حكم فى أوّلها إلى يوم الاثنين ثامن المحرّم الملك المؤيّد شيخ ، ثم ابنُه الملكُ المظفّر أحمد إلى تاسع عشرين شعبان ، ثمّ الملكُ الظاهر طَطَر إلى رابع ذى الحجة ، ثمّ ابنُه الملك الصالح محمد إلى آخرها وإلى [شهر ربيع الآخر] (١) من سنة خمس وعشرين وثمانمائة . ٥

وفيها — أعنى سنة أربع وعشرين وثمانمائة — تُوُفِّىَ الأميرُ زين الدين فرج ابن الأمير شكر باى الظاهرىّ أحد أمراء العشرات وخواصّ الملك المؤيّد شيخ فى رابع صفر بعد مَرَض طويل ، وكان شابًّا مليح الشكل ، بَهِىّ المنظر ، متجمِّلاً فى ملبسه ومركبه ، ولم يبلغ من العُمْر خمسا وعشرين سنة — فيما أظنّ — وكان الملك المؤيّد [شيخ] (٢) ربّاه واختصّ به ، فلما تسلطن رقّاه وأمّرَه . ١٠

وتُوُفِّىَ القاضى بهاء الدين محمد ابن بدر الدين حسن بن عبد الله المعروف بالبُرْجِىّ (٣) فى يوم الخميس عاشر صفر عن ثلاث وسبعين سنة ، بعد أن وَلِىَ حِسْبَةَ القاهرة غير مَرّة ، ووكالة بَيْت المال ونظر الكُسْوة ، وباشر عِمَارَة الجامع المؤيَّدىّ ، وكان من أصحاب الملك الظاهر طَطَر .

وتُوُفِّىَ علمُ الدين سليمان بن جنيبة رئيس الأطبّاء فى سادس عشرين صفر ، وقد أناف على ثمانين سنة ، وكان أبُوه يهوديًّا ثم أسلم ، ونشأ سليمانُ هذا مُسْلِما . ١٥

وفيها قُتِلَ الأميرُ يَشْبُك بن عبدالله اليُوسُفِىّ المؤيَّدىّ نائب حَلَب فى واقعة كانت بينه وبين الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِىّ الأتَابَك بظاهر حَلَب فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرّم .

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٥) . ٢٠

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) هو محمد بن الحسن بن عبد الله . البهاء بن البدر البرجى ثم القاهرى (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ٢٢٥) .

قال المقريزى : وكان غير مشكور السِّيرة ظالما عَسُوفا مع كِبْر وجَبَرُوت ، فأراح الله منه .

وفيها قُتِلَ الأميرُ الكبير سيفُ الدين[1] أَلْطُنْبُغَا بن عبدالله القَرْمَشى الظاهرى أتابَك العساكر بالديار المصرية فى خامس عشر[2] جمادى الأولى بقلعة دمشق بسيف الأمير طَطَر حسبما تقدّم ذكرُ القبض عليه ، وكانَ القَرْمَشِيّ من محاسن الدنيا لِمَا اشتمل عليه من السؤدد ، وكان أصلهُ من مماليك الظاهر بَرْقُوق ، وترَقّى فى الدّوْلة الناصرية [فرج][3] إلى أن صار من جُمْلة أمراء البلاد الشاميّة ، ثمّ انضم على الأمير شيخ ولم يَبْرَح عنه فى السَّرّاء[4] والضراء إلى أن مَلَكَ الديار المصريّة ، فولاه نيابة صَفَد ، ثم الأمير آخورية الكُبْرَى ، ثم نقله إلى الأتابَكيّة بديار مصر بعد انتقال أَلْطُنْبُغَا العُثْمانى إلى نيابة دمشق بعد خروج قانِى بَاى المحمدى عن الطاعة ، فدام على ذلك إلى أن جَرّدَه الملكُ المؤيّد [شيخ][5] إلى البلاد الشامية وصحبته جماعة من مقدّمى الألوف تقدّم ذِكْرُهم فى عِدّة مواضع من ترجمة الملك المظفر [أحمد][6] والملك الظاهر طَطَر ، ولَمَّا أشْرَفَ الملكُ المؤيّد [شيخ][7] على المَوْتِ عَهِدَ لولده أحمد بالمُلْك وجعَل القَرْمَشِيّ هذا أتابَكه لثقته به من أنّه كان يفعل مع ولده كما فعل الأتابَك يَلْبُغَا العمرىّ مع أولاد السلاطين ، ولم يتسلطن أبدا ؛ فإنه كان من جنس يَلْبُغَا — أعنى أنه كان تركىّ الجنس — فوثب الأميرُ طَطَر على الأمْرِ حسبما حكيناه ، وخرجَ بالملكِ المظفّر أحمد إلى دمَشْق ، فأطاعه القَرْمَشِيّ المذكور وقد قنَع بأنْ يكون فى نيابة دِمَشْق فلم يُكَذِّب طَطَرُ الخبرَ وقَبَضَ عليه من وقته وحبسه بقلعة دِمَشْق ثم قتله .

قلت : أمَّا القبض عليه فيمكن طَطَرَ الاعتذار عنه ، وأما قتله فلا أقبل له فيه عُذْراً ؛

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «ألطنبغا القرمشى» .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٤٦ «عشرين» .
(٣) إضافة على الأصل .
(٤) ورد فى هامش اللوحة «بيان ألطنبغا» .
(٥، ٦، ٧) إضافات على الأصل .

فإنه كان يمكنه حبسه إلى الأبد كما فعل ذلك بعدّة من الملوك ، فإنه كان عاقلا ساكنا عديم الشّر ليّنَ الجانب متواضعا كريما حشيما ، ولم يكن فيه ما يعاب ، غير أنه كان من غير جنس القَوْم لاغير .

وتُوُفِّيَ الأميرُ الوزير المشيرُ بدر الدين حسن ابن محبّ الدين عبد الله الطرابُلسيّ تحت العقوبة — في سابع عشر جماد الآخر بدِمَشْق — بأمر الأمير الكبير طَطَر ، وكان أبو بدر الدين هذا من مسالمة نصارى طَرَابُلُس وبها وُلدَ بدرُ الدين هذا ونشأ ، وتعانى قلم الدّيْوَنَة [(١)] ، وتولى شدّ الدواوين بها ، ثم غير زيّه ، وَوَلِيَ كِتَابةَ سِرّ طَرَابُلُس ، ثمّ تعلّق بخـدمة الملك المؤيّد شيخ المحمودى لمّا وَلِيَ نيابةَ طَرَابُلُس وعمل أستاداره ، وغيّر زيّه ولبس زيّ الأمراء ، ودام في خدمته إلى أن تسلطن وولاه الأستادارية ثم الوزر ، ثم نيابة الإسكندرية ، ثم الكشف بالوجه القبلي ، ثم أعيد إلى الأستادارية ، ثم أمسكه وصادره وعاقبه .

قال المقريزى : وكان يكتب الخطّ المَنْسُوب ، ويتظاهر بالمعاصى ، وينوِّعُ الظلم في أخذ الأَمْوَال ، فعاقبه الله بيد ناصره الملك المؤيد شيخ أشدّ عقوبة ، ثم قبض عليه طَطَر وصادره وعاقبه حتى هلك تحت الضَّرْب ، وعاقبه ميتاً ، فأراح الله منه عباده .

وتُوُفِّيَ قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البُلْقِينىّ [(٢)] الشافعى قاضى الديار المصريّة وعالمها ، في ليلة الخميس حادى عشر شوّال عن ثلاث وستين سنة ، بعد مرض طويل تمادى به في دِمَشْق لمّا كان مسافرا صحبة السُّلطان إلى مصر ، وصُلِّيَ عليه بالجامع الحاكمى ، وأعيد إلى حارة بهاء الدين ، ودُفِنَ على أبيه بمدرسته [(٣)] التي أنشَأَها تجاه داره — وهو صهرى زوج كريمتى والذى تَوَلَّى تربيتى — رحمه الله تعالى ، ومات ولم يخلف بعده مثله في كثرة علومه وعفته عما يُرْمىَ به قضاةُ السّوء ، وكان مولده بالقاهرة في جُمادى

---

(١) أى اشتغل كاتبا في الدواوين .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح . الجلال أبو الفضل وأبو اليمن البلقينى ، (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ١٠٦-١١٣) .

(٣) مدرسة سراج الدين البلقينى : راجع (الحاشية ٢ ص ٣٨٩ ج ١١ من هذا الكتاب) .

الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، هكذا سمعتُه من لفظه غير مَرّة ؛ وأمّه بنت قاضى القضاة بهاء الدين بن عقيل الشافعى النحوى ، ونشأ بالقاهرة ، وحفظ القرآن العزيز وعِدّة مُتون ، وتفقّه بوالده وبغيره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربيّة والتفسير وعِلْمَى المعانى والبيان ، وأفتى ودرّس فى حياة والده ، وَوَلِىَ قضاء العَسْكر بالديار المصرية ، ثم وَلِىَ قضاء القضاة بها فى إحدى الجمادَيَيْن من سنة أربع وثمانمائة فى حياة والده عوضا عن قاضى القضاة ناصر الدين محمد الصّالحىّ ، وذلك أوّل ولايته ، وعزل ثم وُلِّىَ غير مرة — حَرَّرْنَا ذلك فى تاريخنا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — وكانت جنازته مشهورة إلى الغاية ، وحُمِلَ نعشُه على رءوس الأصابع ، وكان ذكيّا مستحضرا ، عارفا بالفقه ودقائقه ، مستقيم الذّهن ، جيِّد التصور ، حافظا فصيحا بليغا جَهْوَرِىّ الصَّوْت ، مليح الشكل ، للطول أقرب ، أبيض مُشْرَبًا بحمرة ، صغير اللحية مدوّرها ، منوَّرَ الشَّيْبَة ، جميلا وسيما ، ديّنا عفيفا مهابًا جليلا ، معظّمًا عند الملوك والسلاطين ، حُلْوَ المُحَاضرة ، رقيق القلب سريع الدَّمْعَة ، على أنّه كان فيه بادرةٌ وحِدّة مزاج ، غير أنها كانت تَزُول عنه بسرعة ، ويأتى بعد ذلك من محاسنه ماينْسى معه كل شىء ، وكان مُحَبَّبًا للرَّعية ، متجملا فى ملبسه ومركبه ، ومدحه خلائق من العلماء والشعراء ، أنشدنى قاضى القضاة جلال الدين أبو السعادات محمد بن ظهيرة قاضى مكة وعالمها ، من لفظه لنفسه بمكة المشرفة مديحا فى قاضى القضاة جلال الدين المذكور فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة [قال رحمه الله] (1) [الطويل]

هَنِيئًا لكم يا أَهْلَ مِصْرَ جَلاَلُكُمْ ... عَزِيزٌ فكَمْ مِنْ شُبْهَةٍ قد جَلاَ لَكم
وَلَوْلاَ اتِّقَاءُ اللهِ جلَّ جلاَلُهُ ... لَقُلْتُ لِفَرْطِ الحُبِّ جلَّ جَلاَلُكم

وتُوُفِّىَ السلطانُ غياثُ الدين محمد(2) المعروف بِكِرِشْجِى بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان مُتَمَلِّكُ بلاد الرُّوم فى شهر رَجَب ، وملك بعدَه ابنُه مُرادبك صاحب

(1) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٤٩) .

(2) ورد فى هامش اللوحة « محمد بن عثمان » .

الفُتُوحَات والغَزَوَات المشهورة الآتى ذكره فى محله، وتفسير كِرِشْجِى أى صاحب الوتر؛ لأن كِرْش باللغة التركية هو الوَتَر الذى يوتَر به القَوسُ وكان قَبْلَ سلطنتهِ خُنِقَ بوَتَرٍ ثم أُطْلِقَ فَسُمِّى بذلك، وهو بكسر الكاف والراء المهملة وسكون الشين المعجمة وكسر الجيم.

٥ وفيها قُتِلَ الأميرُ علاء الدين أَلْطُنْبُغَا [1] من عبد الواحد الظّاهرى المعروف بالصّغير رأس نوبة النُّوَب، ثم نائب حَلَب بعد انهزامه من حَلَب فى واقعة كانت بينه وبين التُّرْكُمَان فى تاسع عشرين شعبان [2]، وكان أصلهُ من مماليك الظّاهِر بَرْقُوق، وصار خاصّكيًّا فى دولة الناصر فرج، ثم تَرَقَّى فى الدَّوْلة المؤيّدية [شيخ] [3] إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف، ثم رأس نوبة النُّوَب، ثم أخرجَهُ الملك المؤيد [شيخ] [4] إلى ١٠ البلاد الشامية مجرّدًا لصحبة الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرمشىّ، فلما قتل يَشْبُك نائب حَلَب المقدّم ذكرُه ولّاهُ القَرْمَشِىّ نيابة حَلَب، فدامَ بها إلى أن قبض الأمير طَطَر على القَرْمَشِىّ فخرج هو عن الطاعة، ووقع له ما حكيناه إلى أن قُتِل، وكان أميراً جليلا، مَليحَ الشَّكْل لَيِّن الجانب، كَريمًا شُجَاعا محبَّبًا للناس — رحمه الله تعالى.

وفيها قُتِلَ الأميرُ سيف الدين قَجْقَار [5] بن عبد الله القَرْدَمِىّ أمير سلاح بثغر ١٥ الإسكندرية فى سادس عشرين شعبان بأمر الأمير طَطَر، وكان أصلهُ من مماليك الأمير قَرْدَم الحسنى رأس نوبة النُّوَب فى دولة الملك الظاهر بَرْقُوق، ثم انضمّ على الملك المؤيد [شيخ] [6] وهو من جُمْلة أمراء العشرات، ولازال معه إلى أن تسلطن، فعند ذلك رقّاه الملك المؤيد إلى أن وَلّاه إمْرَة سلاح، ثم نيابة حَلَب مُدّة يسيرةً، ثم عزله وأعاده إلى وظيفته إلى أن مات المؤيّد وجعله من جُمْلة أوصيائه على وَلَدِه، فقبضَ عليه

---

٢٠ (١) ورد فى هامش اللوحة «ألطنبغا الصغير».
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٠ «تاسع شعبان».
(٣، ٤) إضافة على الأصل.
(٥) ورد فى هامش اللوحة «قجقار القردمى».
(٦) إضافة على الأصل.

الأميرُ طَطَر وحبسه بثغر الإسكندرية إلى أن قتله بها ، وكان تركىّ الجنس ، قصيرا بطينا ، له شعرات بحنكه ، كبير الوَجْه ، مشهورا بالشّجَاعة والإقدام مع الكرم والتجمُّل فى مركبه ومماليكه وسماطه ، وكان منهمكا فى اللّذّات مُسْرِفًا على نفسه ، فكان فى غالب اللّيَالى يَسْكَرُ إلى الصَّبَاح ويغلب عليه النَّوْمُ فيَنَام عن الخِدْمَة السلطانية ، فلما يقوم من نومه يتأسّف على عدم طلوعه إلى الخِدْمَة ، فيجعل نفسه مُتَوَعِّكًا فينزل إليه وجوه الدّوْلة لعيادته ، فيجدونه مخمورا لا يكاد يتكلّم ، فلما تكرّر منه ذلك علم السلطان والناس حاله ، فصار أمرُه مثلا ، يقول بعضهم للآخر كيف حال فلان فيقول مريض ، فيقول لا يكون مثل مرض قَجْقَار القَرْدمى ، وتداول ذلك بين الناس .

وفيها قُتِلَ الأميرُ سيف الدين جَقْمَق بن عبد الله[1] الأَرْغُون شاوىّ الدَّوَادَار ثم نائب الشام بعد عُقُوبة شديدة لأجل المال فى ليلة الأربعاء سادس عشرين شعبان بعد عَوْد الأمير طَطَر مِن حَلَب ، وكان أصلُ جَقْمَق هذا چاركسيًّا ، أُخِذَ مِن بلاده مع والدته وهو ابن ثلاث سنين ، وجُلِبَا إلى مِصر فاشتراهُمَا بعضُ أمراء مصر ، فأقاما عنده مُدّةً يسيرةً وقُبِضَ على الأمير المذكور ، فاشتراهما أميرٌ آخر ، ثمّ انتقلا من مِلْكِه إلى مِلْكِ الأمير أَلْطُنْبُغَا الرّجبىّ ، ثم ابْتَاعَهُمَا مِن أَلْطُنْبُغَا الرّجبىّ [المذكور][2] الأمير قَرْدَم الحسنىّ رأس نوبة النُّوَب ، وأنعم بوالدته على زَوْجَتِهِ وأنعم بولدها جَقْمَق هذا على ابنه صاحبنا العلائى على بن قَرْدَم ، فاستمرّا عندهما إلى أن تُوُفِّى الأميرُ قَرْدَم ، وبعده بمدّة انتقل جَقْمَق هذا إلى مِلْكِ الأمير أَرْغُون شاه الظّاهرىّ أمير مجلس ، فأعتقه أرغون شاه وجَعَلَه بخدمته إلى أن قُتِلَ فى سنة اثنتين وثمانمائة ، فاتصل بعدَه بخدمة الملك المؤيد شيخ ، وهو من جملة الأمراء ، وصار عنده رأس نوبة الجَمَدَارية ، ثم جعله دَوَادَاراً ثانيا ، إلى أن تسلطن الملك المؤيّد شيخ فأنعم عليه بإمرة عشرة ، وأرسله إلى الأمير نَوْرُوز الحافظىّ فى الرّسْلِيّة ، فقبض عليه نَوْرُوز وحبسه ، إلى أن ظفرَ المؤيّد بنَوْرُوز ، وأطلق جَقْمَق هذا

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «جقمق نائب الشام» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٢) .

من قلعة دِمَشْق وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وجعله دَوَادَارًا ثانيًا ، ثم نقله إلى الدَّوَادَارِيَّة الكُبرى بعد سنين بحكم انتقال آقْبَاى المؤيّدى إلى نيابة حَلَب فباشر الدَّوادَاريَّة بحُرْمَة وافرة ، ونالته السعادة ، إلى أن وَلِى نيابة دِمَشْق بعد عَزْل الأمير تَنِبَك مِيق فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، فدام بدِمَشْق إلى أن مات الملك المؤيد [شيخ][1] فخرج عن طاعة الأمير طَطَر واتفق مع الأمير الكبير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشىّ ، ثم وقع بينهما [خِلَافٌ][2] وتحارَبَا فهُزِم جَقْمَق وتوجّه إلى صَرْخَد ، ولا زال به حتى استقدمه طَطَر منها بالأمان ، وقبض عليه وقتله ، ودُفِنَ بمدرسته التى بَنَاها بدِمَشْق ، وكان أميرا عارفا بأمور دُنْيَاه ، عاريا عن العلوم والفضيلة وفنون الفروسية ، وكان فصيحا باللغة العربية ، وعنده مَكْرٌ وشيطنة وخديعة ، وانهماك فى اللّذات ، وإسراف على نفسه مع بادرة وحِدّة وسَفَه ووقاحة ، ورأيته غير مرّة ، كان للقِصَر أقرب ، وعنده سِمَن ، مدوّر اللحية أسودها ، وعنده فصاحة فى حديثه على طريق عوام مصر لا على طريق الفقهاء — انتهى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم أربعة أذرع وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وإصبع واحد — والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(١) إضافة على الأصل .

(٢) إضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٢) .

ذكر سلطنة الملك الأشرف برسباى

على مصر

السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر بَرْسْبَاى الدُّقْماق الظاهرىّ[1] سلطان الديار المصريّة ، جلس على تخت الملك يوم خَلْعِ الملك الصالح محمد ابن الملك الظاهر ططر
٥ فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، بعد أن حضَرَ الخليفةُ والقضاةُ وجميع الأمراء والأميرُ تَنِبَك مِيق نائبُ الشام ، وبُويِعَ بالسلطنة ، ولَبِس الخلعةَ الخليفتيّة السَّوْدَاء ، وركب من طَبَقَة الأشرفية بقلعة الجَبَل والأمراء مشاة بين يديه إلى أن نزل على باب القصر ، ودخل وجَلَس على تخت الملك ، وقبّلت الأمراء الأرضَ بين يديه ، وخلع على الخليفة المعتضد بالله داود ، وعلى مَن له عادة بالخِلَع
١٠ فى مثل هذا اليوم ، وتمّ أمرُه ونُودِىَ باسمه وسلطنته بالقاهرة ومصر ، من غير أن يأمر للمماليك السلطانية بنفقة كما هى عادة الملوك ، وهذا كان من أوائل سعدِ ناله [فإننا][2] لم نعلم أحدًا من الملوك التركية تسلطَن ولم يُنفِق إلا بَرْسْبَاى هذا — انتهى .

قلتُ : والأشرفُ هذا هوالسلطان الثانى والثلاثون من ملوك التُّرْك وأولادهم بالدِّيَار
١٥ المصريّة ، والثامن من الجراكسة وأولادهم ، وأصل الملك الأشرف هذا جاركسى الجنس ، وجُلِبَ من البلاد فاشتراه الأميرُ دُقْماق المحمدى الظاهرىّ نائب مَلَطْية ، وأقام عنده مُدّة .

ثم قدّمه إلى الملك الظاهر بَرْقُوق فى عِدّة مماليك أخر ، ولتقدمته سبب ، وهو أن الأمير تَنِبَك اليَحْيَاوِىّ الأمير آخور الكبير بلغه أن الأمير دُقْماق اشترى أخاهُ من
٢٠ بعض التُّجّار ، وكان أخوه يُسَمّى طَيْبَرْس ، فوَقَفَ الأمير تَنِبَك إلى الملك الظّاهر

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «الأشرف برسباى» .

(٢) فى الأصل «فإنه» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٣) .

بَرْقُوق وطلب منه أن يُرْسل يطلب أخاه من دُقْمَاق ، فرَسَم السلطانُ بذلك ، وكتب لدُقْمَاق مَرْسُوماً شريفاً [1] بإحضار طَيْبَرْس المذكور ، وقبل أن يخرج القاصدُ إلى دُقْمَاق وَقَف الأميرُ على باى الظاهرىّ الخازندار صاحب الوَقْعَة أيضا ، إلى السلطان وذكر له أن أخته أيضا عند الأمير دُقْمَاق ، فكتَبَ السلطانُ بإحضارها أيضا ، وسار البريدىّ من مِصر إلى دُقْمَاق بذلك ، فامتثل دُقْمَاق المرسومَ الشَّريف ، وأراد إرسال ٥ طَيْبَرْس المذكور ، فقال له دَوَادَاره :[2] [ما تريد تفعل ؟ فقال : أرسل المملوك الذى طلبه أستاذى إليه ، فقال دَوَادَارُه][2] : لا يمكن إرساله وَحْدَه ، جَهِّز معه عِدَّة مماليك وتقدمة هائلة ، وابعث بالمطلوب فى ضمنها ، فأعجب دُقْمَاق ذلك وجهَّزَ نحوَ ثمانية عشر مَملُوكاً صحبة طَيْبَرْس المذكور من جملتهم بَرْسْبَاى هذا وتِمْرَاز القَرْمَشِىّ أميرسلاح ، وأشياء أُخر من أنواع الفَرْو والقُمَاش والخَيْل والجمال ، ثمّ اعتذر دُقْمَاق عن إرسال ١٠ الجَارِيَة أنها حامل مِنْهُ ، والجاريةُ هى السِّت أردبَاى أمّ وَلَد دُقْمَاق ، وزوجة الأمير تِمْرَاز القَرْمَشِىّ أمير سلاح فى دولة الملك الظّاهر جَقْمَق المتوفى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وتُوفِّيت هى أيضاً بعده بأيّام ، وكلاهما بالطَّاعون . فسار البريدىّ بالمماليك والتقدمة من مَلَطْيَة إلى الديار المصرية ، فوصلها بعد مَوْت الأمير تنبك اليَحْيَاوِىّ المذكور ، وقد استقرّ عوضه فى الأمير آخورية الأمير نَوْرُوز الحافظىّ ، فقبل الملك الظاهر [بَرْقوق][3] ١٥ التقدمة ، وفرّق المماليك على الأطْبَاق ، فوقع بَرْسْبَاى هذا بطبقة الزَّمَّامِيَّة إنيًا للأمير جارْكَس القاسمىّ المصارع ، وتِمْرَازُ القَرْمَشِى إنيا ليَلْبُغا النَّاصرىّ ، فدَام بَرْسْبَاى بالطبقة مدّةً يسيرة وأعتقه السلطانُ ، وأخرج له خَيْلًا فى عدّة كبيرة من المماليك السلطانية .

وسبب سياقنا لهذه الحكاية أن قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر رحمه الله نسبه ٢٠ أنه عَتيقُ دُقْمَاق ، وليس الأمرُ على ما نقله ، وهو معذورٌ فيما نقله لبُعْدِه عن معرفة اللغة

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «مرسوم شريف» .
(٢–٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٤) .
(٣) إضافة على الأصل .

التركية ومداخلة الأتراك ، وقد اشتهر أيضا بالدُّقْمَاقِىّ فظَنّ أنه عَتِيقُ دُقْمَاق ، ولم يعلم أن نسبته بالدُّقْمَاقِىّ كما أن نسبة الوالد [رحمه الله](١) بالبَشْبُغَاوِىّ ، والملك المؤيد شيخ بالمحمودىّ ، ونَوْرُوز بالحافظىّ ، وجَكَم نائب حلب بالعَوَضِىّ ، ودَمُرْدَاش بالمحمدىّ وغيرهم ، وقد وقفت على هذه المقالة فى حياته على خَطّه ، ولم أعلم أن الخط خطه فإنه كان
٥ رحمه الله يكتب ألوانا ، وكتبتُ على حاشية الكتاب وبَيَّنتُ خطأه ، وأنا أظن أن الخط خطّ ابن قاضى شهبة ، وعادَ الكتابُ إلى أن وَقَع فى يد قاضى القضاة المذكور(٢) فنظَرَ إلى خطى وعَرَفَه ، واعترف بأنه وَهِم فى ذلك ، وكان صاحبُنا الحافظُ قطب الدين محمد الخيضرى حاضراً ، فذكر لى ما وقع ، فركبتُ فى الحال وهو معى وتوجّهنا إلى السَّيفىّ طُوغَان الدّقْمَاقى ، وهو من أكابر مماليك دُقماق ، وسألتُه عن الملك الأشرف
١٠ سؤال أستفهام ، فقال : هو عتيق الملك الظاهر بَرْقُوق وقدّمه أستاذنا إليه ، ثم حكى له ما حَكَيْتُهُ من سبب إرساله ، ثم عُدْنا وأرسلتُ أيضًا خلف جماعة من مماليك دُقْمَاق ، لأن غالبهم كان خدم عند الوالد بعد مَوْت دُقماق ، فالجميع قالوا مثل قول طُوغان الدُّقماقى ، فتوجّه قطبُ الدين المذكور ، وعرفه هذا كله ، فأنصف غاية الإنصاف ، وأصلح ما عنده ثم ذاكرتُ أنا قاضى القضاة المذكور فيما بعد ، وعرفته أن دقْماق قدّمه فى أوائل أمره ،
١٥ وأن بَرْسْبَاى صار ساقيًا فى دَوْلة الملك المنصور عبد العزيز ، معدوداً من أعيان الدولة ، يتقاضى حوائج دقماق بالديار المصرية ، ثم خرج بَرْسْبَاى عن طاعة الملك الناصر [فرج](٣) مع الأمير إينَال بَاى بن قَجْماس إلى البلاد الشامية وبقى من أعيان القَوْم ، كل ذلك ودُقْمَاق فى قيد الحياة بعد سنة ثمانٍ وثمانمائة ، وكان لَمّا قَدِم دُقْمَاقُ إلى مصر نزَل عند بَرْسْبَاى هذا وبَرْسْبَاى المذكور يخاطبه تارة يا خَوَنْد وتارة يا أغاة ، ثم عَرّفْتُهُ بأن ولد
٢٠ دُقْمَاق الناصرى محمدا من جُملة أصحابى ، وأن والدته الست أرْدُبَاى زوجة الأمير تِمْرَاز القَرْمَشِىّ أمير سلاح .

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٥) .
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٥٥ «ابن حجر» .
(٣) إضافة على الأصل .

قلتُ : وعلى كل حال إن هذا الوهم هو أقرب للعقل من مقالة المَقْرِيزِىّ فى الملك الظّاهر طَطَر « إن الملك الناصر فرجا أعتقه بعد سنه ثمانٍ فى سلطنته الثّانية » وأيضا أحسن مِمّا قاله المقريزىّ فى حقّ الملك الأشرف [بَرْسْبَاى][1] هذا بعد وفاته فى تاريخه « السلوك » فى وفيات سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، وقد رأيتُ أنّ السّكات عن ذكر ما قاله فى حقّه أَلْيَقُ والإضرابَ عنه أجملُ لِمَا وصَفَه به من الألفاظ الشّنيعة القبيحة التى ٥ يستحى من ذكرها فى حقّ كائنٍ مَن كان — انتهى .

وقد خَرَجْنَا عن المقصود ، ولنعد إلى ما نحن بصدده من ذكر الملك الأشرف [بَرْسبَاى][2] فنقول : واستمرّ الملك الأشرفُ من جُملة المماليك السلطانيّة إلى أن صار خاصّكيًّا ثم صار سَاقِيًا فى سلطنة الملك المنصور عبد العزيز ابن الملك الظاهر بَرْقُوق .

١٠ ثم خرج مع الأمير إينَال بَاى بن قَجْمَاس من الدّيار المصريّة — مُبَاينًا للملك الناصر فَرَج — إلى البلاد الشّامية ، ثم انضمّ مع الأميرين شَيْخ ونَوْرُوز وتقلّبَ معهما فى أيّام تلك الفِتَن ولا زَال معهما إلى أن قُتِلَ الملكُ الناصرُ فرج ، وقدِمَ إلى القاهرة صُحْبَة الأمير الكبير شَيْخ المحمودىّ ، فأنعمَ عليه الأميرُ شيخٌ المذكور بإمْرَة عشرة ، ثم نقله إلى إمْرَة طَبلخاناه بعد سلطنته ، فدام على ذلك سنين إلى أن نقله إلى إمْرَة مائة ١٥ وتقدمة ألف بالدّيَار المصريّة ، ثم ولّاه كشفَ التّرَاب بالغَرْبيّة من أعمال القاهرة ، إلى أن طلبه الملكُ المؤيّدُ شيخٌ وولّاه نيابة طَرَابُلُس بعد عزل الأمير بُرْدْبَك قَصْقَا الخليلىّ عنها ، وذلك فى يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، ولمّا وَلِيَ نيابة طَرَابُلُس كان فى خدمته جماعةٌ من مماليك الوالد [رحمه الله][3] من جُمْلَتِهم شخص يُسَمَّى سُودُون ، فطلبه أن يتوجّه معه إلى طَرَابُلُس ، فقال سُودُون : ٢٠ أنا ما أُخَلِّى جامع طُولُون وأتوجّه إلى طَرَابُلُس ، فتوجّه معه خُشْدَاشَاهُ أَزْدَمُرُ

(١ ، ٢) إضافة على الأصل .

(٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٥٧) .

وجَرِبَاش ، فلما تسلطن الأشرفُ — بعد أمور نذكرها — جعل أَزْدَمُر المذكور ساقيا ، ونَدِم سُودُون على مفارقته — انتهى .

وتوجّه بَرْسْبَاى المذكور إلى نيابة طَرَابُلُس ، ومعه سُودُون الأَسَنْدَمُرى وقد استقر أَتَابَك طَرَابُلُس ، وأقامَ بطَرَابُلُس مُدَّة إلى أن واقع التُّرْكُمان الإينالية[1] والبياضية[2] والأوشرية[3] على صَافيتَا من عمل طَرَابُلُس ، وكانوا حضروا إلى النّاحية المذكورة جَافِلِين من قَرَايُوسف ، وأفسدُوا بالبلاد ، فنهاهم الأميرُ بَرْسْبَاى المذكور فلم ينتهوا ، فركِبَ عليهم وقَاتَلَهم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان من سنة إحدى وعشرين المذكورة ، فَقُتِلَ بينهم خَلْقٌ كبير ، منهم : الأمير سُودُون الأَسَنْدَمُرى أتابك طَرَابُلُس ، وانهزَمَ باقيهم عُرَاةً ، فغضبَ الملكُ المؤيد ، ورسم بعزله عن نيابة طَرَابُلُس واعتقاله بقلعة المَرْقَب ، ووَلّى سُودُون القاضى نيابةَ طَرَابُلُس عوضه ، فدام فى سجن المَرْقَب مُدَّةً إلى أن كتبَ الملكُ المؤيد بالإفراج عنه فى العشرين من المحرم سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وأنعم عليه بإمْرَة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، كل ذلك بسعى الأمير ططَر فى أمْره ، فاستمرّ بدمشق إلى أن مات الملك المؤيّد ، وخرج جَقْمَق عن طاعة ططَر ، وقبض على بَرْسْبَاى المذكور ، وسجنه بقلعة دمشق إلى أن أطلقه الأتَابَك أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِىّ ، وخرج إلى ملاقاة الأمير ططَر لما قَدِمَ دِمَشْق ، وانضم عليه إلى أن خَلَع عليه ططَرُ باستقرارِه دَوَادَارًا كبيرا بعد الأمير على باى المؤيدىّ ، فلم تَطُل أيّامه فى الدَّوَادَارِيّة ، ومات ططَرُ بعد أن جَعَلَه لالا لِوَلَدِه الملك الصالح محمدّ ، وجعل جَانِي بَك الصُّوفِىّ الأتَابَك مُدبرَ مملكة ولده الصالح المذكور ، ووقع ما حكيناه فى ترجمة الملك الصالح من واقعته مع جَانِي بَك الصوفى ، ثم مع طرَبَاى ، ثم من خَلْعِه الملك الصالح وسلطنته .

---

(١) الإينالية : لعلها نسبة إلى إينال .

(٢) البياضية : نسبة إلى الكتائب البيضاء ، وأطلق عليها هذا الاسم لبياض ملابسهم أو أسلحتهم .
(Lane : aradic English Lexicon)

(٣) الأوشرية : انظر ما سبق ص ٤٨ حاشية (١) من هذا الجزء .

ولما تمّ أمر الملك الأشرف بَرْسْبَاى هذا فى السّلطنة ، وأصبح يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر خلعَ على الأمير بَيْبُغَا المُظَفّرِىّ أمير سلاح[1] باستقراره أتابَكَ العساكر بالدّيار المصريّة عوضاً عن الأمير طَرَبَاى وكانت شاغرة من يوم أمسك طَرَبَاى ، وخَلَع على الأمير قُجَق العِيسَاوِىّ أمير مجلس باستقراره أمير سلاح عوضا عن بَيْبُغَا المُظَفَّرِىّ ، وخلع على الأمير آقْبُغَا التَّمْرَازِىّ باستقراره أمير مَجْلس عوضا عن الأمير قُجَق .

وأوّل مابدأ به الأشرف فى سلطنته أنّه منع الناس كافّة من تقبيل الأرض بين يَدَيْه ، فامتنعوا من ذلك ، وكانت هذه العادة — أعنى عن تقبيل الأرض — جرَت بالديار المصريّة من أيّام المُعِزّ معدّ أوّل خلفاء بنى عبيد بمصر المقدّم ذكره فى هذا الكتاب ، وبقيت إلى يوم تاريخه ، وكان لا يعفى أحدا عن تقبيل الأرض .

والكلّ يقبل الأرضَ : الوزيرُ والأميرُ والملوكُ وصاحبُ القلم ورُسُلُ ملوك الأقطار ، إلاّ قضاة الشّرْع وأهل العِلْم وأشراف الحجاز ، حتى لو وَرَد مرسومُ السلطان على مَلك من نوّاب السّلطان قامَ على قَدَمَيْه وخرّ إلى الأرض وقبلها قبل أن يقرأ المَرْسُوم ، فأبطل الملك الأشرف ذلك وجعل بدله تقبيل اليد ، فمشى ذلك أيّاماً ثم بَطَلَ ، وعاد تقبيلُ الأرض لكن بطريق أحسن من الأولى ؛ فإن الأولى كان الشخص يخر إلى الأرض حتى يقبلها[2] كالسّاجد ، والآن صار الرجل يَنْحَنِى كالرّاكع ويضع أطرافَ أصابع يده على الأرض كالمُقَبِّل لها ثمّ يقوم ولا يُقَبِّل الأرضَ بفمه أبداً بل ولا يَصِلُ بوجهه إلى قريب الأرض ؛ فهذا على كلّ حالٍ أحسن مما كان أوّلا بلا مُدَافعة ، فَعُدَّ ذلك من حسنات الملك الأشرف بَرْسْبَاى .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور خلعَ السلطانُ الملكُ الأشرف على الأمير تَنِبَك العلائى مِيق نائب الشام خلعة السّفر ، وتوجّه إلى محلّ كفالته .

(١) ورد فى هامش اللوحة «واستقرار بيبغا أميرا كبيرا» .

(٢) فى الأصل « حتى يقبله » وما هنا من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٥٩) .

ومن خرق العادات أيضا فى سلطنة الملك[1] الأشرف أنه لما تسلطن لم يُنفِق على المماليك السّلطانية ، وأعجب من ذلك أنه ما طولِبَ بها ، وهذا أغرب وأعجب .

ثم رسم السلطان الملك الأشرف — فى يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ، ونُودِى بذلك فى القاهرة — بأن لا يُستَخْدَم أحدٌ من اليهود ولا من النصارى فى ديوان من دواوين السُّلطان والأمراء ، وصمّمَ الأشرف على ذلك ، فلم يسلم من بعض عُظَمَاء الأَقْبَاط من مباشرى الدّولة فلم يتمّ ذلك .

ثم قدم الخبر على السلطان بكثرة الوَبَاء ببلاد حَلَب وحماة وحمص فى رابع عشر جمادى الآخرة ، ورسَمَ السلطان فنُودِىَ بسفر الناس إلى مَكّة فى شهر رجَبَ ، فكثرت المَسَرّات ، بذلك لبعد العهد بسفر الرجبيّة .

ثم جلس السلطانُ للحُكْم بين الناس كما كان الملك المؤيّد ومَنْ قبله ، وصار يحكم فى يومَى السبت والثلاثاء بالمقعد من الإسطبل السلطانى ، ثم كتبَ السلطان إلى الأمير تَنِبَك البَجَاسِىّ نائب حَلَب أن يتوجّه إلى بَهَسْنَا[2] لحصار تَغْرِى بَرْدِى المُؤَيّدِى المعزول عن نيابة حَلَب .

ثم ورد الخبرُ على السلطان بخروج الأمير إينَال نائب صَفَد عن الطاعة ، وكان سبب خروجه عن الطّاعة أنه كان من جُمْلة مماليك الملك الظّاهر ططَر ، ربّاه صغيرا ثم ولاه نيابة قلعة صَفَد بعد سلطنته ، فلما قام الملكُ الأشرف بعد الملك الظاهر ططَر بالأمر وَلّى إينَالَ المذكور نيابة صَفَد ، وبلغه خلعُ ابنِ أستاذه الملك الصالح محمد من السلطنة ، فشَقّ عليه ذلك ، وأخذ فى تَدْبير أمرِهِ ، واتّفق مع جماعة على العِصْيَان ، وخرج عن الطّاعة ، وأفرج عمّن كان مَحْبُوساً بقلعة صَفَد ، وهم : الأمير يَشْبُك أنَالِى المؤيّدى

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «عدم النفقة على المماليك فى سلطنة الملك الأشرف» .

(٢) بهسنا : قلعة بين مرعش وسميساط شمالى حلب على أربع مراحل منها ، وفى الغرب والشمال من عينتاب ، بينها وبين سيس نحو ستة أيام. هامش (ج ٨ : ١٤ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) و (ياقوت — معجم البلدان ١ : ٧٧٠) .

الأستادار ثم رأس نوبة النُّوَب ، والأمير إينَال الجكَمِى أمير سلاح ثم نائب حَلَب ، والأمير جُلُبَّان أمير آخُور أحد مقدّمى الألوف ، وقَبَض على من خَالَفَهُ من أمراء صَفَد وأعيانها ، فى الحال كَتَبَ السلطانُ الملك الأشرف للأمير مُقْبِل الحسامى الدَّوَادَار حاجب حجّاب دِمَشْق باستقراره فى نيابة صَفد[1] ، وأن يستمرّ إقطاع الحجوبيّة بيده حتى يتسلّم صَفَد ، ثم كتب إلى الأمير تَنِبَك مِيق نائب الشّام أن يخرج بعسكر دِمَشْق ٥ لقتال إينَال المذكور ، وبينما السلطانُ فى ذلك ورَدَ عليه الخبر بوقعةٍ كانت بين الأمير يونُس الرُّكْنِيّ نائب غَزَّة وبين عَرَبَ جرم ، وان يُونُس المذكور انهزَمَ وقُتِل عِدَّةٌ من عسكره ، ثم ورَدَت الأخبـــار بكثرة الفتن فى بلاد الصَّعيد ، ثم ورَدَ على السلطانِ كتابُ الأمير تَنِبَك مِيق نائب الشّام بمجىء الأمير إينَال الجكمى ، و يَشْبُك أنَالِى ، وجُلُبَّان أمير آخُور إليه من صَفَد طائعين للسلطان ، فدقّت البشائر لذلك . ١٠

وفى سابع عشرين شهر رجب قَدِمَ الأميرُ فَارِس نائب الإسكندرية إلى القاهرة بطَلَب ، وخلع عليه باستمراره على إمرته وإقطاعه بمصر ، وهى تقدمه ألف بالدّيار المصرية، وخلع على الأمير أَسَنْدَمُر النوريّ الظاهرِيّ بَرْقُوق أحد أمراء الألوف باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن فَارِس المذكور .

ولما كان يوم الخميس رابع شعبان — الموافق لتاسع عشرين أبيب[2] — أوفَى ١٥ النيلُ ستّة عشر ذراعا ، وهذا من النَّوَادِر من الوفاء قبلَ مِسْرَى بيومين ، فتباشَرَ الناسُ بكَعْبِ المَلِك الأشرف [بَرْسْبَاى][3] .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان المذكور أُخْرِجَ الملك المظفَّر أحمد ابن الملك المؤيّد شيخ وأخوه من قلعة الجَبَل نَهارًا وحُمِلَا فى النّيل إلى الإسكندرية .

وفى هذا الشهر كَثُرَ عبثُ الإفرنج بسواحل المُسامين ، وأخذوا مركبا للتجّار ٢٠

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار مقبل فى نيابة صفد» .
(٢) ورد فى هامش اللوحة «وفاء النيل» .
(٣) إضافة على الأصل .

من ميناء الإسكندرية فيها بضائع بنحو مائة ألف دينار ، فشَقّ ذلك على الملك الأشرف إلى الغاية مع شُغْله بنائب صَفَد .

ثم فى حادى عشرين شهر رمضان خلَع السلطانُ على الأمير أَيْتَمُش الخضرى الظَّاهرىّ باستقراره أستادارا عوضا عن أَرْغُون شاه النَّوْرُوزِىّ الأعور ، وقدم عليه الخبرُ بتوجّه عسكر الشام مع الأمير مُقْبِل إلى جهة صَفَد ، وأنه مستمرٌّ على حصار صَفَد، فسُرّ السلطانُ بذلك ، وكتب إلى نائب الشام بالقَبْض على الأمير إينَال الجكمى و يَشْبُك أنَالِى وجُلُبَّان وحَبْسِهم بقلعة دِمَشْق .

ثم فى سابع عشرين شوّال قدِمَ الخبرُ على السلطان بأخذ صفد ، وقدم من صفد ثلاثون رجلا فى الحديد مِمَّن أُسِرَ من أصحاب إينال نائب صفد ، فرَسَم السلطانُ بقطع أيديهم فقطعوا الجميع إلا واحداً منهم فإنه وسط ، وأخرج الذين قطعت أيديهم من القاهرة من يومهم إلى البلاد الشامية ، فمات عِدَّةٌ منهم بالرمل ، ولم يشكر الملكُ الأشرفُ على ما فعله من قطع أيدى هؤلاء .

وكان من خبر هؤلاء وإينَال نائب صَفَد أنه لما قَدِمَ عليه الأميرُ مُقْبِل الدَّوَادَار بعساكر دِمَشْق انهزمَ منهم إلى قلعة صَفَد، فلم يزل مقبل على حصار قلعة صَفَد، إلى يوم الاثنين رابع شوال فنزل إليه إينال بمن معه بعد أن تردَّدت الرسل بينهم أيَّاماً كثيرة ، فتسلم أعوانُ السلطان قلعة صَفَد فى الحال ، وعندما نزل إينال أمر الأميرُ مقبل أن تُفَاض عليه خلعةُ السلطان ليتوجّه أميراً بطرابلس ، وكان قد وُعِدَ بذلك لما تردَّدت الرسلُ بينهم وبينه مرارًا حتى استقرّ الأمر على أن يكون إينالُ المذكور من جملة أمراء طرابلس ، وكتبَ له السلطان أماناً ونسخة يمين فانخدع المخمول ونَزَلَ من القلعة ، فما هو إلا أن قام بلبس الخلعة وإذا هُمْ أحاطوا به وقيَّدُوه وعاقبوه أشدّ عُقُوبة على إظهار المال ، ثم قتلوه وقتلوا معهمائة رجل ممن كان معه بالقلعة ، وعلّقوهم بأعلاها ، ثم أرسلوا بهذه الثلاثين الذين قطعت أيديهم .

ثم بعد ذلك بأيام ورَدَ الخبر بأن الأمير تغرى بَرْدِى المؤيدى سلم قلعة بهسنا و نَزَل

بالأمان فأخذه تنبك البجاسى ، وقيده وحمله إلى قلعة حَلَب فسجنه بها ، وزال ما كان بالملك الأشرف من جهة صفد وبهسنا ، وهدأ سره واطمأن خاطره .

ثم فى يوم الاثنين ثانى ذى القعدة ركب السلطانُ من قلعة الجبل إلى مطعم الطُّيُور بالريدانية خارج القاهرة ولبس به قماش الصوف برسم الشتاء على عادة الملوك ، ثم عاد إلى القاهرة من باب النّصر ، ورأى عمارته بالركن المخلّق[1] ، وخرج ٥ من باب زويلة إلى القلعة ، ونثر عليه الدنانير والدراهم ، وهذه أوّل ركبة ركبها من يوم تسلطن .

ثم فى يوم الخميس خامس ذى القعدة عزل السلطان أيتمُش الخضرى[2] عن الأستادارية وأُعِيد إليها أرْغُون شاه النوروزى ، ولم تشكر سيرة أيتمش لشدة ظلمه مع عجزه عن القيام بالكلف السلطانية . ١٠

ثم فى يوم الخميس رابع ذى الحجّة اختفى الوزيرُ تاج الدين عبد الرزّاق بن كاتب المناخ فخلع السلطانُ على أرغون شاه الأستادار وأضيف إليه الوزر[3] فى يوم الاثنين ثامن ذى الحجّة .

ثم خَلع السلطانُ على القاضى عَلَم الدين صالح ابن الشيخ سراج الدين عمر البلقينى باستقراره قاضىَ قضاة الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن ولىّ الدين أبى زرعة ١٥ العراقى بحكم عزله .

ثم فى المحرم أنعمَ السلطانُ على مملوكه جانبك الخازندار بإمْرَة طبلخاناه من جملة إقطاع الأمير فَارِس المعزول عن نيابة الإسكندريّة بعد موته .

ثم رَسَمَ السلطانُ بطلب الأمير إينَال النوروزى نائب طرابلس لحَضَرَ إلى القاهرة

(١) الركن المخلق : انظر فى التعريف به (الحاشية ٤ ص ٣٤ ج ٤ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) ٢٠

(٢) ورد فى هامش اللوحة « عزل ابن الخضرى عن الأستادارية » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « استقرار أرغون شاه أستادارا ووزيرا » .

فى يوم الاثنين سادس عشرين صَفَر من سنة ست وعشرين وثمانمائة ، وطلع إلى القلعة فأكرمه السلطانُ .

وخلع على الأمير قَصْرُوَه من تمراز الأمير آخور الكبير باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن إينال النوروزى المقدَّم ذكره ، وأنعم على الأمير إينال المذكور بإقطَاع الأمير قَصْرُوَه ، وإينال المذكور هو صهرى زوج كريمتى ، وأخذ الأميرُ قصروه فى إصلاح شأنه إلى أن خلع السلطانُ عليه خِلعة السَّفر فى يوم ثانى عشر صفر ، وخرج من يومه ولم يستقر أحدٌ فى الأمير آخورية الكبرى .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين ثارت ريحٌ مريسية[1] طول النهار ، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة ظهر فى السماء صفرة من عند غروب الشمس كست الجو والجدران والأرض بالصفرة ، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة ، فما بقى أحدٌ إلا واشتد فَزَعه ، ولهجت العامة بأن القيامة تَقُوم .

فلمَّا كان بعد ساعة وهو وقتُ الغُرُوب أخذ الظلامُ يَنْجَلِى قليلا قليلا ويعقبُه ريحٌ عاصف [حتى][2] كادت المبانى تَتَساقَطُ منه ، وتمادى ذلك طول ليلة الأربعاء ، فرأى الناسُ أمرًا مهولا مُزْعِجًا من شدّة هُبُوب الرِّيَاح والظُّلْمَة التى كانت فى النهار ، وعمّت هذه الظلمةُ أرضَ مصر حتى وصلت دِمْيَاط والإسكندرية وجميع الوَجْه البحرى وبعض بلاد الصَّعيد ، ورأى بعضُ من يُظَنُّ به الخيرُ والصلاحُ فى منامه كأن قائلا يَقُول له : لولا شفاعة رسول الله — صلّى الله عليه وسلم — لأهل مِصر لأهلكَتْ هذه الريحُ الناسَ ، لكنه شفع فيهم فحصل اللطف . قلتُ : لم أر قَبْلَها مِثْلَها ولا بَعْدَها [مثلها][3] ، وكان هذا اليوم من الأيام المَهُولة التى لم يُدْرِكها أَحَدٌ من الطاعنين فى السِّن — انتهى .

(١) ورد فى هامش اللوحة « إثارة الريح المريسى» والريح المريسى هى ريح الجنوب التى تأتى من قبل مريس ، وهى بلدة بأعلى بلاد النوبة التى تلى أرض السودان (لسان العرب — م رس) .

(٢ ، ٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٦٤) .

ثمّ في يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر رَكِبَ السلطانُ من قَلْعة الجبل وعدّى النيل إلى بَرِّ الجيزة، وأقام بناحية وَسِيم — حيث مَرْبَط الخيول على الرَّبيع — بأمرائه ومماليكه يتنزه، وأقام به سبعة أيّام والخِدْمَة تُعْمل هناك إلى أن عاد فى تاسعه، وأقام بالقلعة إلى يوم الخميس سادس عشرين [شهر][1] ربيع الآخر المذكور فوصل فيه الأمير تَنبَك البَجَاسِى[2] نائب حَلَب إلى القاهرة وطَلَعَ إلى السلطان، وقبّل الأرضَ بين يَدَيْه ٥ على ما قرّره الملك الأشرف فى أوّل سلطنته، ثم خَلَعَ السلطان عليه خلعة الاستمْرار وأنزله بمكانٍ ورتَّب له ما يَلِيقُ به، وأقام تَنبَك إلى يوم الخميس ثالث جُمادى الأولى، وخَلَعَ السلطانُ عليه خلعة السّفر، وخرج من يومه إلى محلّ كَفَالته بحَلَب.

ثم فى يوم الاثنين رابع عشر جُمادى الأُولى المذكورة خلَعَ السلطانُ على الأمير جقْمق[3] العلائى حاجب الحجّاب باستقراره أميرَ آخور [كبيراً][4] عوضاً عن قَصْرُوه ١٠ المنتقل إلى نيابة طَرَابُلُس، وكانت شاغرة من يوم وَلِيَ قَصْرُوه نيابة طَرَابُلُس إلى يومنا هذا.

ثم ورد الخبرُ فى جمادى الآخرة بعظم الوبَاء بدِمَشْق، وأنه وصل إلى غَزَّة، واستمرّ السلطانُ ولم يكن عنده ما يُشَوّش عليه فى جميع أشيائه إلى أن كانَ يوم الجمعة سابع شعبان ورد الخبرُ على السلطانِ بأنّ الأمير الكبير جَانِي بَك الصُّوفِى فرّ[5] من ١٥ الإسكندرية من البُرْج الذى كان مَسْجُوناً به، وخرج من الثّغر المذكور ولم يَفطِن به أحدٌ، فلمّا سَمِع السلطانُ هذا الخبر كادت نفسه أن تزْهَق، وقامت قيامته، ومِن يومئذ حلّ بالناس من البلاء والعقوبات والهَجْم على البيُوت ماسنذكره فى طولِ سلطنته،

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٦٤).

(٢) ورد فى هامش اللوحة «وصول تنبك البجاسى نائب حلب». ٢٠

(٣) ورد فى هامش اللوحة «استقرار جقمق العلائى أمير آخور كبيرا».

(٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٦٥) وهامش اللوحة.

(٥) ورد فى هامش اللوحة «الخبر بفرار جانى بك الصوفى من إسكندرية».

وتنغّص عَيشُ الأشرف من يوم بلغه الخبرُ، واستوحش من جماعة كبيرة من أمرائه، وأمسكهم ونفى منهم آخرين — حسبما نذكر ذلك كلّه فى وقته.

ثم فى يوم الخميس العشرين من شعبان خلَع السلطانُ عَلَى الأمير جَرِبَاش الكَرِيمىّ المعروف بقاشق باستقراره حاجب الحجّاب بالدّيار المصرية عوضا عن جَقْمَق العلائى بحُكم انتقال جَقْمَق أمير آخور كبيرا، وكانت الحجوبيّة شاغرة عن جَقْمق من يوم وَلِىَ الأمير آخورية.

وفيه رسم السلطانُ بانتقال الأمير تَنبَك البَجَاسىّ نائب حَلَب إلى نيابة دِمَشْق[1] عوضا عن الأمير تَنبَك مِيق بحُكمْ وفاته، واستقر الأمير جارْ قُطْلُو الظاهرىّ نائب حَمَاة[2] فى نيابة حَلَب عوضا عن تنبَك البَجَاسىّ، وكان جارْقُطْلو أيضا وَلِىَ نيابة حَمَاة عن تنبَك البَجَاسىّ كما تقدّم ذِكْرُه؛ وكذا وقع أيضا فى الدّولة المؤيّدية أنه بعد عِصيَان تنبَك البَجَاسىّ مع قَانِى بَاى نائب الشّام وتوجّهه إلى بلاد الشّرْق وَلِىَ جارْقُطْلو نيابة حَمَاة بعده أيضا، والعجبُ أن جارْقُطْلو كان أغاة تنبَك البَجَاسىّ، فكانا إذا اجتمعا فى مُهِمٍّ سلطانى لا يَجْلِسُ تنبَك البجاسى من ناحية جار قطلو لئلا يَجْلِس فَوْقَه حياء منه — انتهى.

وتولى الأميرُ جُلُبّان أمير آخور المؤيّد — وهو يوم ذاك أحد مقدّمى الألوف بدمَشْق — نيابةَ حماة عوضا عن جارْقطلو، وتوجّه الأمير جانى بَك الخازندار الأشرفى[3] فى ثامن عشرين شعبان المذكور بتقاليد المذكورين وتشاريفهم الجميع، وكان هذا الأمر يتوجه فيه ثلاثةٌ من أعيان الأمراء، فأضاف الأشرف جميعَ ذلك لجانِى بَك، كونه كان خصّيصا عنده ربّاه من أيام إمْرَته، فعاد إلى مصر ومعه من الأموال جملة مستكثرة.

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار تنبك البجاسى فى نيابة الشام».

(٢) ورد فى هامش اللوحة «استقرار جارقطلو فى نيابة حماة».

(٣) ورد فى هامش اللوحة توجه الأمير جانى بك البلاد الشامية بسبب تقليد النواب».

ثم في يوم الاثنين ثاني شهر رمضان — الموافق لسادس عشر مِسْرى — أوفى النيلُ ستة عشر ذراعا فنزل المقامُ الناصري محمد بن السلطان في وجوه الأمراء وأعيان الدولة حتى خلّق المقياس، وفتح خليج السدّ على العادة، وهو أوّل نزوله إلى ذلك، وكان في العام الماضي تولّى ذلك الأميرُ الكبيرُ بَيْبُغَا المُظَفَّرى.

وفيه أخرج السلطانُ الأميرَ سُودُون الأشقر الظاهِرىّ[1] رأس نوبة النّوَب — كان — في دولة الملك الناصر، ثم أمير مَجْلِس في دولة الملك المؤيّد، وهو يومئذ أمير عشرين بمصر، منفيًّا إلى القُدْس، ثم شُفِعَ فيه فأُنعم عليه بإمْرَة مائة و تقدمة ألف بدمَشْق، وأُنعم بإمْرَتِهِ على شَرِيكه الأمير كُزُل العَجَمِىّ الأَجْرُود الذى كان حاجب الحجّاب في الدّولة الناصريّة فَرَج، فصار من جملة الطبلخانات، والإقطاع المذكور هو ناحية مَيْمون بالوجه القِبْلى.

وفيه ندبَ السلطانُ عِدّةَ أمراء إلى السّوَاحِل لِوُرودِ الخبر بحركة الفرنج، فتكامَلَ خروجُهم في ثامن عشرين شهر رمضان المذكور، وكان الذى توجّه منهم من مقدّمى الألوف إلى ثغر الإسكندرية الأمير آقْبغَا التمْرَازِىّ أمير مجلس.

ثم في يوم الخميس عاشر شوّال خَلَعَ السلطانُ على جَمَال الدين يُوسُف بن الصَّفِىّ[2] الكَرَكِىّ، واستقرّ كاتب السِّرّ الشّرِيف بالديار المصرية بعد موت عَلَم الدين داود ابن الكُوَيْز.

قال الشيخ تقىّ الدين المقريزى — رحمه الله تعالى: فأذكرتنى ولايته بعد ابن الكُوَيز قولَ أبى القاسم خَلَف الألبيرى المعروف بالسميسر وقد هلك وزير يهودِىٌّ لباديس بن حبوس الحِمْيَرى أمير غرْناطة من بلاد الأندلس فاستوزر بعدَ اليهودى وزيراً نصرانيا فقال: [الخفيف]

كلّ يَوْمٍ إلى وَرَا بَدّلَ البَوْلَ بالخرا

(١) ورد في هامش اللوحة «ترجمة سودون الأشقر».

(٢) ورد في هامش اللوحة «استقرار يوسف بن الصفى كاتب السر وترجمته».

فَزَمانا تَهَوَّدَا وزمانا تنَصَّرَا
وسَيَصبُو إِلَى المَجُو سِ إذَا الشَّيْخُ عمرَا

قال وقد كان أبو الجمال هذا من نَصَارى الكَرَك ، وتظاهر بالإسلام فى واقعة كانت للنّصَارَى هو وأبو عَلَم الدين داود بن الكُوَيْز ، وخدَم كاتبا عند قاضى الكَرَك عماد الدين أحمد المقيرى ، فلما قَدِم عماد الدين إلى القاهرة وصلَ أبو جَمَال الدين هذا فى خِدمَته ، وأقامَ ببابه حتى مات وهو بائس فقير ، لم يزل دَنِس الثياب مغتم الشكل ، وابنه جمال الدين هذا معه فى مثل حاله ، ثم خَدَم جمالُ الدين هذا بعد موت القاضى عماد الدين عندالتّاجر بُرهَان الدين إبراهيم المحلى كاتبًا لدَخْلِهِ وَخَرْجه ، فحسنت حاله ورَكِبَ الحِمَارَ ، ثم سار بعد المحلى إلى بلاد الشّام وخدم بالكتابة هناك ، حتى كانت أيّام [الملك] (١) المؤيّد شيخ فولّاه علمُ الدين بن الكُوَيز نظرَ الجيش بطرَابُلُس ، فكَثُرَ مالُه بها ، ثم قَدِمَ فى آخر أيّام ابن الكُوَيز إلى القاهرة ، فلما مات ابن الكُوَيز وعَدَ بمالٍ كبير حتى وَلِيَ كتابة السِّرّ بالديار المصرية ، فكانت ولايتُه من أقبَح حادثة رأيْنَاها — انتهى كلام المقريزى برمته .

قلتُ : وعُدّ ولاية هذا الجاهل لمثل هذه الوظيفة العظيمة من غلطات الملك الأشرف وقبيح جهله ، فإنه لو كان عند الملك الأشرف معرفةٌ وفضيلةٌ [لأُنتظر] (٢) حتى يرد عليه كتاب من بعض ملوك الأقطار يشتمل على نثر ونظم وفصاحة وبلاغة ، وأراد الأشرف من كاتب سِرِّه أن يجيب عن ذلك بأحسن منه أو بمثله — كما كان يفعله الملك الناصر محمد بن قلاوون وغيره من عظماء الملوك — لَعَلِمَ تقصيرَ من ولّاه لهذه الوظيفة ، ولأُحتاج لعزله فى الحال ولِولايةِ غيره ممن يصلح ؛ لئلا يظهر فى مُلكه بعضُ تقصير ووهن ؛ لأنه يقال فى الأمثال « تُعْرَفُ شهامة الملك وعظمتُه من ثلاث : كتابهُ ، ورسله ، وهديته » فهذا شأن من يكون له شهامة وعلوّ همّة من الملوك [وأما

(١) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٦٨) .
(٢) إضافة يقتضيها السياق .

الذى بخلاف ذلك فَسُدَ بمن شئت وول من كان — بالبذل — ولو كان حارس مقات] (١) ولهذا المقتضى ذهبت الفنون ، واُضمحلّت الفضائلُ ، وسعى الناس فى جَمْع المال حيث علموا أن الرُّتَب صارت مَعْذوقة بالباذل (٢)لا بالفاضل ، وهذا على مذهب من قال : — [الكامل] ٥

المَالُ يَسْتُر كلَّ عَيبٍ فِى الفَتى ... وَالمَال يَرْفَع كلَّ وَغْد سَاقِطِ

فَعَلَيْكَ بالأَمْوَالِ فاقْصِد جَمْعَهَا ... وأضْرِبْ بِكُتْبِ الْفَضْلِ بَطْنَ الحائِط

— انتهى .

ثم كتب السلطان بأستقرار الأمير آقْبُغَا التَّمْرَازِى أمير مجلس فى نيابة الإسكندرية(٣) عوضاً عن الأمير أَسَنْدَمُر النُّورِىّ الظاهرى بَرْقُوق ، وقَدِمَ أَسَنْدَمُر [المذكور](٤) ١٠ من الإسكندرية إلى القاهرة فى رابع عشر شوال وقبّل الأرض ، ونَزَلَ إلى داره ، وكان بيده إمْرَة مائة وتقدمة [ألف] (٥) زيادة على نيابة الإسكندرية ، وبعد نزوله أرسل السلطانُ خلفَ السَّيفى يَلْخَجَا من مَامِش السَّاقى الناصرىّ وأمَرَه أن يأخذ الأمير أَسَنْدَمُر هذا ويتوجّه به إلى ثَغْر دِمْيَاط بطّالاً ، وكان ذنبُ أَسَنْدمُر المذكور تَفْرِيطَه فى أمر جانى بَك الصُّوفى حتى فرّ من سجنه ، ولولا أن أَسَنْدمر المذكور كان ١٥ من أَغْوَات الملك الأشرف المذكور ومن أكابر إِنِّيَات الأمير جاركَس القَاسمىّ المُصَارِع لكانَ له معه شأن آخر .

ثم فى تاسع عشر شوّال خَرَج مَحْمَلُ الحاج صحبة أمير الحاج الطّوَاشى افتِخَار الدين ياقوت الأَرْغُون شَاوِىّ الحبشى مقدم المماليك السلطانيّة ، وهذه ثانى سَفْرة سافرها

٢٠

(١-١) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٦٨) .
(٢) فى الأصل «بالبذل» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٦٩) .
(٣) ورد فى هامش اللوحة «قدوم أسندمر نائب إسكندرية» .
(٤، ٥) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٦٩) .

بالمحمل ، وكان أميرُ حاج الأوّل الأميرَ إينال الشِّشْمَانِيّ الناصرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وحَجَجْتُ أنا أيضاً فى هذه السنة .

ثم فى سابع عشرين شوّال أمسكَ السلطانُ الأمير أرْغُون شاه النَّوْرُوزِى الأستادار والوزير لعجزه عن القيام بجَوَامِك المماليك السلطانية مع ظُلمِه وعَسْفِه .

٥ ثم أصبح السلطانُ فى يوم الاثنين ثامن عشرينه خلع على ناصر الدين محمد ابن شمس الدين محمد بن موسى المعروف بابن المرداوى والمعروف بابن بُولِى ، والعامة تسميه ابن أبى وَالى باستقراره أستادارا عوضاً عن أرْغُون شاه المذكور ، وعوقب أرْغُون شاه بين يدَى السلطان .

وخبر ابن بولى هذا وأصله أنه كان أبوه من حجة ومردة من أعمال الشّام ، وسكن ١٠ القُدْس وصارَ من جُمْلة التُّجَّار ، ووُلِدَ له ابنه هذا فتزيّا بزىّ الجند وخدم من جملة الأجناد البلاصيّة[1] عند الأمير أرْغُون شاه المذكور أيام أستاداريته لنَوْرُوز ، ثم تنقّل إلى أن صار أستادار الأمير جَقْمَق الدّوَادار وصادره جقمق وصرفه بعد أن كثر ماله ، ثم خَدم بعد ذلك فى عِدّة جهات إلى أن طُلِبَ إلى مصر ، وأُلْزِم بحمل عشرين ألف دينار ، فوَعَد أنه يَحْمل منها ثلاثة آلاف دينار ويُمْهَل فيما بقى عِدّة أيام ، فلمّا ١٥ قبَض السلطانُ على أرْغُون شاه المذكور سَوّلَت له نفسهُ وزَيّنَ له شيطانُه أن يكون أستادارا ويسدّ المبلغَ الذى أُلْزِم بحمله من وظيفة الأستادارية ، فكان خلاف ما أمّل ، ونزل بالخلعة إلى بيت أرْغُون شاه المذكور وعليه قماشُه ، ثم تسلّم أرْغُون شاه وأدْخَلَه إلى داره المذكورة وهو فى الحديد ، فرأى أرْغُون شاه مَنْ كانَ مِن جُمْلة غِلمانه قد جَلَس على مقعده وفى بيته وتحكّم فيه وأخذ يعاقبه بحضرة مَنْ كان يخدمه بها ، فلما ٢٠ رأى ماحلّ به دَمَعَت عَيْناه وبَكى ، فكان فى هذا الأمر عِبرَة لمن اعتبر .

وفى هذا اليوم المذكور خَلَعَ السلطانُ عن الأمير إينَال النَّوْرُوزِىّ المعزول عن نيابة طَرَابُلُس قبل تاريخه باستقراره أمير مجلس عوضا عن آقْبُغَا التِّمْرَازِى ، وكلاهما

(١) البلاصية : انظر ما سبق ص ٤١ حاشية (١) من هذا الجزء .

صِهْرِى وزوج إحدى أخواتى .

وفيه أيضا خَلَع السلطانُ على كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن كاتب المناخ باستقراره وزيراً وذلك فى حياة والده ، حكى الصاحبُ كريم الدين قال : دخلت بخلعة الوزارة على والدى فقال لى : يا عبد الكريم أنا وُلِّيتُ هذه الوظيفة ومعى خمسون ألف دينار ذَهَبَت فيها ولم أسد ، تسد أنت من أين ؟ قال ٥ فقلتُ : من أضلاع المسلمين ، فضحك وحوّل وجهه عنى .

ثم فى يوم الخميس أوّل ذى القعدة قَدِمَ إلى القاهرة جماعةٌ من إخوة السلطان وأقاربه من بلاد الجاركس بعد أن خرج الأمراء إلى لقائهم ، وكبير القوم يَشْبُك أخو السلطان الملك الأشرف .

وفيه خرجَ من القاهرة الأميرُ قُجَق العِيساوِىّ أمير سلاح ، والأمير أرْكَماس ١٠ الظاهرى أحد مقدّمى الألوف ، وزين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش إلى مكة[1] على الرَّوَاحِل حاجِّين .

ثم فى سادس عشر ذى القعدة [المذكورة][2] قَدِمَ الأميرُ جانى بَك الأشْرَفِىّ الخازِنْدَار من الشَّام بعد تقليد نائبها الأمير تَنِبَك البَجَاسِىّ فخلع السلطانُ عليه باستقراره دَوَادَاراً[3] ثانياً عوضاً عن الأمير قَرْقَمَاس الشَّعْبَانى النَّاصرى فرج بحُكْم استقراره أمير ١٥ مائة ومقدّم ألف وتوجّهه أميرَ مَكَّة ، ومن يومئذ عَظُم أمر جانى بك المذكور فى الدّوْلة حتى صار هو صاحب عَقْدِها وحَلِّها ، ونال من السعادة والوجاهة والحُرْمَة فى الدّوْلة ما لَمْ ينله دَوَادَارٌ فى عصره ولا مِن بعده إلى يومنا هذا .

وفى هذه الأيام اشتدَّ طَلَبُ السلطانِ على جَانِى بَك الصُّوفِىّ ، وقبض على بعض المماليك بسببه ، وعوقب بعضهم حتى هَلَكَ ، ثم أمسكَ السلطانُ أصْهَار جانى بك الصُّوفى ٢٠

(١) ورد فى هامش اللوحة «توجه الأمراء إلى الحجاز الشريف» .
(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧١) .
(٣) ورد فى هامش اللوحة «استقرار جانى بك دوادارا ثانيا» .

أولاد قُطْلُو بَك الأستادار ، وعاقب بعض حواشيهم ، هذا بعد الهَجْم على بيوت جماعة كبيرة ممن يَغْمِزُ عليهم بعض أعدائهم ، فيحل على صاحب البيت المذكور من البلاء والرجيف مالا مَزِيد عليه ، وتداوَل ذلك سنين وهذا أوله حسبما يأتى ذكره .

ثم فى ثامن عشرين ذى الحجة قَدِمَ مبشِّرُ الحاج وأخبرَ بالأمن والرّخاء وكثرة الأمطار ، غير أن الشريف حسن بن عَجْلَان لم يقابل أمير الحاج ونزح عن مَكَّةَ لما أشيع أن السلطان يُرِيدُ القبضَ عليه ، فغَضِب السلطانُ لذلك ورَسَم فَنُودِىَ على المماليك البطّالين ليجهزوا إلى التجريدة لقتال أشْرَاف مَكَّةَ .

ثم اشْتَغَلَ السلطانُ عن ذلك بأمر جانى بَك الصُّوفى ، وأخذ فيما هو فيه من كَبْس البيوت وإرداع الناس ، وأيضاً لما ورَدَ عليه أن متملك الحبشة وهو أبرم ويقال إسحق ابن داود[1] بن سيف أرعد قد غضب بسبب غلق كنيسة قمامة[2] بالقُدْس ، وقتل عامّة من كان فى بلاده من رجال المسلمين ، واسترَقّ نساءهم وأولادهم ، وعذّبهم عذاباً شديداً ، وهدم ما فى مملكته من المساجد ، وركب إلى بلاد جَبَرْت ، فقاتلهم حتى هزمهم ، وقتل عامّة من كان بها ، وسبى نساءهم ، وهدم مساجدهم ، فكانت فى المسلمين ملحمة عظيمة فى هذه السّنة لا يحصى فيها مَنْ قُتِل من المسلمين ، فاشتاط السلطانُ غضَبًا ، وأراد قَتل بَطْرَك النَّصارى وجميع ما فى مملكته من النَّصارى ثم رجع عن ذلك .

ثم فى يوم الاثنين ثانى المحرم من سنة سبع وعشرين وثمانمائة قَدِمَ الأميرُ مُقْبِل الحسامى الدَّوَادار نائب صَفَد إلى القاهرة ، وقبّل الأرض بين يَدَى السلطان ، فخلع عليه باستقراره على عمله[3] .

وفى ثامن المحرم قَدِمَ الأمير قُجَق ، وأرْكَماس الظاهرى وعبدُ الباسط من الحج ،

(١) ورد فى هامش اللوحة «كائنة ملك الحبشة بالمسلمين »

(٢) كنيسة قمامة : هى كنيسة القيامة أشهر الكنائس المسيحية طرا ، وانظر فى التعريف بها (الحاشية ١ ص ١٦٢ ج ٧ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٣) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٧٢ «على عادته» .

وتأخّر الأمير قَرْقَمَاس الشَّعْبانى بالينْبُع، وأرسل يطلب عسكراً ليُقاتل به الشّريف حسن بن عَجْلَان صاحب مَكّة ويستقرّ عوَضه فى إمْرَة مَكّة ، فنُودِى على المماليك البطّالة وعيّن منهم جماعة مع حُسَين الكُرْدِى الكاشف ليتوجّه بهم إلى مكة .

هذا وقد اشتغل سر السلطان[1] بما أشيع من عصيان الأمير تَنبك البَجَاسى نائب دمشق ، وصارَ خبرُ الإشاعة عنده هو الأهمّ ، وأخذ يُدَبِّرُ فى القبْض عليه قبل أن ٥ يستفحل أمْرُه ، وكتبَ عِدَّة مُلَطّفات لأمراء دِمَشْق بالقبض عليه ، هذا وقد قوى عند الملك الأشرف خروجُه عن الطاعة ، وبادَرَ وخلع على الأمير[2] سُودُون مِن عبد الرحمن الدّوادار فى يوم الاثنين ثالث عشرين المحرّم باستقراره فى نيابة دِمَشق عوضا عن تَنبك البَجَاسى ، فلبس سُودُون من عبد الرحمن الخِلْعَة ونَزَل من القلعة سائراً إلى دِمَشْق على جَرَائد الخيل ، ولم يدخل إلى داره ، وسارَ سُودُون مِن عبد الرحمن إلى جهة ١٠ دِمَشْق وقد تقدّمته الملطّفات بمَسْك تَنبك المذكور ، فلما وقف أمراء دِمَشْق على الملطّفات ، اتّفقوا الجميع وركبوا بمَن معهم وأتوْادارَ السّعادة فى ليلة الجمعة رابع صفر ، واستَدْعُوا الأميرَ تَنبك البَجَاسى المذكور ليقرأ كتاب السلطان ، فعلم بما هو القَصْد وخَرَجَ من باب السِّرّ — وعليه السلاح — فى جميع مماليكه وحواشيه ، فأقبلوا عليه الأمراء وقَاتَلوه حتى مَضَى صَدْر من نهار الجمعة المذكور ، ثم انْهزَمُوا منه أقبح هزيمة ١٥ وتشتت شملهم ، فتحصّن منهم طائفةٌ بقلعة دِمَشْق ، ومضَى منهم آخرون إلى الأمير سُودُون مِن عبد الرحمن ، فوافَوه وهو نازلٌ على صَفَد ، واستولى تنبَك المذكور على دِمَشْق وقوى بأسُه ، وكان انضمّ عليه من أمراء دِمَشْق الأمير قَرْمَش الأعوَر المقدّم ذكره من أصحاب جانى بَك الصُّوفِىّ ، والأمير تِمْرَاز المؤيّدى الخَازِنْدَار وغيرهما من أمراء دِمَشْق ، ثم تجهّز تَنبَك البَجَاسىّ هو وأصحابه لمّا بلغهم قُدُومُ سُودُون من ٢٠ عبد الرحمن ، وخرَجَ من دِمَشْق بجموعه فى أسرع وقت ، وسارَ حتى وافى الأميرَ

(١) ورد فى هامش اللوحة «الإشاعة بعصيان تانى بك البجاسى نائب الشام» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « استقرار سودون من عبد الرحمن فى نيابة دمشق » .

سُودُون من عبد الرحمن وهو نازل على جِسْر يَعْقُوب(١) فى يوم الجمعة حادى عشر صَفَر وقد قطع سُودُون من عبد الرحمن الجِسْرَ لئلا يصل إليه تَنبَك المذكور ، وكان سُودُون لَمّا خرج من مصر بمماليكه وسَارَ إلى جهة دِمَشْق حتى نزل على صَفَد وافاهُ الأمير مُقْبِل الحسامى نائب صَفَد بعساكر صَفَد وسارَا معًا حتى نزلاَ جِسْر يعقوب ، فلمّا بلغ سُودُون مجىء تَنبَك إليه جبُن عن قتاله وقطَع الجِسْرَ ، فقَدِم تَنبَك فَلَمْ يجد سبيلا لِقِتَال سُودُون فبات كل منهما من جهة ، وكلاهما لا يصل إلى الآخر بسوء ، فباتوا يتحارسون إلى الصباح .

فلما أَصبحَ يومُ السبت ثانى عشر صَفَر شَرَعُوا يترامُون بالنُّشّاب نهارَهم كله حتى حجز الليلُ بينهم ، فباتوا ليلة الأحد على تعبئتهم وقد قَوِىَ أمر تَنبَك ، وأَصبح الأميرُ تَنبَك فى يوم الأحد ثالث عشره رَاحِلًا إلى جهة الصُّبَيْبَة فى انتظار ابن بِشَارة أَنْ يأتيَه بجموعه ، وقد أَرْصَدَ جماعةً لسُودُون من عبد الرحمن بِوِطَاقِه ، فكتب سُودُون من عبد الرحمن بذلك إلى السلطان .

ثم ركب بمن معه على جَرَائد الخيل وقَصَد مَدِينة دِمَشْق وتَرَكَ الأثقال فى مواضعها مع نائب القُدْس يُوهِمُ عسكر تَنبَك البَجَاسىّ أنه مقيمٌ بمكانه ، وساق حتى دَخَل دِمَشْق فى يوم الأربعاء سادس عشر صَفَر المذكور ومَلَكَ المدينة وتمكَّن من قَلعة دِمَشْق ، وبلغَ الأميرَ تَنبَك البَجَاسِىَّ ذلك فرَكِبَ من وَقْتِه وساق حتى وافى سُودُون من عبد الرحمن بدِمَشق من يومه ، وبلغ سُودُون قدومُه فخرج إليه وتلقّاه بمَنْ معه من عساكر دمشق بباب الجابِيَة وقاتلوه فثبت لهم تَنبَك البَجَاسِىّ مع قلّة عسكره وكثرة عساكرهم ، وقاتلهم أشد قتال والرَّمْىُ ينزل عليه من قلعة دِمَشق ، وهو مع ذلك يظهر التجلّد إلى أن حَرَّكَ فرَسَه فى غرضٍ له فأصابه ضربةٌ على كتفه حلّته فتقنطر عند ذلك عن فرسه ، فتكاثروا عليه وأخذوه أسيرًا إلى قلعة دِمَشْق ومعه نحو

(١) جسر يعقوب : منزلة من صفد (حاشية ٢ ص ٣١٦ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

عشرين من أصحابه ، وفرّ من كان معه من الأمراء إلى حال سبيلهم ، وكَتَبَ الأمير سودُون من عبد الرحمن فى الحال بجميع ذلك إلى السلطان .

وأما الملك الأشرف فإنه بعد خروج سُودُون من عبد الرحمن أخذ ينتظر ما يَرِدُ عليه من الأخبار فى أمْرِ تَنبَك ، فقدمَ عليه كتابُ سُودون من عبد الرحمن من جِسْر يَعْقُوب أوّلا فى يوم الأحد عشرين صفَر فعَظُمَ عليه هذا الخبر ، وعَزَم على سفر الشام ، ٥ واضطرب الناسُ ووَقَعَ الشُّرُوع فى حركة السَّفر ، وأُحضرت خيول كثيرة من مرابطها من الرّبيع ، وبينما الناس فى ذلك قَدم كتابُ سُودون من عبد الرحمن الثانى من دِمَشْق يتضمن النَّصر على تَنبَك البَجَاسِىّ والقبض عليه وحَبْسَه بقلعة دِمَشْق فسُرَّ السلطانُ بذلك غاية السرور ودقت البشائر ، وكتب بقَتْلِ تَنبَك البَجَاسى وحَمْلِ رأسه إلى مصر وبالحَوْطَة على مَوْجُودِه ، وتتبُّع حواشيه ومن كان معه من أمراء دِمَشْق ، وهدأ سرُّ ١٠ السلطان من جهة دِمَشق ، وبَطَلت حركةُ السَّفر ، والتفت إلى ما كان عليه أوّلا من الفَحْص على جانى بَك الصُّوفىّ .

فلما كان سابع عشرين صفر المذكور نُودِى بالقاهرة ومصر على جَانى بَك الصُّوفىّ ووُعِد مَنْ أحضره إلى السلطان بألف دينار ، وإن كان جندياً بإمْرَة عشرة ، وهُدِّدَ من أخفاه وظهر عنده بعد ذلك بإحراق الحارة التى هو ساكن بها ، وحلَف المنادى على كل ١٥ واحدة مما ذكرنا يميناً عن السلطان ، هذا بعد أن قَوِىَ عند السلطان الملك الأشرف أن جانى بَك الصوفىّ مختف بالقاهرة ، ولو كان بالبلاد الشامية لظهر وانضمّ مع تَنِبَك البجاسى ، وهو قياسٌ صحيحٌ .

ثم التفتَ السلطانُ أيضا إلى أمْرِ مكة ، فلما كان يوم الجمعة ثانى شهر ربيع الأول نُودِى بالقاهرة بالخروج إلى حَرْب مكةَ المشرفة ، فاستشنع الناسُ هذه العِبارَة ، ثم عيَّن ٢٠ جماعة من المماليك السلطانية وأنفق على كل واحد منهم أربعين ديناراً .

ثم فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل قَدِمَ رأسُ الأمير تَنبك البَجَاسِىّ إلى القاهرة فَطيفَ بها على رُمْح ، ثم عُلِّقت على باب النَّصْر أيَّاماً .

وفى سابع عشرين شهر ربيع الأول خَلَع السلطانُ على الأمير أَزْبُك المحمدى الظاهرى رأس نَوْبة النُّوَب باستقراره دَوَادَارًا كبيرا[1] عوضا عن سُودون من عبد الرحمن المنتقل إلى نيابة الشام .

وخَلَع على الأمير تَغْرى بَرْدى المَحْمودى الناصرى باستقراره رأس نوبة النُّوَب عوضًا عن أَزْبُك المذكور .

ثم فى يوم السبت تاسع شهر ربيع الآخر خَلَع السلطانُ على القاضى شمس الدين محمد الهَرَوِىّ باستقراره كاتب السِّرِّ الشريف بالديار المصرية عوضا عن جمال الدين يوسف ابن الصَّفِىّ الكَرَكِىّ ، ونزَلَ فى مَوْكِب جليل وكان الهَرَوِىُّ علّامَةً فى فنون كثيرة من العُلُوم .

ثم فى يوم الجمعة سابع جمادى الأولى أُقيمت الخُطْبَة بالمدرسة الأشْرَفِيَّة[2] بخط العَنْبَرِيين من القاهرة ولم يَكْمُل منها سوى الإيوان القبلى .

وفى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة خَلَع السلطانُ على الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله باستقراره أستاداراً بعد عَزْل ناصر الدين محمد بن بُولى والقبض عليه ، وهذه ولاية صلاح الدين الثانية للأستادارية .

ثم فى ثانى عشره خَلَع السلطانُ على الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ واستقرّ ناظر ديوان المُفْرَد مضافا على الوزر عوضا عن القاضى كريم الدين بن كاتب جَكَم .

وفى يوم الأحد خامس عشر جمادى المذكور تُوفِّيت زوجةُ السلطان الملك الأشرف ودُفنت بالقُبَّة بالمدرسة الأشرفيّة .

قال المقريزى : واتّفَق فى موتها نادرة ، وهى أنها لما ماتت عُمِل لها خِتَم[3] عند

(١) ورد فى هامش اللوحة « استقرار أزبك دوادارا كبيرا » .

(٢) الأشرفية : هى جامع ومدرسة الأشرف برسباى بناها أثناء ولايته السلطنة من سنة ٨٢٥–٨٤١ هـ (على مبارك ١ : ٤٤) ولا تزال باقية باسم جامع الأشرف فى شارع المعز لدين الله الفاطمى فى المسافة بين شارع الأزهر والموسكى .

(٣) الختم : جمع ختمة وهى تلاوة القرآن كله مرة .

قبرها في الجامع الأشرفي[1] ونزل ابنُها الأمير ناصر الدين محمد من القلعة لحضور الخَتم ، وقد ركب في خدمته الملكُ الصالح محمد بن ططَر ، فشَقَّ القاهرة من باب زُوَيْلَة وهو في خدمة ابن السلطان بعد ما كان بالأمس سلطانا ، وصار جالسًا بجانبه في ذلك الجمع وقائما بخدمته إذا قام ، فكان في ذلك موعظة لمن اتَّعَظ — انتهى .

قلتُ : حضرت أنا هذه الختم المذكورة وشاهدت ما نقله المقريزي بعيني فهو كما قال ٥ غير أنه لم يكُن في خِدْمَتِه وإنما جالسًا في الصَّدْر معًا ، بل كان الصالح متميِّزًا عليه في الجلوس وكذلك في مسيره من القلعة إلى الجامع المذكور ، وقد ذكرنا طرفا من هذه المقالة في أواخر ترجمة الملك الصَّالح المذكور ، غير أنه كما قاله المقريزي إنه من النوادر ،

ثم في يوم السبت حادي عشرين جمادى الآخرة خَلَع السلطانُ على قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجِّي باستقراره كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية بعد عَزْل قاضي ١٠ القضاة شمْس الدين الهَرَوي ، ونزل ابن حجِّي على فَرَس بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش في موكب جليل إلى الغاية .

قال المقريزي : وقد ظهر نقصُ الهَرَوي وعجزُه[2] ، فقد باشر بتعاظم زائد مع طَمَع شديد وجهل بما وُسِّدَ إليه ، بحيث كان لا يُحْسِنُ قراءة القصص ولا الكُتُب الواردة ، فتوَلَّى قراءة ذلك بدرُ الدين محمد بن مُزْهر نائب كاتب السرّ ، وصار يحضُرُ الخِدْمَة ١٥ ويقفُ على قَدَمَيه وابن مُزْهر هو الذي يتولّى القراءة على السلطان — انتهى كلامُ المقريزي برمّته .

قلتُ : لا يُسْمَع قولُ المقريزي في الهَرَوي ، فأما قوله «باشر بتعاظم [زائد][3]» فكان أهلا لذلك لغزير علمه ولما تقدّم له من الولايات الجليلة بممالك العَجَم ، ثم بالديار المصرية . وقَوْلُه «وعجزه بما وُسِّدَ إليه» يعني عن وظيفة كتابة السرّ، نعم كان لا يَدْري الاصطلاح ٢٠

(١) في ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧٧ «بالمدرسة الأشرفية» .
(٢) ورد في هامش اللوحة «عجز الهروي كاتب السر عن قراءة القصص والكتب» .
(٣) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧٨) .

المصرى ، ولم يكن فيه طَلَاقَةُ لسان بالكلام العربىّ كما هى عادة الأعاجم ، وأمّا علمه وفضلُه وتبحُّره فى العلوم العقلية فلا يَشُكُّ فيه إلا جاهلٌ ، وهو أهل لهذه الرُّتبة وزيادة ، غير أنه صُرِفَ عن الوظيفة بمن هو أهلٌ لها أيضا وهو القاضى نجم الدين بن حِجّى قاضى قضاة دِمَشْق ورئيسهم ، وكلاهُمَا أعنى المتوَلّى والمعزول من أعيان العلماء وقدماء الرؤساء ، والتعصّب فى غير محلّه مَرْدُود من كل أحد على كائن من كان — انتهى .

ثم فى سلخ الشهر المذكور خَلَع السلطانُ على القاضى الشريف شهاب الدين نقيب الأشراف بدمَشْق باستقراره قاضى قضاة دِمَشْق ، عوضا عن القاضى نجم الدين بن حجّى المقدم ذكره .

ثم فى يوم الخميس رابع شهر رجب خَلَعَ السلطانُ على العلّامة علاء الدين على الرُّومى الحنفى باستقراره شيخ الصُّوفيّة ، ومُدَرّس الحنفية بالمدرسة الأشرفية بخط العَنْبَرِيّين بالقاهرة ، وكان له مُدَّة يسيرة من يوم قَدِمَ من بلاد الرّوم .

وفيه قدم[(١)] الخبرُ على السلطان بأخذ الفرنج مركبين من مراكب المسلمين قريباً من ثَغر دِمْيَاط ، فيهما بضائع كثيرة وعِدَّة أناس يزيدون على مائة رجل ، فكتب السلطانُ بإيقاع الحَوطَة على أموال تُجّار الفرنج التى ببلاد الشام والإسكندرية ودِمْيَاط والخَتْم عليها ، وتَعْوِيقهم عن السَّفر إلى بلادهم حتى تَرُدّ الفرنجُ ما أخذوه من المسلمين ، فكلّمه أهلُ الدَّولة فى إطْلاقهم فلم يَقْبَل ، وأخذ فى تجهيز غَزْوهم .

وفيه[(٢)] ركبَ السلطانُ من قلعة الجبل ونزلَ إلى جامعه الذى أنشأه بخط العَنْبَرِيّين المقدّم ذكره ، وجلس به ساعة ، ثم عاد إلى القلعة بغير قُمَاش المَوْكب[(٣)] .

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧٨ «ثم قدم» .

(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٧٩ «ثم ركب» .

(٣) المراد بقماش الموكب هو الحلة الرسمية .

وفى[1] يوم الأربعاء أوّل شعبان ابتُدِئ بقراءة صحيح البُخَارى بين يَدَى السُّلطان.

قال المقريزى : وحضر القضاة ومشايخ العلم، والهَرَوِىّ ، والشيخ شمس الدين محمد ابن الجزرى بعد قدومه بأيّام ، وكاتب السرّ نجم الدين بن حجّى ، ونائبه بدر الدين ابن مُزْهِر ، وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش ، والفقهاء الذين رَتّبهم المؤيد، فاستجدّ فى هذه السنة حضور المباشرين ، وكانت العادة من أيّام الأشرف شعبان بن حسين أن تبدأ قراءة البُخَارى فى أول يوم من شهر رمضان ، ويحضر قاضى القضاة الشافعىّ ، والشيخ سِرَاج الدين عمر البُلْقينىّ وطائفة قليلة العدد لسماع البخارى ، ويختم فى سابع عشرينه ، ويُخْلَع على قاضى القضاة ، ويركب بغلة بزُنّارِىّ[2] تُخْرَجُ له من الإسطبل السلطانى ، ولم يزل الأمر على هذا حتى تسلطن المؤيد شيخ فابتدأ بالقراءة من أول شعبان إلى سابع عشرين [شهر][3] رمضان ، وطلب قضاة القضاة الأربعة ومشايخ العلم وقرّر عِدّةً من الطلبة يحضُرُون أيضا ، فكانت تقَعُ بينهم أبحاث يُسىء بعضُهم على بعض فيها إساءات مُنْكَرَة ، فجَرَى السلطانُ [الأشرف][4] على هذا واستجدّ — كما ذكرنا — حضور المباشرين ، وكَثُرَ الجمعُ ، وصار المجلس جميعه صِيَاحًا — انتهى .

قُلْتُ : ليس فى هذا شىء مُنْكَرٌ وكما جدّد الأشرف [شعبان][5] قراءة البخارى فى شهر رمضان جعله غيرُه من أوّل شعبان ، وكلٌّ مِمَّن[6] فعل ذلك سلطانٌ يتصرّف كيف شاء ، ولا يَشُكُّ أحدٌ أن التأنى فى القراءة أفضل من الإدراج لاسيا كُتُب

---

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧٩ «ثم فى».

(٢) الزنارى : هو فى مصطلح الفروسية فى مصر نوع من الأجلال (جمع جل) يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدولا على الكفل بحيث لا يرى الذيل، وكان الزنارى يعطى بدل الكنبوش لمن عظمت مكانته ومقامه عند السلطان ، ويصنع من الأطلس الأحمر أو من الجوخ (المقريزى — السلوك ١ : ٨٥١ هامش د. زياده) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧٩) .

(٤، ٥) الإضافة للتوضيح .

(٦) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٧٩ «عن».

الحديث ليفهمه كلُّ أحد من مبتدىء أو منتهٍ ، وأيضا كُلَّما كَثُرَ الجمعُ عَظُم الأَجْرُ والثَّوَاب ، وأما الصّياح فلم تبرح مجالس العلم فيها البحوث والمشاحنة ، ولو وقع منهم ما عسى أن يقع فهم فى أجر وثواب ، وليس للاعتراض هنا مَحَلٌّ بالجلة — انتهى .

ثم فى يوم الأحد رابع شهر رمضان أخرج السلطان الأمير أرْغُون شاه النَّوْرُوزى ، ٥ والأمير ناصر الدين محمد بن بُوَلى من القاهرة إلى دِمَشْق بطَّالين ، وقد تقدّم أن كليهما قد وَلِيَ الأستادارية بالديار المصرية .

وفى هذه الأيام ندبَ السلطانُ جماعة من المماليك السلطانيّة للغَزَاة .

ولما كان يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سار غُرَابَان من ساحل بُولاق ظاهِرَ القاهرة فى بَحْر النيل بعد أن أُشْحنا بالمقاتلة والأسلحة ، وكان فيهما من المماليك السلطانيّة ١٠ ثمانون نَفَرًا غير المُطَّوِّعة ، ورسم السلطان لهم أن يسيرُوا فى البَحْر إلى طَرَابُلُس ، ويأخذوا أيضا من سواحل الشام عِدَّةَ أَغْرِبَة أُخَر فيها المقاتلة ، ويسيروا فى البحر المالح لعلَّهُم يجدون من يتجرّم فى البحر من الفرنج ، وهذه أوّل غزاة[1] جهزها السلطانُ الملك الأشرف بَرْسْباى رحمه الله[2] .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شوّال أمر السلطان بحفر صَهْرِيج[3] بوسط صَحن جامع ١٥ الأزهر ، فابتدءوا فيه من هذا اليوم وحَفَرُوا بوسط[4] صَحْن الجامع المذكور فوجدوا فيه آثار فَسْقِيّة قديمة وبها عِدّة أموات ، ثم شرعوا فى بنائها حتى كَمُلَت وعُمِّر فوقها مَقْعَدٌ لطيف على صفة السبيل ، وانتفع أهلُ الجامع به ، ودَامَ سنين إلى أن أَمَرَ السلطانُ الملك الظاهر [جَقْمَق][5] بهَدْمِه ، فهُدِمَ ورُدِمَ .

ثم فى يوم السبت تاسع عشرين شوال المذكور حضر الأمراء الخدْمَة السلطانية

٢٠ (١) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٨٠ «غزوة» .
(٢) الإضافة عن (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٨٠) .
(٣) الصهريج : حوض الماء (المنجد ٤٣٨) .
(٤) ورد فى هامش اللوحة « حفر صهريج جامع الأزهر » .
(٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٨٠) .

على العادة ، ونزلوا إلى دورهم ، فاستدعى السلطانُ بعد نزولهم الأميرَ بَيْبُغَا المُظَفَّرِى أتابَكَ العساكر إلى القلعة ، فلمّا صار إليها قُبِضَ عليه وقُيِّدَ وحُمِل إلى الإسكندرية من يومه .

ثم في يوم الخميس رابع ذى القعدة خَلَعَ السلطانُ على الأمير قُجَق العِيساوِىّ أمير سلاح باستقراره أتابَكَ العساكر بالديار المصرية عوضا عن بَيْبُغَا المُظَفَّرِى بحُكم القَبْض عليه ، وخَلَعَ على إينال النَّوْرُوزِىّ أمير مجلس باستقراره أمير سلاح عوضا عن قُجَق المذكور ، وأنْعَم السلطانُ بإقطاع بَيْبُغَا المذكور على الأمير إينال الجَكَمِىّ أحد الأمراء البطّالين بالقُدْس وكُتِبَ بإحضاره ، وعلى الأمير حُسَين بن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمُش البَهَسْنِىّ التُّرْكمانِىّ نائب قلعة الجَبَل نِصْفَيْن بالسَّوِية بعد أن أخرج منه بلدة من القليوبيّة[1] .

ثم في يوم الاثنين ثامن ذى القعدة خَلَعَ السلطانُ على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهَرَوِىّ المعزول عن وظيفة كتابة السرّ قبل تاريخه باستقراره قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، عوضا عن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حَجَر بحُكْم عَزْله ، وهذه ولاية القاضى الهَرَوِىّ الثانية للقضاء .

وقدم الأميرُ إينَال الجَكَمِىّ من القُدْس في يوم الاثنين خامس عشره ، وخَلَع السلطانُ عليه باستقراره أميرَ مجلس عوضا عن إينَال النَّوْرُوزِى .

وفى هذه الأيام أنعم السلطانُ على الأمير تَنبَك من بُرْدُبَك الظَّاهِرىّ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بإمْرَة طَبْلَخَاناه عوضا عن تَغْرِى بَرْمُش البَهَسْنِى ، واستقرّ أيضا عوضه فى نيابة قلعة الجبل ، وتَنبَك المذكور هو أتابَك العساكر بديار مصر فى زماننا هذا .

ثم فى يوم السبت العشرين من ذى القعدة وصلت الغزاةُ المُقَدّم ذكرهم بالغنائم والأسرى .

---

(١) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٨١ « بلدة القليوبية » .

وكان من خبرهم أنهم لما خرجوا من ثغر دِمْيَاط تبعَهُم خلائق من المُطَوِّعة فى سلُّورَة[١] وساروا إلى طَرَابُلُس وسارَ معهم أيضا غُرَابان ، وتوجّهُوا الجميع إلى المَاغُوصة[٢] فأضافهم مُتَمَلِّكُها وأكرمهم ، فلم يتعرضوا لبلاده ، ومضوا عنه إلى بَلَدٍ يُقَال لها اللِّمَسُون[٣] من جزيرة قُبْرُص فوجدوا أهلها قد استعدُّوا لقتالهم وأخرجوا أهاليهم وعيالهم ، وخرجوا فى سبعين فارساً تقريباً وثلاثين راجلا ، فقاتلهم المسلمون حتى هَزَمُوهم ، وقتلوا منهم فارساً واحداً وعِدّة رجال ، وغَرّقوا بعضَ أغْرِبَة وأحرقوا بعضها ، ونهبوا ماوجدوه من ظروف السمن والعسل وغير ذلك ، وأسرُوا ثلاثة وعشرين رَجُلا ، وأخذوا قِطَع جُوخ كثيرة ، فَسُرَّ الناسُ بعَوْدهم وسلامتهم وتَشَوّقَ كلُّ أحدٍ للجهاد — انتهى .

ثم فى ثامن عشرين ذى الحجة خلع السلطانُ على الشيخ سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شمس الدين محمد الدِّيرى الحنفى باستقراره فى مشيخة صُوفيّة الجامع المؤيدى ومُدَرِّس الحنفية به بعد موت أبيه بالقُدس .

ثم فى تاسع عشرين المحرم من سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ركبَ السلطانُ مُخِفّاً من قلعة الجبل ، ونزل إلى جامعه بخط العَنْبَرِيين وكشف عمائره ، ثم ركبَ وسارَ إلى جامع الأزهر لرؤية الصَّهْرِيج الذى عَمَّرَه ، ثم تقدّم وزار الشيخ خليفة والشيخ سعيدا وهما من المغاربة لهما بالجامع الأزهر مدّة سنين وشُهِرَا بالخير والصَّلاح ، ثم خرج من الجامع إلى

---

(١) السلورة : نوع من المراكب متوسطة الحجم يستعمل فى الحرب والسلم على السواء ، له ثلاثة شرع ويحتوى عادة على أربعين مجدافا وهو سريع الحركة (دكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٤٧) .

(٢) الماغوصة مدينة بقبرص — راجع (الحاشية ٧ ص ٢٣٤ ج ١٢ من هذا الكتاب). ولعلها المعروفة حاليا بفاما جوستا ، وهى مدينة على ساحل الجزيرة الشرقى وكانت عاصمة لقبرس (المنجد — أعلام الشرق والغرب ٣٨٤) .

(٣) اللمسون : قلعة ومرفأ فى قبرص ، فتحها الأشرف برسباى سنة ١٤٢٦ م (المنجد — أعلام الشرق والغرب ص ٤٦١) .

دار الشيخ محمد بن سلطان وهو أيضا أحد من يُظَنّ فيه الخيْرُ والصّلاح فزاره أيضا وعاد إلى القلعة .

ثم فى هذا الشهر أيضا وقع الشرُوع فى عمل عدَّة مراكب لغَزْو بلاد الفرنج ، واستمرّ العمل فيهم كل يوم إلى أن نزل السلطانُ فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر من سنة ثمان وعشرين المذكورة وكشف عمل المراكب المذكورة ، ثم عاد من على جزيرة الفيل إلى جهة مناظر « الخمس وجوه » المعروفة بالتّاج التى كان الملك المؤيد جدَّدَها فأقام بها ساعة هينة ، وعاد من على الخَنْدَق من جهة خليج الزَّعْفَران إلى أن طلع إلى القلعة ، هذا كله والسلطانُ لا يفتر عن الفحص على أخبار جانى بَك الصّوفى ولا يُكَذِّبُ فى أمْرِهِ خبرَ مُخْبِر .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرين صفر خلعَ السلطانُ على الشيخ محب الدين أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن محمد بن عمر التُّسْتَرِىّ البغدادى الحنبلى باستقراره قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاة علاء الدين على بن محمود بن مُغْلِى ، وكلٌّ منهما كان أعجوبة زمانه فى الحفظ وسعة العلم .

ثم فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الأوّل عمل السلطانُ المولد النبوى بالحوش السلطانى من قلعة الجبل كعادة عمله فى كل سنة .

ثم فى يوم الأحد سابعه سار الأميرُ أرَنْبُغَا اليونسى الناصرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة تجريدةً إلى مكّة ومعه مائة مملوك من المماليك السلطانية ، وتوجه معه سعد الدين إبراهيم المعروف بابن المَرَة أحد الكُتّاب لأخذ مَكْس[1] المراكب الوَارِدَة ببندر جدّة من بلاد الهند ، وهذا أول ظهور أمر جدّة ، وكان ذلك بتدبير الأمير يَشْبُك الساق الأعرج ، فإنه نفاه الملك المؤيد [شيخ][2] إلى مكّة ، فأقام بها سنين وعَلِمَ أحوال أشراف

(١) ورد فى هامش اللوحة «أول ظهور أمر جدة فى أخذ المكس منها » هذا والمكس هو ضريبة تؤخذ ممن يدخل البلد من التجار والجمع مكوس (معجم الوسيط ٢ : ٨٨٨) .

(٢) إضافة للتوضيح .

مكة وما هُم عليه ، فحسَّن للسلطان الاستيلاء على بندر جدّة ولا زال به حتى وقع ذلك وصار أمرُ جدّة كما هى عليه الآن .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الآخر قَدِمَ الأميرُ سُودُون من عبد الرحمن نائب الشّام إلى القاهرة ، وطلع إلى القلعة بعد أن تلقّاه أكابرُ الدّولة وقبّل الأرضَ ، وخُلِعَ عليه باستمراره ، وأُنزِل بمكان يليق به إلى أن خَلَعَ السلطانُ عليه خِلْعَة السّفر ، وعاد إلى محل ولايته فى سادس عشر شهر ربيع الآخر المذكور .

وفى هذا الشهر كمل عمارة البُرْج الذى عُمِّرَ بالقُرْب من الطِّينَةِ[1] على بَحْرِ المِلْح وجاء مُرَبَّع الشكل مساحة كلّ ربع منه ثلاثون ذراعا ، وشُحِن بالأسلحة ، وأُقِيم فيه خمسة وعشرون مقاتلا ، فيهم عشرة فرسان ، وأُنزِل حولَه جماعةٌ من عَرَبِ الطِّينة ، فانتفع به المسلمون غاية النَّفْع ، وذلك أن الفرنج كانت تُقْبِل فى مراكبها نهارا إلى بَرِّ الطِّينَةِ وتَنْزِل بها وتتخطّف الناسَ من المسلمين من هناك فى مُرُورِهِم من قَطْيَا إلى جهة العَرِيش من غير أن يَمْنَعَهُم من ذلك أحدٌ ؛ لخُلُوِّ هذا المحلّ من الناس ، وتَوَلَّى عمارة هذا البُرْج المذكور الزَّيْنى عبد القادر بن فخر الدين بن عبد الغنى بن أبى الفرَج ، وأخذ الآجُرّ والحَجَر الذى بُنِيَ هذا البرجُ به من خراب مَدِينَة الفَرَما[2] وأحرق أيضا الجيرَ من حجارتها ، وقد تقدّم ذكر غَزْوِ الفَرَما فى مجىء عَمْرو بن العاص إلى مصر فى أوّل هذا الكتاب .

ثم فى يوم السبت عاشر جمادى الأولى خلعَ السلطانُ على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخواصّ الشريفة باستقرارِه أُستادَارا عوضا عن وَلَدِه صلاح الدين محمد .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «عمارة برج الطينة» . والتعريف بالطينة انظر ما سبق ص ١٤ حاشية ٣ من هذا الجزء .

(٢) الفرما : مدينة على الساحل بها حصن لطيف قرب «قطيا» و«العريش» (البغدادى — مراصد الاطلاع ٣ : ١٠٣٠) .

ثم في يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى المذكورة خلعَ السلطانُ على القاضي كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين برَكَة المعروف بابن كاتب جَكَم باستقراره في وظيفته نَظَر الخاصّ الشّريف عوضا عن بدر الدين بن نصر الله المذكور .

وخلع على أمين الدّين إبراهيم ابن مَجْدِ الدين عبد الغني بن الهيصم باستقراره ناظر الدّولة عِوَضاً عن كريم الدين بن كاتب جَكَم المذكور . ٥

وفي هذه الأيام كَثُرَت الأخبارُ بحركة الفرنج فخرجَ عِدّةٌ من الأمراء والمماليك لحراسة الثُّغُور .

ثم في عاشر جمادى الآخرة أمسكَ السلطانُ القاضي نجم الدين عمر بن حجّي كاتب السّرّ ، وسُلِّم إلى الأمير جَانِي بَك الأشرفي الدّوَادَار الثاني فسجنه بالبُرْج من قلعة الجبل ، وأُحيط بداره ، وكان سببُ مَسْكِ ابن حِجّي أنه التزَمَ عن ولايته كتابة السّرّ بعشرة آلاف دينار ، ١٠ ثم تسلم ما كان جاريًا في إقطاع ابن السّلطان من حِمَايَات[1] علم الدين داود بن الكُوَيْز ومستأجراته ، على أن يقوم لديوان ابن السلطان في كل سنة بألف وخمسمائة دينار ، فحمل في مُدّة ولايته لكتابة السّرّ إلى الخزانة الشريفة خمسة آلاف دينار في دفعات متفرقة ، فلما كان هذه الأيام طلب السلطانُ منه حَمْلَ ما تأخر وهو ستة آلاف دينار ، فسألَ السلطانَ مشافهةً أن يُنْعِم عليه بألف وخمسمائة دينار المقرّرة من الحِمَايَات والمسْتأْجَرَات ، وتشكّى من قِلّةِ مُتَحَصّلها معه ، فلم يُجِبْ السلطانُ سؤاله ، فنزل إلى ١٥ داره وكتب ورَقَةً إلى السلطان تتضمّن : أنه غَرِم من حين وَلِيَ كتابةَ السّرِّ إلى يوم تاريخه اثني عشر ألف دينار ، منها الحمل إلى الخزانة خمسة آلاف دينار ، ولِمَنَ لا يُسَمّى مبلغ ألفي دينار ، وللأمراء أربعة آلاف دينار ، وذكر تفصيل الأربعة آلاف دينار ؛ فلما قرئت على السلطان فهم أنه أراد بمن لا يُذْكر أنه الأمير جَانِي بَك الدّوَادَار ، وأخذَ ٢٠

(١) الحمايات: هي المغارم التي يفرضها السلطان أو الأمراء المقطعون على العقارات من أرض ونحوها نظير مايقومون به من حماية الشخص الذي يدفع المقرر. وانظر (دكتور إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٤٧٩) .

السلطانُ يَسْأل من جَانِي بَك عندما حضرَ هو والأمراء عمّا وصل إليهم وإليه ، فما هو إلا أن طَلَعَ ابنُ حِجّى إلى القلعة حصَلَ بينهما مُفَاحَشَات ومُقَابَحَات آلت إلى غَضبِ السلطان والنصرة لمملوكه جَانِي بَك فقبضَ عليه .

وله سببٌ آخر خفِيٌّ ؛ وهو أن السلطان استدعىَ الأميرَ سُودُونَ من عبد الرحمن نائبَ الشام بكتاب عبد الباسط ، فلمّا وقَعت بطاقةُ سُودُون من عبد الرحمن سألَ ابنُ حِجّى : لِمَ جاء نائب الشام ؟ فقيل له بطلب من السلطان ، فقال : أنا لم أُكتُب له عن السلطان بالمجىء ، فقال عبد الباسط : أنا كتبتُ له ، فحنق نجمُ الدين لمّا سمع هذا الكلام وخَاشَنَ عبدَ الباسط باللّفظ ، وقال له : اعمل أنتَ كاتِبَ السِّرِّ ونظرَ الجيش معًا ، ثم أخذ يخاشنه بالكلام آستخفافًا به لمعرفته به قَدِيمًا ؛ لأن ابن حِجّى كان معدودا من أعيان دِمَشق وعبد الباسط يوم ذاك بخِدْمَة ابن الشهاب محمود ، فأسرّها عبدُ الباسط فى نفسه ، وعَلِمَ أنه متى طالت يدُه ربما يقع منه فى حَقِّه ما يكره ، فأخذ يُدَبِّرُ عليه حتى غَيَّر خاطر الأمير جَانِي بَك عليه وتأكدت العَدَاوةُ بينهما ، ووقع ما حكيناه .

واستمرّ ابنُ حِجّى فى البُرْج من قلعة الجبل إلى ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة من سنة ثمانٍ وعشرين المذكورة ، وأخرج من البُرْج فى الحَدِيد وحُمِل إلى دِمَشْق حتى يُكْشَف بها عن سيرته ، ويأخذ ابنُ حجى فى تجهيز مابقى عليه من المَال ، وكُتِبَ فى حقه لنائب الشام ، ولقضاة دِمَشْق بعظائم مستشنعة هو برىء عن غالبها .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشره خلع السلطان على القاضى بدر الدين[1] محمد ابن مُزْهِر نائب كاتب السِّرِّ باستقراره فى كتابة السّرّ عوضا عن نجم الدين ابن حِجى المذكور .

وخلعَ السلطانُ أيضًا على تاج الدين عبد الوهاب الأسلمى المعروف بالخطير

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار بدر الدين محمد بن مزهر فى كتابة السر» .

باستقراره فى نظر الإسطبل السلطانى عوضاً عن ابن مُزْهِر ، وكان الخطيرُ المذكور قريب عهد بالإسلام ، وله قَدَمٌ فى دين النصرانية ، وكان يباشر عند الملك الأشرف فى أيام إمرته فرقّاه إلى هذه الوظيفة ، وبعد أن كان يخاطب بالشيخ الخطير صار يُنْعَت بالقاضى ، فيشترك هو وقضاة الشرع الشريف فى هذا الاسم ، وقد تداول هذا البلاء بالمملكة قديما وحديثا ، وأنا لا ألوم الملوكَ فى تقديم هؤلاء لأنهم محتاجون إليهم ٥ لمعرفتهم لأنواع المباشرة ، غير أننى أقول : كان يمكن الملك أنه إذا رقّى واحداً من هؤلاء إلى رُتْبةٍ من الرُّتَب لا ينعته بالقاضى وينعته بالرئيس أو بالكاتب أو مثل ولى الدّولة وسعد الدّولة وما أشبه ذلك ، ويدع لفظة قاض لقضاة الشرع ولكاتب السّرّ وناظر الجيش ولفضلاء المسلمين ، ليعطىَ كل واحد حقه فى شهرته والتعريف به ، وقد عيب هذا على مصر قديماً [وحديثاً][1] فقال بعضهم : قاضيها مسلمانى ، وشيخها ١٠ نصرانى ، وحجها غوانى ، قلت : فإن كانت ألفاظ هذه الحكاية خالية من البلاغة فهى قريبة مما نحن فيه .

والخطير [هذا][2] إلى الآن فى قيد الحياة وقد كبر سنّه وهرم بعد ما ولى الوزر بديار مصر ثم نظر الدولة ، وهو مع ذلك عليه من الفلاسة ، وعدم النورانية ، وفقد الحشمة ، وقلة الطلاوة [ما لا يعبر عنه][3] ، وقد تخومل ولزم داره سنين طويلة من يوم صادره ١٥ الملك الظاهر جتمق وحَطَّ قَدْرَه ، فعد ذلك من حسنات الملك الظاهر — رحمه الله تعالى .

وفى هذا الشهر أخذ السلطانُ فى تجهيز[4] الغزاة ، وعين جماعة كبيرة من المماليك السلطانية والأمراء ، وألزم كل أمير أيضاً أن يجهز عشرة مماليك من مماليكه ، ونجز عمل الطرائد[5] والأغربة ، ٢٠

(١، ٢، ٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٨٧) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « تجهيز العساكر إلى الغزاة » .

(٥) الطرائد : هى السفن الصغيرة السريعة السير ، ويقال إنها برسم الخيل وأكثر منها تحمل منها أربعون فرسا ، وانظر (دكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٥٣-٣٥٤) .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شهر رجب خلع السلطانُ على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حَجَر وأعيد إلى قضاء الديار المصرية بعد عَزْلِ قاضى القضاة شمس الدين الهَرَوِىّ .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب المذكور حُمِلَ الشريفُ مُقْبِل أمير ألينبع ، والشريف رميثة بن محمد بن عَجْلَان إلى الإسكندرية وسُجِنَا بِهَا .

٥

ثم فى ثالث عشره أنفق السلطانُ فى ستمائة رجل من الغُزَاة مبلغ عشرين ديناراً لكل واحدٍ منهم ، وجهز الأمراء أيضاً ثلاثمائة رجل ، ثم نودى : من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النَّفَقة ، وقام السلطانُ فى الجهاد أتمّ قيام وقد شرَح اللهُ صدره له .

ثم فى عشرينه سارت خيولُ الأمراء والأعيان من المجاهدين فى البر إلى طرابلس وعدتها نحو ثلاثمائة فرس لتحمل من طرابلس صحبة غزاتها فى البحر لحيثُ هو القَصْد .

١٠

ثم ركبَ السلطانُ فى يوم الجمعة من القلعة بغير قُمَاش الخدمة بعد صلاة الجمعة ، ونَزَل إلى ساحل بولاق حتى شاهدَ الأغربة والطرائد التى عملت برسم الجهاد ، وقد أُشحِنُوا بالسلاح والرجال ، ثم عاد إلى القلعة ، ثم ركب من الغد المقام الناصرى محمد ابن السلطان الملك الأشرف من القلعة ونزل ومعه لالاته الأمير جانى بَك الأشرفى الدوادار الثانى ، وتوجّه إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطلّ على النيل ببوُلاق حتى شاهد الأغربة عند سفرهم ، فانحدر أربعةُ أغربة بكل غُرَاب أميرٌ ، وتقدَّم الأربعة الأمير جَرِبَاش الكريمى الظاهرى حاجب الحجاب المعروف بقاشق ، فكان لسفر هذه المراكب ببولاق يوم مشهود ، ثم انحدر بعد هذه الأغربة الأربعة أربعةُ أغربة أُخَر فى كل واحد منهم مقدَّم من أعيان المماليك السلطانية ، وكان آخرهم سفرا الغراب الثامن فى يوم الأربعاء ثامن[1] شعبان ، وهذه الغزوة الثانية من غزوات الملك الأشرف [بَرْسباى][2]

١٥

٢٠

---

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٨٩ «ثالث» .
(٢) الإضافة للتوضيح .

ثم فى آخر هذا الشهر أفرَجَ السلطان عن الأمير الكبير طَرَبَاى من سجنه[1] بالإسكندرية ، ونقل إلى القُدْس الشريف بطالا ليقيم به غير مُضيَّق عليه بعد أن أنعم عليه بألف دينار ، وكان الإفراج عن طَرَبَاى بخلاف ما كان فى ظن الناس ، وعُدّ ذلك من محاسن الملك الأشرف ، كون طَرَبَاى المذكور كان عانَدَه فى المُلْك ، وكونه أيضاً من عظماء الملوك وأكابر المماليك الظاهريّة [برقوق][2] ممَّن يخاف منه ، فلم يلتفت الأشرف إلى هذا كله وأفرج عنه لما كان بينهما من الود القديم والصُّحْبَة من مبادىء أمرهما .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن شهر رمضان المذكور أمسكَ السلطانُ الصاحبَ بدر الدين حسن بن نصر الله الأستادار ، وأَمْسَكَ معه ولدَه الأمير صلاح الدين محمد المعزول عن الأستادارية بأبيه المذكور ، وعُوِّقا بالقلعة أربعة أيام ، ثم نزلا على أنهما يقومان بنفقة الجامكية شهراً وعليقه ، وكانت الجامكية يوم ذاك كل شهر ثلاثين ألف دينار .

ثم فى يوم الخميس عاشره خلع السلطان على زين الدين عبد القادر ابن فخر الدين حسن بن نصر الله .

ثم فى رابع عشره خلعَ السلطانُ على جمال الدين يوسف بن الصَّفِّى الكَرَكى المعزول عن كتابة سِرِّ دِمَشق عوضاً عن بدر الدين حُسَين .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شهر رمضان — الموافق لرابع عشر مسرى — أوفى النيلُ ستة عشر ذراعاً ، ونزل المقام الناصرى محمد [بن السلطان][3] لتخليق المقياس وفَتْحِ خليج السد على العادة ، ونزَل معه الملك الصالحُ محمد ابن الملك الظاهر ططر ، وحضر تخليق المقياس ، وفتح الخليج — فتعجب الناسُ لنزوله مع ابن السلطان بعد خلعه من ملك مصر حسبما تقدَّم .

(١) ورد فى هامش اللوحة «الإفراج عن طرباى» .

(٢) الإضافة للتوضيح .

(٣) الإضافة عن (ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٨٩) .

قلت : وكان قصد الأشرف برسباى بركوب الملك الصالح [محمد][1] هذا مع ولده انبساط الصالح — كونه كان كالمحجور عليه بقلعة الجبل — وتنزُّهه ، لا كما زعم بعضُ الناس أنَّه يريدُ بذلك مشيه فى خدمة ولده وازدراءه ، كل ذلك وخاطر السلطان مشغول بأمر جانى بك الصوفى ، والفحص عنه مستمر ؛ غير أن السلطان يتشاغل بشىء بعد شىء ، وهو الآن مشغولُ الفكرة فى أمر المجاهدين لا يبرح يترقب أخبارهم إلى أن كان يوم الخميس تاسع شوّال ورد عليه الخبرُ من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج ، فدقّت البشائر [لذلك][2] بقلعة الجبل وغيرها ، وجمع القضاةُ وأعيان الدّيار المصرية بالجامع الأشرفى بخط العنبريين وقُرِئَ عليهم الكتابُ الوارد من طرابلس بنصرة المسلمين ، فضجَّ الناسُ وأعلنوا بالتكبير والتهليل ، ونودى بزينة القاهرة ومصر ، ثم قُرِئَ الكتابُ المذكور من الغد بجامع عمرو بن العاص بمصر ، وبينما الناس مستبشرون فى غاية ما يكون من السُّرُور والفرح بنصر الله قَدِمَ الخبرُ فى يوم الاثنين ثالث عشر شوّال [المذكور][3] بوصول الغزاة المذكورين إلى الطينة ، فقلق السلطان من ذلك وتنغّص فرحُ الناس وكثر الكلام فى أمر عودهم .

وكان من خبرهم : أنهم لما توجَّهُوا من ساحل بولاق إلى دمياط سارُوا منه فى البحر المالح إلى مدينة طرابلس فطلعوا إليها ، فانضمَّ عليهم بها خلائق من المماليك والعساكر الشامية وجماعة كبيرة من المطوعة إلى أن رحلوا عن طرابلس فى بضع وأربعين مركبا ، وساروا إلى جهة الماغوصة ، فنزلوا عليها بأجمعهم وخيموا فى برها الغربى ، وقد أظهر متملك الماغوصة طاعة السلطان وعرفهم تهيؤ صاحب قبرس واستعداده لقتالهم وحربهم ، فاستعدوا وأخذوا حذرهم وباتوا بمخيمهم على الماغوصة ، وهى ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان ، وأصبحوا يومَ الاثنين شَنُّوا الغارات على ما بغربى قبرس من الضياع ،

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٠) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٠) .

ونهبوا وأَسَرُوا وقتلوا وأحرقوا وعادوا بغنائم كثيرة، وأقاموا على الماغوصة ثلاثة أيَّام يفعلون ما تقدم ذكره من النهب والأسر [وغيره][1]

ثم سارُوا لَيْلَة الأربعاء يريدون الملاّحة، وتركوا فى البَرِّ أربعمائة من الرَّجَّالة يسيرون بالقُرْب منهم إلى أن وَصَلُوا إليها ونهبوها وأَسَرُوا وأَحْرَقُوا أيضا، ثم ركبوا البحر جميعا وأصبحوا باكر النهار فوافاهم الفرنج فى عشرة أَغْرِبَة وقرقورة[2] كبيرة ٥ فلم يثبتوا للمسلمين وانهزموا من غير حَرْب، واستمر المسلمون بساحل الملّاحة وقد أرست مراكبهم عليها .

وبينما هم فيما هم فيه كَرَّت أَغْرِبَةُ الفرنج راجعةً إليهم ، وكان قَصْد الفرنج بعودِهم أن يَخرج المسلمون إليهم فيقاتلوهم فى وسط البحر، فلما أَرْست المسلمون على ساحل الملّاحة كَرَّت الفرنج عليهم فبَرَزَت إليهم المسلمون وقاتلوهم قِتالاً شديدًا إلى أن هَزَمَهم الله ١٠ تعالى، وعادُوا بالخِزْى، وباتَ المسلمُون ليلةَ الجمعة خامس عشرين شهر رمضان، فلَمَّا كان بُكْرَة نهار الجمعة أقبل عسكرُ قُبْرُس وعليهم أخو الملك، ومشى على المسلمين فقاتله مقدارُ نصفِ العسكر الإسلامى أشدّ قتال حتى كسروهم ، وانهزَمَ أخو الملك بمَن كان معه من العساكر بعد أن كان المسلمون أشْرَفُوا على الهلاك ، ولله الحمد [والمنة][3] ، وقَتَلَ المسلمون من الفرنج مقْتَلَةً عظيمة ، ثم أمر الأمير جَرِبَاش بإخراج ١٥ الخُيول إلى البَرِّ فأخرجوا الخيولَ من المَراكِب إلى البَرِّ فى ليلة السبت وتجَهَّزُوا للمسير ليُغيرُوا على نَواحِي قُبرُس [من الغد][4] .

فلما كان بُكْرَة يوم السبت المذكور ركبوا وساروا إلى المَغَارَات[5] حتى

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩١) .

(٢) القرقورة: ويقال القراق والقرقور ، من سفن العصور الوسطى المتعددة الصوارى والشرع، ٢٠ وكانت معدة لتموين الأساطيل، وانظر (دكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٦٢ — ٣٦٤) .

(٣، ٤) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩١) .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعله يقصد الكهوف المنتشرة بقبرص التى كان يتحصن بها القبرصيون) .

وافوها ، فأخَذُوا يقتلون وَيأْسِرون ويَحرِقُون وينهبون القرى حتى ضَاقَت مراكبهم عن حَمْل الأسْرَى ، وامتلأت أيديهم بالغَنَائِم ، وألقَى كثيرٌ منهم ما أخذَه إلى الأرْض ، فعند ذلك كَتَبَ الأميرُ جَرِبَاش مقدَّم العساكر المجاهدة كِتَاباً إلى الأمير قَصْرُوَه مِن تِمرَاز [نائب طَرَابُلُس][1] بهذا الفتح [العظيم][2] والنصر [المبين][3]
٥ صحبة قَاصِدٍ بَعَثَه الأمير قَصْرُوَه مع المجاهدين ليأتيه بأخبارهم ، فعندما وصلَ الخبرُ للأمير قَصْرُوَه كتبَ فى الحال إلى السلطان بذلك ، وفى طَيِّ كتابه كتابُ الأمير جَرِبَاش المذكور ، وهو الكتابُ الذى قُرِئَ بالأَشْرَفِيّة بالقاهرة ، ثم بجامع عمرو بن العاص ، ثم إن الأمير جَرِبَاش لمَّا رأى أن الأمرَ أخذ حَدَّه ، وأن السلاَمةَ غنيمةٌ ، ثم ظهر له بعضُ تَخَوُّفِ عسكره ؛ فإنّه بلغهم أن صاحب قُبرُس قد جمَعَ عساكر كثيرة
١٠ واستعدّ لقتال المسلمين ، فشاوَرَ من كَان معه من الأمَرَاء والأَعْيَان ، فأجمع رَأيُ الجميع على العَوْدِ إلى جهة الدّيار المصريّة مخافَةً مِن ضَجَرِ العَسْكَر الإسلامى إن طالَ القتالُ بينهم وبين أهل قُبرُس إذا صاروا فى مُقَابِله ، فعند ذلك أجمَعَ رأيُ الأميرِ جَرِبَاش المذكور أن يعودَ بالعساكر الإسلاميّة على أجمل وَجه ، فحَلّ القِلاَع بعد أن تهيّأ للسّفر وسار عائِدًا حتى أرسى على الطِّينَةِ قريبا من قَطْيَا وثغر دِمْيَاط ، ثم توجّهوا إلى الدّيار
١٥ المصريّة ، ولما بلغ الناسَ ذلك وتَحَقَّق كلُّ أحدٍ ما حصلَ للمسلمين من النَّصْر والظَّفَر عادَ سرُورُهم لأن السلطان كان لما بَلَغَه عَوْدُهم نادَى فى الناس من أرَادَ الجهَاد فليحضُر لأَخْذِ النَّفَقة ، فكثر قَلَقُ الناس لذلك ، وظنوا كُلَّ ظَنٍ حتى عَلِمُوا من أمْرِهم ما حكيناه .

هذا ما كان من أمر الغُزَاة ، وأما السلطانُ فإنه أفرَجَ فى يوم الاثنين ثالث عشر
٢٠ شوّال عن الأمير الكبير بَيْبُغَا[4] المظفَّرِىّ من سجن الإسكندرية ونقله إلى ثغر دِمْيَاط ، وأنعم عليه بفَرَس بقُمَاش ذَهَب ليركَبَه بدِمْيَاط إلى حيث يشاء .

(١–٣) الإضافات من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٩٢) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة «الإفراج عن بيبغا المظفرى» .

ثم أخذ السلطانُ ينتظرُ الغزاةَ إلى أن قَدِمُوا عليه يوم السبت خامس عشرين شوّال المقدم ذكره، ومعهم ألفٌ وستون أسيراً ممن أسَرُوا فى هذه الغَزْوَة، وباتوا تلك الليلة بساحل بُولَاق، وصعدوا فى بُكْرَة يوم الأحد سادس عشرينه إلى القلعة، وبَيْنَ أيديهم الأَسْرَى والغنائم، وهى على مائة وسبعين حَمَّالاً وأربعين بَغْلاً وعشرة جِمَال، مابين جُوخٍ، وصُوفٍ، وصَنَادِيق، وحديد، وآلات حربيّة، وأوَانٍ، وسار ٥ الجميع من شارع القاهرة، وقد جلس الناسُ بالحوانيت والبيوت والأسطحة والشوارع بحيث إن الشخص كان لا يكاد أن يمُرّ إلى طريقه إلا بعد مشقّة كبيرة، وربما لا يستطيع السير ويرجع إلى حيث أتى، وبالجُمْلَة فإنه كان يوما مشهودا لم يُعْهَد مثلُه فى الدّولة التركية، ولما طلع ذلك كلُّه إلى القلعة وعُرِضَ على السلطان رسمَ السلطانُ ببَيْع الأَسْرَى وتقويم الأصناف، فقوِّمَت الأصناف. ١٠

ثم أُبْتُدِئَ بالبيع فى يوم الاثنين سابع عشرين شوّال بالحَرَّاقة من باب السّلسلة بحَضْرَةِ الأمير جَقْمَق العلائى أمير آخور الكبير[1]، وتولّى البيعَ عن السلطان الأميرُ إينَال الشَّشْمَانى الناصرىّ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، فاشتراهُم النّاس على اختلاف طبقاتهم من أمير وجندى وقاضٍ وفقيهٍ وتاجر وعامىٍّ، ورسم السلطانُ أن لا يُفَرّقَ بين الآباء وأولادهم، ولا بين قريبٍ وقريبه، فكانوا يشترونهم جميعاً، والذى كان ١٥ وحدَه أُبِيعَ وحدَه، واستمرّ البيعُ فيهم أيّاما، وجُمِعَ ما تحصَّلَ من أثمانهم فأنفقَ السلطانَ مِن ذلك على المجاهدين، فأَعْطَى لطائفة سَبْعَة دنانير ونصفا، ولطائفة ثلاثة دنانير ونصفا، وانقضى أمرُ المجاهدين فى هذه السنة.

قال المقريزى: فى يوم الجمعة سابع ذى الحِجّة اتّفقَت حادثةٌ شنيعة، وهى أن الخُبْزَ قَلّ وجودُه فى الأَسْوَاق فعند ما خرَجَ بدرُ الدين محمود العينتابى[2] مُحْتَسِب ٢٠

(١) ورد فى هامش المؤرخة «الامير جقمق الذى تسلطن فيما بعد».

(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦: ٥٩٤ «العينى» هذا وهو العالم المؤرخ الكبير قاضى القضاة بدر الدين العينى صاحب عقد الجمان وغيره من المصنفات فى كافة الفنون، وقد توفى سنة ٨٥٥ هـ عن ثلاث وتسعين سنة، وانظر ترجمته فى مقدمة كتاب السيف المهند تحقيق فهيم شلتوت.

القاهرة من دَاره سائرا إلى القَلْعة صاحَت عليه العامة واستغاثوا بالأُمراء وشكوا إليهم المُحْتَسِب ، فعَرَّج عن الشارع وطَلَعَ إلى القلعة وهو خائفٌ من رَجْم العَامَّة له وشكاهم إلى السلطان ، وكان يَخْتَصّ به ويقرأ له فى اللَّيل تواريخ الملوك ويُتَرْجِمها له بالتُّرْكيّة ، فحنق السلطانُ وبعث طائفةً من الأُمراء إلى باب زُوَيْلَة ، فأخذوا أفْواه السِّكَك ليقبضوا على الناس ، فرَجَمَ بعضُ العبيد بعضَ الأُمراء بحجرٍ أصابه فقُبِضَ عليه وضُرِب ، ثم قُبِضَ على جماعة كبيرة من الناس وأُحْضِرُوا بين يدَى السلطان ، فرَسَم بتوسيطهم، ثم أسلمهم إلى الوَالِى فضَرَبَهم وقَطَع آنافَهم وآذانهم وسجنهم ليلة السبت ، ثمّ عُرِضُوا من الغد على السلطان فأفْرَجَ عنهم ، وعِدَّتُهم اثنان وعشرون رجلا من المَسْتُورِين ما بين شريف وتاجر ، فتنكّرَت القلوبُ من أجل ذلك ، وانطلقت الألسنة بالدعاء وغيره — انتهى كلام المقريزى برمته .

وهو كما قالَ ، غير أنه سكَتَ عن رَجْم العامّة للعينتابِىّ المذكور يُريدُ بذلك تَقْوِيَة الشّناعة على العينتابِىّ لبُغْضٍ كَانَ بَيْنَهُما قديماً وحديثاً .

ثمّ قدِمَ كتابُ الأمير تَغْرِى بَرْدِى المَحْمُودِىّ رأس نوبة النُّوَب وأمير حاجّ المحمل من مَكّةَ فى يوم الجمعة حادى عشرين ذى الحجة ، يتضمَّن أنه لما نزل عَقَبَة أَيْلة[1] بعثَ قاصِداً إلى الشَّريف حسن بن عَجْلَان أمير مَكّة يُرَغِّبُه فى الطاعة ويُحَذِّرُه عاقبة المخالفة ، فقَدِمَ عليه ابنُه بَرَكَات بن حسن بن عَجْلان وقد نزل بطن مَرّ[2] فى ثامن عشرين ذى القعدة ، فسُرّ بقدومه ودَخَل معه مَكّةَ فى أوّل ذى الحجة ، وحَلَف له بَيْنَ الحَجَر الأسود والمُلْتَزَم أن أباه لا يناله مَكْرُوهٌ من قبله ولا من قِبَل السلْطان ، فعادَ إلى أبيه وقدم به مكّة فى يوم الاثنين ثالث ذى الحجة ، وأنه حَلَف له ثانياً وألْبَسه التَّشْرِيف السُّلطانى وقَرَّرَه فى إمْرَة مكّة على عادته ، وأنه عَزَم على حضُورِه إلى السلطان صُحْبَة الرّكْب واستخلاف ولده بَرَكَات على مَكّة — انتهى .

---

(١) راجع الحاشية (٨ ص ٢٠٦ ج ٢ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٢) بطن مر : من نواحى مكة ، عنده يجتمع واديا النخلتين فيصبحان واديا واحدا (ياقوت — معجم البلدان ٢ : ٢٢١) .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين المحرم سنة تسع وعشرين وثمانمائة خلَع السلطانُ على الأمير إينال الشّشْمَانى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة باستقراره فى حِسْبَة القاهرة عِوَضاً عن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى .

ثم فى رابع عشرين المحرم قدم الأميرُ (١) تَغْرِى بَرْدِى المحمودى رأس نوبة النوب وأمير حاج المحمل بالمحمل ، وقَدِمَ معه [الأمير](٢) الشريف حسن بن عَجْلان ، فأكرَمَه السلطانُ وأنزله بمكانٍ يَليقُ به ، ثم خلَع عليه فى يوم سابع عشرينه باستقراره فى إمرة مكّة على عادته بعد أن الْتَزَم بحمل ثلاثين ألف دينار ، وأرسل قاصده إلى مَكّة ليُحْضِر المبلغَ المذكور ، وأقام هو بالقاهرة رَهِينَةً ، وقدمَ أيضاً مع الحاج الأميرُ قَرْقَماس الشّعبانى الناصرىّ أحد مقدّمى الألوف ، بعد أن أقام بمكة نحوَ السنتين شريكاً لأمير مَكّة فى هذه المُدّة ، ومَهّدَ أمورها وأقْمَعَ عبيدَ مَكّة ومُفْسِدِيها وأبادَهم .

ثم فى يوم الأربعاء نصف صفر جمعَ السلطانُ الأمراء والقضاة وكثيراً من أكابر التجار وتحدّث معهم فى إبطال المُعَامَلَة بالذّهب المُشَخّص(٣) الذى يقال له الإفْرنتى ، وهو من ضرب الفرنج ، وعليه شِعَارُ كُفْرهم الذى لا تُجيزُه الشريعة المحمدية ، وأن يَضْرِبَ عوضَه ذهباً عليه السّكّة الإسلامية ، فَصَوّبَ من حضر رأىَ السلطان فى ذلك (٤) ، وهذا الإفرنتى المذكور قد كَثُرت المعاملةُ به فى زَمَانِنا من حُدُودِ سنة ثمانمائة فى أكثر مَدَائن الدُّنيا مثل : القاهرة ومصر ، والبلاد الشّامية ، وأكثر بلاد الرُّوم ، وبلاد الشرق ، والحجاز ، واليمن ، حتى صار هو النقد الرّائج والمطلوب فى المُعاملات ، وانفضّ المجلسُ على ذلك ، وقد كثر ثناء الناس على السلطان بسبب إبطال ذلك .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «قدوم أمير الحاج وصحبته الشريف حسن بن عجلان أمير مكة» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٥) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة «إبطال المعاملة بالذهب الأفرنتى» .

(٤) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٥٩٦ « فى إبطاله » .

ولما كان الغد طلبَ السلطانُ صُنّاعَ دارِ الضَّرْب وشرَع فى ضرْب الذّهب الأشْرفى، وتطلّب من كان عنده من الذهب الإفْرَنْتِى .

ثم فى سادس عشرينه نُودِىَ بالقاهرة بإبطال المُعَامَلة بالذهب الإفْرنْتى ، وأنْ يَتَعامَل الناسُ بالدّنانير الأشْرَفِيَّة زِنَةَ الدِّينار مِنْها زِنَةَ الإفْرنْتى ، ثم أَلْزَم السلطانُ الناسَ بحمل ماعندهم من الإفْرنْتية إلى دار الضّرْب .

ثم فى يوم الخميس رابع عشر شهر[1] ربيع الأول قدم الأمير قَصْرُوه[2] من تِمرَاز نائب طَرابُلُس ، وطلع إلى القلعة وقبّل الأرض وخلعَ السلطانُ عليه خِلْعَة الاستِمرار بولايته على عادته ، ثمّ فى يوم السبت قدّمَ هديّته إلى السلطان ، وكانت تشتمل على شىء كثير .

وفى يوم الخميس المذكور وصل[3] إلى القاهرة الأميرُ يَرْبُغَا التّنَمِىّ أحد أمراء العشرات عائداً من بلاد اليَمَن بغير طائل ، وسببه أن السلطان كان أطْمَعه بعضُ الناس فى أخذ اليمن وهوّن عليه أمْرها — وهو كما قيل — غيرأن الملك الأشرف لم يَلْتَفِت إلى ذلك بالكلية تَكْذِيباً للقائل له ، فأرسل الأميرَ يرْبُغَا هذا بهديّة لصاحب اليمن وصحبته السّيْفى ألْطُنْبغَا فِرِنْج الدَّمُرْدَاشِىّ والى دِمْيَاط — كان — ومعهما أيضا خمسون مَمْلوكاً من المماليك السلطانية ، فساروا إلى جدّة ، ثم رَكبوا منها البَحْر وتوجّهوا إلى جهة اليمن ، إلى أن وصلوا حَلْى بنى يَعْقُوب[4] ، فسار منه يرْبغَا التّنَمى ومعه من المماليك خمسة نفر لاغير ، ومعه الهدية والكتاب لصاحب اليمن ، وهو يتضمن طَلَب مالٍ للإعانة على الجِهَاد ، وأقام ألْطُنْبغَا فِرنْج ببقية المماليك فى المراكب ، فأكرم صاحبُ اليمن يرْبغَا

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٦) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «قدوم قصروه» .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « وصول يربغا من اليمن بغير طائل » .

(٤) حلى بنى يعقوب : مدينة بأطراف اليمن على ساحل البحر من جهة الحجاز بينها وبين السرين يوم واحد ، ويقال هى حصن من حصون تعز (ياقوت معجم البلدان) و (القلقشندى – صبح الأعشى ٥ : ١٣) .

المذكور وأخذ تجهيز هدية عظيمة ، وبينما هو فى ذلك قدم عليه الخبر بأن ألطنبغا فرنج نهب بعض الضياع وقتل أربعة رجال ، فأنكر صاحب اليمن أمرهم وتنبه لهم ، وقال للأمير يربغا : ماهذا خبر خير ، فإن العادة لا يحضر إلينا فى الرسالة إلا واحد ، وأنتم حضرتم فى خمسين رجلا ، ولم يحضر إلى منكم إلا أنت فى خمسة نفر وتأخر باقيكم وقتلوا من رجالى أربعة[1] ، وطرده عنه من غير أن يجهز هدية ولا وصلة بشىء ، ولولا خشية العاقبة لقتله ، فنجا يربغا بمن معه بأنفسهم ، وعادوا إلى مكة ، وقدم يربغا إلى القاهرة مخفا ، فلما بلغ السلطان ذلك أراد أن يجهز إلى اليمن عسكراً فمنعه من ذلك شغله بغزو الفرنج .

ثم فى يوم السبت أول شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير قصروه خلعة السفر، وخرج من يومه إلى محل كفالته بطرابلس .

ثم فى يوم السبت ثامنه خلع السلطان على الأمير يشبك الساقى الأعرج واستقر أمير سلاح عوضاً عن إينال النوروزى بحكم موته .

ثم فى خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور[2] استقر العلامة كمال الدين محمد ابن همام الدين محمد السيواسى الأصل الحنفى فى مشيخة التصوف بالمدرسة الأشرفية وتدريسها عوضا عن العلامة علاء الدين على الرومى بحكم رغبته وعوده إلى بلاده .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرينه خلع السلطان على القاضى بدر الدين محمود العينتابى باستمراره قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى ، واستقر التفهنى المذكور فى مشيخة صوفية خانقاه شيخون بعد موت شيخ الإسلام سراج الدين عمر قارئ الهداية .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرين [شهر[3]] ربيع الآخر المذكور نزل من القلعة جماعة

---

(١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٧ «ثم طرده» .

(٢) فى الأصل «الأول المذكور» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٨) .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٥٩٨) .

كبيرة من الأمراء والمماليك وهم متقلدون بسيوفهم حتى طَرَقوا الجودرية[1] إحدى حارات القاهرة ، فأحاطوا بها من جميع جهاتها وكبسوا على دورها وفتشوها تفتيشا عظيما ، وقد وشى بعضُ الناس إلى السلطان بأن جانى بك الصوفى فى دارها ، فلم يقعوا له على خبر ، وقبضوا على القاضى فخر الدين ماجد بن المزوق الذى كان ولى كتابة السرّ ونظر الجيش فى دولة الملك الناصر فرج وأحضروه بين يدى السلطان ، فسأله عن الأمير جانى بَك الصوفى وحلف له إن دله على مكانه لا يمسه بسوء ، فحلف فخر الدين المذكور أنه لا يعرف مكانه ولا وقع بصره عليه من يوم أمسك وحبس ، فلم يحمله السلطان على الصدق لمصاهرةٍ كانت بينه وبين جانى بك الصوفى وصحبة قديمة ، وأمر به فضرب بين يديه بالمقارع وأمر بنفيه ، ثم نودى من الغد أن لا يسكن أحدٌ بالجودرية لما ثبت عند السلطان أن جانى بك الصوفى مختف بها ، والظاهر أن الذى كان ثَبَتَ عند الأشرف أن جَانِى بَك الصُّوفى كان مُخْتَفِياً بها كان على حقيقته فيما بَلَغَنَا بعد مَوْت الملِك الأشرف ، غير أن السَّتَّارَ سَتَرَه وحَمَاه ، فلم يَعْثُرُوا عليه حتى قِيلَ إنه كان بالدَّار المَهْجُوم عليها ولم يَنْهَضْ للهُرُوب فالْتَفَّ بحصيرَةٍ بها ، وكلُّ مَن دخَل الدّار رأى الحصيرَة المذكورة فلَمْ يَجُسّها أحدٌ بيده ؛ لتعْلَم أن الله على كل شيء قدير .

ولما نُودِى أن لا يسكن أحدٌ بالُجودَرِيّة انتقلَ منها جماعةٌ كبيرةٌ واستمرت خاليةً زَمَاناً طويلا ، هذا والسلطانُ فى كلّ قليل يقْبِضُ على جماعةٍ من المماليك السلطانية ويعاقبهم ليقِرُّوا على جانى بَك الصُّوفى ، فلم يَقَعْ له على خبر ، كلُّ ذلك والسلطانُ فى شُغْل بتجهيز المجاهدين لغَزْوِ قُبْرُس :

ووَرَدَعليه — فى يوم السّبت سابع عشرين جُمَادى الأولى — رسولُ صاحب إستَانبُول

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «كبس الجودرية بسبب جانى بك الصوفى»

هذا — والجودرية يدل على موقعها اليوم المنطقة التى يخترقها شارع الجودرية وفروعه وحارة الجودرية الكبيرة والصغيرة وعطفة الجودرية وانظر (الحاشية ٣ ص ٥١ ج ٤ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

وهى القُسْطَنْطِينِيَّة بهديَّة وشَفَع فى أهْلِ قبرُس أن لا يُغْزَوْا ، فلم يلتَفِت السلطانُ إلى شَفاعته ، وأخذ فيما هو فيه من تَجْهيز العساكر .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر جُمادى الآخرة من سنة تسعٍ وعشرين المذكورة قَدِمَ من عساكر البلاد الشّاميّة عدةٌ كبيرةٌ من الأمراء والمماليك والعشير وطائفةٌ كبيرة من المطّوِّعة ليسيروا إلى الجهاد ، فأُنْزِلُوا بالمَيْدَان الكبير . ٥

وفيه خَلَع السلطانُ على قاضى القضاة عزّ الدين عبد العزيز بن على بن العزّ قاضى قضاة الحنابلة بدمشق زمن المؤيّد شيخ باستقراره قاضى قضاة الحنابلة بديار مصر ، عوضاً عن قاضى القضاة مُحبّ الدين أحمد بن نصر الله البَغْدادى بحكم صَرْفه عنها ، وكان عزل قاضى القضاة مُحب الدين لِسُوء سيرة أخيه وابنه .

١٠ ثم فى ثالث عشرين جمادى الآخرة جاسَ السلطانُ بالحوْشِ من قلعة الجبل لعَرْضِ المجاهدين ، وأنفقَ فيهم مالاً كبيرا ، فكانَ يوماً من أجلِّ الأيّام وأحسنها ، لِماَ وقع فيه من بَذْلِ السلطان الأموالَ على من تَعَيَّن للجهاد ، وعلى عَدَمِ ٱلْتِفَات المجاهدين لأخذ المال ، بل كان الشخصُ إذا وقَفَ فى مَجْلِس السلطان ينظر رءوس النُّوَب تتهارَبُ من المماليك السلطانية الذين يُريدُون أخذَ الدّستور[1] من السّلطان للتوجّه إلى الجهاد ، ١٥ والسلطان يأمرهم بعدَمِ السّفر ، ويعتذِر أنه لم تَبْق مراكبُ تحملهم ، وهم يتساعون فى ذلك مرّةً بعد أُخرى ، وربما تكرَّر وقُوفُ بعضهم الأربعَ مرّات والخمسة ، وأيضا من عِظَم ازْدِحَام الناس على كُتَّابِ المماليك ليكتُبُوهم فى جُمْلة المجاهدين فى المراكب المُعَيَّنة ، حتى إنه سافَر فى هذه الغَزْوَة عدّة من أعيان الفُقَهاء ، ولمّا أن صار السلطان لا يُنْعِمُ لأحد بالتَّوَجُّه بعد أن اسْتَكْفَت العساكرُ سافرَ جماعةٌ من غيْر دُسْتُور ، ٢٠ وأعْجَبُ من هذا أنه كان الرّجل ينظر فى وَجْه المُسافِر للجهاد يعرفه قبلَ أن يسأله لِماَ بِوَجْهِهِ من السُّرُور والبِشْر الظاهر بفَرَحِهِ للسّفر ، وبعكس ذلك فيمن لم يُعَيّن للجهاد ، هذا مع كثرة من تعيَّن للسفر من المماليك السلطانية وغيرهم ، وما أرى هذا إلا أنَّ الله

(١) الدستور : يعنى الإذن والتصريح .

[تعالى][(١)] قد شَرَحَ صُدُورَهم للجهاد وحببهم فى الغَزْوِ وقتالِ العدوّ ، ليقضى اللهُ أمراً كان مَفْعُولا ، ولم أنظر ذلك فى غَزْوَة من الغَزَوَات قَبْلَها ولا بعدها — انتهى .

ثمّ فى يوم الخميس أوّل شهر رجب أُدِيرَ المحملُ بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة ، وعُجِّلَ عن وقته لسفر المجاهدين للغُزَاة .

٥ ثم فى يوم الجمعة ثانى شهر رجب من سنة تسع وعشرين المذكورة خرجت المجاهدون من القاهرة ، وسافروا من ساحل بولاق إلى جهة الإسكندرية ودِمْيَاط ، ومقدّموا العساكر جماعةٌ كبيرةٌ من أمراء الألوف وأمراء الطبلخانات وأمراء العشرات وأعيان الخاصّكيّة ، وجماعة كبيرةٌ من أعيان أمراء دِمَشْق وغيرها ، فالذى كان من مقدّمى الألوف : الأمير إينَال الجَكَمِىّ أمير مجلس ، وهو مقدّم العساكر فى المَرَاكِب بالبَحْر ، ومعه الأمير قَرَامُرَاد خجَا الشّعبانى أمير جَانْدَار وأحد مقدّمى الألوف ،

١٠ وعدّة من الأمراء والمماليك السّلطانية وغيرهم ، والذى كان مقدّم العساكر فى البرّ الأمير تَغْرِى بَرْدِى المَحْمُودىّ الناصرىّ رأس نَوْبَة النُّوَب ، ومعه الأمير حسين ابن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمُش نائب القَلْعَة — كان — وهو يوم ذاك أحد مقدّمى الألوف ، فهؤلاء الأربعة من أمراء الألوف ، والذى كان من أمراء الطبلخانات

١٥ الأميرُ قَانصُوه النَّوْرُوزِىّ ، والأمير يَشْبُك السُّودُونِىّ المُشِدّ الذى صار أتابَك فى دَوْلَة الملك الظاهر جَقْمَق ، والأمير إينَال العَلاَئى ثالث رأس نوبة ، أعنى عن السلطان الملك الأشرف إينَال سُلْطَان زَمَانِنَا ، وأمير آخر لا يحضرنى الآن اسمُه ، والذى توجّه من أمراء العشرات فعِدّةٌ كبيرة ، والذى كان من أمراء دِمَشْق : الأمير طُوغَان السَّيْفى تَغْرِى بَرْدِى أحد مقدّمى الألوف بدِمَشْق ، وهو دَوادَار الوَالد [رحمه الله][(٢)]

٢٠ ومملوكه ، وجماعة كبيرةٌ أُخر دُونَه فى الرُّتْبَة من أمراء دِمَشْق ، وخرجت الأمراء فى

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٠) .
(٢) الإضافة (من ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٠١) .

هذا اليوم ، وتبعهم المجاهدُون فى السّفر فى النيل أرْسَالا حتى كان آخرهم سفراً فى يوم السبت حادى عشر شهر رجب المذكور .

وكان ليوم خروج المُجَاهدين بساحِلِ بُولَاق نهارٌ يَجِلُّ عن الوصف ، تجمَّعَ الناسُ فيه للفُرْجَة على المسافرين من الأقطار والبلاد والنَّوَاحِى ، حتى صار ساحِلُ بُولَاق لا يستطيع الرَّجُل أن يَمُرَّ فيه لحاجته إلا بعد تعب ومشقة زائدة ، وعدّى الناس إلى البرِّ الغرْبِىّ بِبرّ مُنْبَابَة وبُولَاق التَّكْرور ، ونصبوا بها الخِيَم والأَخصَاص ، هذا وقد انتشر البحرُ بالمرَاكب التى فيها المتنزِّهُون ، وأمّا بيوت بُولاق فلم يقْدِر على بيت منها إلا مَن يكون له جاه عريضٌ أو مال كبير ، وتَقَضّى للناس بها أيامُ سرور وفرح وابتهالٍ إلى الله تعالى بنصر المسلمين وعودهم بالسلامة والغنيمة .

وسار الجميع إلى ثغر دِمْيَاط ، وثغر الإسكندرية ، وتهيّئوا للسفر والسلطان مُتَشَوِّف لما يَرِدُ عليه من أخبار سَفَرِهم .

وبينما هو فى ذلك وردَ عليه الخبرُ فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب المذكور بأن الغُزَاة مرّوا فى طريقهم[1] إلى رشيد ، وأقلعوا من هناك يوم رابع عشرينه ، وساروا إلى أن كان يوم الاثنين انكسر منهم نحو أربعة مراكب غرق فيها نحو العشرة أنفس ، وكانوا بالقُرْب من ساحل الإسلام بثُغُور أعمال مصر ، ولما بلغ السلطان ذلك انزعج غاية الانزعاج حتى إنه كاد يَهْلِك ، وبكى بكاء كثيراً ، وصار فى قلق عظيم ، بحيث إن القلعة ضاقت عليه ، وعزم على عَدَم سفر الغُزَاة المذكورين ، ثم قَوِىَ عنده أنه يُرْسِل الأميرَ جَرِباش الكَرِيمىّ قاشق حاجب الحجاب لكشف خبرهم ولعمل مصالحهم والمشورة مع الأمراء فى أمر السفر ، وخرَجَ الأمير جَرِباش المذكور مسافراً إليهم وترك السلطانَ فى أمرٍ مَريج ، وكذلك جميعَ الناس إلا أنا تَبَاشَرْتُ بالنَّصْر من يومئذ ، وقلت : ما بعد الكسر إلا الجبر ، وكذا وقع فيما يأتى ذكرُه إن شاء الله تعالى ، وسار الأمير جَرِباش إلى العسكر فوجدَ الذى حصل بالمراكب المذكورة تَرْمِيمه سهلٌ ، وقد

(١) فى الأصل «سيرهم» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠١) .

شَرَعَت الصنَّاعُ فى إصلاحه ، فتشاوَرَ مع الأُمراء فأجمع الجميعُ على السَّفر ، فعند ذلك جمعَ الأميرُ جَرِباش الصُّنَّاع وأصلحَ جميعَ ما كان بالمراكب من الخلل إلى أن تَمَّ أمرُهم ، فركبوا وساروا على بركة الله وعونه ، وعاد الأمير جَرِباش وأخبرَ السلطانَ بذلك فسكنَ ما كان به .

٥ وكان قَبْل قدوم جَرِباش أو بعد قدُومه فى يوم الثلاثاء خامس شعبان وردَ الخبرُ على السلطان بأن طائفةً من غزاة المسلمين من العسكر السلطانى لمّا ساروا من رشيد إلى الإسكندرية صدَفوا فى مَسيرهم أربعَ قطع من مراكب الفرنج وهم قاصدُون(١) ثغر الإسكندرية فكتب المسلمون لمن فى رشيد من بقيّة الغُزَاة بسرعة إلحاقهم ليكونوا يداً واحدة على قتال الفرنج المذكورين ، وتقاربوا من مراكب الفرنج وترَامَوْا معهم ١٠ يومَهم كلَّه [بالنُّشَّاب](٢) إلى الليل ، وباتوا يتمارسون إلى الصباح ، فاقتتلوا أيضاً باكر النهار ، وبينما هم فى القتال وصل بقيّة الغُزَاة من رشيد ، فلما رآهم الفرنجُ وَلَّوا الأدبار بعد ما استُشْهِد من المسلمين عشر نفر ، وساروا حتى اُجتمعوا بمن تقدَّمهم من الغُزَاة من ثغر الإسكندرية ، وسافرَ الجميعُ معاً يُريدُون قبْرُس فى يوم الأربعاء العشرين من شعبان ، إلى أن وصلوا إلى قلعة اللِمسُون فى أخريات شعبان المقدم ذكره ، فبلغهم أن صاحب ١٥ جَزِيرة قبرس قد اُستعدَّ لقتالهم ، وجمع جمُوعاً كثيرة ، وأنه أقام بمدينة الأفْقُسيّة(٣) — وهى مدينة قبرس — وعزم عَلَى لقاء المسلمين ، فأرسلوا بهذا الخبر إلى السلطان ، ثم انقطعت أخبارُهم عن السلطان إلى ما يأتى ذكره .

وفى يوم السبت رابع عشر شهر رمضان خَلَع السلطان على الأمير يَشْبُك السَّاقى الأعرج أمير سلاح باستقراره أتَابَك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن الأمير قُجَق

٢٠ (١) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٣ «وهى قاصدة» .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٣) .

(٣) الأفقسية : لم يعرف ياقوت فى معجم البلدان بهذه المدينة ، وكذلك البغدادى فى مراصد الاطلاع ، ولعلها المعروفة حاليا بنيقوسيا عاصمة جزيرة قبرس .

العِيساوِىّ بحكم وفاته ، وأنعم بإقطاع يَشْبُك الأعرج المذكور عَلَى الأمير قَرْقَمَاس الشّعبانى الناصرى القادم من مَكّة قبل تاريخه ، وأنعم بإقطاع قَرْقَمَاس المذكور عَلَى الأمير بُرْدُبَك السيفى يَشْبُك بن أَزْدَمُر لأمير آخور الثانى ، وصار من جملة مقدّمى الألوف ، وأنعم بإقطاع بُرْدُبَك على الأمير يَشْبُك أخى السلطان الملك الأشرف بَرْسْبَاى القادم قبل تاريخه بمدّةٍ يسيرة من بلاد الجاركس ، والإقطاع إمْرَة طبلخاناه ، وخلع على سُودُون ٥ ميق رأس نَوْبة باستقراره أمير آخور ثانياً عوضاً عن بُرْدُبَك المقدّم ذكره .

ذكر غزوة قبرس على حدتها

ولما كان يوم الاثنين ثالث عشرين شهر رمضان وردَ الخبرُ على السلطان بأخذ مدينة قُبْرُس وأسْر ملكها جَيْنُوس بن جاكَ ، فدقَّت البشائر بالقلعة لهذا الفتح ثلاثةَ أيام ، وكان من خبر ذلك أن الغزاة لما ساروا من الثّغور المذكورة إلى جهة قبْرُس وصلوا إلى مدينة اللِّمَسُون مجتمعين ومُتَفرِّقين ، فبلغهم من أهل اللِّمَسُون أن متملك قُبْرُس جاءهُ نجدةٌ كبيرة من ملوك الفِرنج ، وأنه استعدّ لقتالهم كما تقدّم ذكره ، ولما وصلوا إلى اللِّمَسُون نازَلُوا قلعتها وقاتلوا من بها حتى أخذوها عَنْوَةً فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان ، ونهبوها وسبوا أهلها ، وقتلوا جماعةً كبيرة ممن كان بها من الفِرنج ، ثم هدموها عن آخرها ، وساروا منها فى يوم الأحد أوّل شهر رمضان من سنة تسع وعشرين المقدم ذكرها بعد أن أقاموا عليها نحو ستة أيام ، وساروا فرْقَتَيْن فرقة فى البَرّ وعليهم الأمير تَغرى بَرْدِى المحمودى والأمير حُسَين بن أحمد المدعو تَغْرى بَرْمُش أحد مقدّمى الألوف ومَن انْضَاف إليهم من أمراء الطبلخانات والعشرات والعساكر [المصرية والشاميّة] (١) من الخَيّالة والرَّجّالة ، وفرقة فى البحر ومقدّمُهم الأمير إينال الجَكَمىّ أمير مجلس ، والأمير قَرَامُراد خَجَا الشَّعْبانىّ أحد مقدّمى الألوف بمن انضاف إليهم من العساكر المصرية والشاميَّة ، وكان سببُ مسير هؤلاء فى البحر مخافة أن يطْرُق الفرنجُ المراكبَ من البحر ويأخذوها ويصير المسلمون ببلادهم يقاتلونهم على هيئتهم ، وكان ذلك من أكبر المصالح . ثم سار الذين فى البرّ متفرقين حتى صاروا بين اللِّمَسون والمَلّاحة وهم من غير تعبئة لقتال بل على صفَة السُّفار غير أنَّ على بعضهم السلاحَ وأكثرهم بلا سلاح لِشِدَّة الحر ، وصار كلٌّ واحد من القوم يطْلُبُ قُدَّاماً من غير أن يتربَّص أحدهم لآخر ، وفى ظنهم أن صاحب قُبرس لا يَلْقاهُم إلا خارج قُبْرُس ، وتأخّر الأمراء ساقَةَ العسكر كما هى عادة مقدّمى العساكر ،

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٥) .

والناس تَجِدُّ فى السّير إلى أن يقاربوا قُبْرُس [ثم][1] يقفوا هناك يُرِيحُون [خيلهم][2] إلى أن تكتمل العساكرُ وتتهيأ الأطلابُ للقتال ثم يسيرون جملةً واحدةً بعد التعبئة والمصافقة .

وبينما هم فى السير إذا هم بمتملك قُبْرُس بجيوشه وعساكره ومن انضاف إليه من ملوك الفِرِنْج وغيرها وقد ملأت الفضاء ، وكان الذين وافاهم صاحب قُبْرُس من المسلمين الذين سبقوا طائفة قليلة جداً وأكثرهم خيّالة من أعيان المماليك السلطانية ، فعندما وقع العينُ على العين لم يتمالك المسلمونُ أن يَصْبِرُوا لمن خلفهم حتى يصيروا جملةً واحدة بل انتهزوا الفُرْصَة وتعرّضوا للشهادة ، وقال بعضهم لبعض : هذه الغنيمة ، ثم حرّكوا خيولَهم وقصدوا القومَ بقلب صادق — وقد احتسبوا نفوسهم فى سبيل الله — وحملوا على الفِرِنْج حملةً عظيمة [وصاحوا الله أكبر][3] وقاتلوهم أشدّ قتال ، وأردفهم بعضُ جماعة وتخلّف عنهم أُخَر ، منهم رجل من أكابر الخاصّكيّة أقامَ يستظلّ تحت شجرة [كانت][4] هناك ، وتقاتل المسلمون مع الفِرِنْج قتالا شديداً ، قُتِل فيه السّيفى تَغْرِى بَرْدى المؤيّدى الخَازِنْدَار ، وكان من محاسنِ الدنيا ، لم ترعينى أكملَ منه فى أبناء جنسه ، والسّيفى قُطْلُوبُغَا المؤيّدى البَهْلَوَان ، وكان رأسًا فى الصِّرَاع ، ومن مَقُولَةِ تَغْرِى بَرْدِى المقدّم ذكره فى الشجاعة والفروسيّة ، والسيفى إينَال طَاز البَهْلَوان ، والسيفى نَانَق اليَشْبُكِيّ وهؤلاء الأربعة من الأعيان والأبطال المعدودة — عوّضَ اللهُ شبابهم الجنة بمنّه وكرمه — ثم قُتِلَ من المسلمين جماعة أُخَر ، وهم مع قِلتهم ويَسِيرِ عددهم فى ثبات إلى أن نصر اللهُ الإسلام ، ووقع على الكفرة الخذلان وانكسروا ، وأُسِر متملك قُبْرُس مع كثرة جموعه وعِظَمِ عساكره التى لا تُحْصَر ، وقلة عسكر المسلمين ، حتى إن الذى كان حضر أوائل الوَقْعَةِ أقل من سبعين نفسا قبل أن يصل إليهم الأمير إينَال العلائى الناصرى أحد أمراء الطبلخانات [ورأس نوبة ثالث][5] وهو الملك الأشرف إينَال ، والأمير تَغْرِى بَرْمُش ، ثم تتابع القومُ طائفةً بعد طائفة ؛ كلّ ذلك بعد أن انكسرت الفِرِنْج وأُسِر

(١ ، ٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٠٥) .

(٣ ، ٤ ، ٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٠٦) .

صاحبُ قُبْرُس، وقُتِلَ من قُتِلَ من المسلمين، ولمّا ترادَفت عساكرُ الإسلام رَكِبُوا أقفية الفِرِنْج ووضعوا فيهم السّيف، وأكثروا من القتل والأسر، وانهزم مَن بَقِى من الفرنج إلى مدينة قُبْرُس الأَفْقُسِيّة، ثم وجد المسلمون مع الفرنج طائفة من التركمان المسلمين قد أمدَّ الفرنجَ بهم عَلِى بَك بن قَرَمَان — عليه من الله ما يستحقه — فقتَلَ المسلمون كثيرا منهم.

واجتمع عساكر البَرّ والبحر من المسلمين فى المَلّاحة يوم الاثنين ثانى شهر رمضان، وتسلم الأميرُ تَغْرِى بَرْدِى المحمودى صاحبَ قُبْرُس، كل ذلك والمسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون حتى امتلأت أيديهم وتُعُلُّبوا عن حمل الغنائم.

وأما القتلى من الفِرِنْج فلا تُحْصَر ويُسْتَحَى من ذكرها كثرة؛ حدثنى بعضُ مماليك الوالد ممن باشر الواقعة من أوّلها إلى آخرها وجماعة كبيرة من الأصحاب الثقات قالوا: كان موضعَ الوَاقْعة أزيدُ من ألفى قتيل من قتلى الفِرِنج، هذا فى الموضع الذى كان فيه القتال، وأما الذى قُتِلَ من الفِرِنْج بالضّياع والأماكن وبطريق قُبْرُس فلا حدّ له ولا حساب، فإنه استمرّ القتل فيهم أيّاماً، واستمروا على المَلّاحة إلى يوم الخميس خامس شهر رمضان فساروا منها يريدُون الأَفْقُسِيّة مدينة قُبْرُس.

ولما ساروا وافاهم الخبرُ — بعد أن تقدّم منهم جماعة كبيرةٌ من المُطَّوِّعة والمماليك السلطانية إلى مدينة قُبْرُس— بأن أربعة عشر مركبا من مراكب الفِرِنْج مشحونةبالسلاح والمقاتلة أتت [المراكب][1] لقتال المسلمين، منها سبعةُ أَغْرِبَة، وسبعة مُرَبَّعَة القِلَاع، فلاقاهم الأميرُ إينَال الجَكَمِىّ أمير مجلس، والأمير قَرَامُرَادْخَجَا الشعبانى، والأمير طوُغَان السّيفى تَغْرِى بَرْدِى أحد مقدّمى دِمَشْق، والأمير جَانِى بَك رأس نوبة السّيفى يَلْبُغَا النّاصرى المعروف بالثَّوْر بعساكرهم وبمن انْضَاف إليهم من المُطوِّعَة وغيرهم؛ وهؤلاء الأمراء الذين كانوا مقدّمى العساكر فى البحر بالمراكب، واقتتلوا مع الفِرِنْج المذكورين أشدّ قتال حتى هزموهم وأخذوا منهم مركبا مُرَبَّعًا من مراكب

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٧).

الفرنج بعد أن قتلوا منهم عدّةً كبيرة تقارب ماذكرنا ممّن قُتِل بمكان الوَقْعَةِ الأولى، وولت الفرنجُ الأدبار .

واستمرّ الذى توجّه من الغزاة إلى الأَفْقُسِيّة من المماليك السلطانية وغيرهم يقتلون فى طريقهم ويأسرون إلى أن وصلوا إلى المدينة ودخلوا قصرَ الملك ونهبُوه .

ثم عادوا ولم يَحْرِقوا بمدينة قُبْرُس إلا مواضع يسيرة ، ولم يدخل المدينة أحدٌ من أعيان العسكر ، وغالب الذى دخلها من المماليك السلطانية والمُطَوِّعة ، وكان دخولهم وإقامتهم بها وعودهم منها فى يومين وليلة واحدة . ٥

ثم أقام جميعُ الغزاة بالملّاحة وأراحوا بها أبْدَانَهم سبعة أيّام ، وهم يقيمون فيها شعائر الإسلام من الأذان والصلاة والتسبيح — ولله الحمد على هذه المنة بهذا الفتح العظيم الذى لم يقع مثله فى الإسلام من يوم غزاهم معاوية بن أبى سفيان ، رضى الله عنه فى سنة نيّف وعشرين من الهجرة . ١٠

ثم ركبت الغزاةُ المراكبَ عائدين إلى جهة الدّيار المصرية ، ومعهم الأسرى والغنائم ، ومن جملتها متملِّكُ قُبْرُس فى يوم الخميس ثانى عشر رمضان بعد أن بعثَ أهلُ الماغُوصَةِ يَطْلُبُون الأمانَ — هذا ما كان من أمرهم — [انتهى][1] .

وجزيرة قبرس تسمّى باللغه الرّومية شبرا ، والبحر يحيط بها مائتى ميل ، والميل أربعة آلاف ذراع ، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً ، والإصبع ست شعيرات مضموم بعضها إلى بعض ، والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال والبريد بهذا الفرسخ أربعة فراسخ ، وجزيرة قبرس من الإقليم الرّابع من الأقاليم السبعة ، وسلطانُها يقالُ له أرادا شبرا : أى سلطان الجزيرة ، وقبرس مدينة بالجزيرة تُسَمَّى الأفقسيّة ، ومسيرة جزيرة قبرس سبعة أيام ، وبالجزيرة المذكورة اثنا عشر ألف قرية كبارا وصغارا ، وبمدنها وقراها من الكنائس والدّيارات والقلالى والصوامع كثير ، وبها البساتين المشتملة على الفواكه المختلفة ، وبها ١٥ ٢٠

(١) إضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٨) .

الرياحين العطرة كالخزام والياسمين والورد والسَّوْسَن والنرجس والريحان والنسرين والأقحوان وشقائق النعمان وغير ذلك ، وبمدن الجزيرة المذكورة الأسواق والخانات والحمَّامات والمبانى العظيمة [انتهى][1]

وأما أمرُ السلطان الملك الأشرف [برسباى][2] فإنه لما بلغه خبرُ أخذِ قبرس
٥ فى يوم الاثنين ثالث عشرين رمضان حسبما تقدَّم ذكره كاد أن يطير فرحاً ، ولقد رأيتُه وهو يبكى من شدَّةِ الفرح ، وبكى الناس لبكائه ، وصار يكثر من الحمد والشكر لله ، ودقَّت البشائر بقلعة الجبل وبسائر مدن الإسلام لما بلغهم ذلك ، وارتجَّت القاهرة وماجت الناس من كثرة السرور الذى هجم عليهم ، وقُرِئَ الكتابُ الواردُ بهذا النصر على الناس بالمدرسة الأشرفية بخط العنبريِّين بالقاهرة حتى سمعه كلُّ من قَصَد سماعه[3] ، وقالت
١٠ الشعراء فى هذا الفتح عِدَّة قصائد ، من ذلك القصيدة العظيمة التى نَظَمها الشيخ زينُ الدين عبد الرحمن بن الخراط أحد أعيان موقعى الدَّست[4] بالديار المصرية ، وأنشدها بين يَدَى السلطان بحضرَة أرْبَاب الدولة ، والقصيدة ثلاثة وسبعون بَيْتا ، أولها . [الكامل]

بُشراك يا مُلْكَ المليكِ الأشرفِ ... بفتوحِ قبرسَ بالحسامِ المشرفى
١٥ فتحٌ بشهرِ الصومِ تمَّ له فيَا ... لَكَ أشرفٌ فى أشرفٍ فى أشرفِ
فتحٌ تفتحت السمواتُ العلى . . . ... مِنْ أجلِهِ بالنصر واللطفِ الخفى
والله حف جنوده بملائـــــكٍ ... عَادَاتُهَا التأييد وهـو بها حفى

---

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٠٩) .
(٢) إضافة للتوضيح .
٢٠ (٣) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٠٩ «كل من قصد سماعه وحضر» .
(٤) موقعو الدست : هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان على ترتيب منازلهم بالأقدمية ، ويقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ، ويوقعون على القصص مثله ، وسموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه ، وذلك لجلوسهم بين يديه ، وانظر (القلقشندى – صبح الأعشى ١ : ١٣٧) .

ومنها :

الأشرفُ السلطانُ أشرف مالكٍ لولاه أنفس ملكه لم تشرف

هو مكتف بالله أحلم قادرٍ راضٍ لآثارِ النبوةِ مقتفى

حَامي حمى الحرمين بيت الله والـ قبر الشريف لزائر ومطوف

وكلها على هذا النسق — انتهى . ٥

قلتُ : وكل ذلك والنّصارى تكذبُ هذا الخبر وتستغربه من أسر متملِّك قُبْرُس وهزيمته على هذا الوجه ، لأن أمر هذا النّصر فى غاية من العَجَب من وجوه عديدة .

أوّلها : قلة مَن قاتل الفرنج من المسلمين ، فإنهم كانوا فى غاية من القِلَّة [(١بحيث إن العقل لا يقبل ذلك إلا بعد وقوعه فى هذه المرة١)] .

وثانيهما : أنه لم تتعب عساكر الإسلام ولا وقع مصاف . ١٠

وثالثها : أنه كان يمكن هزيمة صاحب قبرس من المسلمين بعد أيّام كثيرة من وجوهٍ عديدة يطول الشرح فى ذكرها لا تخفى على من له ذَوْق . .

ورابعها : أنه كان يمكن هزيمة الفرنج ولا يمكن مسكُ الملك وأسره أيضا من وجوه عديدة .

وخامسها : أن غالب العسكر إذا حصل لهم هزيمة يتحايون ويرجعون غير مرة على من هزمهم لاسيما كثرة عساكر الفرنج وقلة من حضر الوقعةَ من عساكر المسلمين فى هذه المرّة ، فكان على هذا يمكنهم الكرُّ على المسلمين بعد هزيمتهم غير مَرّة . ١٥

وسادسها : أن الوقعة والقتال والهزيمة والقبض على الملك وتشتت شمل الفرنج والاستيلاء على ممالكهم كل ذلك فى أقل من نصف يوم ؛ فهذا أعجب من العجب . ٢٠

(١-١) ما بين الرقمين ورد فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦١٠ بعد «من وجوه عديدة» وما هنا من الأصل الصواب » .

وما أرى إلا أن الله سبحانه وتعالى أعزّ الإسلامَ وأهلَه، وخذل الكُفْرَ وأهله بهذا النصر العظيم الذى لم يُسمع بمثله فى سالف الأعصار، ولا فرح بمثله ملكٌ من ملوك الترك، ولقد صار للملك الأشرف بَرْسْبَاى بهذا الفتح ميزة على جميع ملوك التُّرْك إلى يوم القيامة — اللّهم لا مانع لما أعطيت.

ولما بلغ الملكَ الأشرفَ عودُ الغُزَاة المذكورين إلى جهة الدِّيَار المصريّة رسَم فَنُودِىَ بالقاهرة ومصر بالزِّينة، ثم نَدَبَ السلطانُ جماعة كبيرة [من المماليك السلطانية] (1) بالتوجّه إلى الثَّغور لحفظ مَرَاكب الغُزَاة بعد خُرُوجهم منها خوفا من أن يَطْرُقَهم طارقٌ من الفرنج مما يأتى صاحبَ قُبْرُس من نَجْدَات الفرنج — وكان هذا من أكبر المصالح — ثم رسمَ السلطانُ لهم أن يأخذوا جميعَ المراكب من ثَغْر دِمْياط ويأتوا بها إلى ثغر الإسكندرية لتُحْفَظ بها؛ وسبب ذلك أن الغزاة المذكورين كان منهم مَن وصلَ إلى ثَغْر الإسكندرية، ومنهم من وصل إلى ثغر دِمْيَاط، ومنهم من وصل إلى الطِّينَة؛ لكثرة المراكب ولاختلاف الأَرياح.

وبينما السلطانُ فى انتظار المجاهدين قَدِمَ عليه السيّد الشريف بَرَكَات (2) بن حسن بن عَجْلاَن أميرُ مكّة منها، وقد استُدْعِى بعد مَوْت أبيه، فأكرمه السلطانُ وخلعَ عليه بإمْرَة مَكّة على أنه يقوم بما تأخّر على أبيه من الذّهب، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، فإن أباه الشريف حسن بن عَجْلان كان قد حَمَلَ من الثلاثين ألف دينار — التى اُلتزم بها قبل موته — خمسة آلاف دينار، ثم التزم بركاتُ أيضا بحمل عشرة آلاف دينار فى كلّ سنة، وأنْ لاَ يتعرض السلطانُ لما يُؤْخَذ من بندر جدّة من عُشُور بضائع التُّجَّار الواصلة من الهِنْد وغيره، وأن يكون ذلك جميعه لبركات المذكور [انتهى] (3).

ولما كان يوم عيد الفطر ابتدأ دخول (4) الغزَاة إلى ساحل بُولاَق أرْسَالا كما خرجوا

(1) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦١١).
(2) ورد فى هامش اللوحة «قدم الشريف بركات».
(3) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦١١).
(4) ورد بهامش اللوحة «ابتداء دخول الغزاة».

منها ، ووافق فى هذه الأيام وفاء النيل ستة عشر ذراعا ، فتضاعف مَسَرَّاتُ الناس من كل جهة ، واستمرّ دخولهم فى كل يوم إلى ساحل بُولَاق إلى أن تكامَل فى يوم الأحد سابع شوّال ونزَلُوا بالميدان الكبير بالقرب من مُورَدَةِ الجِبْس ، وأصبحوا من الغد فى يوم الاثنين ثامن شوّال — وهو يوم فطر السلطان ؛ فإنّه كان يصوم الستة أيّام من شوّال — طلعوا إلى القلعة على كَيْفِيَّة مايُذْكَر ، وهم جميعُ الأمراء والأعيان من المجاهدين والأسرى ، والغنائمُ بين أيديهم ، ومتمَلِّكُ قُبرُس الملك جَينُوس بن جاك أمامَهم وهو منكّس الأعلام ، وقد اجتمع لرؤيتهم خلائق لا يعلم عِدّتهم إلا الله تعالى ، حتى أتت أهلُ القرى والبلدان من الأرياف للفرجة ، وركبت الأمراء من الميدان ومعهم غالبُ الغُزَاة ، وساروا من أرض اللُّوق[1] حتى خرجوا من المَقْس[2] ودخلوا من باب القنطرة ، وشقوا القاهرة إلى باب زُوَيْلَة ، وتوجّهوا من الصَّلِيبَة[3] من تحت الخانقاه الشيخونية من سويقة منعم[4] إلى الرُّمَيْلة ، والخلق فى طول هذه المواضع تزدحم بحيث إن الرجل لا يسمع كلامَ رفيقه من كثرة زغاريط النِّسَاء ، التى صُفَّت على حوانيت القاهرة بالشوارع من غير أن يَنْدُبَهم أحدٌ لذلك . والإعلان بالتكبير والتهليل ، ومن عظم التهانى .

هذا مع تخليق الزّعفران والزينة المخترعة بسائر شوارع القاهرة حتى فى الأزقة — وفى الجملة كان هذا اليوم من الأيام التى لم نرها قبلها ولا سمعنا بمثلها — وساروا على هذه الصّفة إلى أن طلعوا إلى القلعة من باب المدرّج[5] ، وهم مع ذلك فى ترتيبٍ فى مشيهم

---

(١) أرض اللوق : هى الأرض التى طرحها النيل سنة ٣٣٠ هـ. غربى شارع نوبار باشا وانظر (الحاشية ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

(٢) المقس : كان واقعا على النيل وعرف قبل الإسلام بقرية «أم دنين» وموضعه الآن ميدان رمسيس ومسجد أولاد عنان وامتداد شارع الجمهورية حتى حديقة الأزبكية هامش (ج٣ : ١٣٨ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

(٣) الصليبة : خط ينتهى إليه شارع القاهرة الأعظم خارج القاهرة ، وكان على شكل صليب ولذلك سمى بالصليبة ، وانظر هامش (ج ٩ : ١٦٣ من هذا الكتاب) .

(٤) سويقة منعم ، وكانت تقع برأس الصليبة من تحت القلعة وانظر الحاشية ٣ ص ٣٩ ج ١١ من هذا الكتاب) .

(٥) باب المدرج : انظر فى التعريف به الحاشية ٤ ص ١٩٠ ج ٧ من هذا الكتاب ط. دار الكتب) .

يُذْهِبُ العقل ؛ وهو أنهم قدّموا أوّلاً الفُرْسَان من الغزاة أمام الجميع ، ومن خلف الفُرْسَان طوائف الرَّجّالة من المُطَّوِّعة وعُشْرَان البلاد الشّاميّة وعُرْبان البلاد وزعر القاهرة ، ومن خلف هؤلاء الجميع الغنائمُ محمولةً على رءوس الحَمّالين ، وعلى ظهور الجمال والخيول والبغال والحمير ، والتى كانت على الرءوس فيها تاجُ المَلِكِ وأعلامُه مُنَكَّسة وخيله تُقَاد من وراء الغنائم ، ثم من بعدهم الأسرى من رجال الفِرِنْج ، ثم من بعدهم السَّبْيُ من النساء والصِّغار وهم أزيد من ألف أسير تقريبا سوى ماذهب فى البلاد والقرى مع المُطَّوِّعة وغيرهم من غير إذن مُقَدَّم العساكر ، وهو أيضا يقارب ما ذكر ، ومن وراء الأسرى جَيْنُوس ملك قُبْرس وهو راكب على بغل بقيد حديد ، وأُرْكِب معه اثنان من خواصّه ، وعن يمينه الأميرُ إينالُ الجَكَمِيّ أمير مجلس ، وأمامه قَرَا مُرَادْ خَجَا الشَّعبانىّ أحد مقدّمى الألوف أيضا ، وعن يساره الأمير تَغْرِى بَرْدِى المحمودىّ رأس نوبة النُّوَب ، وأمامه الأمير حُسَيْنْ المدعو تَغْرِى بَرْمش أحد مقدّمى الألوف أيضا ، وأمامهم أمراء الطبلخانات والعَشَرَات على مراتبهم ، وأمراء البلاد الشاميّة .

وساروا على هذه الصِّفة حتى طلعوا إلى القلعة فأُنْزِلَ جَيْنُوس عن البَغل وكُشِفَ رأسُه عند باب المدرَّج ، وقد احتاطه الحجّابُ وأمراء جَانْدَار ، وقد صفت العساكرُ الإسلامية من باب المُدَرَّج إلى داخل الحوش السلطانى .

فلما دخل جَيْنُوس من باب المدرَّج قَبَّلَ الأرضَ ، ثم قام ومَشَى ومعه الأمراء من الغُزَاة والحجّاب ورءوس النُّوَب وهو يَرْسُف فى قُيُوده على مَهَلٍ لكثرة الزِّحام .

هذا وقد جلس الملك الأشرف بالمقعد الذى على باب البَحْرَة المقابل لباب الحوش السّلطانى فى موكب عظيم من الأمراء والخاصّكيّة ، وعنده الشريف بركات بن حسن بن عَجْلان أمير مكة ، وهو جالس فوق الأمراء ، ورسل خَوَنْدَكار مرَاد بن عثمان متملِّك بلاد الرّوم ، ورُسُل صاحب تُونِس من بلاد المغرب ، ورسول الأمير عذرا أمير العرَب بالبلاد الشّاميّة ، وقد طال جلوس الجميع عند السلطان إلى قريب الظّهْر ، والسلطان يُرْسِل إلى الغُزَاة رَسُولًا بعد رسولٍ باستعجالهم حتى اجتازُوا بتلك الأماكن المذكورة ؛ فإنها

مسافة طويلة ، وأيضاً لا يقدرون على سُرْعة المشى من كثرة ازدحام الناس بالطرقات ، ثم ساروا من باب المدرج إلى أن دخلوا باب الحوش ، فلمّا رأى متملك قُبْرُس السلطانَ وهو جالس على المقعد المذكور فى موكبه وأَمَرَه مَن معه بتقبيل الأرض غُشِىَ عليه وسَقَط إلى الأرض ، ثم أفاقَ وقبّل الأرضَ وقام عَلَى قدَمَيْه عند باب الحوش تجاه السلطان على بُعْد ، وسارت الغنائمُ بين يدى السلطان حتى عُرِضَت عليه بتمامها وكمالها ، ٥ ثم الأسرى بأجمعهم حتّى انتهى ذلك كله ، فتقدّمت الأمراء الغزاةُ وقبّلوا الأرضَ على مراتبهم إلى أن كان آخرهم الأمير إينَال الجَكَمِىّ مقدّم العساكر .

ثم أمر السلطان بإحضار مُتَمَلِّك قُبْرُس فتقدّم ومشى وهو بقُيُوده ورأسُه مكشوفة ، وبعد أن مشى خطوات أُمِرَ فقبّل الأرضَ ، ثم قام ، ثم قبّل الأرضَ ثانياً بعد خطوات ، وأخذ يُعَفِّرُ وجهه فى التُّرَاب ، ثم قام فلم يتمالك نَفْسَه — وقد أذْهَلَه ما رأى ١٠ من هيبة الملك وعزّ الإسلام — فسقط ثانياً مغشياً عليه ، ثم أفاق من غشوته وقبّل الأرضَ ، وأُوقِفَ ساعةً بالقُرْب من السلطان بحيث إنه يتحقّق شكله ، هذا والجاويشيَّة تصيحُ والشّبابة السلطانية تزعق والأوزان يضرب على عادته [(١)] ، ورءوس النُّوَب والحجّاب تهول الناس بالعصى من كثرة العساكر ، والناس بالحوش المذكور ، هذا مع ما الناس فيه من التّهْليل والتّكْبِير بزُقَاقَات القلعة ، وأطباق ١٥ المماليك السلطانية وغيرها .

ثم أمر السلطان بجَيْنُوس المذكور أن يتوجّه إلى مكان بالحوش السلطانى ، فمروا به فى الحال إلى المكان المذكور .

ثم طلب السلطانُ مقدّمى عساكر الغزاة من أمراء مصر والشام والخاصّكيّة المقدّم كل واحد منهم على مركب ، وكانوا كثيراً جداً ؛ لأن عِدّة مراكب الغُزَاة المصريين ٢٠ والشاميين زادت على مائة قطعة ، وقيل مائتان ، وقيل أكثر أو أقل ما بين أغْرِبَة ، وقَرَاقِير ، وزَوَارق وغير ذلك ، فأوّل من بدأ بهم السلطانُ وخَلَعَ عليهم أمراء الألوف

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ط كاليفورنيا ٦ : ٦١٤ «والأزان يضرب على آلته» .

بمصر والشام ، وخلع على كل واحد منهم أطلسين متمّرًا[(١)]، وقيّد له فرسًا بقماش ذهب ، وهم الأمير إينال الجَكَمِى أمير مجلس ، والأمير تَغْرى بَرْدِى المحمودىّ الناصرى رأس نَوْبَة النُّوَب ، والأمير قَرَا مُرَادْخَجَا الشَّعْبَانى الظاهرى بَرْقوق أمير جاندار والأمير حُسَين بن أحمد المدعو تَغرى بَرْمُش البَهَسْنِىّ التُّرْكمَانِىّ أحد مقدّمى الألوف ، والأمير طُوغان السَّيْفى تَغرى بَرْدِى أحـد مقدّمى الألوف بدمشق ، ثم أمراء الطبلخانات والعشرات من أمراء مصر والشام على كل واحد فوقانى حرير كَمْخَا[(٢)] أحمر وأخضر وبَنَفْسَجِىّ بطرز زركش على قَدْرِ مَراتبهم ، وكذلك كل مقدّم مركب من الخاصّكيّة والأجناد وغيرهم ، فكان هذا اليوم يومًا عظيما جليلا لم يَقَع مثلُه فى سالف الأعصار ، أعزّ الله تعالى فيه دينَ الإسلام وأيّدَه وخذل فيه الكُفْر وبدّدَه .

١٠ ثم انفض الموكبُ ونزل كلّ واحد إلى داره ، وقد كثرت التهانى بحارات القاهرة وظواهرها لقدوم المجاهدين حتى إن الرّجل كان لا يجتاز بدَرْب ولا حارة إلا وجد فيها التخليق بالزّعْفَران والتهانى ، ثم أمر السلطانُ بهدم الزينة فهُدِمَت ، وكان لها مدّة طويلة .

ثم أصبح السلطان من الغد وهو يوم الثلاثاء تاسع شوّال جمع التُّجّار لبيع الغنائم من ١٥ القماش والأوانى والأسرى .

ثم أرسل السلطان يطلب من متملك قُبْرُس المالَ ، فقال : مالى إلا رُوحى وهى بيدكُم ، وأنا رجل أسير لا أَمْلِكُ الدرهم الفرد ، من أين تصل يدى إلى مال أعطيه لكم ؟ وتكرّر الكلامُ معه بسبب ذلك وهو يُجيبُ بمعنى ما أجاب به أوّلا ، حتى طلبه السلطانُ بالحوش — وكان به أسارى الفرنج — فلما حضر بين يدى السُّلطان وقبّلَ الأرضَ وأُوقِفَ ٢٠ وشاهدَه الأسرى من الفرنج فى تلك الحالة صَرَخُوا بأجمعهم صرخة واحدة ، وحثوا

(١) المتمر : هوشاش اسكندرانى مرقوم بالذهب شبيه بالطوال (وانظر المقريزى الخطط ٢ : ٢٢٦).
(٢) الفوقانى من الحرير الكمخا : نوع من الفرجيات أو الجباب ، والكمخا نسيج به وحدة زخرفية من نفس لون القماش أو من لون مختلف قليلا عنه ، وانظر الحاشية (١) ص ٥٢ من هذا الجزء .

التراب على رءوسهم ، والسلطانُ ينظرُ إليهم من مجلسه بالمقعد الذى كان جلس به من أمْسِهِ ، وسببُ صراخ الأسرى وعظيم بكائهم أنه كان فيهم من لا يصدق أنّ ملكهم قد أُسر لكثرتهم وتفرقهم فى المراكب ، والاحتفاظ بهم ، وعدم اجتماع بعضهم على بعض ، فكان إذا قيل لبعضهم إن ملككم مَعنا أسيراً يضحك ، ثم يقول : أين هو؟ فإذا قيل له بهذه المركب ويشار إلى مركب الأمير تغرى بردى المحمودىّ يهزأ بذلك ويتبسم ، فلما عاينوه تحققوا أسرَه فهالهم ذلك ، وقيل إنّ بعض سَبْى الفرنج سألت من رجل من المسلمين — لما كسروا الصليب الكبير الذى يعرف به جبل الصليب ببلادهم ، وكان هذا الصليب معظماً عندهم إلى الغاية — وقالت : نحن إذا حلف منا رجلٌ أو امرأة على هذا الصّليب باطلا أوذى فى الوقت ، وأنتم قد كسر تموه وأحرقتموه ولم يصبكم بأس ، ما سبب ذلك؟ فقال لها الرجل : أنتم أطعتم الشيطانَ فصار يغويكم ويستخفُّ بعقولكم ، ونحن قد هدانا الله للإسلام وأنزل علينا القرآن فلا سبيل له علينا ، فعند ما كسرناه بعد أن ذكرنا اسمَ الله تعالى عليه فرّ منه الشيطانُ وذهب إلى لعنة الله ، فقالت المرأة : هو ما قلته ، وأسلمت هى وجماعةٌ معها — انتهى .

ولما أوقف جينوس المذكور بالحوش بين يدى السلطان ، وأوقف معه جماعةٌ من قناصلة الفرنج ممن كان بمصر وأعمالها ، وتكلم الترجمان معه فيما يفدى به نفسه من المال وإلا يقتله السلطان ، صمم هو على مقالته الأولى ، فالتزم القناصلة عنه بالمال لفدائه من غير تعيين قدر بعينه . . ، ولكنهم أجابوا السلطانَ بالسمع والطاعة فيما طَلَبَه ، وعادوا بجينوس إلى مكانه من الحوش والترسيم عليه ، وكان الذى رسم عليه السّيفى أركماس المؤيدى الخاصكى المعروف بأركماس فرعون ، وأقام جينوس بمكانه إلى يوم الأربعاء ، فرسم له السلطان ببدلتين من قماشه ، وأمر له بعشرين رطل لحم فى كل يوم ، وستة أطيار دجاج ، وخمسمائة درهم فلوسا برسم حوائج الطعام ، وفسح له فى الاجتماع بمن يختاره من الفرنج وغيرهم ، وأدخل إليه جماعةً من حواشيه لخدمته ، كلُّ ذلك والسلطانُ مصمم على طلب خمسمائة ألف دينار منه يفدى بها نفسه وإلاّ يقتله ، والرسل

تتردّد بينهم من التراجمين والقناصلة إلى أن تقرر الصلح بعد أيّام على أنه يحمل مائتى ألف دينار يقوم منها بمائة ألف دينار عاجلة ، وإذا عاد إلى بلاده أرسل بالمائة ألف دينار الأخرى ، وضمنه جماعةٌ فى ذلك ، وأنه يقومُ فى كل سنة بعشرين ألف دينار جزْيَةً ، واشترطَ جينوس مع السلطان أن يكف عنه طائفة البنادقة[1] وطائفة الكيتلان[2] من الفرنج ، فضمن له السلطانُ ذلك ، وانعقد الصلح ثم أطلقه من السجن بعد أيام كما سنذكره فى يومه .

هذا ما كان من أمر صاحب قبرس وغزوه [انتهى][3] .

وأما أمور المملكة فإنه لما كان يوم الخميس حادى عشر شوّال المذكور سافر الشريف بركات [بن حسن][4] من القاهرة إلى مكّة المشرفة أميراً بها مكان والده [حسن][5] .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر شوّال خلع السلطانُ على الأمير إينال[6] الجكمى أمير مجلس باستقراره أمير سلاح عوضاً عن الأتابك يشبك الأعرج ، وكانت شاغرةً عنه من يوم صار أتابك العساكر لغيبة إينال هذا فى الجهاد ، وخلعَ على الأمير جرباش الكريمى قاشق حاجب الحجاب باستقراره أمير مجلس عوضاً عن إينال الجكمىّ ، وخلع على الأمير قرقماس الشعبانى الناصرى باستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضاً عن جرباش المذكور .

ثم فى ثامن عشره خلعَ السلطانُ على الشّريف خَشْرَم بن دوغان بن جعفر الحُسَيْنى باستقراره أمير المَدِينَةِ النبويّة عوضا عن الشريف عَجْلَان بن نعير بن منصور بن جَمّاز ، على أنه يقوم بخمسة آلاف دينار ، ووقع بسبب ولاية خَشْرَم هذا بالمدينة حادثةٌ قبيحة ،

---

(١) فى الأصل «البندقية» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦١٨) ، والبنادقة هم أهل البندقية وهم طائفة من الفرنج ومدينتهم على طرف جون (خليج) البنادقة ، ودينارهم أفضل دنانير الفرنج (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٤٠٤) .

(٢) الكيتلان : جنس من الفرنج وهم يتقسمون مملكة «المرا» مع صاحب قسطنطينية ، وتشتمل هذه المملكة على قطعة من ساحل بحر الروم تمتد من خليج القسطنطينية من الغرب (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٤٠٩) .

(٣، ٤، ٥) الإضافات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦١٨) .

(٦) ورد فى هامش اللوحة «استقرار إينال الجكمى أمير سلاح » .

وهى أن خشْرَما المذكور لما قَدِمَ المدينةَ وقد رَحَلَ عنها المَعْزُول عنها وهو الشريف عَجْلاَن بن نُعير لما بَلَغَه عزلُه ، فلم يَلْبَث خَشْرَم بالمدينة غير ليلة واحدة وصبَّحه عَجْلانُ بجموعه — وقد حشدَ العرْبَان — وقاتل الشريف خشرَمًا وحصرَه ثلاثة أيّام حتى كسروه ، ودخل العربُ المدينة ونهبُوا دُورَها ، وشعَّثُوا أسوارها ، وأخذوا ما كان للحجّاج الشاميِّين من ودائع وغيرها ، وقبضوا على خشرَم المذكور ثم أطلقوه بسبب من الأسْبَاب ، واستهانوا بحُرْمَةِ المسجد ، وارتكبوا عظائم . كل ذلك فى أواخر ذى القعدة .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجة قَدِمَ الأمير جَارْ قُطْلو الظاهرى برْقُوق نائب حَلَب ، فطلع إلى القلعة وقبَّل الأرضَ وخلع السلطانُ عليه خلعة الاستمرار على نيابته ، واستمرّ بالقاهرة إلى يوم السبت أول محرم سنة ثلاثين وثمانمائة خلع السلطان عليه خلعة السَّفَر وخرج من يومه إلى محل كفالته ، ثم فى يوم الخميس سادس المحرم خلع السلطانُ على الأمير أزْدَمُر من على خان الظاهرى[1] أحد مقدمى الألوف بديار مصر المعروف بشَايا باستقراره فى حُجُوبية حَلَب ، قلتُ : درجة إلى أسفل ؛ فإنه يستحق ذلك وزيادة ، لِمَا كان يشتمل عليه من المساوِئ والقبائح ، لا أعرف فى أبناء جنسه أقذر منه ؛ كان دَمِيم الخَلْق مذموم الخُلُق ، بشع المنظر ، كَرِيه المُعَاشرة ، بخيلا متكبِّراً ، ظالما جبَّارا ، هذا مع الجُبْن والجهل المُفرط وعَدَمِ التفات الملوك إليه فى كل دولة من الدُّوَل ، وعُدَّ إخراجُه من مصر من حسنات الملك الأشرف ، وأنا أقول : لو كان الرّجل يرزَقُ على قَدْرِ معرفته ، وما يُحْسِنُهُ من الفضائل والفنون لكانت رُتْبَة أزْدَمر هذا أن يكون صبيًّا لبعض أوْبَاش السَّرابا تِيَّة[2] ، وقد استوعَبْنا مساوئه فى ترجمته فى تاريخنا المَنْهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — انتهى .

ثم أخَذ السلطانُ فى الفحص على جَانِى بَك الصُّوفِيّ على عادته .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة «استقرار أزدمر شايا فى حجوبية حلب» .

(٢) السراباتية : من سرب الماء إذا جرى — والمسربة مجرى الماء ، ومجرى الغائط ، والسراباتية هم الذين ينزحون مجارى المياه والغائط .

وأهلّ شهر ربيع الأوّل ، ففى ليلة الجمعة رابعه عمل السلطانُ المولدَ النبوىّ بالحوش من قلعة الجبل .

ثم فى يوم السبت حادى عشرينه أفرجَ السلطانُ عن جَيْنُوس متملّك قُبْرُس من سجنه بقلعة الجبل ، وخلعَ عليه ، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، ونزل إلى القاهرة فى موكب ، وأقام بدار أُعِدّت له ، وقد استقرّ أرْكَمَاس المؤيّدى المعروف بفِرْعَوْن مُسَفِّرَه ، وصار يركبُ من منزله المذكور ويمرُّ بشوارع القاهرة ويزُور كنائس النَّصَارَى ومعابدهم ، ويتوجّه إلى حيث اختار من غير حَجْر عليه ، بعد أن أجرى السلطانُ عليه من الرَّوَاتِب ما يقوم به وبِمَن فى خدمته ، هذا والخدم تأتيه من النصارى والكتّاب والقناصلة ، وحضرتُ أنا معه فى مجلس فرَأَيتُ له ذَوْقًا ومعرفةً عرفت منه بالحَدْس كونه لا يعرف باللغة العربية .

ولما كان يوم الخميس سابع جمادى الأولى خلعَ السلطانُ على الأمير جَرِبَاش الكَرِيمىّ قاشق أمير مجلس باستقراره فى نيابة طَرَابُلُس عوضا عن الأمير قَصْرُوَه من تِمْرَاز بحُكم انتقال قَصْرُوَه إلى نيابة حَلَب ، عوضا عن جَارْ قُطْلُو بحُكْم عَزْل جَارْ قُطْلُو وقُدُومه إلى القاهرة .

وفيه قدم رسولُ صاحب رُودِس[1] الفرنْجِىّ فأُرْكِبَ فرسا وفى صدره صليبٌ وأُطلع إلى القلعة ، وقبّل الأرضَ بين يدى السلطان وسأل عَن مُرْسِلِه صاحبِ رُودِس أنه طلبَ الأمانَ ، وأنه يسأل أن يُعْفَى من تجهيز العساكر [الإسلامية][2] إليه ، وأن يقوم للسلطانِ بما يَطْلُبُهُ منه ، وكان السلطانُ تكلَّم قَبْلَ تاريخه فى غَزْوَة رُودِس المذكورة .

(١) رودس : جزيرة تقع حيال الإسكندرية فى البحر الرومى بين جزيرة المصطكى وجزيرة إقريطش (كريت) وامتدادها من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلا وعرضها نصف ذلك ، وهى فى الغرب من جزيرة قبرص بانحراف إلى الشمال ، وبعضها للفرنج وبعضها لصاحب إصطنبول ، ومنها يجلب العسل الطيب العديم النظير ، ولصاحبها مكاتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٣٧٠ ، ٣٧١) .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٠) .

ثم في يوم الخميس خامس جمادى الآخرة خلعَ السلطانُ على جَيْنُوس بن جاك متملّك قُبْرُس خلعة السّفر .

ثم في يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة المذكورة أمسكَ السلطانُ الأمير تَغْرِى بَرْدِى المحمودىّ رأس نَوْبَة النُّوَب بعد فراغه من لَعِب الكُرَة بالحوش السلطانى ، فقبض على تَغْرِى بَرْدِى[1] المذكور وهو بقماش لَعِب الكُرَة ، وقُيِّد وأُخْرِج من يومه إلى سجن الإسكندرية ، ولم يَعْلَم أحدٌ ذَنْبَه عند السلطان حتى ولا تَغْرِى بَرْدِى المذكور ؛ فإنى سألته فيما بعد فقال : لا أَعْلَم على ماذا أُمْسِكْتُ ، غير أن المقريزى ذَكَرَ أنه له ذُنُوبٌ وأسبابٌ فى مَسْكِه نذكرها بعد أن نذكرَ قصّةَ مُبَاشِرِه .

واتّفق فى مَسْكِه حادثةٌ غريبةٌ ، وهو أن رجلا من مباشريه يُقَالُ له ابن الشّاميَّة كان بخدْمَتِهِ ، فلمّا بلغه القبضُ عليه شَقّ عليه ذلك ، وخرَجَ إلى جهة القلعة ليُسَلِّم عليه فوافى نُزُولَه من القلعة مُقَيَّدًا إلى الإسكندرية ، فصار يصيح ويَبْكى ويستغيث وهو ماشٍ معه حتى وصَلَ إلى ساحل النِّيل ، ووقفَ حتى أُحْدِر أستاذُه تَغْرِى بَرْدِى المحمودى فى الحرّاقة إلى جهة الإسكندرية ، فلمّا عايَنَ سفَرَه اشتد صُرَاخُه إلى أن سَقَط مَيتًا ، فحمل إلى داره وغُسِّل وكُفِّن ودُفن .

ثم خلع السلطانُ على الأمير أَزْكَمَاس[2] الظاهرى باستقراره رأس نَوْبَة النُّوَب عوضا عن تَغْرِى بَرْدِى المذكور ، وأنعم عليه بإقطاعه أيضا ، وأنعم بإقطاع أَزْكَمَاس المذكور وتقدمته على الأمير قانى بَاى الأَبُو بَكْرِى الناصرىّ المعروف بالبَهْلَوَان ثانى رأس نوبة ، وأُنْعِم بطبلخاناه قَانِى بَاى على سُودُون مِيق الأمير آخُور الثانى ، وخَلَع على الأمير إينَال العَلاَئى الناصرى باستقراره رأس نَوْبَة ثانيا عوضا عن قَانِى بَاى البَهْلَوَان المذكور ، وإينَال[3] هذا هو الملك الأَشْرَف إينَال سلطانُ زَمَانِنَا .

(١) ورد فى هامش اللوحة «القبض على تغرى بردى المحمودى» .

(٢) ورد فى هامش اللوحة «استقرار أركماس رأس نوبة» .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « إينال الذى تسلطن فيما بعد » .

وأمّا ما وعدْنا بذكره من قول المقريزى فى سبب مَسْكِ تغرى بَرْدى المذكور قال: وهذا المحمودى من جُملة مماليك الملك الناصر فرج، فلما قُتِل [فرج][1] خدَم عند [الأمير][2] نَوْرُوز الحافظىّ بدِمَشق، وصار له ميزة عنده، فلما قُتِل نَوْرُوز سجَنَهُ الملكُ المؤيّد شيخ بقلعةِ المَرْقَب، فما زال محبوسا بها حتى تنكّرَ المؤيّد على الأمير بَرْسْبَاى الدُّقماق نائب طَرَابُلُس وسجنه بالمَرقَب مع المحمودى، وإينال الشِّشْمانىّ، فرأى تَغرى بَرْدِى المحمودى فى ليلة من الليالى مَنَاماً يدُلُّ على أن بَرْسْبَاى يتسلطن، فأعلمه به، فعاهده على أن يقدِّمه إذا تسلطن ولا يعترضه بمكروه. فلمّا كان من سلطنة الملك الأشرف برسباى ما كان، وتقدمته للمحمودى فيما مضى، وتمادى الحالُ إلى أن بات بالقصر على عادته، فقال لبعض من يَثِقُ به من المماليك ما تقدّم من منامه بالمَرقَب وأنه وقع كما رأى [وأنه][3] أيضاً رأى مناماً يدُلُّ على أنه يتسلطن ولا بدّ، فوَشى ذلك المملوك به للسلطان فحرّك منه كوامِن، منها: أنه صار يقول لما حججنا أحضرت ابن عَجْلَان، ولما مَضَيْتُ إلى قُبْرس أسرتُ مَلِكَها، أين كان الأشرف حتى يقال هذا بِسَعْده؟ والله ما كان هذا إلا بسعدِى، وتنقل كل ذلك إلى السلطان — انتهى كلامُ المقريزى بتمامه.

ثم فى يوم الاثنين أوّل شهر رجب قدم الخبرُ على السلطان بمَوْت الملك المنصور عبد الله ابن الملك الناصر أحمد صاحب اليمن، وأن أخاه مَلك بعدَه ولُقِّب بالأشرف إسماعيل.

ثم فى يوم الاثنين ثامن شهر رجب قَدِمَ الأميرُ جارْقُطْلو المعزول عن نيابة حَلَب إلى القاهرة، وطلع إلى القلعة، وقبّل الأرضَ فخلع عليه السلطانُ باستقراره أمير مجلس عوضاً عن جَرِبَاش قاشق بحُكْمِ انتقال جَرباش إلى نيابة طَرابُلُس حسبما تقدمَ ذكره.

(١، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٢١).

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٢٢).

ثم فى تاسع عشر رجب المذكور توجّه الزينى عبد الباسط ناظر الجيش على الهجن إلى حَلَب لعمارة سُورِها ولغير ذلك من المُهِمّات السلطانية بعد ما قدّم عِدّة خيول قبل ذلك بأيّام .

ثم فى يوم الخميس أوّل شهر رمضان فُتِـحَ الجامـعُ[1] الذى أنشأه الأمير جانى بَك الأشرفى الدَّوادار الثانى بالشارع الأعْظَم خارج باب زُوَيْلة بخط القِرَبيِّين ، وأُقِيمَ به الجمعةُ فى يوم الجمعة ثانيه .

ثم فى سابع عشر شهر رمضان المذكور قَدِمَ عبدُ الباسط إلى القاهرة من حَلَب وطلع إلى القلعة ، وخلعَ السلطانُ عليه .

ثم فى ثالث عشرينه طلع زينُ الدين عبد الباسط بهديّة إلى السلطان فيها مائتا فَرَسٍ ، وحلى كثيرٌ ما بين زركش ولؤلؤ وقماش مذهّب برسم السلطان[2] وثياب صوف وفَرْو وغيره .

ثم فى عاشر ذى القعدة قَدِمَ الخبرُ على السلطان بأن قاضى قضاة دِمَشْق نجم الدين عمر بن حِجِّى وُجِدَ مَذْبُوحًا على فراشه ببُسْتانِه بالنَّيرب[3] خارج دِمَشْق ، ولم يُعرَف قاتله واُتُّهِمَ الناسُ الشريفَ كاتب سِرّ دمشق ابن الكشك وعبد الباسط بالمالأة على قَتْلِه ، وراحَت عَلَى مَن راحَت ، وكان ابن حِجِّىّ المذكور من أعْيان أهل دمشق وفُضَلَائهم ، وقد تقدّم من ذكره نبذةٌ فى ولايته كتابة سِرّ مِصر قبل تاريخه .

ثم فى رابع عشر ذى القعدة ، خلع السلطان على الأمير قانى باى البَهْلَوان أحد مقدّمى الألوف بمصر باستقراره فى نيابة مَلَطْيَة[4] زيادة على ما بيده من إقطاع تقدمة ألف بديار

(١) هذا الجامع بدىء فى إنشائه سنة ٨٢٨ هـ ، ولا يزال موجودا فى شارع المغربلين (على مبارك — الخطط ٤ : ٧٢) .

(٢) فى الأصل «برسم النساء» وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٢٣) .

(٣) النيرب : قرية مشهورة بدمشق (ياقوت — معجم البلدان ٨ : ٣٥٥) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « استقرار قانى باى البهلوان فى نيابة ملطية على تقدمة ألف » .

مصر عوضاً عن أَزْدَمُر شَايَا المقدّم ذكرُه لعجزه عن القِيَام بقتال التُّرْكمَان ، وأُعيد أَزْدَمُر شايا إلى إقطاعه بحَلَب كما كان أوّلا .

ثم في يوم الاثنين سلخ ذى القعدة خلعَ السلطانُ علَى بهاء الدين محمد ابن القاضى نجم الدين عمر بن حجى باستقراره قاضى قضاة دمشق عوضاً عن والده بحكم وفاته ، وولى بهاء الدين هذا القضاء قبل أن يستكمل عذاره .

ثم فى سابع عشرين ذى الحجة قَدِمَ مُبَشِّرُ الحاج وأخبرَ بسلامة الحَاجّ ورخاء الأسْعَار بمكة ، وأنه قُرِئ مَرْسوم السلطان بمكة المشرّفة فى الملأ بمنع الباعة من بَسْطِ البَضائع أيام المَوْسم فى المسجد الحَرَام ، ومن ضَرْب الناس الخيامَ بالمسجد المذكور ، ومن تَحْوِيل المِنْبَر فى يوم الجمعة والعيدين من مكانه إلى جانب الكعبة حتى يُسْنَد إليها ، فأمر أنْ يُتْرك مكانه مسامتا لمقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، ويَخطب الخطيب عليه هُنَاك ، وأن تُسَدَّ أبوابُ المسجد بعد انقضاء المَوْسم إلا أربعة أبواب من كل جهة باب واحد ، وأن تُسَدَّ الأبوابُ الشارعة من البيوت إلى سَطْح المَسْجد ، فامْتُثِلَ جميعُ ذلك .

قال المقريزى : وأشبه هذا قولُ عبد الله بن عمر رضى الله عنه وقد سأله رجلٌ عن دَمِ البراغيث فقال : عجباً لكُم يا أهل العراق تقتلون الحسين بن على وتسألون عن دَمِ البرَاغيث !! وذلك أن مكة استقرّت دار مَكْس حتى إنه يوم عرفة قامَ المشاعِلىُّ — والناس بذلك الموقف العظيم يسألون الله مغفرةَ ذنوبهم — فنادى معاشر الناس كافة ، من اشترى بضاعةً وسافر بها إلى غير القاهرة حَلَّ دَمُه ومالُه للسلطان ، فأخذ التجار القادمون من الأقطار حتى صاروا مع الركب المصرى على ما جرَت به هذه العَادَة المستجدة منذ سنين لتؤخذ منهم مُكُوس بَضَائِعِهم ، ثم إذا سارُوا من القاهرة إلى بلادهم من البَصْرَة والكُوفَة والعِرَاق أخذ منهم المَكْس ببلاد الشَام وغيرها ، فهذا لا ينكر وتلك الأمُور بعثنا بإنكارها — انتهى كلام المقريزى .

قلت : أنا لا أتابعه على ما أعاب ، وأبْلَقُ خيرٌ مِن أسود ، وكونه رسم بردّ التجار

إلى الدِّيار المصرية لتؤخذ منهم المُـكُوس لا يلزم أنه لا يفعل معروفاً آخر ، وأما جميع ما أبطله ورَسم بمنعه ففيه غاية الصلاح والتعظيم للبيت العتيق ، أما منع الباعة بالحرم فكان من أكبر [المصالح و] [1] المعروف ، فإنه كان يقوم الشخص فى طوافه وعبادته وأُذُنُه مَلأَى من صياح الباعة والغوغاء من كثرة ازْدِحام الشُّرَاة ، وأما نصب الخيام فكان من أكبر القبائح ، ولعل الله تعالى يغفر للملك الأشرف جميع ذنوبه بإبطال ذلك ٥ من الحرم الشريف ، فإنه قيل إن بعض الناس كان إذا نصب خيامه بالمسجد الحرام نصب به أيضاً بيت الراحة وحفر له حفرة بالحَرَم ، وفى هذا كفاية ، وأما تحويل المنبر فإنه قيل للسلطان إن المنبر فى غاية ما يكون من الثقل ، وأنه كلما أُلصِق بالبيت الشريف انزعج منه وتصدّع ، فمنع بسبب ذلك ، وقد صار الآن يحول إلى القُرْب من البيت ، غير أنه لا يُلْصَق به ، فحصلت المصلحةُ من الجهتين ، وأما غَلْقُ أبواب المسجد فى غير ١٠ أيام المَوْسم إلا أربعة فيعرِفُ فائدةَ ذلك من جاوره بمكة ، ويطول الشرحُ فى ذكر ما يتأتى من ذلك من المفاسد ، وإن كان فيه بعضُ مصلحة لسكان مكة — انتهى .

ثم فى رابع عشرين ذى الحجة قُبِضَ بالمدينة على أميرها الشريف خَشْرَم بن دوغان ابن جعفر بن هبة الله بن جَمَّاز بن منصور بن جَمّاز ، فإنه لم يَقُم بالمبلغ الذى وَعَدَ به ، واستقرَّ عوضه فى إمرَة المدينة الشريفة مانع بن على بن عطية بن منصور بن جَمّاز بن ١٥ شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنّاً بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحُسين بن جعفر بن الحسين بن على بن أبى طالب [كرم الله وجهه] [2] .

ثم فى يوم الجمعة ثالث المحرم سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة قَدِمَ المحمل من جزيرة قُـبْرُس ومبلغه خمسون ألف دينار مُشَخَّصة ، فرسَمَ السلطانُ بضَرْبها دنانير أشرفيّة ، فضُرِبَت بقلعة الجَبَل والسلطان ينظر إليها إلى أن تَمَّت . ٢٠

ثم فى يوم السبت حادى عشر المُحَرَّم المذكور ركب السلطانُ من قلعة الجبل بغير

(١ ، ٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٥) .

قماش الخِدْمَة ونزل إلى دار الأمير جانى بَك الأشرَفى الدَّوَادار الثانى بحِذْرَة البَقَر [(١)] ليعوده فى مرضه .

ثم فى يوم الأربعاء ثانى عشرينه قَدِمَ الرَكبُ الأوّل من الحاج ، وقدم المحمل من الغد ببقية الحاجّ ، ومعهم الشريف خَشرَم فى الحديد ، وقَدِم معهم أيضاً الأمير بَكْتَمُر السَّعْدى من المدينة ، وكان له بها من العام الماضى .

ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر من سنة إحدى وثلاثين خلعَ السلطانُ على قاضى القضاة مُحِبِّ الدين أحمد بن نصر الله البغدادى الحنبلى ، وأُعيد إلى قضاء الحنابلة بالديار المصرية بعد عزل قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز الحنبلى [(٢)] ولم يكُن عَزْلُ عِزّ الدين المذكورلسوء سيرته بل إنه سار فى القضاء على طريق غير معتادة ، وهو أنه صار يمشى فى الأسواق ويشترى ما يحتاجه بيده من الأسواق ، وإذا ركب أرْدَفَ خلفه على بغلته عبده ، ويمر على هذه الهيئة بجميع شوارع القاهرة ، وكان كثير التردد إلىّ فى كل وقت، لأنه كان من جمله أصحاب الوالد ، فكان يأتى من المدرسة الصالحيّة ماشيا ، ويجلس حيث آنتهى به المجلس ، فلم يحسُن ذلك ببال أعيَان الدّولة ، وحملوه على أنه يفعل ذلك تعمدا ليقال ، وقالوا للسلطان — وكان له إليه ميل زائد — : هذا مجنون ، ولا زالوا به حتى عَزَلَه وأعاد القاضى محب الدين .

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر المذكور ركب السلطانُ من القلعة بغير قماش الخدمة — وقد صار ركوب السلطان بغير قماش الخدمة عادة ، وكان يقبح ذلك فى سالف الأعصار ، وأول من فعل ذلك الملك الناصر فرج ، ثم المؤيد ، ثم الأشرف [هذا] [(٣)] . انتهى — وسارَ حتى شَقّ القاهرة ودخل من باب زُوَيْلَة وخرجَ من باب النَّصْر إلى خَلِيج الزعفران ، فرأى البستان الذى أنشأه هناك ، وعاد من خارج القاهرة عَلَى تربته

(١) حذرة البقر : ومكانها اليوم شارع المظفر الواصل بين ميدان جامع السلطان حسن وشارع الحلمية القديمة « السيوفية » وانظر (المقريزى — الخطط ٢ : ٤٣٩) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « ترجمة عز الدين الحنبلى » .

(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٢٧) .

التي عمّرها بجوار تربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء[(١)] ثم سار حتى طلع إلى القلعة ، ثم في ليلة الجمعة سابع شهر ربيع الأوّل قُرِئَ المولدُ النبويّ بالحوش السلطاني من قلعة الجبل على العادة .

ثم في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأوّل المذكور أنعمَ السلطانُ بإقطاع الأمير بكتمر السعدى على الأمير قَجْقَار السيفي بكتمر جِلّق الزردكاش المعروف بجَقْتَاى ، ٥ — والإقطاعُ إمْرَةَ طبلخاناه— بعد موت بكتمر السّعديّ ، وكان بكتمر من محاسن الدّهر مَعْدُوداً من أرباب الكمالات ، كان فقيها جنديا شجاعا عالما ، هينا قويا عاقلا ، مقداما عفيفا لطيفا ، لا أعلم في أبناء جنسه من يدانيه أو يقاربه في كثرة محاسنه ، صحبته سنين ، وانتفعتُ بفضله ومعرفته وأدبه ، وقد استوعبنا ترجمته في [تاريخنا][(٢)] المنهل الصافي ، ويأتي ذكره أيضاً في الحوادث من هذا الكتاب في محله إن شاء الله تعالى ، ولهو أحقُّ ١٠ بقول القائل : [الكامل]

عقمَ النِّساء فمَا يلدنَ شبيههُ إنّ النساء بمثـــله عقمُ

ثم في آخر شهر ربيع الأوّل استقر تمرباى[(٣)] التَّمُرْبغاوى الدوادار الثالث دوادارا ثانيا بعد موت الأمير جاني بك [الأشرفي][(٤)] الدّوادار ، ولم يُنْعَم عليه بإمْرَةٍ إلا بعد مدة طويلة أنعم عليه بإمْرَة عشرة ، وأما جاني بك يأتي ذكره في الوفيات مطوّلاً ١٥ [إن شاء الله تعالى][(٥)]

ثم في شهر ربيع الآخر من هذه السنة تشكّى التجارُ الشاميّون من حملهم البضائع

(١) تربة الظاهر برقوق بالصحراء : انظر في التعريف بها (الحاشية ١ ص ١٧١ ج ١٠ من هذا الكتاب) .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٧) . ٢٠

(٣) ورد في هامش اللوحة « استقرار تمرباى دوادارا ثانيا » .

(٤، ٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٨) .

التى يشترونها من بندر جدّة إلى القاهرة ، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ منهم بمكّة عن كل حمل — قلّ ثمنُه أو كثر — ثلاثة دنانير ونصف ، وأن يُعفَوا عن حمل ما يقبضونه من جدّة إلى مصر ، فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أُخذ منهم مَكْسها هناك على ماجرَت به العادةُ ، وتم ذلك .

٥ قال المقريزى : وفى هذا الشهر — يعنى عن جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة — كانت الفتنةُ الكبيرةُ بمدينة تعز[(١)] من اليمن ؛ وذلك أن الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس ابن المجاهد على ابن المؤيد داود ابن المظفر يوسف ابن المنصور عمر بن على بن رسول [صاحب اليمن][(٢)] لما مات قامَ من بعده ابنُه [[(٣)] الملكُ الناصرُ أحمد ابن الأشرف إسماعيل ، وقام بعد الناصر أحمد ابنُه[(٣)]] الملك

١٠ المنصور عبد الله فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، ومات فى جمادى الآخرة سنة ثلاثين وثمانمائة ، فأقيم بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر فتغيّرت عليه نيّاتُ الجند كافة من أجل وزيره شرف الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر العلوى ، فإنه أخّر صرف جوَامكهم ومرتّباتهم ، فتغيرت منه القلوب ، وكثُرت حُسّادُه لاستبداده على السلطان وانفراده بالتصرّف دونهم ، وكان يليه فى

١٥ الرُّتبة الأمير شمس الدين على بن الحُسَام ثم القاضى نور الدين على المحالبى مُشدّ الاستيفاء[(٤)] ، فلما اشتدّ الأمرُ على العسكر وكثُرت إهانة الوزير لهم وإطراحه جانبهم ضاقت عليهم الأحوالُ حتى كادُوا أن يموتوا جزعاً ؛ فاتفق تجهيز خزانة من عدَن وبرزَ الأمرُ بتوجّه طائفة من العبيد والأتراك إليها لتلقّيها ، فسألوا أن يُنفَق فيهم أربعة دراهم

---

(١) تعز : القاعدة الثانية لبلاد اليمن وانظر (الحاشية ١ ص٢٦ ج ١٣ من هذا الكتاب) و(القلقشندى

٢٠ صبح الأعشى ٥ : ٨) .

(٢، ٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٢٨) .

(٤) مشد الاستيفاء : المشد بمعنى المفتش ، والمستوفى من أعمال كتاب الأموال بالدواوين ، وعليه ضبط الديوان التابع له « الدكتور زيادة - السلوك للمقريزى ج ١ ص ١٠٥ حاشية ٢ ، ج ٢ ص١٩٢ حاشية ٢) .

لـكل [واحد] (١) منهم يَرْتَفق بها ، فامتنع الوزيرُ ابنُ العَلَوِىّ من ذلك ، وقال : ليمضوا غصباً إن كان لهم غرضٌ فى الخِدْمة ، وحين وصول الخزانة يكون خيرا وإلا فسح اللهلم فما الدهر بهم حاجة ، والسلطان غنىٌّ عنهم ، فهيّج هذا القولُ خفاءَ بواطنهم ، وتحالف العبيدُ والتركُ على الفَتْكِ بالوزير ، وإثارة فتنة ، فبلغَ الخبرُ السلطانَ فأعلمَ به الوزيرَ ، فقال : ما يُسَوُّوا شيئاً ، بل نشنق كلّ عشرة فى موضع ، وهم أعجز من ذلك . ٥

فلما كانَ يوم الخميس تاسع جمادى الأولى هذه قُبَيْل المغرب هجَمَ جماعةٌ من العبيد والتركِ دارَ العَدْل بتعزّ ، وافترقوا أربعَ فِرَق : فرقة دخلت من باب الدار ، وفرقة دخلت من باب السر ، وفرقة وقفت تحت الدار ، وفرقة أخذت بجانب آخر ، فخرج إليهم الأميرُ سُنْقُر أمير جَانْدَار فهَبَرُوه بالسيوف حتى هَلَكَ وقتلُوا معه عليا المحالبى مُشِدّ الدَّوَاوين وعِدّة رجال ، ثم طَلَعُوا إلى الأشرف وقد اختفى بين ١٠ نسائه وتزيَّا بزيّهن فأخذوه ، ومضَوْا إلى الوزير العَلَوِى فقال لهم : مالـكم فى قتلى فائدة ، أنا أُنْفِق على العسكر نفقةَ شهرين ، فمضوا إلى الأمير شَمْس الدين على بن الحُسَام فقبضوا عليه وقد اختفى ، وسجنوا الأشرف فى طبقةِ المماليك ووكلوا به ، وسجنوا ابن العلوى الوزير وابن الحسام قريبا من الأشرف ووكلوا بهما ، وقد قيدوا الجميعَ ، وصار كبيرُ هذه الفتنة برْقُوق من جماعة الأتراك ، فصعدَ هو وجماعةٌ ليخرج الملك الظاهر ١٥ يَحْيَى ابن الأشرف إسماعيل بن عباس من تعبات (٢) ، فامتنع أمير البلد من الفَتْح لَيْلاً ، وبعث الظاهر إلى بَرْقُوق أن يمهل إلى الصبح ، فنزل بَرْقُوق ونَادَى فى البلد بالأَمَان والاطمئنان والبيع والشراء ، وأن السلطان هو الملك الظَّاهِر يحيى بن الأشرف ، هذا وقد نهب العسكرُ عند دخولهم دار العدل جميع ما فى دار السلطنة ، وأفحشوا فى نهبهم ؛ فسلبوا الحريمَ ما عليهن ، وانتهـكوا منهن ما حرّم الله ، ولم يدع فى الدار ما قيمته الدِّرْهم ٢٠ الفَرْد (٣) .

---

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٩) .

(٢) تعبات : موضع بالقرب من تعز (يحيى بن الحسين – غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ١ : ٣٠١ هامش الدكتور محمد سعيد عاشور) .

(٣) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٠ « الواحد » . ٢٥

فلما أصبح يوم الجمعة عاشره اجتمع بدار العَدْل التّركُ والعبيدُ وطلبوا بنى زياد وبنى السنبلى والخدّام وسائر أمراء الدّولة والأعيان ، فلما تـكامَلَ جمعُهم وقع بينهم الـكلامُ فيمن يقيمونه ؛ فقال بنُو زياد : وما ثَمَّ غيرُ يحيى فاطْلُعُوا له هذه الساعة ، فقامَ الأميرُ زين الدين جَيَّاش الـكاملى والأمير بَرْقُوق وطلعا إلى تعبات فى جماعةٍ من الُخدَّام والأجناد فإذا الأبواب مغلقة ، فصاحوا بصاحب البلد حتى فتح لهم ، ودخلوا إلى القصر وسلَّمُوا على الظاهر يَحْيَى بالسلطنة ، وسألوه أن ينزل معهم إلى دار العَدْل ، فقال : حتى يصل العسكرُ أجمع ، ففكُّوا القَيْد من رجليه ، وطلبوا العسكر بأسرهم ، فطلعوا بأجمعهم وأطلَعُوا معهم بعشرة جنائب ، فتقدّم التركُ والعبيدُ وقالوا للظاهر : لا نبايعك حتى تَحْلِف لنا أنَّك لا يحدُثُ علينا منك شىء بسبب هذه الفعلة ولا ماسبق قبلها ، فحلف لهم وهم يردِّدُون عليه الأيمان ، وذلك بحضرة قاضى القضاة موفّق الدين على بن الناشرى ، ثم حلفوا له على ما يُحِبّ ويختار ، فلما انقضى الحلف وتـكامل العسكرُ ركب ونزلَ إلى دار العدل بأبهة السلطنة ، ودخلها بعد صلاة الجمعة ، فـكان يوما مشهودا ، وعندما استقرّ بالدار أمرَ بإرسال ابن أخيه الأشرف إسماعيل إلى تَعْبَات فطلعوا به وقيَّدُوه بالقَيْد الذى كان الظّاهر يَحْيَى مُقَيَّدًا به وسجنوه بالدّار التى كان [الظاهر مسجونا][1] بها ، ثم حُمِلَ بعد أيّام إلى الدُّمْلُوَة[2] ومعه أمّه وجاريتُه ، وأنعمَ السلطانُ على أخيه الملك الأفضل عباس بما كان له ، وخلع عليه وجعله نائب السلطنة كما كان أوّل دولة الناصر وخمدت الفتنة .

وكان الذى حرّك هذه الفتنة بنو زياد ، فقام أحمدُ بن محمد بن زياد الـكاملى بأعباء هذه الفتنة لحنقه من الوزير ابن العَلَوِى ، فإنه كان قد مالأَ على قَتْل أخيه جَيّاش وخَذَّلَ عن الأخذ بثأره ، وصار يتّهن[3] بنى زياد ، ثم ألزم الوزير ابن العلوى وابن الحسام

(١) اضافة من (ط كاليفورنيا ٦ : ٦٣١) .

(٢) الدملوه : حصن فى شمال عدن وخزانة صاحب اليمن ، وانظر (الحاشية ٢ ص ٨٦ ج ٩ من هذا الكتاب) .

(٣) فى ط كاليفورنيا ٦ : ٦٣١ « ينتهر » .

بحَمْل المال ، وعُصِرَا على كعابهما وأصداغهما ، ورُبِطَا من تحت إبطيهما وعُلِّقَا مُنَكَّسَيْن ، وضُرِبَا بالشيب والعِصِيّ وهما يوردان المالَ ، فأُخِذ من ابن العلوى — ما بين نقد وعروض — ثمانون ألف دينار ، ومن ابن الحسام مبلغ ثلاثين ألف دينار ، واستقرّ الأميرُ بَرْقُوق أمير جاندار ، واستقر الأمير بدر الدين محمد الشَّمْسى أَتَابَكَ العساكر ، واستقرّ ابنه العفيفُ أمير آخور ، ثم استقرّ الأمير بدر الدين المذكور أستادارا ، ٥
وشرع فى النفقة على العسكر ، وظهر من السلطان نبلٌ وكرمٌ وشهامةٌ بحيث أطاعته العساكرُ بأجمعهم ، فإن له قوة وشجاعة حتى [قيل][1] إن قَوْسه يَعْجَزُ من عندهم من التُّرك عن جَرِّه ، ومَدَحَهُ الفقيه يحيى بن رويك بقصيدة أولها : [الوافر]

بِدَوْلَةِ مَلْكِنَا يَحْيَى اليَمَانِى بَلَغْنَا مَا نُرِيدُ مِنَ الأَمَانِى

وعِدَّة القصيدة واحدٌ وأربعون بيتا ، وأجيز عليها بألف دينار . وبهذه الكائنة ١٠
اختلّ ملك بنى رسول من اليمن — انتهى كلام المقريزى .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود بطول هذه الحكاية ، غير أن فى ذكرها نوعاً من الأخبار والتعريف بالممالك ، ولنرجع إلى ما نحن فيه[2] من أحوال الملك الأشرف بَرْسْبَاى صاحب الترجمة .

ولما كان يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة خلعَ السلطانُ على الأمير جَارِقُطْلُو[3] ١٥
أمير مجلس باستقراره أتابَك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير الكبير يَشْبُك السّاقى الأعرج ، وكان يَشْبُك الساقى المذكور من أفراد العالم ، وهو أحد من أدركناه من الملوك من أهل المعرفة والذَّوْق والفضل والرأى والتدبير ، كما سنبينه فى ترجمة وفاته من هذا الكتاب [إن شاء الله][4] .

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣١) . ٢٠
(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٢ « بصدده » .
(٣) ورد فى هامش اللوحة « استقرار جارقطلو أتابك العساكر » .
(٤) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٢ ، ٦٣٣) .

ثم فى يوم السبت عاشر جمادى الآخرة المذكورة كتب [السلطان][1] بإحضار جَرِبَاش الكريمى المعروف بقاشق نائب طَرَابُلُس ليستقرّ أمير مجلس على عادته أوّلاً عوضا عن الأمير الكبير جَارْقُطْلُو[2] ، وكتب إلى الأمير الكبير [طَرَبَاى][3] الظاهرى المقيم بالقُدْس بطَّالاً باستقراره فى نيابة طَرَابُلُس .

٥ ثم فى يوم السبت أوّل شهر رجب عمل السلطانُ الخدمةَ بالإيوان بدار العدل[4] من القلعة ، وأُحْضِرَتْ رسل مُرَاد بَك بن عثمان متملك بُرْصَا[5] وأَدِرْنَابُولى[6] وغيرها من ممالك الرُّوم ، فكان موكبا جليلا أُرْكِبَ فيه الأمراء والمماليك السلطانية وأجنادُ الحلقة وغيرهم على عادة هيئة خدمة الإيوان من تلك الأشياء المهولة ، وقد بطل خِدَم الإيوان من أيّام الملك الظاهر جَقْمَق ، وذهب من كان يعرف ترتيبه ، حتى لو أَرَادَ أحدٌ من ١٠ الملوك أن يفعله لا يمكنه ذلك .

ثم فى سابع شهر رجب المذكور خلعَ السلطانُ على القاضى كمال الدين[7] بن البَارِزِىّ — المعزول قبل تاريخه عن كتابة السِّرّ ثم عن نظر الجيش بالديار المصرية — باستقراره فى كتابة سرّ دِمَشْق عوضا عن بدر الدين حسين بحكم وفاته ، من غير سَعْى فى ذلك ، بل طلبه السلطانُ وولّاه ، وكان القاضى كمالُ الدين المذكور من يوم عُزِل من ١٥ وظيفة نظر الجيش بعد كتابة السِّرّ ملازماً لداره على أجمل حالة ، وأحسن طريقة من الاشتغال بالعلم والوقار والسكينة ، وهو على هيئة عمله من الحشم والخدم ، وبسط يديه بالإحسان لكل أحد ، وتردّاد الأكابر والأعيان والفضلاء إلى بابه ، وسافر فى ثانى عشرينه .

(١ ، ٣) الإضافات من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٣٢ ، ٦٣٣) .

٢٠ (٢) ورد فى هامش اللوحة « لعله بيبغا المظفرى » .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « خدمة الإيوان » .

(٥) برصا : انظر (الحاشية ١ ص ٣٢ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

(٦) أدرنا بولى : قلعة على مرتفع من الأرض عند ملتقى الأنهار وسط واد خصيب ، وكانت العاصمة الثانية لآل عثمان (دائرة المعارف الإسلامية – ترجمة ا . خورشيد وآخرين) .

٢٥ (٧) ورد فى هامش اللوحة « استقرار كمال الدين البارزى فى كتابة سر دمشق » .

ثم فى حادى عشره أُدِيرَ محمل الحاج على العادة(١) فى كل سنة .

ثم فى ثالث عشرينه قَدِمَ الأمير جَرِبَاش الكريمى معزولا عن نيابة طَرَابُلُس فخلع السلطانُ عليه باستقراره أمير مجلس على عادته أوّلا ، كل ذلك والسلطان فى قلق من جهة جانى بك الصُّوفىّ .

ثم فى عشرين شعبان خلعَ السلطانُ على الأمير قَانْصُوه النَّوْرُوزِىّ أحد أمراء الطبلخانات باستقراره فى نيابة طَرَسُوس وأضيف إقطاعُه إلى الديوان المفرد .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شوّال أمسكَ السلطانُ الأمير قُطُج من تِمْرَاز (٢) أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، ثم الأمير جَرِبَاش الكريمى قاشق أمير مجلس ، فحُمِلَ قطج فى الحديد إلى الإسكندرية فسجن بها ، وأُخرِج جَرِبَاش الكريمى بغير (٣) قَيْدٍ إلى ثغر دِمْيَاط بطالا ، كل ذلك بسبب جانى بك الصُّوفىّ ، ولما حَدَّثَتْ السلطانَ نَفْسُه بما يفعله من كثرة قلقه منه ، ولهذا السبب أيضاً أُخرِجَ قَانْصُوه وغيره ، ويأتى ذكر آخرين .

ثم خَلَعَ السلطانُ على الأمير إينال العلائى الناصرى رأس نوبة ثانى باستقراره (٤) فى نيابة غزّة عوضاً عن تِمْرَاز القَرْمَشِى بحكم قُدُوم تِمْرَاز للدِّيار المصرية ، وأنعمَ السلطانُ بإقطاع إينال المذكور على الأمير تَمُرْبَاى التَّمُرْبُغَاوِىّ الدَّوَادَار الثانى ، ثم كتب بإحضار الأمير يَبْبُغَا المظفرى من القُدْس ، وكان نُقِلَ إلى القُدْس من دِمْيَاط من نحو شهر واحد ، فقَدِمَ من القُدْس إلى القاهرة فى يوم الخميس حادى عشرين ذى القعدة وطلعَ إلى القلعة ، وخَلَعَ السلطانُ عليه باستقراره أمير مجلس عوضاً عن جَرِبَاش الكريمى قاشق ، ومنزلة أمير مجلس فى الجُلُوس عند السُّلْطان يكون ثانى الميمنة تحت الأمير الكبير ، فلما وَلِىَ يَبْبُغَا هذا إمرةَ مجلس أجلسه السلطان

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « أدير المحمل فى حادى عشر رجب » .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « مسك قطج من تمراز » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « نفى جرباش إلى دمياط »

(٤) ورد فى هامش اللوحة « استقرار إينال — الذى تسلطن فيما بعد — فى نيابة غزة »

على المَيْسَرة فوق الأمير إينَال الجَكَمِي أمير سلاح لما سبق له من ولايته أتابَكية العساكر بالديار المصرية قبل تاريخه ، فصار فى الحقيقة رتبته أعظم من رتبة الأمير الكبير جَارْ قطلو بجلوسه فوق أمير سلاح ؛ لأن الأمير الكبير لا يمكنه الجلوس فوق أمير سلاح إلا لضرورة ، وصار بَيْبُغَا هذا دائمًا جلوسُه فوقه ، غير أن إقطاع الأمير الكبير أكثر متحصلا من إقطاعه ، وأيضاً لالتفات السلطان إليه ، فإنه كان أكثر كلامه فى الموكب السلطانى معه فى كل تعلقات المملكة ، وليس ذلك لمحبّته فيه غير أنه كان يُدَارِيه بذلك اتّقاء فُحْشِه ، وكان سبب القَبْض عليه أوّلا أن السلطان شكا له بعض الأجناد من ظُلْم كاشف التّراب ، فقال الملك الأشرف : الكاشف ماله منفعة ، فبادره بَيْبُغَا هذا فى الملأ وقال له : أنت ما عملت كاشف ما تعرف ، فَعُظمَ ذلك على الأشرف وأسرّها فى نفسه ، ثم قبض عليه ، وكذا كان وقع لبَيْبُغَا المذكور مع الملك المؤيّد ، حتى قبض عليه أيضا وحبسه ، وكان هذا شأنه المغالظة مع الملوك فى الكلام ، غير أنه كان مُنَاصِحًا للملوك ظاهراً وباطناً ، ولهذا كانت الملوكُ لا تبرَح تغضَبُ عليه ثم ترضى ؛ لعلمهم بسلامة باطنه ، وكان الملكُ الأشرف يُمَازِحُه فى بعض الأحيان ، ويسلِّط عليه بعض الجرَاكسة بأن يَزْدَرِىَ جنسَ التّتَار ويعظِّمَ الجراكسة ، فإذا سمع بَيْبُغَا ذلك سبَّ القائلَ وهجر[1] عليه ، وأخذ فى تفضيل الأتراك على طائفة الجرَاكسة فى الشّجَاعة والكَرَم والعظمة ، فيشير عليه بعضُ أمراء الأتراك بالكف عن ذلك ، فلا يلتفت ويُمْعِن ، والملك الأشرف يضحك [من ذلك][2] ويساعده على غرضه حتى يسكت ، وقيل إنه جلس مَرّة فى مجلس أُنْسٍ مع جماعة من الأمراء فأخذ بَيْبُغَا فى تعظيم مَلِكِ التّتَار جِنْكِزْ خان ، وزاد وأمعن واخترق اختراقات عجيبة ، فقال له الأميرُ طُقُز الظّاهرىّ الجَرْكَسِىّ : وأيْش هو جِنْكِزْ خان ؟ فلما سمع بَيْبُغَا ذلك أخذَ الطّبر وأراد قتل طُقُز حقيقةً ، وقال له : كفرت ، فأعاقه الأمراء عنه حتى قام طُقُز من المجلس وراح إلى حال سبيله ، وقيل إنه لم يجتمع به بعد ذلك ، ومع

(١) هجر عليه : استهزأ به وقال فيه قولا قبيحا وأفحش (اللسان ٧ : ١١٣) .
(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٥) .

هـذا كلّه كان لجنونه طلاوةٌ ولانحرافه حلاوةٌ ، على أنه كان من عظماء الملوك وأحسنها طريقة .

ثم فى يوم الخميس سادس ذى الحجة من سنة إحدى وثلاثين المذكورة أمسَكَ السلطانُ الأمير أزْبُك المحمدى[1] الدَّوادار الكبير ، وأخرجه من ليلته بطّالا إلى القدْس بعد أن قبض [السلطان][2] على عِدَّةٍ من خاصّكيّته ، ولذلك أسبابٌ أعظمها أمر جَانِى بَك الصُّوفِىّ وأشياء أُخَر ، منها : أن فى أواخر ذى القعدة بلغَ السلطانَ أن جماعةً من مماليكه وخاصّكيّته يريدون الفَتْكَ به وقتله ليلا ، فقبَض على جماعة منهم السّيفى سَنْطباى الأشرفى وغيره فى أيّامٍ مُتفرقة ، ونَفَى جماعةً منهم إلى الشام وقوص بعد أن عاقب جماعةً منهم ، فكَثُرت القالةُ فى ذلك ، قيل إنه سأل بعضَهم بأن قال : لو قتلتمونى من الذى تنصبُّونه بَعْدِى فى السلطنة ؟ فقالوا : الأمير أزْبُك ، وقيل غير ذلك ، وأخذ السلطانُ فى الاستعداد والحذَر ، وسقط عليه أيضاً مِراراً سهامُ نُشَّاب من أطباق المماليك السلطانية ، فهذا كان السبب لقبض أزْبُك وغيره ، وأنا أقول : إن جميع ما وقع من مسك الأمَرَاء ، وضَرْب جماعة من الخاصّكيّة بالمقارع ، ونفى بعضهم إنما هو لسبب جَانِى بَك الصُّوفى لا غير .

ثم فى يوم السبت ثامنه خلعَ السّلطانُ[3] على الأمير أرْكَمَاس الظاهرى رأس نَوْبَة النُّوَب باستقراره دَوَادَاراً كبيراً عوضاً عن أزْبُك المذكور ، وخَلَعَ عَلَى الأمير تِمْرَاز القَرْمَشِىّ المعزول عن نيابة غَزَّة باستقراره رأس نَوْبَة ، وأنعم عليه بإقطاع أرْكَمَاس المذكور ، وأنعم بإقطاع تِمْرَاز الذى كان السلطان أنعم عليه به بعد مجيئه من غَزَّة وهو تقدمة ألف أيضاً على الأمير يَشْبُك السّودونى شاد الشراب خاناه ، وأنعم بطبلخاناه يشبك السُّودُونى على الأمير قَرَاجَا الأشرفى الخازندار ، وخلعَ السلطانُ فى هذه الأيّام على صفىّ الدين جَوْهَر السّيفى قَنقبَاى اللّالا باستقراره خازنداراً عوضاً عن الأمير خُشْقَدَم

(١) ورد فى هامش اللوحة « أزبك الدوادار » .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٥) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « استقرار أركماس الظاهرى دوادارا كبيراً »

الظاهرى الرّومى بحُكْمِ انتقاله زمَناً بعد موت [١] الأمير كافُور الشّبلى الصَّرْغَتْمُشِىّ الرّومى بعد وفاته فى السنة الماضية ، وكانت وظيفة الخازندارية شاغرة من يوم تاريخه ، والسلطان ينظر فيمن يولّيه من الخدام من قدماء خدام الملوك فرَشَّح مَرْجان خادم الوالد تخافه الخدّام من شدّة بأسه وحوّلوا الأشرف عنه ، وكان الطّواشى جَوْهَر الجُلُبّانى الحَبَشىّ لالا ابن السلطان له حُنُوٌّ وصُحْبَة قديمة بجَوْهَر هذا فكلّم السلطان بسببه ونعته بالدين [والعفّة][٢] والعقل والتّدْبير ، ولا زال بالسلطان حتى طلبه وولّاه الخازندارية دفعة واحدة ؛ فإنه كان من أصاغر الخدّام لم تسبق له رئاسة قبل ذلك ، وإنما كان يعرف بين الخدام بأخى اللالا ، فنال جَوْهَر هذا من الحُرْمة والوَجاهَة والاختصاص بالملك الأشرف ما لم ينله خادمٌ قبله — انتهى .

ثم فى سابع عشرين ذى الحجة من سنة إحدى وثلاثين المذكورة قَدِمَ مُبَشِّرُ الحاج العراق [٣] وأخبر بسلامة الحاج ، وأنه قَدِمَ محملُ العراق فى أربعمائة جَمَل جهّزَه السلطانُ حُسَيْن بن على ابن السلطان أحمد بن أويس من الحِلَّة [٤] ، وكان السلطان حُسَيْن هذا قد آسْتَوْلى عَلَى شُشْتَر [٥] والحِلَّة ، وصاهر العَرَب فقَوِىَ بأسُه بهم ، وقاتل شاه محمد ابن قرا يوسف صاحب بَغْدَاد وتَمّ أمرُه بهذه البلاد المذكورة ، وجهّز الحاجَ وكان له سنين قد انقطعَ لاستيلاء هذا الزِّنْديق شاه محمد بن قرا يُوسف [عَلَى العراق][٦] ، فإنه كان محلول العقيدة لا يتديّن بدين ، وقتل العلماء وأباد الناس ، وهو أحد أسباب خراب بغداد والعراق هو وأخوته كما سيأتى ذكره ، وذكر أقاربه فى

(١) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٦ « عوضا عن » .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ ٦٣٧) .

(٣) هذا اللفظ مثبت فى هامش اللوحة .

(٤) الحلة : مدينة بين الكوفة وبغداد ، وانظر (الحاشية ٣ ص ٤٤ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

(٥) ششتر : أعظم مدينة بخوزستان (ياقوت — معجم البلدان ٢ : ٣٨٦) .

(٦) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٧) .

وفيات هذا الكتاب عند وفاتهم ، وذهاب روحهم الخبيثة اللعينة إلى جهنم وبئس المصير .

ثم في يوم الاثنين خامس عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة حدث مع غروب الشمس برقٌ ورعدٌ شديد متوالٍ ، ثم مطرٌ غزيرٌ خارج عن الحدّ ، وكان الوقت في أثناء فصل الخريف .

ذكر قتلة الخواجا نور الدين

على التبريزى العجمى المتوجه برسالة الحطى ملك الحبشة إلى ملوك الفرنج

ولمّا كان يوم الثلاثاء رابع عشرين جمادى الأولى من سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة
٥ استدْعَى السلطانُ قُضَاة الشرع الشريف إلى بين يديه فاجتمعوا ، وندب السلطانُ قاضىَ
القضاة شمسَ الدين محمدا البُسَاطِىّ المالكى للكشف عن أمره وإمضاء حُكْم الله فيه ،
وكان التّبريزى مسجونا فى سِجْن السلطان ، فنقله القاضى من سِجْن السلطان إلى سجنه ،
وادّعى عليه بالكفر وبأمور شنيعة ، وقامت عليه بينة معتبرة بذلك ، فحكم بإراقة دمه ،
فشُهِّرَ فى يوم الأَربعاء خامس عشرين جمادى الأولى المذكورة على جمل بالقاهرة
١٠ ومصر وبُولاق ، ونُودِىَ عليه : هذا جزاء من يَجْلِبُ السلاح إلى بلاد العَدُوِّ ، ويلعب
بالدِّينَيْن ، وصار وهو راكبُ الجمل يتشاهَدُ ويقرأ القرآن ويُشْهِدُ الناس أنه باقٍ على
دين الإسلام ، والخلق صحبته أفواجاً ، ومن الناس من يبكى لبكائه ، وهم العامة الجهلة ،
والذى أقوله فى حقه : إنه كان زِنْديقاً ضالّا مستخفّاً بدين الإسلام ، ولا زالوا به إلى
أن وصَلوا إلى بَيْن القَصْرَين فأُنزِلَ عن الجمل وأُقْعِد تحت شُبَّاك المدرسة الصالحية
١٥ وضربت عنقُه فى الملإ من الخلائق التى لا يَعْلَمُ عددَها إلا الله تعالى — فنسأل الله
السلامة فى الدين ، والموت على الإسلام .

وكان خبر هذا التِّبريزىّ أنه كان أوّلا من جملة تجّار الأَعاجم بمصر وغيرها ،
وكان يَجُول فى البلاد بسبب المَتْجَر على عادة التجار ، فاتّفَقَ أنه توجّه إلى بلاد الحَبَشة
فحصلَ له بها الرِّبحُ الهائل المتضاعف ، وكان فى نفسه قليل الدين مع جهلٍ وإسراف
٢٠ فطلبَ الزيادة فى المال ، فلَمْ يَرُمْ بوصله إلى مراده إلا أن يتقرّب إلى الحطّى ملك الحبشة
بالتحف ، فصار يأتيه بأشياء نادرة لطيفة ؛ من ذلك أنه صار يصنع له الصُّلْبَان من الذّهَب
المُرَصَّع بالفصوص الثمينة ، ويحملها إليه فى غاية الاحترام والتّعْظِيم كما هى عادة النّصارى

فى تعظيمهم للصليب ، وأشياء من هذه المقولة ، ثم ما كفاه ذلك حتى [إنه] (١) صار يَبْتَاعُ السلاح المُثَمَّن من الُخوذ والسّيوف المائلة والزرديات والبَكَاتِر (٢) بأغلى الأثمان ويتوجّه بها إلى بلاد الحبشة ، وصار يُهوّن عليهم أمرَ المسلمين ، ويعرفهم ما المسلمون فيه بكل ما تصل القُدْرَة إليه ، فتقرّب بذلك من الحطِّى حتى صار عنده بمنزلة عظيمة ، فعندذلك ندبه الحطِّى بكتابه إلى مُلُوك الفِرنج عند ما بلغه أخذُ قُبْرُس وأَسْرُ ملكها جينُوس ٥ يحثُّهم فيه على القيام معهُ لإزالة دين الإسلام وغَزْوِ المسلمين وإقامة المِلّة العيسوية ونُصْرتِها ، وأنه يسير فى بلاد الحبشة فى البرِّ بعساكره ، وأن الفِرنج تسير فى البحر بعساكرها فى وقت مُعَيَّن إلى سَوَاحل الإسلام ، وحَمَّلَهُ مع ذلك مُشَافَهات ، فخرج التِّبريزِى هذا من بلاد الحطِّى بكتابه وبما حمله من المشافهات لملوك الفِرنج بعَزْمٍ واجتهاد وسلكَ فى مسيره من بلاد الحبشه البرِّيّة حتى صار من وراء الواحات [ثم سلك من وراء ١٠ الواحات] (٣) إلى بلاد المغْرب ، وركب منها البَحْر إلى بلاد الفِرنج ، وأَوْصَل إليهم كتاب الحطِّى وما معه من المشافهات ، ودعاهم للقيام مع الحطِّى فى إزالة الإسلام وأهله ، واستحثهم فى ذلك ، فأجابه غالبُهم ، وأنعموا عليه بأشياء كثيرة ، فاستعمل بتلك البلاد عِدّة ثياب مُخَمَّل مُذَهَّبة باسم الحطِّى ، ورَقَمَهَا بالصلبان ؛ فإنه شعارهم .

قلتُ : لولا أنه داخلهم فى كُفْرهم ، وشاركهم فى مأكلهم ومشربهم ما طابت ١٥ نفوسُهم لإظهار أَسْرَارهم عليه ، وكانوا يقولون : هذا رجل مُسْلِمٌ يمكن أنه يتجسّس أخبارَنَا وينقلها للمسلمين ليكونوا منا على حذر ، وربما أمسكوه بل وقتلوه بالكلية — انتهى .

ثم خرج من بلاد الفِرنج وسارَ فى البحر (٤) حتى قدم الإسكندرية ومعه الثياب

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٣٩) . ٢٠

(٢) البكاتر : جمع بكتر وهو سترة من الزرد .
(القاموس العصرى ص ١٤٣) ، وانظر (هامش پوپر ٦ : ٦٣٩ ط كاليفورنيا) .

(٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٣٩) .

(٤) فى الأصل « البر » وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٣٩) .

المذكورة ورهبان من رُهْبَان الحبشة ، وكان له عِدّة عبيد ، وفيهم رجل دين فنمّ عليه بما فعله ، ودلّهم على مامعه من القماش وغيره ، فأُحيطَ بمركبه وبجميع ما فيها فوجَدُوا بها ماقاله العبدُ المذكور ، فحُمِل هو والرُّهبَان وجميع ما معه إلى القاهرة ، فسعى بمالٍ كبير فى إبقاء مهجته وساعَدَه فى ذلك بِمَنْ يُتَّهم فى دينه ، فلم يَقْبَل السلطانُ ذلك ، وأمر به فحُبس ثم قتل حسبما ذكرناه [عليه من الله ما يستحقه][1] انتهى .

ثم فى يوم الخميس تاسع شهر رجب خلع[2] السلطانُ على جلال الدين محمد ابن القاضى بدر الدين محمد بن مُزْهِر باستقراره فى وظيفة كتابة السّرّ بالديار المصرية عوضاً عن والده بحكم وفاته ، وله من العمر دون العشرين سنة ولم يَطُرّ شاربُه ، وخلعَ السلطانُ على القاضى شرف الدين أبى بكر بن سليمان سبط ابن العجمى المعروف بالأشقر أحد أعيان موقّعى الدّست باستقراره نائب كاتب السّرّ ، ليقوم بأعباء الديوان عن هذا الشاب لعدم معرفته وقلّة دُرْبته بهذه الوظيفة ، وكانت ولاية جلال الدين المذكور لكتابة السّرّ على حَمْل تسعين ألف دينار من تركة أبيه .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرين شهر رجب المذكور قَدِمَ الأميرُ سُودُون من عبد الرحمن نائب الشام إلى القاهرة وصحبتُه القاضى كمال الدين محمد بن البَارِزِىّ كاتب سِر دِمَشق ، وطلعا إلى القلعة فخلع السلطانُ عليهما خلع الاستمرار ، واجتمع به[3] غير مَرّة : أعنى بسُودون من عبد الرحمن ، فكلّمه سُودون فيما يفعله مماليكه الجلبان بالمباشرين وغيرهم ، وخوّفه عاقبة المماليك القرانيص من ذلك ، فقال له الملك الأشرف : قد عجزت عن إصلاحهم ، ثم كشف رأسه ودعا عليهم بالفناء والموت غير مَرة ، فقال له الأتابك جار قطلو : ضَعْ فيهم السيف وأقِمْ عوضهم ، ومادام رَأسُك تعيش فالمماليكُ كثيرٌ ، ومائة من

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٩) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « استقرار جلال بن مزهر فى كتابة السر » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « الاجتماع بسودون من عبد الرحمن والأمراء بما يتعلق بالمماليك الأجلاب » .

القرانيص[1] خيرٌ من ألف من هؤلاء الأجلاب ، ولولا حُرْمَة السلطان لـكان صغارُ عبيد القاهرة كُفئًا لهم .

وكان سبب ذلك أنهم صاروا يضربون مباشرى الدّولة وينهبون بيوتَهم ، ووقع منهم فى دوران المحمل فى هذه السنة أمور شنيعة إلى الغاية ، وتقاتلوا مع العبيد حتى قتل بينهما جماعة وأشياء غير ذلك ، فمال السلطان إلى كلام جَارْ قطلو وأراد مسك جماعة ٥ كبيرة منهم ، ونفى آخرين ، وتفرقة جماعة أخر على الأمراء ، وقال : أحسب أن مائة ألف دينار ما كانت ، ومتى حصلَ نفعُ المماليك المشتروات لأستاذهم أو لذُرِّيَّته ؟ فلما رأى الأمير يبغا المظفرى ميل السلطان لـكلام جار قطلو أخذ فى معارضته وردّ كلامه ، فـكان من جملة ما قاله : والله لولا المماليك المشتروات ما أَطَاعَك واحدٌ منا — وأشار بخروج جانى بك الصوفى من السجن واختفائه بالقاهرة — وخلِّ عنك كلامَ هذا وأمثاله ، ١٠ وكان عبد الباسط مساعداً لجار قطلو ، ثم التفت يبغا وقال لعبد الباسط : أنت تـكون سبباً لزوال مُلْك هذا ، فعند ذلك أَمْسَك الأشرف عما كان عزم عليه لعله بنصيحة يبغا المظفرىّ له ، وانفض المجلس بعد أن أمرهم السلطان بكتمان ما وقع عند السلطان من الـكلام ، فلم يخف ذلك عن أحد ، وبلغ المماليك الأشرفية فتحلّقوا لجَارْ قطلو ولعبد الباسط ولسوُدون من عبد الرحمن . ١٥

فلما كان يوم الجمعة ثانى شعبان نَزَلَ المماليكُ الأشرفية من الأطباق إلى بيت الوزير كَرِيم الدين بن كاتب المناخ ونَهبُوه لتأخر رواتبهم ، وسافرَ فيه الأميرُ سُودون من عبد الرحمن إلى محل كفالته ، وكان السلطان أراد عزله وإبقاءه بمصر فوعد بخمسين ألف دينار حتىّ خلع عليه باستمراره ، فـكلّمه بعضُ أصحابه فى ذلك فقال : أحمل مائةَ ألف دينار ولا أقعد بمصر فى تهديد الأجلاب . ٢٠

ثم لما كان يوم الثلاثاء سادس شعبان[2] ثارت الفتنة بين المماليك الجلبان وبين

(١) القرانيص : الأجناد المرشحون للأمريات ، وانظر ما سبق ص ١٩٩ حاشية ٤ من هذا الجزء .

(٢) ورد فى هامش الموحة « الفتنة بين جار قطلو وبين الأجلاب » .

الأمير الكبير جارقُطْلو ، وكان ابتداء الفتنة أنه وقع بين بعض المماليك السلطانية وبين مماليك الأمير الكبير جارقطلو وضربت الجلبان بعض مماليك جارقطلو فأخذ المملوك [يدافع][1] عن نفسه وردّ على بعضهم وكان شجّ بعض المماليك السلطانية ، فعند ذلك قامت قيامتهم ، وحرّك ذلك ما كان عندهم من الكمين من أستاذهم جارْقطلو، فتجمعوا على المملوك المذكور وضربوه ، فهرب إلى بيت أستاذه واحتمى به ، فعادت المماليك إلى إخوتهم واتفقوا على جارقطلوا ، وتردّدُوا إلى بابه غير مَرّة ، وباتت الناسُ على تخوّف من وقوع الفتنة لوقوع هذه القضيّة ، وأصبحوا من الغد فى جمع كثير من تحت القلعة وقد اتفقوا على قتل جار قطلو ومماليكه ، فماج الناسُ لذلك وغلقوا الأسواق خشية من [وقوع][2] النهب ، وتزاحم الناس على شراء الخبز ، وغلقت الدّرُوب ، وانتشرت الزعر وأهل الفساد ، وتعوّق مباشرو الدولة من النزول من القلعة إلى دوُرِهم ، وأرسل السلطانُ إليهم جماعةً بالكف عن ما هم فيه ، وهدَّدهم إن لم يرجعوا ، فلم يلتفتوا إلى كلامه ، وساروا بأجمعهم إلى بيت الأمير الكبير جارقطلو وكان سكنه ببيت الأمير طاز[3] بالشارع الأعظم عند حمام الفارقانى[4] فأغلق جارقطلو بابه ، وأصعد مماليكه على طبلخاناته فوق باب داره ليمنعوا المماليك السلطانية من كسر الباب المذكور وإحراقه ، وتراموا بالنشاب ، وأقام الأجلابُ يومهم كلَّه مع كثرتهم لا يقدرون على الأمير الكبير جار قطلو ولا على مماليكه مع كثرة عددهم ؛ لعدم معرفتهم بالحروب ولقلة دربتهم وسلاحهم .

هذا والسلطان يرسل إليهم بالكفٍّ عما هم فيه ، وهم مصممون على ما هم فيه يومَهم كله ، ووقع منهم أمور قبيحة فى حق أستاذهم وغيره ، فلما وقع ذلك غضب السلطان غضبا عظيما ، وأرادَ أن يُوسِع الأمراء فى حق مماليكه فخوفه الأمراء سوء عاقبة ذلك ، فأخذ يكثر من الدعاء عليهم سرا وجهرا ، وباتوا على ذلك .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٢) .

(٣) بيت الأمير طاز : التعريف به انظر (الحاشية ١ ص ٢٦٥ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

(٤) حمام الفارقانى : التعريف به راجع (الحاشية ٢ ص ١٨٨ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

فلما أصبحُوا يوم الخميس ثامن شعبان استشارَ الملكُ الأشرفُ الأمراءَ فى أمر مماليكه ، فأشاروا عليه بأن يرسل يطلب من الأمير الكبير جارْ قُطْلُو المماليك الذين كانوا سببا لهذه[1] الفتنة ، وكانت المماليك الجلبان [لما رأوا][2] فى الأمس حالهم فى إدبار أرسلوا يطلبون غُرَمَاءَهم من مماليك جارْ قُطْلُو [من السلطان][3] فلم يُجِبْهُم السلطان إلى ذلك ، فأرسل السلطانُ [بعد ذلك][4] للأمير الكبير يطلب مماليكه ٥ الذين كانوا فى أوّل هذه الفتنة ، فأرسل إليه بجماعة منهم فأخذهم السلطانُ وضَرَبَهم ضَرْباً ليس بذاك ، ثم أمر بحبسهم ، ووافق ذلك عجزُ المماليك الجُلْبَان عن قتال الأمير الكبير لعدم اجتماع كلمتهم ولفرار أكثرهم وطلوعهم إلى الطَّبَقة ، فأذعنوا بالصلح وخمدت الفتنةُ — ولله الحمد — بعد أن كاد أمرُ هذه الوَقْعَة أن يَتَّسِع إلى الغاية ، لأن غالب الأمراء شَقَّ عليهم ما وقع للأمير الكبير ، وقالوا إذا كان هذا يقع للأمير الكبير ١٠ فنحنُ من باب أَوْلَى وأحقّ لأعظم من هذا ، وتنبّه من كان عنده كمين من الملك الأشرف من المماليك المؤيّدية [شيخ][5] وغيرهم ، وظهر للسلطان لوايح من ذلك فاحتار بين مماليكه وأمرائه إلى أن وَقَع الصُّلْحُ ، ومن يومئذ تغيّر خاطر جارْقُطْلُو من الملك الأشرف فى الباطن مع خصوصيته بالأشرف حتى أبدَى بعضَ ما كان عنده فى سَفْرَةِ آمِد حسبما يأتى ذكره . ١٥

ثم وردَ الخبرُ على السلطان بأن فى خامس شعبان هذا وردَ إلى مِيناء الإسكندرية خمسةُ أغربة فيها مقاتلة الفرنج مشحونة بالسلاح ، وباتوا بها وقد استعدّ لهم المسلمون ، فلما أصبحَ النهارُ واقعوهم وقد أدركهم الزَّيْنى عبد القادر بن أبى الفرج الأستادار — وكان مسافرا بتَرُّوجَة — ومعه غالب عرب البُحَيرة نَجْدَةً للمسلمين ، فلما كثر جمع المسلمين انهزمَ الفرنجُ ورُدُّوا من حيث أتوا فى يوم الأحد حادى عشره ولم يُقْتَل من المسلمين ٢٠ سوى فارس واحد من جماعة ابن أبى الفَرَج .

---

(١) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٣ « لقيام هذه الفتنة » .

(٢ ، ٣ ، ٤) الإضافات من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٣) .

(٥) إضافة للتوضيح .

قلت [قوله تعالى][1] (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)[2] .

كل ذلك والسلطان مشغول بتجهيز[3] تجريدة إلى بلاد الشَّرق ، فلما كان ثانى عشر شعبان المذكور أنفقَ السلطانُ فى ثلاثمائة وتسعين مملوكا من المماليك السلطانية ، ٥ لكل واحد[4] خمسين دينارا ، وفى أربعة من أمراء الألوف ، وهم : أرْكَمَاس الظاهرىّ الدوادار الكبير ، وقرْقَمَاس حاجب الحجاب ، وحسين بن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمُش البَهَسْنِى ، ويَشْبُك الشودُونى المعروف بالمُشِد ، لكل واحد ألفى دينار ، وأنفق أيضا فى عِدَّة من أمراء الطبلخانات والعشرات ، فبلغت نفقةُ الجميع نحو ثلاثين ألف دينار ، ورسم بسفرهم إلى الشّام ، فسافروا فى سادس[5] عشرين شعبان المذكور .

١٠ ثم فى يوم الخميس[6] رابع عشر شهر رمضان حُمِلَت جامكيّة المماليك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة ، فامتنعوا من قبضها ، وطلبوا زيادة لكل واحد ستمائة درهم وصمموا على ذلك ، وترددَت الرُّسُل بينهم وبين السلطان إلى أن زِيد فى جوامك عِدَّة منهم وسكنَ شَرُّهُم ، وأخذوا الجامكيّة فى يوم الاثنين ثامن عشره .

ثم بعد ذلك وقع بين المماليك الجُلْبان وبين العبيد ، فتجمّع السُّودان وقاتلوهم فقتل ١٥ بينهم عِدَّةٌ وصاروا جَمْعَين لكل جمع عَصَبِيَّة .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة ورَد الخبرُ على السلطان بأخذ الأمراء المتوجِّهين إلى جهة بلاد الشَّرْق مدينة الرُّهَا من نواب قَرَا يُلُك ، وكان من خبر ذلك

---

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٤) .

(٢) آية ٢٥ من سورة الأحزاب .

٢٠ (٣) ورد فى هامش اللوحة « النفقة على العسكر المتوجه إلى بلاد الشرق » .

(٤) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٤٤ « مملوك » .

(٥) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٤ « سابع » .

(٦) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٥ « الجمعة » .

أن العساكر المصرية لما سارت من القاهرة إلى جهة الشام لأخذ خَرْتَبِرْتْ[1] — وقد مات مُتَوَلِّيها ، ونازلها عسكر قَرَايُلُك صاحب آمِد — فلما وصلُوا إلى مدينة حَلَب ورد عليهم الخبر بأخذ قَرَايُلُك قلعة خَرْتَبِرْت وتحصينها وتسليمها لولده ، فأقاموا بحَلَب إلى أن وَرَدَ عليهم الأميرُ سُودون من عبد الرحمن نائب الشام بعساكر دمَشْق ، ثم جميع نوّاب البلاد الشامية بعساكرها ، وتشاوروا في السَّيْر لها ، فأجمعَ رأيُهم على السير ، فمضوا بأجمعهم : العسكر المصرى [والعسكر][2] الشامى إلى جهة الرُّهَا ، فأتاهم بألبيرة كتابُ أهل الرُّهَا بطلب الأمان وقد رَغِبُوا في الطاعة ، فأمنوهم وكتبُوا لهم كتاباً ، وساروا من ألبِيرة وبين أيديهم مائتا فارس من عَرَب الطَّاعة كشَّافة ، فوصلت الكَشَّافَة المذكورون إلى الرُّهَا في شوّال ، فوجدُوا الأميرَ هَابِيل بن الأمير عثمان بن طُرْ عَلِى المدعو قَرَايُلُك صاحب آمِد قد وصل إليها ودخلها وحصَّنها وجمع فيها خلائق من أهل الضياع بمواشيهم وعيالهم وأموالهم ، فنزلوا عليها فرموهم بالنُّشَّاب من فوق أسوار المدينة .

فلما رأى هَابِيلُ قِلّة العَرَب بَرَزَ إليهم في نحو ثلاثمائة رجل من عسكره وقاتلهم فثبتوا له وقاتَلُوه ، فقُتِل بين الفريقين جماعةٌ والأكثر من العَرَب ، فأخذَ هَابِيل رءوسهم وعلقها على أسوار المدينة ، وبينما هم في ذلك[3] أدركهم العسكرُ المصرى والشامىُّ ونزلوا على ظاهر الرُّهَا يوم الجمعة العشرين من شوال ، فوجدُوا هَابِيلَ قد حصّن المدينة ، وجعل جماعة من عساكره على أسوارها ، فلما قَرُبَ العسكر من سُور مدينة الرُّهَا رماهمُ الرّجال من أعلى السور بالنُّشَّاب والحجارة ، فتراجع العسكرُ عنهم ونزلوا بخيامهم إلى بعد الظهر ، فركبوا الجميع وأرسلوا إلى أهل الرُّهَا بالأمان ، وأنهم إن لم

(١) خرتبرت : اسم أرمنى يطلق على حصن زياد ببلاد الروم فى أقصى ديار بكر (المقريزى — السلوك : ٧٤٩ هامش الدكتور زيادة) .

(٢) الإضافة من (ط — كاليفورنيا ٦ : ٦٤٥) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « نزول العساكر على الرها وأخذها والقبض على صاحبها هابيل بن قرايلك » .

يكفوا عن القتال أخربوا المدينة ، فلم يلتفتوا إلى كلامهم ورموهم بالنُّشَّاب ، فاتّفق العسكر حينئذ على الزَّحْف وركبوا بأجمعهم وزَحَفُوا على المدينة وجَدُّوا فى قتالها ، فلم يكُن غير ساعة إلا وأخذوا المدينة واستولوا عليها ، وتعلق أعيانُ البلد ومقاتلتها بالقلعة ، فانتشر العسكرُ وأتباعُهم بالمدينة ينهبون ويأخذون ماوجدوا ويأسرون مَن ظفِرُوا به ، وأمعنوا فى ذلك حتى خرجوا عن الحدّ ، وأصبحوا يوم السبت جدُّوا فى حصار القلعة ، وأرسلُوا إلى مَن بها بالأمان فلم يقبلوا واستمرُّوا بالرَّمْى بالنُّشَّاب والحجارة وغير ذلك ، ونصبوا على القلعة المكاحِلَ والمدَافع وأخذوا فى النقوب وباتوا ليلة الأحد على ذلك ، وأصبحوا يوم الأحد على ما هم عليه من القتال والحصار إلى وقت الضحى ، فضعف أمرُ من بالقلعة بعد قتال شديد وَطَلَبوا الأمانَ ، فكَفُّوا عند ذلك عن قتالهم ، ونزلت رُسُلُهم إلى الأمير سُودُون من عبد الرحمن نائب الشام ، وهو مقدّم العساكر ، وكلَّموهم فى نزولهم وتسليمهم القلعة ، وحَلَّفُوه هو والأمير قَصْرُوَه نائب حَلَب[1] على أنهم لا يؤذونهم ولا يقتلون أحداً منهم ، فركنوا إلى أيمانهم ، ونزلَ الأميرُ هَابِيل بن قَرَايُلُك ومعه تسعة[2] من أعيان أمراء أبيه فى وقت الظهر من يوم الأحد ثانى عشرين شوال المذكور ، فتسلمه الأميرُ أرْكَمَاس الظاهرىّ الدّوَادار الكبير ، وركب الأميرسُودُون من عبد الرحمن ومعه بقية النُّواب إلى القلعة ، فوجَدُوا المماليك السلطانية قد وقفوا على باب القلعة ليدخلوا إليها ، فكلَّمَهُم النُّوّاب فى عدم دخولهم وقالوا لهم : نحن أعطيناهم أماناً ، ومنعوهم من الدخول إليها ، فأفحشوا فى الرّدّ على النوّاب ، فراجعوهم فى ذلك فهمّوا المماليك بقتالهم ، وهجموا القلعة بغير رضاء النوّاب والأمراء ودخلوها ، فشقّ ذلك على النُّوّاب وعادوا إلى مخيّمهم ، فمدّ المماليكُ أيديهم هم والتُّرْكُمَان والأعرابُ والغِلْمَانُ فى النَّهْب والسَّبْى حتى نهبوا جميع ما كان بالقلعة ، وأسروا النِّسَاء والصِّبْيَان وأفحشوا بها إلى الغاية .

(١) فى الأصل « نائب الشام » والصواب ما هنا وهو من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٧) .
(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٧ « تسعون » .

ثم ألقوا النار فيها فأحرقوها بعد ما أخلوها من جميع ما كان فيها ، وقتلوا من كان بها وبالمدينة من الرجال والمقاتلة ، حتى جاوز فعلهم الحدّ .

ثم أخربوا المدينة وألقوا النار فيها فاحترقت واحترق فى الحريق جماعةٌ من النِّسْوَة فإنهن اختفين فى الأماكن من البلد خوفاً من العسكر ، فلما احترقت المدينةُ احترقن الجميع فى النار التى أُضرمت بسكك المدينة وخباياها ، واحترق أيضاً معهن عدةٌ كبيرةٌ من أولادهن . ٥

هذا بعد أن أسرفوا فى القتل بحيث إنه كان الطريق قد ضاق من كثرة القتلى ، وفى الجملة فقد فعلوا بمدينة الرُّهَا فعل التَّمُرلنكيين وزيادة من القتل والأسر والإحراق والفجور بالنساء — فما شاء الله كان .

ثم رحلوا من الغد فى يوم الاثنين ثالث عشرينه وأيديهم قد امتلأت من النهب والسبى ، فقطعت منهم عِدَّة نساء من التَّعب فمتنَ عطشاً ، وبيعت منهن بحَلَب وغيرها عدةٌ كبيرة . ١٠

قال المقريزى : وكانت هذه الكائنة من مصيبات الدَّهر .

[الوافر]

وَكُنَّا نَسْتَطِبُ إذَا مَرِضْنَا فَجَاءَ الدَّاءُ مِنْ قِبَلِ الطَّبِيبِ ١٥

لقد عهدنا مَلِكَ مصر إذا بَلَغَهُ عن أحدٍ من ملوك الأقطار قد فعل مالا يجوز أو فعل ذلك رعيتُه بعث يُنْكِرُ عليه ويهدِّدُه ، فصرنا نحن نأتى من الحرام بأشنعه ومن القبيح بأفظعه — وإلى الله المشتكى — انتهى كلام المقريزى .

قلت : لم يكن ما وقع من هؤلاء الغوغاء بإرادة الملك الأشرف ، ولا عن أمْرِه ولا فى حضوره ، وقد تقدّم أن نُوّابَ البلاد الشامية وأكابرَ الأمراء ٢٠

منعوهم من دخول القلعة بالجملة فلمْ يقدِرُوا على ذلك لكثرة من كان(١) ،
اجتمعَ بالعسكر من التّركان والعرب النهّابة كما هى عادة العساكر ، وإن كان
كون الأشرف جهّز العسكر إلى جهة الرُّها ، فهذا أمرٌ وقع فيه كلُّ أحدٍ
من مُلوك الأقطار قديماً وحديثاً ، ولا زالت الملوكُ على ذلك من مبدأ الزّمان
٥ إلى آخره ، معروف ذلك عند كل أحد — انتهى .

ثم فى ليلة الخميس ثامن ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين المذكورة قدم
السيد الشريف شهاب الدين(٢) أحمد من دِمَشق بطلب من السلطان بعد أن خرَج
أكابرُ الدّولة إلى لقائه ، واستَمرّ بالقاهرة إلى يوم الخميس خامس عشر ذى الحجة
فخَلع السلطان عليه باستقرارِه كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية ، عوضاً عن
١٠ جلال الدين محمد بن مزْهر بحكم عزله ، وعملت الطرحة خضراء برقمات ذهب ،
فكان له موكب جليل إلى الغاية .

ثم فى يوم الجمعة سادس عشره خَلَعَ السلطانُ على جلال الدين [محمد](٣) بن
مُزهر المقدم ذكره واستقر فى توقيع المقام الناصرى محمد بن السلطان .

ثم فى يوم السبت رابع عشرينه قَدِم(٤) القاهرة الأمير هَابيلُ بن قرايلك
١٥ المقبوض عليه من الرُّها ومعه جماعة فى الحديد ، فَشُهِّرُوا بالقاهرة إلى القلعة ،
وسجنُوا بها ، وقد تخلف العسكرُ المصرى بحلب مخافة أن يهجم قرايُلك على
البلاد الحلبية .

وفى هذه السنة كان خراب مدينة تِبريز ؛ وسبب ذلك أن صاحبها إسكندر بن

---

(١) فى الأصل « لكثرة ما كان اجتمع » وما هنا من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٨) .
٢٠ (٢) ورد فى هامش اللوحة « استقرار الشريف فى كتابة السر » .
(٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٨) .
(٤) ورد فى هامش اللوحة « قدوم هابيل إلى القاهرة » .

قرا يوسف بن قرا محمد بن بَيرم خَجا التركمانى زحف على مدينة السُّلطانية[1] وقتل متملكها من جهة القان شاه رُخّ بن تَيْمورلنك فى عدة من أعيان المدينة ، ونهب السلطانية وأفسد بها غاية الإفساد ، فسار إليه شاه رُخّ فى جموع كثيرة فخرج إسكندر من تبريز وجمع لحربه ولقيه وقد نزل خارج تبريز ، فانتدب لمحاربة إسكندر المذكور الأمير عثمان بن طُرْ على المدعو قرايلك صاحب آمد — وقد أمدّه شاه رُخّ بعسكر كثيف — وقاتله خارج تبريز فى يوم الجمعة سادس عشر ذى الحجة قتالا شديداً قتل فيه كثيرٌ من الفئتين إلى أن كانت الكسرة على إسكندر وجماعته ، وانهزَمَ وهم فى أثره يطلبونه ثلاثةَ أيام ففاتهم إسكندر ، فنهبت الجغتاى عامّة بلاد أذربيجان وكرسى أذربيجان تبريز ، وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا أفاعيل أصحابهم من أعوان تَيْمُور حتى لم يدعُوا بها ماتراه العين ، ثم ألزَمَ شاه رُخّ أهْلَ تبريز بمالٍ كبير ، ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند ، فما ترك [فى][2] تبريز إلا ضعيفاً أو عاجزاً لا خير فيه ، ثم بعد مُدّة طويلة رحلَ إلى جهة بلاده ، وبعد رحيله انتشرت الأكرادُ بتلك النواحى تعبثُ وتفسد حتى فُقِدَت الأقواتُ وأُبيع لحم الكلاب الرطل بعدة دنانير .

قلتُ : وقد تكرّر قتال إسكَنْدَر هذا لشاه رُخّ المذكور غير مرّة ، وهو فى كل وقعة تكون الكسرةُ والذِّلّة عليه ، وهولا يَرْعَوِى ولا يستحى ولا يرجع عن جهله وغيِّه ، وقد نسبَه بعض الناس للشجاعة لكثرة مواقعته مع شاه رُخّ المذكور ، وأنا أقول : ليس ذلك من الشجاعة إنما هو من قلّة مروءته ، وإفراط جهله ، وسخفه وجنونه ، وعدم إشفاقه على رعيّته وبلاده ؛ حيث يقاتل من لا قِبَلَ له به ولا طاقة له بدفعه ، فهذا هو الجنون بعينه ، وإن طاب له — من هذا — الكحلُ فليكتحِل ، وأما إسكندر

(١) السلطانية : مدينة قديمة من بلاد فارس فى عراق العجم بالقرب من البصرة (ياقوت — معجم البلدان ٢ : ٢٣٤) .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٤٩) .

فإنه بعد هزيمته جال [فى][1] البلاد وتشتّت شملُه وتبدّدَت عساكرُه، وسار إلى بلاد الأكراد وقد وقع بها الثُّلُوج ، ثم سار إلى قلعة سَلْمَاس[2] لحصره بها الأكراد، وقاسى شدائد إلى أن نجا منها بنفسة وسار إلى جهة من الجهات — انتهى .

ثم فى يوم الأحد رابع عشرين المحرّم سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة قدم إلى القاهرة رسولُ ملك الشّرق شاه رُخّ بن تَيْمُور لَنْك بكتابه يطلب فيه شَرْحَ البُخَارِى للحافظ شهاب الدين [أحمد][3] بن حَجَر، وتاريخ الشيخ تقى الدين المَقْرِيزِىّ المسمى بالسّلوك لدول الملوك ، ويَعْرِضُ أيضا فى كتابه بأنه يريد يكسو الكعبة، ويُجْرِى العيشَ بمكّة ، فلم يلتفِت السلطانُ إلى كتابه ولا إلى رسوله ، وكتب له بالمنع فى كلّ ما طلبه .

ثم فى يوم الخميس سادس عشرين صفر خلعَ السلطانُ على قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينِىّ وأعيد إلى قضاء الشافعية بعد عزل الحافظ شهاب الدين بن حجر ، وخلعَ أيضا على القاضى زين الدين عبد الرحمن التَّفَهْنِىّ وأعيد أيضا إلى قضاء الحنفية بعد عزل قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى ، واستقرّ القاضى صدرالدين أحمد بن العجمىّ فىمشيخة خانقاه شَيْخُون عوضا عن التَّفَهْنِىّ ، وخلعَ عليه فى يوم الاثنين أوّلشهر ربيع الأوّل .

ثم فى يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأوّل[4] المذكور خلعَ السلطانُ على القاضى سعد الدين إبراهيم ابن القاضى كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جَكم باستقراره ناظر الخواصّ الشريفة بعد موت والده .

ثم فى يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر خلعَ السلطان على قاضى القضاة بدر الدين

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٠) .

(٢) سلماس : مدينة فى أذربيجان بينها وبين تبريز ثلاثة أيام (المقريزى — السلوك ١ : ١٣٤ هامش الدكتور زيادة) .

(٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٠) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « استقرار كريم بن كاتب جكم فى وظيفة نظر الخاص » .

محمود العَيْنِي المقدّم ذكره باستقراره فى حِسْبَة القاهرة عوضا عن الأمير إينَال الشَّشْمَانِيّ مضافا لما معه من نظر الأَحْبَاس .

ثم فى يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر المذكور خلعَ السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد الدَّوَادَار المعروف بابن الأَقطع — وقد صار قبل تاريخه زَرَدْكَاشا — باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن آقْبُغَا التَّمْرَازِيّ بحكم عزله وقدومه إلى القاهرة على إمْرَته ، فإنه كان ولى نيابة إسكندرية على إقطاعه : تقدمة ألف بالديار المصرية . ٥

ثم فى خامس عشرينه خلع السلطانُ على[1] آقْبُغَا الجمالىّ الكاشف باستقراره أستادارا بعد عزل الزّينى عبد القادر بن أبى الفرج ، على أن آقْبُغَا يحملُ مائة ألف دينار بعد تكفية الديوان ، فكذَبَ وتُخُومِلَ وعُزِلَ بعد مُدّة يسيرة حسبما نذكره ، ١٠ وكان أصلُ آقْبُغَا هذا من الأَوْبَاش من مماليك الأمير كَمَشْبُغَا الجمالى أحد أمراء الطبلخانات ، وصار يتردّد إلى إقطاع أستاذه كَمَشْبُغَا المذكور ، ثم خدم بلاَّصِيًّا عند الكشّاف ، ثم ترقّى حتى وَلِىَ الكشفَ فى دولة الملك الأشرف هذا ، وأثْرَى وكَثُرَ مالُه فحسّن له شيطانُه أن يكون أستادارا وأخذ يسعى فى ذلك سنين إلى أن سمَح له الملكُ الأشرف بذلك ، وتولّى الأستادارية ، وأستاذه [الأمير][2] كَمَشْبُغَا الجمالى ١٥ فى قَيْد الحياة من جُمْلة أمراء الطبلخانات ، فلم تحسن سيرتُه وعُزِلَ بعد مُدّة .

وفى هذا الشهر وقع الطاعون بإقليم[3] البُحَيْرَة والغَرْبيّة بحيث إنه أُحْصِىَ من مات من أهل المحلّة زيادة على خمسة آلاف إنسان ، وكان الطاعون أيضاً قد وقعَ بغزّة والقُدْس وصَفَد ودِمَشْق من شعبان فى السنة الخالية ، واستمرّ إلى هذا الوقت ، وعُدّ ذلك من النوَادر لأنّ الوَقْت [كان][4] شتاء ولم يُعْهَد وقوعُ الطاعون إلا فى فصل ٢٠

(١) ورد فى هامش اللوحة « استقرار آقبغا الجمالى فى الأستادارية » .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٢٥٦) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « وقوع الطاعون » .

(٤) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٢٥٦) .

الرّبيع ، ويعلِّلُ الحكماء ذلك بأنه سَيَلانُ الأَخْلاَط فى فصل الرّبيع وجمودُها فى الشتاء ، فوقع فى هذه السنة بخلاف ذلك ، وكان قَدِمَ الخبرُ أيضاً بوقُوع الطاعُون بمدينة بُرْصَا من بلاد الرُّوم ، وأنه زاد عِدّة من يموت بها فى كل يوم على ألف وخمسمائة إنسان ، ثم بدأ الطاعون بالديار المصرية فى أوائل شهر ربيع الآخر .

٥ قلت : وهذا الطاعون هو الفناء العظيم الذى حصلَ بالدّيار المصرية وأعمالها فى سنة ثلاث وثلاثين المذكورة .

ثم فى يوم الخميس أوّل جمادى الآولى نُودِىَ بالقاهرة بصيام ثلاثة أيّام ، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم ، وأن يخرجوا من المظالم ، ثم إنهم يخرجون فى يوم الأحد رابع جمادى الأولى المذكور إلى الصحْرَاء ، فلما كان يوم الأحد رابعه [1] خرج قاضى ١٠ القضاة علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى جمع مَوْفُور إلى الصّحْراء خارج القاهرة ، وجَلس بجانب ترْبة الملك الظاهر بَرْقُوق ، ووعظَ الناس فكَثُرَ ضجيج النّاس وبكاؤهم فى دعائهم وتضرّعهم ، ثم انفضوا فتزايدت عِدّة الأموات فى هذا اليوم عمّا كانت فى أمسه

ثم فى ثامن جمادى الأول هذا قَدِمَ كتابُ إسكندر بن قَرَايُوسُف صاحب تِبْرِيز أنه قَدِمَ إلى بلاده وقَصْدُه أن يمشى بعد انقضاء الشّتاء لمحاربة قرايُلُك ، فلم يَلْتَفِت ١٥ السلطان إلى كتابه لشغلِهِ بمَوت مماليكه وغيرهم بالطّاعون .

ثم وَرَدَ كتابُ قَرَايُلُك أيضا على السلطان يسأل فيه العفْوَ عَن وَلَدِه هَابيل وإطلاقه ، فلم يسمَح له السلطان بذلك .

ثم عَظُمَ الوباء فى هذا الشهر ، وأخذ يتزايد فى كل يوم ، ثم ورد الخبر [أيضا][2] أنه ضُبِطَ من مات من النّحرِيرِيّة بالوجه البحرى إلى يوم تاريخه تسعة آلاف سوى ٢٠ من لم يُعْرَف وهم كثير جدا ، وأنه بلغ عِدّة الأموات فى الإسكندرية فى كل يوم نحو المائة ، وأنه شمِلَ الوباء غالبَ الأقاليم بالوجه البحرى .

(١) فى الأصل « رابع » وما هنا من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٢) .
(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٣) .

ثم وجد فى هذا الشهر بنيل مصر والبرك كثيرٌ من السمك والتماسيح قد طفت على وجه الماء ميتةً واُصْطِيدَت [سمكةٌ تسمى][1] بنيه كبيرة فإذا هى كأنما صبغت بدم من شدّة ما بها من الاحمرار ، ثم وجد فى البرِّيّة ما بين السويس والقاهرة عدة كبيرة من الظِّباء والذئاب مَوْتَى .

ثم قدم الخبرُ بوقوع الوباء أيضا ببلاد الفرنج . ٥

[ثم[2]] فى يوم الخميس سلخه ضُبِطَت عدّة الأموات التى صُلِّى عليها بمصليات القاهرة وظواهرها فبلغت ألفين ومائة ، ولم يرد منها فى أَوْرَاق الدِّيوان غير أربعمائة ونيف ، وببُولَاق سبعين ، وفشا الطاعون فى الناس ، وكثر بحيث إن ثمانية عشر إنسانا من صيَّادِى السَّمَك كانوا فى موضع [واحد][3] فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر ، ومضى الأربعة ليجهِّزُوهم إلى القبُور فمات منهم وهم مشاة ثلاثةٌ ، فقام الواحد بشأن الجميع حتى أوصلهم إلى القبُور فمات هو أيضا . قاله الشيخ تقى الدين المقريزى فى تاريخه ، ثم قال [أيضا][4] : وركبَ أربعون رجلا فى مَرْكب وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصّعيد فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم إلى الَميمون ، ومرّت امرأةٌ من مصر تريد القاهرة وهى راكبة على مكارِى فماتت وهى راكبة وصارت ملقاة بالطريق يومها كلّه حتى بدأ يَتَغيَّر ريحها فدُفِنَت ولم يُعرَف لها أهلٌ ، وكان الإنسان إذا مات تغيرَّ ريحُهُ سَريعا مع شِدّة البَرْد ، وشنع الموت بخانقاه سِرْيَاقُوس حتى بَلَغت العِدّةُ فى كل يوم نحو المائتين ، وكثر أيضا بالمَنُوفيّة والقَلْيُوبيّة حتى كان يموت فى الكَفْر الواحد ستمائة إنسان .

قلتُ : والذى رأيتُه أنا فى هذا الوَبَاء أن بيوتاً كثيرة خلَت من سكّانها مع كثرة عددهم ، وأن الإقطاع الواحد كان ينتَقِلُ فى مدّة قليلة عن ثلاثة أجناد وأربعة وخمسة ، ومات من مماليك الوالد [رحمه الله][5] فى يوم واحد أربعة من أعيان الخاصّكيّة ، وهم : أَزْدَمُر السّاقى[6] ، وملج السلاح دار ، وبِيبَرْس الخاصّكىّ ، ويوسف الرّمّاح ؛ ماتوا

١٠

١٥

٢٠

(١ ، ٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٣) .
(٣ ، ٤ ، ٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٤) .
(٦) ورد فى هامش اللوحة « ذكر من مات من مماليك والد سيدى يوسف المصنف لهذا التاريخ » .

الجميع فى يوم واحد، فتحيَّرنا بمن نبدأ بتجهيزه ودفنه على اختلاف سُكْنَاهم وقِلَّة التَّوَابِيت والدَّكَك، وبالله لم أشهد منهم غيرَ يُوسُف الرَّماح، وأرسلتُ لمن بَقِى غيرِى، مع أنّ كلّ واحد منهم أهل لنزول السلطان للصلاة عليه.

ثم أصبح من الغد مات سُنقُر دَوَادَار الوالد الثانى، وكان من أكابر الخاصّكيّة من الدّولة المؤيّدية، هذا خلاف من مات منهم من الجَمدَارِيّة ومن مماليك الأمراء، وأما من مات من عندنا من المماليك والعَبِيد والجَوارِى والخدم فلا يدخل تحت حَصْر، ومات من أخوتى وأولادهم سبعةُ أنفس مابين ذكور وإناث، وأعظمهم أخى إسماعيل؛ فإنه مات وسنه نحو العشرين سنة، وكان من محاسن الدَّهر.

قال المقريزى: ثم تزايدت عِدّةُ الأموات عما كانت فأُحْصِىَ فى يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة مَن أُخرِج عن أبواب القاهرة فبلغت عِدَّتُهم ألفاً ومائتى ميّت سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكور والحُسَيْنِيَّة وبُولاق والصَّلِيبَة ومدينة مصر والقَرافَتَيْن والصحراء، وهم أكثر من ذلك، ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين، وذلك أن أناساً عملوا التوابيت للسَّبِيل، فصار أكثرُ الناس يحمِلُون موتاهم عليها ولا يوردون الديوان أسماءهم.

قال: وفى هذه الأيام ارتَفَعَتْ أسعارُ الثِّياب التى يُكَفَّنُ بها الأموات، وارتفع سعرُ سائر ما يحتاج إليه المَرْضى كالسكَّر وبزْرِ الرِّجلة والكُمُّثْرَى على أن القليل من المَرْضى هو الذى يُعالج بالأدْوِيَة، بل بعضهم يموت موتاً سريعاً فى ساعة وأقلّ منها، وعظم الوباء فى المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة الذين كَثُرَ فسادُهم وشرُّهم وعَظُمَ عُتُوُّهم وضرهم، بحيث إنه كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مملوكا مرضى فيموت [منهم] [(١)] فى اليوم زيادة على الخمسين مملوكا — انتهى كلام المقريزى.

قلتُ: والذى رأيتُه أنا أنه مات بعض[(٢)] أعيان الأمراء مقدّمى الألوف، فلم يقدروا

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٥).
(٢) ورد فى هامش اللوحة «وفاة أخى سيدى يوسف المؤرخ».

له على تابوت حتى أخذ له تابوت من السّبيل ، وأما الأخ [رحمه الله] [١] فإنه لما تُوُفِّىَ إلى رحمة الله تعالى وجدنا له تابوتاً ، غير أنه لا عدّة فيه ، فلما وضع الأخ فيه طُرِحَ عليه سَلّارى سَمُّور من قماشه ، على أن الغاسل أخذ من عليه قماشاً يساوى عشرين ألف [٢] درهم ، ومع هذا لم ينهض أهلُ الحانوت بكسوة تابوته .

وبلغ عِدّة من صلى عليه من الأموات بمصلّى باب النصر فى يوم الأحد ٥ عاشر جمادى الآخرة خمسمائة وخمسة ، وقد أقام هناك جماعة كبيرة بأدوية وأقلام لضبط ذلك ، وبطل الصلاة بالمصلاة وإنما صار الناس يصلون على أمواتهم صَفّاً واحداً من باب المُصَلّى إلى تجاه باب دار الحاجب ، فكان يُصَلّى على الأربعين والخمسين معاً دفعة واحدة ، ومات لشخص بخدمتنا يُسَمّى شمس الدين الذّهَبى ولدٌ فخرجنا معه إلى المُصَلّى ، وكان سِنُّ الميّت دون سبع سنين ، فلما أن وضعناه للصّلاة ١٠ عليه بين الأموات جيء [٣] بعدّة كبيرة أُخرى إلى أن تجاوَزَ عددُهم الحدّ ، ثم صُلّىَ على الجميع ، وتقدمنا لأخذ الميّت المذكور [٤] فوجدنا غيرنا أخذه وترك لنا غيره فى مقدار عُمْره ، فأخذه أهلُه ولم يفطنوا به ، ففهمت أنا ذلك ، وعرّفت جماعةً أُخر ولم نُعْلِمْ أباه بذلك ، وقلنا لعلّ الذى أخذه يُوَارِيه أحسن مُوَاراة ، وليس للكلام فى ذلك فائدة غير زيادة فى الحُزْن ، فلما دُفِنَ الصّبِىّ وأُخذ أهلُ الحانوت التّابوت صاحوا وقالوا : ليس ١٥ هذا تابوتَنَا هذا عتيق وقماشه أيضاً خَلَق ، فأشرتُ إليهم بالسّكات وهدّدَهُم بعضُ المماليك بالضّرب ، فأخذوه ومضوا ، فكانت هذه الواقعة من الغَرَائب المهولة ، كل ذلك والطاعون فى زيادة ونموٌّ حتى أيقن كلُّ أحد أنه هالك لا محالة ، وكنا نخرج من صلاة الجمعة إلى بيتنا وقد وقف جماعةٌ من الأصحاب والخَدَم فنتعادد إلى الجمعة الثانية فينقص منا عِدّة كبيرةٌ ما بين ميّت ومريض، واستسلم كلُّ أحد للموت وطابت نفسه ٢٠ لذلك ، وقد أُوصى وتابَ وأناب ورجع عن أشياء كثيرة ، وصار غالب الشّبّاب فى يَدِ

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٤)
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٦ « عشرة آلاف »
(٣) فى الأصل « فجاء » وما هنا من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٦) .
(٤) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٦) . ٢٥

كلٌّ واحد منهم سبحة وليس له دأب إلا التوجه للصلاة للصلاة على الأموات وأداء الخمس والبكاء [والتوجّه إلى الله تعالى][1] والتخشّع ، وماتت عندنا وصيفةٌ مولدة بعد أن مرضت من ضحى النهار إلى أن ماتت قبل المغرب ، فأصبحنا وقد عجز الخدَمُ عن تحصيل تابوت لها ، فتولت تغسيلها أمُّها وجماعةٌ من العجائز وكفّنوها فى أفخر ثيابها

٥ على أحسن وجه ، غير أننا لم نَلْقَ لها نعشاً ، وقد ألزمنى التوجه للصلاة على الأمير الكبير يَشْبُغَا المظفَّرىّ ، وعلى الشهابى أحمد بن الأمير تمُرَاز النائب ، فوقفت على الباب والميتة محمولةٌ على أيدى بعض الخدَم إلى أن اجتازت بنا جنازةُ امْرَأة ، فأنزلتُ التابوت غصباً ووضعتها عند الميتة « واشتالتا » على أعناق الرجال ، وسارت أمّها وبعض الخدم معها إلى أن قاربت التُّربة فأخذوها من التابُوت ودفنوها .

١٠ ثم بلغ فى جمادى الآخرة [المذكورة][2] عِدَّة مَن صُلِّىَ عليه بمصلاة باب النصر فقط فى يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميّت .

ثم فى اليوم المذكور بلغ عِدّة من خرج من الأموات من سائر أبواب القاهرة اثنى عشر ألفاً وثلاثمائة ميّت محرّرة من الكتبة الحسَبَة بأمر شَخْص من أكابر الدَّوْلة وقيل بأمر السلطان ، ثم بلغ عِدَّة من صُلِّىَ عليه بمصلّاة باب النصر من الأموات فى

١٥ العشر الأوسط من جمادى الآخرة المذكورة ألفاً ونيفاً وثلاثين إنساناً ، ويقارب ذلك مصلاة المؤمنى بالرُّمَيْلة ، فيكون على هذا الحساب مات فى هذا اليوم نحو خمسة عشر ألف إنسان .

قال المقريزى : واتفق فى هذا الوباء غرائب ، منها : أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصُّغْرَى من السودان نحو ثلاثة آلاف إنسان ما بين رجل وامرأة وصغير

٢٠ وكبير ففنوا بالطاعون حتى لم يَبْقَ منهم إلا القليل ، ففرُّوا إلى أعلى الجبل وباتوا ليلتهم سُهّاراً لا يأخذهم نومٌ لِشدّة ما نزل بهم من فقد أهليهم ، وظلوا يومهم من الغد بالجبل ،

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٥٧) .
(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٥٧)

فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنساناً وأصبحوا فإلى أن يأخذوا فى دفنهم مات منهم ثمانية عشر .

قال: واتفق أن إقطاعاً بالحلقة تنقّل فى أيام قليلة إلى تسعة نفر ، وكل منهم يموت ، ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات تعطّلت الأسواقُ من البَيْع والشراء ، وتزايد آزدحام النّاس فى طلب الأكفان والنعوش ، فحُمِلَت الأموات على الألواح ، ٥ وعلى الأقفاص ، وعلى الأيدى ، وعجز الناسُ عن دَفْنِ أمواتهم ، فصاروا يبيتون بها فى المقابر والحفارون طول ليلتهم يحفرون ، وعملوا حفائر كبيرة بلغ فى الحفرة منها عِدّة أموات ، وأكلت الـكلابُ كثيراً من أطراف الأموات ، وصار الناس ليلهم كلّه يسعون فى طلب الغسال والحمّالين والأكفان ، وترى النعوش فى الشوارع كأنها قطارات جِمال لـكثرتها ، متواصلة بعضها فى إثر بعض — انتهى كلام المقريزى . ١٠

ثم فى يوم الجمعـــة خامس عشر جمادى الآخرة المذكورة جمع الشريف شهابُ الدين [1] أحمد كاتب السرّ بالديار المصرية بأمر السلطان أربعين شريفاً ، اسم كل شريف منهم محمد ، وفرّق فيهم من ماله خمسةَ آلاف درهم ، وأجلسهم بالجامع الأزهر فقرءوا ما تَيَسّرَ من القرآن الـكريم بعد صلاة الجمعة ، ثم قاموا هم والناس على أرجلهم ودعوا الله تعالى — وقد غص الجامع بالناس — فلم يزالوا يدعون الله حتى دَخَلَ وقتُ ١٥ العَصْر فصعد الأربعون شريفاً إلى سطح الجامع وأذّنوا جميعاً ، ثم نزلوا وصلّوا مع الناس صلاة العَصْر وانفضّوا ، وكان هذا بإشارة بعض الأعاجم ، وأنه عمل ذلك ببلاد الشرق فى وباء حدَثَ عندهم فارتفع عقيب ذلك .

ولـما أصبح الناسُ فى يوم السبت أخذ الوَباء يتناقص فى كلِّ يوم بالتدريج حتى انقطع ، غير أنه لـما نقلت الشمس إلى بُرْج الحمل فى يوم ثامن عشر جمـادى الآخرة ٢٠ المذكورة ودخل فصل الرّبيع ، وأخذ الطاعون يتناقص ، غير أنه فشا المَوْتُ من يومئذ فى أعيان النّاس وأكابرهم ومن له شهرة ، بعد ما كان أوّلاً فى الأطفال

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « جمع السادة الأشراف بجامع الأزهر بسبب الوباء »

والموالى والغرباء والخدم ، وفشا أيضاً ببلاد الصعيد ، وبغالب الدَّوَاب والطَّير ، وبدأ التطويل فى الأمراض ، ومشت الأطباء والجرائحية للمرضى .

والعجب أن الشريف كاتب السِّرّ الذى جمع الأشراف بجامع الأزهر مات بعد ذلك باثنى عشر يوماً ، ووَلِىَ أخوه كتابة السرّ عوضه وقبل أن يلبس ٥ الخلْعَة مات أيضا .

وأما من مات فى هذا الوباء من الأعيان فجماعةٌ كبيرة يأتى ذكر بعضهم فى وفيات هذه السنة من هذا الكتاب .

ثم فى يوم الاثنين تاسع شهر رجب خلَعَ السلطان على الأمير الطَّواشى زين الدين خشقدم الرّومى اليشبكىّ نائب مقدّم المماليك باستقراره مقدّم المماليك ١٠ السلطانية بعد مَوْت الأمير فخر الدين ياقوت الأرْغُون شاوِى الحبشى ، وخَلَعَ السلطانُ على الطواشى فيْرُوز الركْنى الرُّومى باستقراره فى نيابة مقدّم المماليك عوضا عن خُشقدم المذكور .

ثم فى سادس عشر شهر رجب المذكور قَدِم الأمير تغرى بردى المحمودىُّ من ثَغْر دِمْيَاط — وكان قد نقل إليه من سجن الإسكندرية قبل تاريخه بمدّة — ١٥ فَرسم السلطان أن يتوجه من قليُوب إلى دِمشق ليكون أتابكا بها عوضا عن الأمير قانى باى الحمزاوِى بحكم حضور قانى باى المذكور إلى القاهرة ليكون بها من جملة مقدّمى الألوف .

ثم فى ثالث عشرينه خَلعَ السلطان على الشيخ بدر الدين حسن بن القُدْسىّ الحنفى باستقراره فى مشيخة الشيُوخ بالشَّيْخُونِيّة بعد موت القاضى صدر الدين أحمد ٢٠ ابن العجمى .

ثم ورد الخبرُ على السلطان بحَرَكَةِ[1] قَرَايُلُك على البلاد الحَلَبيّة ، وأن شاه رُخ

---

(١) ورد فى هامش التوحة « خبر قرايلك »

ابن تَيمُور لَنك قد شَتَّى بقَرَاباغ(١) ، فأخذ السلطان فى تجهيز عسكر للسَّفر ، هذا وقد أُشيع بالقاهرة بأن الأمير جَانِى بَك الصُّوفى مات بالطَّاعون ودُفِن ولم يَعْرِف به أحدٌ فلم تَطِبْ نَفْسُ السّلطان لهذا الخَبَر ، واستمرّ على ما هو عليه من القَلَق بسببه .

ثم فى يوم الأربعاء ثالث شعبان(٢) مَنَعَ السلطانُ نُوَّاب القضاة من الحُكْم ، ورَسَم أن يَقْتَصِرَ القاضى الشافعىّ على أربعة نوّاب ، والحنفى على ثلاثة ، والمالكى ٥ والحنبلى كل منهما على اثنين ، قُلْتُ : نعمة طائلة ، خمسة عشر قاضيا بمصر بل ونصف هذا فيه كفاية .

ثم فى يوم الاثنين ثامن شعبان أُدِيرَ(٣) محمَلُ الحاجّ على العادة فى كُلّ سنة ، ولم يُعْهَد دَوَرانُه فى شعبان قبل ذلك ، غير أن الضَّرُورَة بموت المماليك الرَّمَّاحة اقتضت تأخير ذلك ، وكان الجمعُ فيه من الناس دُون العادة لـكثرة وَجْدِ الناس على ١٠ مَوْتَاهم .

ثم فى يوم السبت ثامن عشر شهر رمضان قَدِمَ شهابُ الدين أحمد بن صالح بن السّفاح كاتب سِرّ حَلَب باستدعاء ليستقرّ فى كتابة السِّرّ بالديار المصرية ، ويستقرّ عوضه فى كتابة سِرّ حَلَب ابنهُ زين الدين عمر ، على أن يحمل شهابُ الدين المذكور عشرة آلاف دينار ، وكانت كتابة السِّرّ شَغَرَت من يوم مات الشريف شهاب الدين أحمد ١٥ الدِّمَشقى ، وباشر أخُوه عماد الدين أبو بكر أياما قليلة ومات أيضا بالطاعون ، فباشر القاضى شرف الدين أبو بكر الأشقر(٤) نائب كاتب السِّرّ إلى يوم تاريخه بعد أن سعى فى كتابة السِّرّ جماعةٌ كبيرة بالقاهرة ، فاختارَ السلطان ابنَ السفّاح هذا ، وبعث بطلبه ، وخلعَ عليه فى عشرينه باستقراره فى كتابة السّرّ ، فباشر الوظيفة بقلّة حُرْمة وعدم أُبَّهة مع حِدَّةِ مِزَاجٍ وخفةٍ وجهل بصناعة الإنشاء ، على أنه باشر كتابة السّرّ بحَلَب ٢٠

(١) قراباغ : وتقع فيما بين السلطانية وتبريز (حاشية ٥ ص ٢٦٤ ج ١٢ من هذا الكتاب)

(٢) ورد فى هامش الوحة « منع السلطان نواب القضاة من الحكم »

(٣) ورد فى هامش الوحة « دوران المحمل فى شهر شعبان »

(٤) ورد فى هامش الوحة « استقرار ابن السفاح فى كتابة السر بمصر »

سنين قبل ذلك ، ومع هذا كله لم ينتج أمرُه لعدم فضيلته ، فإنه كان يَظهرُ من قراءته للقصص ألفاظ عامّيّة ، وبالجملة فإنه كان غير أهل لهذه الوظيفة — انتهى .

ثم فى يوم السبت رابع عشرين شوّال[1] قدِمَ المماليك السلطانية من تَجْرِيدَة الرُّها إلى القاهرة ، وكانوا من يوم ذاك بمدينة حَلَب ، وتخلفت الأمراء بها .

٥ ثم فى يوم الاثنين ثالث ذى القعدة خلعَ السلطانُ على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ باستقراره أستادارا مضافا إلى الوَزَر عوضا عن آقْبُغَا الجمالى بحكم عجز آقْبُغَا عن القيام بالكُلَف السلطانية .

ثم فى سادس ذى القعدة أمسكَ السلطانُ آقْبُغَا المذكور وأُهِينَ وعُوقِبَ على المال ، لحمل جملةً ، ثم أُفْرِجَ عنه واستقرّ كاشفًا للجسور بعد أيام .

١٠ وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة أيضا — ويوافقه خامس عشر مسرى — أوفى النيل ستّة عشر ذراعا فرَكِبَ السلطانُ الملكُ الأشرف من قلعة الجبل ونزل حتى خَلَّق المقياس وعاد فتح خليج السّدّ[2] على العادة ولم يركب لذلك منذ تسلطن إلا فى هذه السنة .

ثم فى ليلة السبت[3] خامس عشر ذى القعدة ظهر للحاج المصرى وهم سائرون من ١٥ جهة البحر المالح كَوْكَبٌ يرتفع ويعظم ثم تفرع[4] منه شرَرٌ كبارٌ ثم اجتمع ، فلما أصبحوا اشتدّ عليهم الحرّ فهلك مِن مُشَاة الحاج ثم من الركبان عالم كبير ، وهلك أيضا من جِمَالهم وحَمِيرهم عدّة كبيرة ، كل ذلك من شدة الحَرّ والعَطَش ، وهلك أيضا فى بعض أودية الينبع جميعُ ما كان فيه من الإبل والغنم .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة ركب السلطانُ من قلعة الجبل ونزَلَ إلى بيت

٢٠ (١) ورد فى هامش الوحة « قدوم المماليك السلطانية المجردين وتأخر الأمراء بحلب » .
(٢) فى الأصل « وفتح الخليج السد » وما هنا من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦١) .
(٣) ورد فى هامش الوحة « ظهور الكوكب للحاج المصرى » .
(٤) كذا فى الأصل ، وفى ط كاليفورنيا ٦ : ٦٦٢ « تفرق » .

[ابن][1] البارزِىّ المُطِلّ على النيل بساحل بُولَاق ، وسار بين يديه غُرَابَان فى النيل حربية ، فلعبا كما لو حاربا الفرنج ، ثم ركب السلطان من وقته سريعا وسار إلى القلعة .

ثم فى عاشر ذى الحجة توجّه زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش إلى زيارة القُدْس الشريف ، وعاد فى يوم تاسع عشرينه ، ثم ورَدَ الخبرُ على[2] السلطان فى هذا الشهر ٥ بتوجه الأمير قَصْرُوَه نائب حَلَب منها والأمراء المجرّدُون معه لمحاربة قَرْقَمَاس بن حسين بن نُعير ، فلقوا جمائعه تجاه قلعة جَعْبر[3] ، فانهزمَ قَرْقَمَاس عن بيوته ، فأخذ العسكرُ فى نهب ماله ، فردّ عليهم العرَبُ وهزمُوهم وقتلوا كثيرا من العساكر ، وممّن قُتِل الأمير قَشْتَمَ المؤيّدى أتابَك حَلَب وغيره ، وعاد العسكرُ إلى حَلَب بأسوء حال ، فعظم ذلك على الملك الأشرف إلى الغاية . ١٠

قال المقريزى : وكان فى هذه السنة[4] حوادثُ شَنِيعَة وحروبٌ وفتن ؛ فكان بأرض مِصْر بحريّها وقبليّها وبالقاهرة ومصر وظواهرها وباء [عظيم][5] مات فيه على أقلّ ما قيل مائةُ ألف إنسان ، والمجازفُ يقول هذه المائة ألف من القاهرة ومصر فقط سوى من مات بالوجه القبلى والبحرى ، وهم مثل ذلك .

١٥ قلت : وليس فى قول القائل إن هذه المائة ألف من القاهرة ومصر فقط مجازفةٌ أبدا ، فإن الوباء أقامَ أزيد من ثلاثة أشهر ابتداءً وانتهاءً وانحطاطا ، وأقل من مات فيه دون العشرين كل يوم[6] ، وأزيد من مات فيه نحو خمسة عشر ألف إنسان ، وبهذا المقتضى ما ثَمّ مجازفة ، ومتحصل ذلك يكون بالقياس أزيد مما قيل — انتهى .

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٢) .
٢٠ (٢) ورد فى هامش اللوحة « كائنة قرقماس بن نعير البدوى » .
(٣) قلعة جعبر : راجع (الحاشية ٤ ص ١٧٥ ج ١٢ من هذا الكتاب) .
(٤) ورد فى هامش اللوحة « الحوادث » .
(٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٢٢) .
(٦) هذان اللفظان واردان بهامش اللوحة .

قال — أعنى المقريزى : وغرق ببحر القُلْزُم مركبٌ فيه حجّاج وتجار تزيد عدتهم على ثمانمائة إنسان لم ينج منهم سوى ثلاثة رجال وهلك باقيهم ، وهلك فى ذى القعدة أيضا بطريق مكّة فيما بين الأَزْلم(١) واليَنْبع بالحرّ والعَطَش ثلاثة آلاف إنسان ، ويقول المكثرُ خمسة آلاف ، وغرق فى نيل مصر فى مُدّة يسيرة اثنتا عشرة سفينة ، تلف فيها من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم ، وكان بغزة والرَّمْلَة والقُدْس وصَفَد ودِمَشْق وحِمْص وحَمَاة وحَلَب وأعمالها وباء [عظيم](٢) ، هلك فيه خلائق لا يُحْصِى عدَدَهم إلا الله تعالى ، وكان ببلاد المَشرِق بلاء عظيمٌ ، وهو أنّ شاه رُخّ بن تَيْمُور ملك الشَّرق قَدِمَ إلى تِبْرِيز فى عسكر يقول المجازف عدتهم سبعمائة ألف ، قلت : يغفر الله لقائل هذا اللفظ ، فإنه تجاوز حد المجازفة فى قوله — انتهى .

قال : فأقام شاه رُخّ على خوبى(٣) نحو شهرين ، وقد فرّ منه إسكندر(٤) بن قَرَا يُوسف ، فقدمَ عليه الأميرُ عُثْمان بن طُرْ على الدعو قرَا يُلُك التركمانى صاحب آمد فى ألف فارس ، فبعثه على عسكر لمحاربة إسْكَنْدَر ، وسار فى أثْره ، وقد جمع إسكندر جَمْعًا يقول المجازف إنهم سبعون ألفًا ، فاقتتل الفريقان خارج تِبْرِيز فقتل بينهما آلافٌ من الناس ، وانهزم إسكندر ، وهم فى أثْره يقتلون [ويأسرون](٥) وينهبون ، فأقام إسكندر ببلاد الكرج ثم بقلعة سَلْمَاس وحصرته العساكر مُدّة ، فنجا وجمع نحو الأربعة آلاف ، فبعث إليه شاه رُخّ عسكرًا أوقعوا به وقتلوا من معه ، فنجا بنفسه جَرِيحًا .

وفى مدة هذه الحروب ثار أصْبَهَان بن قَرَا يُوسُف ونزل على المَوْصل ونَهَب تلك

---

(١) الأزلم : تحريف العامة للأزنم : وهى منزلة بين الأثيلات وبين رأس وادى عنتر . وبها آبار ماء ردىء يطلق البطن (القلقشندى — صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٦) .

(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٣) .

(٣) خوبى : وخوندان : موقع بين أرجان والنوبندجان بفارس (ياقوت — معجم البلدان ٧ . ٤٧٠) .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « هزيمة إسكندر بن قرا يوسف »

(٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٣) .

الأعمال وقتل وأفسد فساداً كبيراً ، وكانت بعراق العرب والعجم نهوب ومقاتل ، بحيث إن شاه محمد بن قَرَا يُوسُف متملك بغداد من عجزه لا يتجاسر على أن يتجاوز سور بَغْدَاد ، وخلا أحد جانبي بغداد من السكان ، وزال عن بغداد اسمُ التمدّن ، ورحل منها حتى الحيّاك ، وجفّ أكثر النّخل من أعمالها ، ومع هذا كلّه وضع شاه رُخ على أهْلِ تِبريز مالًا ، ذهبت في جِبَايَاتِه نعمهُم ، وكثر الإرجاف بقدومه إلى الشّام ، فأوقع الله في عسكره البلاء والوباء حتى عاد إلى جهة بلاده ، وعاد قَرَايُلُك إلى مَارِدِين فنهبها ، ثم عاد ونهب مَلَطْيَة وما حولها .

وكان [أيضاً](١) ببلاد الحبشة (٢) بلاء لا يمكن وصفه ، وذلك أنا أدركنا ملكها داود بن سيف أرْعَد ، ويقال له الحَطِّي ملك أمْحَرَة ، وهم نصارى يعقوبيّة ، فلما مات في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة قام من بعده ابنه تَدْرُس بن داود ، فلم تطل مُدَّتُه ومات ، فملك بعده أخوه أبْرَم ، ويقال إسحٰق بن داود وفخم أمرُه ؛ وذلك أن بعض مماليك الأمير بُزْلار نائب الشام تَرَقَّى في الخدم وعُرِف بألطُنْبُغَا مغرق حتى باشر ولاية قُوص من بلاد الصّعيد ، ففرّ إلى الحبشة واتّصل بالحطّي هذا ، وعلّم أتْبَاعَه لَعِب الرُّمح ورَمْي النُّشّاب وغير ذلك من أدوات الحرب ، ثم لحق بالحطّي أيضاً بعضُ المماليك الجراكسة ، وكان زَرَدْكَاشا فعمل له زَرَدْخَاناه ملوكيّةً ، وتوجّه إليه مع ذلك رجلٌ من كُتّاب مصر الأقْبَاط النّصارى يقال له فخر الدولة ، فرتّب له مُلْكَه ، وجبى لَهُ الأموال وجنَّدَ له الجنود ، حتى كثر تَرَفُّهه بحيث أخبرني من شاهده وقد رَكِبَ في موكب جليل وبيده صَليبٌ من ياقوت أحمر قد قبض عليه ، ووضع يده على فخذه ، فشرهت نفسُهُ إلى أخذ ممالك الإسلام لكثرة ما وصف له هؤلاء من حسنها ، فبعث بالتّبْرِيزيّ التاجر ليَدْعُو الفرنج للقيام معه ، وأوقعَ بمن في مملكته من المسلمين ، فقتل منهم وأسر وسبى عالماً عظيما ، وكان ممن أسرَ مَنْصُور ومحمد ولدا سَعْد الدين محمد بن أحمد بن على

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٤) .

(٢) ورد في هامش اللوحة « أمر الحبشة »

ابن وَلَصْمَع [١] الجبرتى ملك المسلمين بالحبشة ، فعاجله الله بنقمته وهلك فى ذى القعدة ، وأُقيم ابنُه إنْدِرَاس بن إسحٰق ، فهلك أيضاً لأربعة أشهر ، فأُقيمَ بعده عمُّه حزبناى [٢] ابن داود بن سيف أرعد ، فهلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين ، فكانت على أمحرة أربعة ملوك فى أقلّ من سنة — انتهى كلام المقريزى برمته .

٥ وقد خرجنا عن المقصود ، على أنه فيما ذكرنا فوائد يُحْتَمَلُ التطويل بسببها — انتهى .

ثم إن السلطان أخذ فى تجهيز عسكر [٣] إلى البلاد الحلَبِيَّة إلى أن انتهى أمرهم ، فلمّا كان يوم الاثنين سابع عشرين محرم سنة أربع وثلاثين وثمانمائة برَزَ الأمراء المجرّدون من القاهرة إلى الرَّيدانيَّة خارج القاهرة ، وهم الأميرُ الكبير جارْقُطْلو أتابَك

١٠ العساكر ، والأمير إينال الجَكَمِىّ أميرسلاح ، والأمير آقْبُغَا التَّمْرَازِىّ أمير مجلس ، والأمير تَمْرَاز القَرْمَشِىّ رأس نَوْبَة النُّوَب والأمير [قَرَا] [٤] مُرَادُ خجَا الشَّعبانى الظاهرىّ بَرْقُوق أمير جانْدار ، وعِدّة من أمراء الطبلخانات والعشرات ، وخمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ، وكان سبب تجرّدهم ورود الخبر على السلطان بنزول قَرَايُلُك فى أوّل هذا الشهر على مُعَامَلة مَلَطية ، وأنه نهبها وأحرقها ، وحصر مَلَطْيَة ،

١٥ فخرج إليه الأمير قَصْرُوَه نائب حَلَب ، وقد أردفه الأمير سُودُون من عبد الرحمن نائب الشام بعساكر الشام ، فأردفهم السلطانُ [أيضاً] [٥] بالعسكر المذكور ، فلمّا أن رحَلُوا من الرَّيدَانية وردَ الخبرُ ثانياً من قِبَل نُوَّاب البلاد الشامية بعود قَرَايُلُك إلى بلاده ، وأن المصلحة تقتضى عدم خروج العسكر من مِصر فى هذه السَّنة ، فرَسَمَ السلطانُ بعودهم من خانقاه سِرْيَاقُوس فى يوم الجمعة أوّل صفر ، فرجعوا من وقتهم ، واستعيدت منهم

٢٠ (١) كذا فى الأصل ، وله ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ١٦) . والرسم فيه «ولسع» .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٥ «حزبناى» وقد حكم حزبانان حتى سنة ١٤٣٣ م .

(٣) ورد بهامش اللوحة «رحيل العسكر من الريدانية وعودتهم من الخانقاه السرياقوسية واستعيدت منهم النفقة» .

٢٥ (٤، ٥) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٦) .

النفقة السلطانية التى أُنفِقَتْ فيهم عند سفرهم ، فاحتاجوا إلى ردّ ما اشتروه من الأمتعة بعد ما آستعملوها ، والأزواد على من آبتاعوها منهم غصباً ، ثم آحتاجوا إلى آستعادة ما أنفقوه على غلمانهم وخدمهم ، وقد تصرفت الغلمانُ فيها ، واشتروا منها أُحتياجهم ، ودفعوا منها إلى أهاليهم ما ينفقونه فى غيبتهم ، فكلّ واحد من هؤلاء أُستُعِيدَ منه ما تصرّف فيه ، فنزل من أجل هذا بالناس ضَرَرٌ عظيم ، وكثرت القالة فى السلطان ونفرَت القلوب منه ، وتحدّث الناس بذلك أياماً وسنين ، ولعله صار مثلا يُضْرَبُ به إلى يوم القيامة .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر صفر المذكور ركب السلطان من قلعة الجبل فى موكب جليل ملوكى احتفل له ولبس قماش الموكب الكَلَفْتاه والفَوْقَانى الصّوف الذى بوجهين أحمر وأخضر ، كما كان يَلْبَسُ الملك الظاهر بَرْقُوق وغيرُه من الملوك ، وجُرّ الجنائب بين يديه والجاويشيّة تصيح أمامه ، وسار وحوله الطَبَرْدَارية[1] وعلى رأسه السَّنْجَق السلطانى حتى عبر من باب زُوَيْلة فشق القاهرة وخرج من باب الشّعريّة يريد الصّيد بالدير[2] والمنزلة[3] فتوجّه إلى الصيد فبات هناك ليلة الثلاثاء وأصبح اصطاد الكراكى ، وعاد إلى مخيّمه وأكل السِّمَاط ، ثم ركب وعاد فى آخر يوم الثلاثاء إلى القَلعة بعد ماشقّ القاهرة فى عوده أيضاً على تلك الهيئة ، وهذا أوّل ركوبه إلى الصّيد منذ تسلطن .

ثم فى خامس عشرينه ركب للصيد ثانيًا وعاد من الغد ، وتكرّر ركوبه لذلك غير مرّة ، وأنا ملازمه فى جميع ركوبه للصّيد وغيره

---

(١) الطبردارية : هم حملة الأطبار — جمع طبر — وهو الفأس — البلطة — (المقريزى السلوك ١ : ٤٢٧ هامش الدكتور زيادة) .

(٢) الدير : هى من القرى القديمة ، وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية ، وتعرف بدير أولاد ختعم ، وفى دليل سنة ١٢٢٤ هـ تعرف بالدير وبدير بنى حرام بولاية قليوب ، وورد معها فى الدليل المذكور ناحية أخرى بأسم المتبركة ، صواب اسمها المنزلة المجاورة لناحية الدير هذه . والظاهر أن الدير والمنزلة كانتا مشتركتين فى زمام واحد (محمد رمزى — القاموس الجغرافى ١ ق ٢ : ٤٢ ، ٤٣)

(٣) المنزلة : انظر التعليق السابق .

وفى هذا الشهر توقّف الناس والتجار فى أخذ الذهب من كثرة الإشاعة بأنه ينادَى عليه ، فنودى[1] فى يوم السبت سلخ صفر المقدم ذكره أن يكون سعر الدينار الأشرفىّ بمائتين وخمسة وثلاثين ، والدينار الإفرنتى بمائتين وثلاثين ، وهُدِّدَ من زاد على ذلك بأنه يُسْبَكُ فى يده ، فعاد الضرر على الناس فى الخسارة لانحطاط سعر الدينار خمسين درهما ؛ فإنه كان يتعامل به الناسُ بمائتين وخمسة وثمانين .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأوّل رسم السلطانُ بجمع الصيّارف والتجار [فجمعوا] [2] وأشهدَ عليهم أن لا يتعاملوا بالدراهم القرمانيّة[3] ولا الدراهم النّكتيّة[4] ولا القُبْرُسِيَّة ، وأن هذه الثلاثة أنواع تباع بسوق الصاغة على حساب وزن كل درهم منها بستة عشر درهما من الفلوس حتى يُدْخَل بها إلى دار الضّرب وتُضْرب دراهم أشرفيّة خالصة من الغشّ ، ونُودِىَ بذلك ، وأن تكون المعاملة بالدراهم الأشرفيّه والدراهم البُنْدُقيَّة [5] والمؤيّدية [6] ، فإن هذه الثلاثة فضّة خالصة ليس فيها نُحاس بخلاف الدراهم التى مُنِع من معاملتها ، فإن عَشَرَتَها إذا سُبِكت تجىء ستة لما فيها من النحاس ، ثم نُودى بعد ذلك بأن يكون سعر الأشرفى بمائتين وثمانين والإفرنتى بمائتين وسبعين ، واستمرّ ذلك جميعه لايقدر أحد على مخالفة شىء منه .

قلت : وهذا بخلاف ما نحن فيه الآن ؛ فإن لنا نحو ستة أشهر والناس فيه بحسب اختيارهم فى المعاملة بعد أن نُودى على الذّهب والفضة بعدة أسعار غير مرّة ، فلم يلتفت أحدٌ للمناداة ، وأخذوا فيما هم فيه من المعاملة بالدراهم التى لا يحل المعاملة بها لما فيها من

(١) فى الأصل « فنادى » وما هنا من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٧) .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٦٧) .

(٣) القرمانية : نسبة إلى بنى قرمان الذين أسسوا دولة بآسيا الصغرى فى أواسط القرن السابع الهجرى وتشمل أرمناك وقسطمونية وما والاهما

(المقريزى — السلوك ١ : ٦٣٠ هامش الدكتور زيادة) و (تشريف الأيام والعصور ص ٢٢٥ هامش الدكتور مراد كامل) .

(٤) النكتية : نسبة إلى ملوك التتر المنحدرين من تيمور لنك .

(٥) البندقية : هى الدوكات أو الإفرنية ، وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٤٠٤) .

(٦) المؤيدية : نسبة إلى المؤيد شيخ المحمودى .

الغِشّ والنحاس ، وقد استوعبنا ذلك كلّه مفصّلا باليوم فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور [(١)] » إذ هو ضابط لهذا الشأن مشحون بما يقع فى الزمان من ولاية وعزل وغريبة وعجيبة .

ثم تكرّر ركوب السلطان فى شهر ربيع الأوّل هذا للصيد غير مرّة بعدّة نواح ، كل ذلك والخواطر مشغولة بأمر جَانِي بَك الصُّوفى والفحص عنه مستمر ، والناس ٥ بسبب ذلك فى جهد وبلاء ، فما هو إلا أن يكون الرجل له عدوّ وأرادَ هلاكه أشاع بأن جَانى بَك الصوفى مختفٍ عنده فعند ذلك حلّ به بلاء الله المنزل من كَبْسِ داره ، ونَهْب قُمَاشه ، وهَتْك حريمه ، وسجنه فى أيدى العَوَاتية ، ثم بعد ذلك يصير حاله إلى [أحد] [(٢)] أمرين : إما أن يُضْرَب ويقرّر بالعقوبه ، وإما أن تُبَرَّأ ساحتُه ويُطْلق بعد أن يقاسى من الأهوال ما سَيَذْكُرُه إلى أن يموت ، ولقد رأيت من هذا النوع ١٠ أعاجيب ، منها : إن بعض أصحابنا الخاصكيّة ضرب بعض السقايين على ظهره ضربةً واحدة ، فرمى السقّاء المذكور قربته وترك حمله وصاح : هذا الوقت أُعَرِّف السلطانَ بمن هو مختفٍ عندك ، ومشى مسرعا خطوات إلى جهة القلعة ، فذهب خلفه حواشى الخاصكى المذكور ليرجعوه فلم يلتفت ، فنزل إليه الخاصكى بنفسه حافيا وتبعه إلى الشارع الأعظم حتى لحقه وقد أعاقه الناسُ له ، فأخذ الخاصكى يتلطّف به ويترضّاه ١٥ ويبوس صَدْرَه غير مرّة ويترقّق له وقد عَلَاهُ اصفرارٌ ورِعْدَة ، والناس تسخر من حاله لكونه ما يعرف باللغة العربية إلا كلمات هينة ، فصار مع عدم معرفته يريد ملاطفة السقّاء المذكور فيتكلّم بكلام إذا سمعه الشخص لا يكاد يتمالك نفسه ، وسَخِر الناس وأهل حارته بكلامه أشهرا وسنين ، فلما انتهى أمرُه وبلغنى ما وقع له كلّمته فيما فعله وَلُمْتُه فى ذلك ، فقال : خل عنك هذا الكلام ، وَالله إن إينَال السلحدار وأخاه يَشْبُك ٢٠

---

(١) يبتدىء كتاب حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور بأحداث سنة ٨٤٥ هـ . وقد قصد المؤلف أن يجعله ذيلا للسلوك حيث أنهاه مؤلفه تقى الدين المقريزى بأخبار سنة ٨٤٤ هـ — فكيف استوعب فيه أخبار هذه الحقيقة ؟! فهيم شلتوت

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

الصُّوفى ضَرْبا بالمقارع وعُصِرًا أياماً ولم يصرِّح أحد فى حقهما بما أراد هذا السّقاء أن يقوله عنى ، واستمر الخاصِّكىّ فى قلبه حزازة من السّقّاء المذكور إلى أن تأمّر عشرة فى أوّل دولة الملك الظاهر جَقْمَق فطلب السّقّاء المذكور فوجده قد مات فى شعبان من السنة الحالية ، فهذا ما كان من أمره ، ومثل هذا فكثير .

٥ ثم [فى] (١) أواخر شهر ربيع الأوّل (٢) المذكور لهج السلطانُ بسفره إلى البلاد الشّامية لمحاربة قَرَايُلُك .

واستهلّ شهرُ ربيع الآخر — أوّله الأحد — والسلطان والأمراء فى الاهتمام بحركة السفر .

ثم فى يوم الخميس رابع عشرين جمادى الأولى خلعَ السلطان على قاضى القضاة ١٠ شهاب الدين أحمد بن حجر ، وأعيد إلى قضاء الشافعيّة بالديار المصرية بعد عزل قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينىّ .

ثم فى جمادى الآخرة خلعَ السلطانُ على الأمير جانى بَك السَّيْفِى يَلْبُغَا الناصرى نائب رأسُ نَوْبَة النُّوَب (٣) المعروف بجانِبك الثَّوْر ، باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد موت أحمد بن الأَقْطَع .

١٥ ثم فى يوم الاثنين حادى عشرين شوّال خرجَ محملُ الحاج إلى الرَّيْدَانِيّة خارِج القاهرة صحبة الأمير قَرَاسُنْقُر الظاهرىّ ، وحجّت فى هذه السنة زوجةُ السلطان الملك الأشرف وأمّ ولده الملك العزيز يُوسف خَوَنْد جُلُبّان الچاركسية بتجمّلٍ كبير إلى الغاية ، وفى خدمتها الزَّيْنِى خُشْقَدَم الظاهرىّ الزّمّام وهو أمير الرّكب الأوّل ، والزينى عبد الباسط ناظر الجيش .

---

٢٠ (١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٦٩) .

(٢) فى الأصل « الآخر » وما هنا من (ط ، كاليفورنيا ٦ : ٦٦٩)

(٣) ورد فى هامش اللوحة « يلبغا الناصرى رأس نوبة النوب » وهذا العنوان يجب أن يحدد وظيفة جانى بك الثور المستقر فى نيابة الإسكندرية و ليس يلبغا الناصرى .

قال المقريزي : وحَجَجْتُ أنا في هذه السنة رجبيَّة ، وقد استُجِدّ بعيون القَصَب[1] من طريق الحجاز بئر آحْتُفِرَت ، فعظُمَ النّفع بها ، وذلك أني أدركت بعيون القَصَب [أنه كان][2] يخرج من بين الجبَلَيْن ماء يسيح على الأرض فينبتُ فيه من القصب الفارسي وغيره شيء كثير ، ويرتفع في الماء حتى يتجاوز قامة الرّجل في عرض كبير ، فإذا نزل الحاج عُيُونَ القَصب أقاموا يومَهم على هذا الماء يغتَسِلوُن منه ويتردون به ، ثم انقطعَ هذا الماء وجفّت تلك الأعشابُ ، فصار الحاج إذا نزل هناك احتفرَ حفائرَ يخرج منها ماءٌ رديء إذا بات ليلة واحدة في القِرَب نتن ، فأغاث الله العباد بهذا البئر ، وخرج ماؤها عذبا ، وكان قبل ذلك بشهرين قد حَفَر الأميرُ شاهين الطّويل بئْرَيْن بموضع يقال له زَعم[3] وقيقاب ، وذلك أن الحاج كان إذا ورد الوَجْه[4] تارة يجد فيه الماء وتارة لا يجد فيه ، فلما هلَكَ الناسُ من العطش في السنة الماضيَة بعثَ السلطانُ بشاهين هذا — كما تقدّم ذكرُه — فحفر البئرين بناحية زَعم حتى لايحتاج الحاجُ إلى ورود الوَجْه ، فتروّى الحاج منهما وعمّ الانتفاعُ بهما ، وبطل سلوك الحاج على طريق الوَجْه من هذه السنة — انتهى كلامُ المقريزي .

قلت : وفرغَت سنة أربع وثلاثين ولم يسافر السلطانُ ولا أحدٌ من أمَرَائه إلى البلاد الشّامية .

ثم في يوم الاثنين ثالث عشرين محرّم سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وصلت زوجةُ السلطان خوَنْد جُلُبّان بعد أن حجّت وقضت المناسك ، وقدم محمَلُ الحاج صحبة الأمير قَرَاسُنْقُر .

---

(١) عيون القصب : منزلة من منازل الحاج بين ذات الرخيم والمويلحة (القلقشندى — صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٦) .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) زعم : وزاعم اسم رمل (ياقوت . معجم البلدان ٢ : ١٦٦) .

(٤) الوجه : منزلة من منازل الحاج بين رأس وادي عنتر وبين المخاطب ، وبها ماء قليل (القلقشندى — صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٦) .

ثم فى يوم الخميس سابع شهر ربيع الآخر من سنة خمس وثلاثين وثمانمائة المذكورة نزل عِدّةٌ من المماليك الجُلْبان من الأطباق إلى بيْتِ الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ — وهو يومئذ وزير وأستادار — يريدون الفتكَ به، وكان عَلِمَ من الليل، فتغيّب واستعدّ وهربَ من بيته، فلم يظفروا به ولا بشىء فى داره، فعادوا بعد أن أفسدوا فيما حوله من بيوت جيرانه، وكان لهم من أيام الطاعون قد كَفُّوا عن هذه الفعلة، فبلَغَ السلطانَ نزولُهم فغضب وأخذ فى الدّعاء عليهم أيضا بالفناء والوَباء، حتى قال له التّاج الوالى بعد أن زال ما عنده : وَسِّطْ هؤلاء المعرّصين ولا تَدَعْ بعَوْدِ الطاعون على المسلمين، فقال له السلطان : يجوز قتلُ المسلم بغير اُستحقاق؟ فقال التاج : وهؤلاء مسلمُون؟ فقال السلطان : نعم، فقال التاج : والله ما هو صحيح، فضحِكَ السلطانُ وأَمَرَ به فلكَمُوه الخاصَّكيّة لكماً مُزْعِجًا، فقال : آنظُر صِدْقَ مقالتى، هذا فعل مسلم بمسلم؟ انتهى.

ثم أصبحَ الصاحبُ كريم الدين آستعفى من وظيفة الأستادارية فأعفاه السلطان، واستدعى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى يوم السبت ثالث عشرين شهر ربيع الآخر [المذكور][1] وأخلعَ عليه باستقراره أستادارا عوضا عن الصاحب كريم الدين بعد آنقطاع ابن نصر الله فى بيته عِدّة سنين، وهذه ولاية ابن نصر الله الثانية لوظيفة الأستادارية.

ثم فى يوم الثلاثاء خامس عشرين جمادى الأولى رَكِبَ السلطانُ من القلعة بغير قماش المَوْكِب ونزل إلى بيت زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، ثم ركب من بيت عبد الباسط إلى بيت القاضى سعد الدين إبراهيم بن كاتب جَكَم ناظر الخواصّ فجلس عنده أيضا قليلا، ثم ركب وعاد إلى القلعة، فلما كان يوم سادس عشرينه حملَ عبدُ الباسط وسعد الدين ناظر الخاص تقادم جليلة إلى السلطان، بسبب نزوله إليهما.

---

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٧٢).

وفي هذه السنة تكرّر ركوبُ السلطان ونزوله إلى الصيد وعبوره إلى القاهرة وتوجّهه إلى التنزه — بخلاف ما كان عليه أولا — غير مرّة .

ثم في يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة عزلَ السلطانُ الصاحبَ بدر الدين بن نصر الله عن الأستادارية ، وخلعَ من الغد على آقبُغَا الجمالي باستقراره أستادارا عوضا عن ابن نصر الله المذكور ، وهذه ولاية آقبُغَا الثانية ، ولزم ابنُ نصر الله داره على عادته ؛ ٥ وكان سبب عَزْل الصاحب بدر الدين عن الأستاداريّة أنه لما بلغ آقبُغَا الجمالي عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ عن الأستادارية سأل في الحضور ، وكان يتولّى[1] كشف البُحَيْرة ، فأجيب ، فحضر وسعى في الوظيفة على أنّه يحمل عشرة آلاف دينار ، وإن سافر السلطانُ إلى الشام حملَ معه نفقةَ شهرين مبلغ أربعين ألف دينار ، فأُجيبَ وأُبقي الكشفُ أيضا معه ، وأُضيف إليه كشف الوجه البحري . ١٠

ثم في يوم السبت سابع عشرينه خلعَ السلطانُ على قاضي القضاة بدر الدين محمود العَيْني وأعيد إلى قضاء الحنفية بالديار المصرية ، [عوضا][2] عن زين الدين عبد الرحمن التَّفَهْني الحنفي بحكم طول مَرَضِه ، فباشر العينيّ القضاء والحسبة ونظر الأحباس ؛ مَعًا لخصوصيته عند الملك الأشرف ، فإنه كان يقرأ له تواريخ الملوك وينادمه .

ثم في يوم الثلاثاء أوّل شهر رجب خلعَ السلطانُ على الأمير صلاح الدين محمد ابن ١٥ الصاحب بدر الدين بن نصر الله باستقراره محتسب القاهرة عوضا عن العيني بحكم عزله برغبته عنها ، وكان صلاح الدين هذا منذ عُزِل عن الأستادارية وعُزِل أبوه عن نظر الخاص وصُودِرَا ملازمين لدارهما .

ثم في يوم الخميس ثالث شهر رجب أُدِيرَ المحمَلُ على العادة في كل سنة إلا أنه عُجِّلَ به في هذا اليوم لأجل حركة السلطان إلى السفر إلى البلاد الشاميّة ، وكان ٢٠

---

(١) في ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٧٢ « وكان متولى »

(٢) الإضافة عن (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٧٣) .

السلطان أيضا فى هذه السنة أشاعَ سفرَه كما قال فى العام الماضى، وتجهّز لذلك هو وأمراؤه .

ثم فى عشرينه قدم الأميرُ سُودُون من عبد الرحمن نائب الشام باستدعاء ، وصحبته القاضى كمال الدين محمد بن البَارِزِى كاتب السّرّ بدِمَشْق فباتا بتربة الملك الظاهر بَرْقُوق بالصحراء ، ثم صعدا من الغد فى يوم الاثنين حادى عشرينه إلى القلعة و قَبَّلاَ الأرضَ ، ولما[1] انفضّت الخِدْمَة نزل الأمير سُودُون من عبد الرحمن إلى مكان بغَيْر خلعة ، فعلم كلُّ أحد أنه معزول عن نيابة الشام .

فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء ثانى عشرين شهر رجب عملت الخِدْمَة بالقصر السلطانى على العادة ، وحضر الأمراء الخِدْمَة على العادة ، فقُدِّمَ سُودُون من عبد الرحمن قُدَّام جَارْقُطْلُو وحجبه فى دخولهما على السلطان ، وجلَسَ جَارْقُطْلُو على ميمنة السلطان ، وجلس سُودُون من عبد الرحمن على مَيْسَرة السلطان إلى أن قُرِئَ الجيشُ ونجزت العلامةُ ، ودخل السلطانُ من الخرجة إلى داخل القَصْر الأَبْلَق[2] ، وجلسَ به استدعى الخِلَع وخلع على الأمير سُودُون[3] من عبد الرحمن نائب الشام باستقراره أتَابَك العساكر بالديار المصرية عوضا عن جَارْقُطْلُو ، وخلع على جَارْقُطْلُو باستقراره فى نيابة[4] الشام عوضا عن سُودُون من عبد الرحمن ، وقبّلاَ الأرضَ ، وفى الوقت تحوّل سُودُون من عبد الرحمن إلى ميمنة السّلطان وذهب جَارْقُطلو إلى ميسرة السّلطان بعكس ما كان أوّلا ، ولما خرجا من الخِدْمَة السلطانية حجب جَارْقُطلُو سُودُون من عبد الرحمن .

كل ذلك لما ثبت عند السلطان من القواعد القديمة الـكائنة إلى يومنا هذا .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « دخول جارقطلو وسودون من عبد الرحمن الخدمة وتأخره بعد ذلك » .

(٢) القصر الأبلق : انظر فى التعريف به (الحاشية ٤ ص ١٤٨ ج ٧ من هذا الكتاب — ط . دار الكتب) .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « استقرار سودون من عبد الرحمن أميرا كبيرا بمصر »

(٤) ورد فى هامش اللوحة : « استقرار جار قطلو فى نيابة الشام »

وفي هذا اليوم رسم السلطانُ بإبطال حركة سفر السلطان إلى البلاد الشاميّة ، فتكلّم الناسُ أن سبب حركة السلطان للسفر إنما كانت بسبب سُودُون من عبد الرحمن لما أشاعه عنه المُتَعَرِّضُون من أنه يريد الوثوب على السلطان ، وليس الأمر كذلك ، وإنما كان لعَزْل سُودُون من عبد الرحمن أسباب :

أحدها : أنه طالت أيّامه في نيابة الشام ، وزادت عظمته ، وكثرت مماليكه وحواشيه ، ٥ فخاف الملكُ الأشرف عاقبته فعزله .

وثانيها — وهو الأقوى عندي : أن السلطان لما استدعاه بكتاب على يد الأمير نَاصِر الدين محمد بن إبراهيم بن مَنْجَك وعاد معه ابن مَنْجَك ، فلما كان في بعض الطريق تحادثا ، فكان من جُمْلَة كلام سُودُون من عبد الرحمن لابن مَنْجَك : أنا أدخل أيضا إلى مصر أميراً بعد طول مُدّتي في نيابة دِمَشْق ، فنقلها ابنُ مَنْجَك برمتها إلى الملك ١٠ الأشرف ، فتحقّق الملكُ الأشرفُ عند ذلك ما كان أُشيعَ عنه ، فبادر وعَزَلَه ، وكان مُرَادُ سُودُون من عبد الرحمن بقوله : أدخل مصر أميرا غير ما حَمَلَهُ عليه ابنُ مَنْجَك ، وهو أن مُرَادسُودون من عبد الرحمن أنه اَعتاد بنيابة الشام ، وأنه يكره الإقامة بمصر ، وأن بعض نيابات البلاد الشامية أحبّ إليه من أن يكون أتَابَكًا بمصر ، وأشياء غير ذلك . ١٥

ثم في يوم الخميس ثاني شعبان خلعَ السلطانُ على الأمير جَارْ قُطْلُو خلعة السّفر ، وخرج من يومه الى مخيّمه بالرَّيْدَانيّة خارج القاهرة وقد استقرّ الأميرُ قَرَاجَا الخازندار الأشرفي مُسَفِّره .

ثم خلع السلطانُ من الغد في يوم الجمعة ثالثه على القاضي كمال الدين محمد بن البَارِزيّ كاتب سِرِّ دمَشْق باستقراره في قضاء دمَشْق مُضَافًا لكتابة سِرِّها عوضاً عن ٢٠ شهاب الدين أحمد بن المحمرة ، ولم يجتمع ذلك لأحدٍ قبله في الجمع بين قضاء دِمَشْق وكتابة سِرِّها .

ثم في يوم الاثنين سادس عشرين شهر رمضان خلع السلطانُ على دُولَات خَجا

الظاهرىّ باستقراره والى القاهرة عوضًا عن التاج الشَّوْبَكِى وأخيه عمر ، ودُولَات خَجَا هو أحدُ أصاغر المماليك الظاهرية بَرْقُوق ومن شِرَارهم ، وكان وضِيعًا تُركى الجنس ، كثيرَ الشَّرِّ ، يمشى على قَدَمَيْه بالأَسْوَاق فى بعض الأحيان ، وكان الملك الأشرف يعرفه أيّام جَنْدِيَّته ويتَوَقَّى شَرَّهُ ، فلما تسلطن ولَّاه الكشوفيّة ببعض النواحى ، فأباد أهلَ تلك الناحية ، ثم ولّاه الكشفَ بالوجه القِبْلِى فتنوَّع فى عذاب أهل الفساد وقُطَّاع الطريق أنواعًا كثيرة ، منها : أنه كان إذا قبض على الحَرَامى أمسكه ونفخَ بالكير فى دُبُرِه حتى تندر[1] عيناه وينفلِقَ دماغُه ، ومنها أنه كان يعلِّق الرجلَ مُنَكسًا ولا يزال يرمى عليه بالنُّشَّاب إلى أن يموت ، وأشياء كثيرة من ذلك ، فلما وَلِىَ الولاية بالقاهرة أوّل ما بدأ به أنه أفرج عن جميع أرباب[2] الجرائم من المحبوس ، وحلَفَ لهم أنه متى ظَفِر بأحد منهم وقد سَرَق ليُوَسِطَنّه ، وأرهب إرهابًا عظيما ، وصار يركبُ فى الليل ويطوف بحُرْمَةٍ زائدة عن الحد ، وصدق فى يمينة فى السُّرَّاق فما وقع له سَارِقٌ ممن أطلقه — وقد كتب أسماءهم عنده — إلا وسَّطَه ، فذعر أهلُ الفساد منه ، وانكفُّوا عن السَّرِقة ، ثم أخذ فى التضييق على الناس وإلزامهم بإلزامات منها : أنه أمرهم بكَنْس الشوارع ثم رَشِّها بالماء ، وبتعليق كل سُوقِى قنديلا على دُكّانه ، وعاقبَ على ذلك خلائق ، ثم منع النساء من الخروج إلى التُّرَب فى أيّام الجمع ، وأشياء كثيرة إلى أن سئمتهُ الناسُ وعزله الأشرف عنهم حسبما يأتى ذكره .

ثم أرسلَ السلطانُ يطلب قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفى ليستقرَّ فى كتابة سرِّ مصر بعد موت شهاب الدين أحمد بن السفّاح ، على أنه يحمل بسبب ذلك عشرة آلاف دينار ، فقدم جوابه فى يوم الاثنين ثالث شوّال فى ضمن كتاب الأمير جَارْ قُطْلو نائب الشام على يد نجّاب ، وهو يعتذر لعدم حضوره بضعف بَصَرِه وآلام تعتريه ، وأرسلَ بمبلغٍ من الذّهب له صورة ، فأعفاه السلطانُ عن ذلك ،

---

(١) كذا فى الأصول ، والمعنى تخرج عيناه وتبرز .

(٢) فى ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٧٥ « أهل » .

واستدعى الصاحبَ كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناح وخلعَ عليه فى يوم الثلاثاء[١] رابعه باستقراره كاتب السرّ الشريف مضافاً إلى الوزر، ولم يقع ذلك فى الدّولة التركية لأحد أنّ الوَزَر وكتابة السرّ اجتمعا لواحد معاً، ونزلَ الصاحبُ كريم الدين فى موكب جليل وباشر وظيفة كتابة السرّ والوَزَر، مع بعده عن صناعة الإنشاء، وعن كل فضيلة، وقلّة دربته بقراءة القصص والمطالعات الواردة من الأعمال والأقطار، وكان مع ما هو فيه من الجهل أجهر العينين لا ينظر فى الكتابة إلا من قريب، وفى صوته خشونة، فكان إذا أمسك الكتاب فى يده ليقرأه على السلطان تنظر أعاجيب من تبحُّره فى الكتاب بعينه، ثم من توقّفه فى القراءة، ثم من اللّحن الفاحش الخارج عن الحدّ، مع أن قراءته للكتب ما كانت إلا نادراً، وفى الغالب لا يقرؤها على السلطان إلا القاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السرّ، وكنتُ أظن أن الأشرف إنما وَلَّى كريم الدين هذا لكتابة السرّ إلا ليطيِّبَ خاطِرَه ويقويه حتى يعيده إلى وظيفة الأستادارية، فإنه كان ماهراً بتدبير أمور الوَزَر والأستادارية، جيد التنفيذ فيها إلى الغاية، لم ترَ عَيْنِي بعده أحسنَ [تدبيراً][٢] وتصرفاً منه فى فَنِّه، غير أنه ليس من خيل هذا الميدان، وبين معرفته بفنه والدّربة بصناعة الإنشاء زحامٌ، إلى أن كان بعض الأيام والأشرف جالس، وقَدِمَ الصاحبُ كريم الدين هذا، فلمّا رآه الأشرف من بعيد قال لمن حوله: هل رأيتُم كاتب سِرّ أحشَمَ من هذا ولا أَمْثَل ؟ فقال له من حضر : لا والله يا خَوَنْد، فعند ذلك تحقّقتُ خلاف ما كنت أظُن وعَلِمتُ أن القَوْم فى وادٍ والأمم السالفة فى واد.

ثم فى يوم الخميس ثالث عشر شوال المذكور ابتدأ السّلطان بالجلوس فى الإيوان بدار العدل من قلعة الجبل، وكان قد تَرَكَ الملوكُ الجلوسَ به بعد الملك الظاهر بَرْقُوق فى يومى الاثنين والخميس إلا فى النادر أيام خدمة الإيوان عند قدوم قُصَّاد ملوك الأقطار،

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « استقرار ابن كاتب المناخ فى كتابة السر ».

(٢) الإضافة من ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٧٧).

فتشعث الإيوانُ ونُسِيَت عوائدُه ورُسُومُه إلى أن اقتضى رأى السلطان فى هذه الأيّام بعمارته وتجديد عهده ، فأُزيل شَعَثُه وتتبعت رُسُومُه ، وجلس الملك الأشرف به ، وعمل الخِدْمَة السلطانية فيه ، وعزم على ملازمتة فى يومَىْ الخدمة ، ورسم بحضور القضاة وغيرهم ممّن كان له عادة بحضور خِدْمَة دار العدل ، فلم يتمّ ذلك وتركه كأنه لم يكن .

٥ ثم فى ثانى عشرين شوّال هذا قدِمَ الخبرُ من مكة المشرفة بأن عدة زُنُوك (١) قدمت من الصين إلى سواحل الهند ، وأرسى منها اثنان بساحل عَدَن فلم تنفق بها بضائعُهم من الصينى والحرير والمِسْك وغير ذلك لاختلال حال اليَمَن ، فكتب كبيرُ هذين المركبين الزنكيين إلى الشريف بَرَكات بن حسن بن عَجْلَان أمير مكة وإلى سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدّة يستأذن فى قُدُومهم إلى جدّة ، فكتبا إلى السلطان ١٠ فى ذلك ورغّباه فى كثرة ما يتحصّل فى قدومهم من المال ، فكتب لهم السلطان بالقدوم إلى جدّة وإكرامهم .

ثم فى يوم الاثنين أوّل ذى القعدة استدعى السلطانُ القضاة الأربعة بجميع نوّابهم فى الحكم بالقاهرة ومصر [إلى القلعة] (٢) لتعرض نوابهم على السلطان ، وقد ساءت القالةُ فيهم عند السلطان ، فدخلَ القضاةُ الأربعة إلى مَجْلس السلطان وعوّق نوّابهم عن العبور ١٥ إلى السلطان ، فلما جَلَسُوا خاشنهم السلطانُ فى اللفظ بسبب كثرة نوّابهم ، وانفضّ المجلسُ على أن يَقْتَصِر الشافعىّ على خمسة عشر نائباً بمصر والقاهرة ، والحنفى على عشرة نوّاب ، والمالكىّ على سبعة ، والحنبلىّ على خمسة ، ونزلوا على ذلك ، فلم يزل عبد الباسط وغيره بالسلطان حتّى زادهم شيئا بعد شىء إلى أن عادت عِدّتُهم إلى ما كانت عليه ، والسلطان لا يعلم بذلك .

---

٢٠ (١) زنوك : كذا فى الأصل ، ولعلها الجنوك ، وهى مراكب الصين الكبيرة ، ويتراوح عدد ما بها من قلاع ما بين ثلاثة واثنى عشر قلعاً ، وتتكون القلاع من قضبان الخيزران منسوجة كالحصير ، وانظر (دكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٣٦، ٣٣٧) .

(٢) الإضافة من ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٧٨) .

ثم فى سابعه خلع السلطان عَلَى التاج الشَّوْبَكِى باستقراره والى القاهرة بعد عزل دُولَات خجا المقدم ذكره ، وقد أقمع دُولَات خجا المفسدين وأبادهم .

ثم فى يوم الأحد ثامن عشرين ذى القعدة أيضا وردَ الخبرُ عَلَى السلطان بموْت جَيْنُوس بن جاك متملك قُبْرُس ، فعيّن السلطان شخصاً من الأعيان ومعه ستّون مملوكا للتوجه إلى قبرس ، فخرجوا فى يوم الجمعة خامس عشرين ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ومعهم خلعة لجوان بن جَيْنُوس باستقراره فى مملكة جزيرة قبرس عوضاً عن والده جَيْنُوس نيابة عن السلطان ، ومطالبته بما تأخر على أبيه وهو أربعة وعشرون ألف دينار وبما ألتزمَ فى كلّ سنة وهو خمسة آلاف دينار ، وساروا على ذلك إلى ما يأتى ذكره .

وانسلخت هذه السنة بيوم الأربعاء الموافق لرابع أيام النسىء ، وهى سنة تحويل[1] تحوّل الخراجُ فيها من أجل أنه لم يقع فيها نَوْرُوز ، حُوّلت سنةُ ست إلى سنة سبع وثلاثين .

قال المقريزى رحمه الله : واُتّفق فى سنة ست وثلاثين هذه غرائب منها : أن يوم الخميس كان أوّل المحرّم ووافقه أوّل يوم من تشرين وهو رأس سنة اليَهُود ، فاتّفق أوّل سنة اليهود مع أوّل سنة المسلمين ، ويوم الجمعة وافقه أوّل توت وهو أوّل سنة النّصارى القبْط ، فتوالت أوائل سنى المِلَل الثلاث فى يومين متوالين ، واتّفق مع ذلك أن طائفة اليهود الربانيين يعملون رءوس سنيهم وشهورهم بالحساب ، وطائفة القرائين يعملون رءوس سِنيهم وشهورهم برؤية الأهلّة كما هى عند أهل الإسلام ، فيقعُ بين طائفتى اليهود فى رءوس السنين والشهور اختلافٌ كبير ، فاتّفق فى هذه السنة مطابقةُ حساب الرّبّانيّين والقرّائين ، فعمل الطائفتان جميعا رأس سنتهم يوم الخميس ، وهذا من النوادر التى لا تقع إلا فى الأعوام المتطاولة — انتهى .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشرين المحرم من سنة ست وثلاثين المذكورة عزلَ

---

(١) سنة تحويل : انظر فى التعريف بها (الحاشية ٣ ص ٢٦ ج ١٣ من هذا الكتاب) .

السلطانُ آقْبُغَا الجمالى عن الأستادارية ، وجعل الزَّنجير الحديد فى رقبته ، وأنزله على حمار من القلعة إلى بيت التاج الوالى بسويقة الصاحب ليعاقبه على استخراج المال .

وأصبح السلطانُ من الغد خلعَ على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ بإعادته إلى وظيفة الأستادارية عوضاً عن آقْبُغَا المذكور مضافًا إلى الوَزَر ، وعزله عن وظيفة كتابة السّر ، ورسَمَ السلطانُ للقاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر أن يباشر الوظيفة إلى أن يستقرّ فيها أحدٌ ، وعُيِّن جماعة كبيرة للوظيفة المذكورة فلم يقع اختيار السلطان على أحد منهم .

ورسَمَ السلطان بطلب القاضى كمال الدين ابن البارزِىّ قاضى قضاة دِمَشْق وكاتب سِرِّها ليستقرّ فى كتابة سِرِّ مصر ، وخرج القاصدُ بطلبه من القاهرة فى يوم الأحد ثانى صفر من سنة ست وثلاثين وثمانمائة [ليستقر فى كتابة سِرِّ مصر[1]] ، وأن يستقرّ عوضه فى[2] القضاء بدِمَشْق بهاء الدين محمد ابن القاضى نجم الدين عمر بن حِجِّى ، وأن يستقرّ عوضه فى كتابة سِرِّ دِمَشْق قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفىّ ، ويستقرّ ولد ابن الكشك شمس الدين محمد فى قضاء الحنفيّة بدِمَشْق عوضا عن أبيه ، ويستقرّ جمال الدين يوسف بن الصَّفّىّ فى نظر جيش دِمَشْق عوضا عن بهاء الدين ابن حِجِّى .

ثم فى سابع صفر قَدِمَت الرسلُ المتوجّهة إلى قُبْرُس ، وكان من خبرهم أنهم لما توجّهُوا إلى دِمْيَاط ركبوا منها البحر [المالح][3] فى شينيين[4] وساروا حتى وصلوا إلى اللّاحة فى يوم السبت عاشر المحرّم من سنة ست وثلاثين المذكورة ، فلما وصلوا إلى

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٠) .
(٢) فى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٠ « قضاء القضاة » .
(٣) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٠) .
(٤) الشينى : هى أقدم أنواع السفن ، وكانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول الرومانى . ويقال إنها المركب الطويل ، وهى من أهم قطع الأسطول الإسلامى وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلة ، وانظر (دكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص٣٠٢)

الملاّحة سارَ أعيانُهم فى البَرّ إلى الأفقُسيّة وهى مدينة قُبْرُس ودار ملكها ، وبلغ متملّك قُبْرُس مجيئهم فخرجَ إلى لقائهم وزيرُ الملك فى أكابر أهل قُبْرُس ، فأنزلوهم هناكَ وباتُوا ليلتهم بالمكان المذكور ، وأصبحوا من الغد وهو يوم الاثنين ثانى عشر المحرم عبرُوا المدينة ودخلوا على الملك جوَان بن جِينُوس بن جَاك فى قصره فإذا هو قائمٌ على قدَمَيْه فسلّموا عليه وبلّغوه الرسالة وأوصلوه كتاب السلطان ، كل ذلك وهو قائم على قدميه ، ٥ فأذعن بالسمع والطاعة ، وقال : أنا مملوك السلطان ونائبه ، وقد كنت على عَزْم أن أُرسل التقدمة ، فبلغنى قُدُومكم فأمسكتُ عن ذلك ، فكلّمُوه أن يحلِفَ على طاعة السلطان ، فأجابهم إلى ذلك ، واستدعى القسيسين وحلَف على الوَفَاء وعلى الاستمرار على الطّاعة والقيام بما يجب عليه من ذلك ، فعند ذلك أُفيض عليه التّشْريف السلطانى المجهّز له على يد كبير القَوْم ، فلبسه وقد أظهر السرور والبشر بذلك ، ثم خرَجَت الرسُلُ من عنده ١٠ فداروا بالمدينة وهم ينادى بين أيديهم باستقرار الملك جوَان فى نيابة السّلطنة بمدينة الأفقُسيّة وسائر ممالكها ، وأن لأهل قُبْرُس الأمان والاطمئنان ، وأمروهم بطاعته وطاعة السلطان إلى أن دارُوا البلدَ ، ثم أنزلوهم فى بيت قد أُعِدّ لهم ، وأجرى عليهم من الرّوَاتب ما يليق بهم من كل ما عندهم .

ثم حمل إليهم فيما بعد سبعمائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار ، وذلك مما ١٥ تأخّر على أبيه ، ثم أظهر خصم أربعة آلاف دينار أُخرى ، ووَعَد بحَمْل العشرة آلاف دينار الباقية بعد سنة ، ثم بعث إليهم أيضا بأربعين ثَوْبًا صوفا برَسْم الهديّة للسلطان ، ثم أرسل لكل من الرُّسُل شيئًا بحسب مقامه وعلى قَدْرِه ، ثم أخذ فى تجهيزهم وتَسْفِيرهم حتى كان سفرهم من قُبْرُس بعد عشرة أيام من قدومهم إلى اللِّمَسُون ، فأقاموا [بها][1] إلى أن تهيئوا وركبوا البحر وساروا فيه ستّة أيام ووصلوا إلى ثَغر دِمْيَاط ، ٢٠ ثم خرجوا من مراكبهم ورَكِبُوا المراكب فى بحر النيل إلى أن قدموا القاهرة ، وطلعوا إلى السلطان وعرّفوه ما وَقَع لهم مُفَصَّلا وما معهم من الصّوف وغيره ، فقبِلَ السلطان

(١) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٨١)

ذلك ، وقرأ كتابه فإذا هو يتضمّن السمعَ والطاعة ، وأنه نائب السلطان فيما تحت يده من البلاد والمملكة ، وأنه فى طي عِلمه ومن جملة مماليكه ، فسُرّ السلطان بذلك غاية السرور ؛ فإنه كان أشيع بمصر أنه لما ملك بعد أبيه خرَجَ عن طاعة السلطان ، ومنع الجزية ، فوقع خلاف ذلك — انتهى .

٥ ثم فى يوم السبت ثامن صفر خلعَ السلطانُ على حسن بَك بن سالم الدّوكَرِىّ أحد أمراء التُّركُمان وهو ابن أخت قرا يُلُك باستقراره فى نيابة البُحَيْرة عوضا عن أمير على ، وأنعم عليه بمائة قَرْقَل [(1)] ومائة قوس ومائة تر كَاش [(2)] وثلاثين فرسا ووجهه إلى محل تحكمه بمدينة دمنهور ، فأقام بها سنين عديدة وإلى الآن متوليها هو ولدُه ، وهو يومئذ متولى جَعْبَر .

١٠ ثم ورد الخبر على السلطان بامتناع ابن الكشك من ولاية كتابة سِرِّ دِمَشْق ، وأنه استعفى من ذلك ، فأعفاه السلطانُ ورَسَمَ باستقرار القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين أحد موقّعى الدّست بدِمَشق فى كتابة سِرِّ دِمَشق ، وكتب أيضا باستقرار محيي الدين يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحبحابى المغربى المالكى فى قضاء المالكية بدِمَشق عوضا عن القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد الأموى بعد موته .

١٥ ثم فى يوم الاثنين أوّل شهر ربيع الأوّل قدِمَ إلى القاهرة رسولُ ملك القِطْلَان [(3)] من الفِرنج بكتابه ، وقد نزل على جزيرة صِقِلِّيَة فى ثانى عشرين شهر رمضان بما ينيف على مائة قطعة حربية ، وتضمّن كتابهُ الإنكار على الدّولة ما تعتمده من التجارة فى البضائع ، وأن رعيّته الفِرنج لا يشترون من السلطان ولا من أهل دولته بضاعةً ، وأنهم لا يشترون إلا من التُّجّار ، ثم أعاب على السلطنة صناعة المتجر ، فردّ السلطان رسولَه

٢٠ رَدًّا قبيحًا ، وكتب له جوابا بمثل ذلك .

---

(١) القرقل : نوع من الدروع المغشاة بالديباج (حاشية ٢ ص ٢٠٧ ج ١٢ من هذا الكتاب) .

(٢) التركاش : والتلكش ، هو الكنانة والجعبة التى توضع فيها النشاب (المقريزى — السلوك ١ : ٣٧١ هامش الدكتور زيادة) .

(٣) القطلان : هم الكيتلان وانظر ماسبق ص ٣٠٤ حاشية (٤) . من هذا الجزء

ثم فى هذا الشهر تكرّر توجّه السلطان إلى الصيّد غير مرّة قبليا وبحريا فأبعد ما وصل قبليا إلى إطْفِيح[1] وبحريا إلى شيبين القَصْر بالشرْقِيَّة .

ثم فى تاسع عشر شهر ربيع الأوّل قدِمَ القاضى كمال الدين محمد بن البارزىّ من دِمَشق بعد أن خَرَجَ أكابرُ الدَّولَة إلى لقائه ، وطلع إلى السلطان وقبّل الأرضَ ، ثم نزل إلى داره ، وطلع من الغد إلى القلعة فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الأوّل ٥ المذكور ، وخلعَ السلطانُ عليه باستقراره فى كتابة السّر بالديار المصريّة عوضا عن شهاب الدين أحمد بن السفاح بعد شغور الوظيفة مُدَّةً طويلة ، وهذه ولاية كمال الدين المذكور [لكتابة السّر][2] ثانى مرة ، ونزل فى موكب جليل .

قال المقريزى : وسُرّ الناسُ به سرورا كبيرا ؛ لحسن سيرته وكفايته ، وجميل طريقته ، وكرمه وكثرة حيائه — فالله يؤيده بمنه — انتهى كلام المقريزى . ١٠

قلت : هو كما قاله المقريزى وزيادة حتى إننى لا أعلم فى عصرنا هذا من يُدَانيه فى غزير محاسنه — رحمه الله تعالى .

ثم فى يوم الخميس أول جمادى الأولى قدِمَ الأميرُ مُقْبِل الحسامى الدوادار — كان — نائب صَفَد ، وكان السلطان قد ركب من القلعة إلى خارج القاهرة فلقيه السلطانُ وخلعَ عليه ، وعاد مُقْبِل المذكور فى خِدْمَة السلطان إلى القلعة ، ثم نَزَلَ مُقْبِل فى دار أُعِدَّت ١٥ له ، فأقام بالقاهرة إلى يوم حادى عاشره ، وخلع عليه خلعة السفر ، وتوجه إلى محل كفالته بصَفَد .

ثم فى يوم الخميس ثامنه خلعَ السلطانُ على الأمير أَسَنْبُغَا الطيارى أحد أمراء العشرات ، واستقر فى نظر جدَّة عوضا عن سعد الدين إبراهيم بن المَرَة ، وأذن لابن المَرَة المذكور أن يتوجه إلى خدمته ، فلما كان يوم حادى عشر [جمادى الأولى المذكورة][3] ٢٠

(١) إطفيح : هى من البلاد المصرية القديمة ، وتقع على الشاطىء الشرقى للنيل وهى قاعدة كورة الإطفيحية وانظر (الحاشية ١ص ٣١٧ج ٥ من هذا الكتاب ط . دار الكتب) .

(٢، ٣) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٨٣) .

نُودِى فى الناس بالإذن فى السَّفَر إلى الحجاز — رجبيَّة — صحبة الأمير أَسَنْبُغَا الطيارِى المذكور ، فسُرَّ الناسُ بذلك سرورا زائدا ؛ لأن ابن المرة كان لا يدع أحدا أن يسافر معه خوفا عليهم من قطاع الطريق .

ثم فى سابع عشرين جمادى الأولى المذكورة سافرَ الوزيرُ كريم الدين بن كاتب المناخ إلى جهة الوجه القبلى—وهو يوم ذاك يباشر الوَزَارة والأستادارية معا — وكان سفرُه إلى الوجه القبلى لتحصيل ما يقدر عليه من الجمال والخَيْل [والبغال][1] والغنم والمال لأجل سفر السلطان إلى جهة البلاد الشاميّة ، كل ذلك والناس يأخذون ويعطون فى سفر السلطان ؛ فإنه وقع منه التجهيز للسفر غير مرة ثم تغير عزْمُه عن ذلك .

ثم فى تاسع عشرينه قدم إلى القاهرة كتاب القان شاه رُخّ بن تَيْمُور لَنْك صاحب ممالك العَجَم وجَغْتَاى على يد بعض تُجَّار العَجَم يتضمن أنه يريد كُسْوَة الكعبة ، وأرعد فيه وأبْرَق ، ولم يخاطب السلطان فيه إلا بالأمير بَرْسْبَاى، وقد تكررت مكاتبته للسلطان بسبب كُسْوة الكعبة غير مرة ، وهو لا يلتفت إليه ولا يسمح له بذلك ، بل يكتب له بأجوبة خشنة مشحونة بالتَّوْبِيخ والوعيد والبَهْدَلَة ، حتى إنه كلَّما ورَدَ منه كتابٌ وأجابه السلطان بتلك الأجوبة الخشنة لا يشكُّ الناس أن شاه رُخّ يَرِدُ إلى البلاد الشامية عقيب ذلك ، فلم يظهر له خبر ولا نظر له أثر ، وقد استخف الملكُ الأشرف بشأنه حتى [إنه][2] صار إذا أتاه قاصِدُه لا يلتفت إليه ولا إلى مافى يده من الكتب بالكلية ، ويأتى — إن شاء الله تعالى—ذكر ما فعله ببعض قُصَّادِه من الضرب والبهدلة فى محله من هذا الكتاب .

قلت : لا أعرف للملك الأشرف فى سلطنته حركة بعد افتتاحه قُبْرُس أحسن من ثباته مع شاه رُخّ المذكور فى أمر الكُسوة ، وعدم اكتراثِه به ؛ فإنه أقام بفعْلته هذه حُرْمَةً للديار المصرية ولحكَّامِها إلى يوم القيامة — انتهى .

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٤) .

(٢) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥) .

ثم فى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة أنفقَ السلطانُ فى المماليك المجرّدين إلى مكة — وهم خمسون مملوكاً — لكل واحد منهم مبلغ ثلاثين ديناراً ، وتجهّزوا للسفر إلى مكة صحبة الأمير أسَنْبُغا الطيارى [(١) فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة المذكورة برَزَ فيه الأميرُ أسَنْبُغَا الطيّاريّ](١) بمن معه من المماليك السلطانية والُحجّاج . ٥

وفيه خلع السلطانُ على سعد الدين إبراهيم بن المرَة ليكون رفيقاً للأمير أسَنْبُغَا الطيّاريّ فى التكلُّم على بَنْدَر جدّة .

وفى هذه الأيام قَوِىَ عزمُ السلطان على السَّفَر ، وظهر للناس حقيقة ذلك من تجهيز أمور السلطان وتعلقاته للسفر ، وأيضاً فإنه رَسَمَ فى هذه الأيام بَصَرِّ(٢) نفقة المماليك السلطانية بسبب السفر . ١٠

ثم فى يوم الخميس حادى عشرين جمادى الآخرة [المذكورة](٣) أنفق السلطانُ فى الأُمراء نفقه السَّفَر ، فعند ذلك اضطرَبَ الناسُ وأخذوا فى تجهيز أُمورِهم وتيَقّنُوا صِدْق القَالَة ، فحمل السلطانُ إلى الأمير الكبير أتَابَك العساكر سُودُون من عبد الرحمن أكْيَاس فِضّةٍ حساباً عن ثلاثة آلاف دينار ، وإلى كلٍّ من أمراء الألوف — وهم عشرة أنفس — لكل واحد ألفى دينار ، وإلى كل من أمراء الطَّبْلَخَانَات خمسمائة دينار ، وإلى ١٥ كل من أمراء العشرات مائتى دينار ، وكل ذلك فضّة حساباً عن الذّهب من سعر الدينار بمائتين وعشرين درهماً ، والدينار يومئذ بمائتين وثمانين ، فالنفقة على هذا الحكم تنقص مبلغاً كبيراً ، غير أنه من هو المشاحح لذلك ، ولسان الحال يقول : (يدُ الخلافةِ لا تُطَاوِلُها يدُ) وكان هذا أيضاً بخلاف القاعدة ؛ فإنّ قاعدة الملوك أن تنفق أولا على المماليك السلطانية ، ثم تنفق على الأمراء ، فكان ذلك بخلاف ما كان ، وكان له سبب ٢٠

(١-١) ما بين الرقمين من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥) .

(٢) كذا فى الأصل ؛ وصر النفقة أى أعدها فى صرر لأجل الانفاق . وفى ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥ « بصرف » وسيأتى أنه سيتم الانفاق والصرف فى حادى عشرمن جمادى الآخرة .

(٣) الإضافة من ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٥) .

فيما قِيل ، وهو أن الملك الأشرف كان عنده بُخْل وعدم محبة للسّفر من مبدأ أمْرِه إلى أيّام سلطنته ، وكان أشاع فى السنين الماضية أنه يريد السّفر لقتال قَرَايُلُك يوهِمُ قَرَايُلُك بذلك ليُرْسِل إليه بالدخول فى طاعته ، وكان قَرَايُلُك أرسلَ إلى السلطان فى ذلك لَمّا كان ولده هَابيل فى حَبْس الملك الأشرف ، فلما مات هابيلُ بالطّاعون فى سنة ثلاث وثلاثين فى مَحْبَسِه أمْسَكَ قَرَايُلُك عن مكاتبات السلطان ، وأخذ فى ضَرْب معاملاته ، وصار السلطانُ فى كل سنة يتجهّز للسفر ويشيع ذلك إرْدَاعًا لقَرَايُلُك ، فلم يلتفت قَرَايُلُك لذلك ، فلَمّا طال الأمرُ على السلطان حقّق ما كان أشاعه من السّفر مخافة العار والقالة فى حَقِّه .

وتأييد ما قيل أننى سمعته يقول فى بعض منازله فى سفره إلى آمِد ، وأظنه فى العَوْدة : لو سألنى قَرَايُلُك فى الصُّلح والدخول فى طاعتى بمقدار ما سأله للأمير جَكَم من عوض نائب حَلَب لما مشى لقتاله أو أقل من ذلك لرَضِيتُ ، فهذا الخبرُ يقوِّى القول المقدّم ذكره .

واستمر السلطانُ فى انتظار قُدُوم رسل قَرَايُلُك بالصُّلح فى كل يوم وساعة ، وهو يترجّى أنه إذا بلغه صحة سفر السلطان إلى قتاله يرسل قُصَّادَه فى السُّؤال بالصُّلح ، وأرباب دولته تشير عليه بالتربُّص والتأنى فى أمر السَّفر مخافةً من وقوعهم فى الكُلَف الكثيرة ، فأشاروا عليه بأن يُنْفِق فى الأمراء أوّلا ربما يأتى رسولُ قَرَايُلُك فى السؤال ويُبْرَمُ الصلح ، فيكون اُستعادةُ المال منهم أهون من استعادته من المماليك السلطانية ، فَحَسُنَ ذلك ببال السلطان ، وهو كما قيل فى الأمثال « إن كلمة الشح مطاعة » وأنفق فى الأمراء وعوّق نفقة المماليك إلى أن كان يوم سلخ جمادى الآخرة وقع[1] الإياس من قَرَايُلُك وأخذ فى نفقة المماليك السلطانية فى سلخ الشهر المذكور ، فأنفق على عِدَّة كبيرةٍ من المماليك السلطانية لا يحضُرُنِى عِدَّتهم .

قال المقريزى : وهم ألفان وسبعمائة ، وفى ظنى أنهم كانوا أكثر من ذلك غير أنى

(١) فى ط ، كاليفورنيا ٦ : ٦٨٧ « فلما يئس » .

لم أحرِّر عدتهم ، فجلس السلطانُ بالمقعد الذى على باب البَحْرة من الحوش السلطانى بقلعة الجَبَل ، وأعطى لكل مملوك صُرّةً فيها ألف درهم وخمسون درهمًا [فضة] (١) أشرَفية ، عنها من الفلوس اثنان وعشرون ألف درهم ، وهى مصارفةُ مائةِ دينار من حساب صَرْف كل دينار بمائتين وعشرين درهما فلوسًا ، وكان صَرْف الدينار يوم ذاك بمائتين وثمانين درهمًا ، كما حُمِلت النفقة أيضًا للأمراء على هذا الحساب ، وكانت المماليك ٥
السلطانية اتّفَقُوا على أنّهم لا يأخذون إلا مائة دينار ذَهَبًا ، ودخلوا على ذلك ، فلما استدعى الديوان أوّل اسم من طبقة الرَّفْرَف خرجَ صاحِبُه وأخذ وباسَ الأرضَ وعاد إلى حال سبيله ، واستدعى الديوانُ من هو بَعْدَه فخرجَ واحدٌ بَعْد واحدٍ إلى أن تمت النفقة (٢) ولم يتفوّه أحدٌ منهم بكلمة فى معنى ما اتفقوا عليه ، ولما نزلوا بعد القبض للنفقة صار بعضُهم يوبخُ البعضَ خفية على تَرْك ما اتّفَقُوا عليه ، إلى أن قال لهم بعض المماليك ١٠
المؤيدية : احمَدُوا الله على هذا العطاء ، فوالله لو لم يُنْفِق [السلطان] (٣) فيكم وأمركم بالسّفر معه من غير نفقة لخرجتم معه صاغرين ، وأوّلهم أنا ، فضحك القومُ من كلامه وانصرفوا .

قلت : تلك أمة قد خلت ، هؤلاء القوم يأكلون الأرزاق صَدَقَةً عن تلك الأمم السالفة ؛ فإننا لا نعلم بقتالٍ وقعَ فى هذا القَرْن — أعنى عن قرن التسعمائة — غير وقعة ١٥
تَيْمُورْلَنْك مع نوّاب البلاد الشاميّة على ظاهر حَلَب ، لا مع العساكر المصريةً . وأما ما وقع بعد ذلك من الوقائع فى الدولة الناصرية [فرج] (٤) والدولة المؤيدية [شيخ] (٥) والدولة الظاهرية [طَطَر] (٦) والدولة المنصورية [محمد بن طَطَر] (٧) فهو نوع (٨) من القتال لا القتال المعهود بعينه ، وتصديقُ ذلك أنه لم تكُن وقعة وقعت فى هذ الدّول

(١) الإضافة من (ط. كاليفورنيا ٦ : ٦٨٧) . ٢٠
(٢) فى ط.كاليفورنيا ٦ : ٦٨٧ « الطبقة » .
(٣) إضافة للتوضيح .
(٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) الإضافات للتوضيح .
(٨) فى ط.كاليفورنيا ٦ : ٦٨٨ « فرع » .

أعظم من وقعة شَقْحَب [١] ومع ذلك لم يقتل فى المصاف خمسون رجلا من الطائفتين . وما وقع بعد ذلك من الوقائع فتنجلى الوقعة ولم يُقْتَل فيها رجل واحدٌ ، وقد ثبت عند المؤرخين أنه قُتل فى الوقعة التى كانت بين تَيْمُور لَنْك وبين ملك دلى أحد ملوك الهند فى المصاف زيادة على عشرة آلاف نَفْس فى أقلّ من يوم ، ونحن لا نُطَالب أحداً بذلك ، غير أن الازدراء بالغَيْرِ عَلَى ماذا ؟! — انتهى .

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب قدم الصاحب كريم الدين عبد الكريم من الوجه البحرى بعد أن أخذ خيول أهله وجمالهم وأغنامهم وأموالهم ، هو وأتباعُه ، فما عَفُّوا ولا كَفُّوا .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشر شهر رجب المذكور أُدِير محملُ الحاج ، ولم يعمل فيه ماجرَت به العادةُ من التجمّل ، ولعب الرّمّاحه ، بل أوقِفَ المحملُ تحت القَلْعَة وأُعِيدَ ، ولم يتوجّه إلى مصر ، وهذا شىء لم يعهد بمثله ، وكان سبب ذلك اشتغال الرّمّاحة بالتجهيز للسفر صحبة السلطان .

ثم فى يوم السبت رابع عشر شهر رجب المذكور خرَجت مُدَوّرة السلطان وخيام الأمراء من القاهرة ، ونصبت بالرّيْدَانيّة لأجل سفر السلطان .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشره خرج أمراء الجاليش مُقَدِّمَةً لعسكر السلطان ، وهم الأمير سُودُون من عبد الرحمن أَتَابَك العساكر ، والأمير إينال الجَكَمِىّ أمير سلاح ، والأمير قَرْقَمَاس الشّعْبَانِىّ الناصرىّ حاجب الحجاب ، والأمير قانِى بَاى الحمزاوى ، والأمير سُودُون مِيق ، والجميع مقدّمو ألوف ، ونزلوا بخيمهم بطرَفِ الرّيْدَانيّة تجاه مسجد التبن .

ثم رسم السلطانُ بإخراج البطّالين من الأمراء من الديار المصرية ، فرسم للأمير

(١) شقحب : ويقال تل شقحب ، وهى قرية فى الشمال الغربى من غباغب من ضواحى دمشق وقد انتصر فيها الجيش العربى بقيادة السلطان قطز على التتار فى الثانى من رمضان سنة ٦٩٨ هـ ، وانظر (ج ٨ : ١٦٩ من هذا الكتاب) .

ألطُنبُغا المَرقَبِيّ حاجب الحجاب — كان — فى الدولة المؤيدية [شيخ][(١)] بالتوجّه إلى القُدْس ، ثم رَسَمَ له أن يتوجّه صحبة السلطان إلى السّفر فسافر فى ركاب السلطان ، وهو يوم ذاك من جُملة أمراء العشرات ، ثم رسَمَ السلطانُ بإخراج الأمير أيتَمُش الخضرى الظاهرى المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه إلى القُدْس ، فخرج إليه ، ومنع السلطانُ من بقى من أولاد الملوك من الأسياد من ذُرِّيّة الملك الناصر محمد بن قلاوون ٥ وغيره من سُكْنَى القلعة وطلوعها فى غيبة السلطان ، وأُخرِجُوا من دورهم فيها ، وكانوا لمّا منعوا من سنين من سَكَن القلعة ، ورسَمَ لهم الملكُ الأشرف بالنزول منها والركوب حيث شاءوا ، سكن أكثرُهم بالقاهرة وظواهرها ، فذلّوا بعد عِزِّهم ، وتهتّكُوا بعد تحجُّبِهم ، وبقى من أعيانهم طائفة مقيمة بالقلعة ، وتنزل إلى القاهرة فى حاجاتهم ثم تعود إلى دورهم ، فلما كان سفر السلطان فى هذه السنة أُخرِجُوا الجميع منها ومُنِعُوا من ١٠ سُكْنَى القلعة ، فنزلوا وتفرّقوا بالأماكن بالقاهرة .

والعجبُ أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان فَعَلَ ذلك بأولادِ الملوك من بنى أيّوب ، فَجُوزِىَ فى ذرّيته ، وكان الملك الكاملُ محمد ابن [الملك][(٢)] العادل أبى بكر بن أيوب فعل ذلك بأولاد الخلفاء الفاطميين ، فكل واحد من هؤلاء جُوزِىَ فى أولاده بمثل فِعلِه ، ووقع ذلك لابن الملك الأشرف ولغيره ، ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً . ١٥

ثم فى يوم سابع عشره خلع السلطانُ على دُوَلَات خَجَا الظاهرىّ بإعادته إلى ولاية القاهرة عوضاً عن التّاج بن سيفه الشَّوْبَكِىّ بحُكم سفره مع السلطان مِهْمَنْدَاراً وأستادار الصّحبة ، هذا وقد ترشّحَ الأميرُ آقْبُغا التِّمْرَازى أمير مجلس لإقامته بالقاهرة فى غَيْبَة السلطان ، وترَشّحَ الأمير حُسَين بن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمُش البَهَسْنِىّ للإقامة بباب السِّلسلة فى غَيْبَة السلطان حسبما يأتى ذكره . ٢٠

(١) الإضافة للتوضيح .
(٢) الإضافة من (ط . كاليفورنيا ٦ : ٦٨٩) .

تم الجزء الرابع عشر من النجوم الزاهرة

ويليه الجـــزء الخامس عشر

وأوله ذكر سفر السلطان

الملك الأشرف برسباى

إلى آمِد

فهرس (1)

الجزء الرابع عشر

من

كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

(1) قام بعمل جميع الفهارس لهذا الجزء فهيم محمد شلتوت

فهرس الملوك والسلاطين الذين تولوا مصر

من سنة ٨١٥ — ٨٣٦

فهرس الأعلام

(ص)

(ك)

(ن)

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط والطوائف والجماعات

فهرس البلاد والأماكن والأنهار والجبال وغير ذلك

(ذ)

(ر)

فهرس الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الوظائف والرتب والألقاب التى كانت مستعملة فى عصر المؤلف

(ى)

فهرس وفاء النيل

من سنة ٨١٥ ـ ٨٢٤

فهرس أسماء الكتب الواردة بالمتن والهوامش

(ن)

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

إصلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية نوضحها هنا ليستدركها القارئ

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	١٦	كتابه	كتابة
١١	٢٤	قرقماش	قرقماس
١٨	٢٤	مجلة	محلة
٢٣	٢٢	بن	تبن
٢٣	٢٣	النبة	القبة
٢٨	٧	حفرة	حفره
٤٠	١٧	يومئد	يومئذ
٧٠	٢٤	آدى فيشر	آدى شير
٨٨	٢٠	لم أعثر عن	لم أعثر على
٨٩	١٤	عيظمة	عظيمة
٩٦	١	وخظب	وخطب
١١٠	٧	انى	انتهى
١١٥	٥	تغرى برد	تغرى بردى
١١٥	٧	شبببين	شيبين
١١٩	٢٢	وزواجا	وزواجها
١٢٦	٢٣	نفحا	نفحها

ص	س	الخطأ	الصواب
١٢٦	٢٤	الشيخ	الشيح
١٣٣	١٤	ترعُوا	ترعَوا
١٣٣	١٥	نودمک	نودعكم
١٣٣	١٦	أعتُرض	أُعتُرِض
١٣٦	١١	ثمان تَمر	ثمان تَمر
١٣٧	٥	أماما	إماما
١٣٨	١٨	فرح	فرج
١٣٨	١٩	عوضا نوروز	عوضا عن نوروز
١٤٥	٧	المؤيدى شيخ	المؤيد شيخ
١٥٨	٣	كَنف	كَنَف
١٥٨	٧	الخلق والخُلْق	الخَلْق والخُلُق
١٥٨	١٠	دع ظلمُ	دع ظُلْمَ
١٦٢	٥	الناصر	الناصر
١٦٤	٩	حررب	حروب
١٦٨	٩	السلطنة	السلطنة
١٦٩	١	يحلس	يجلس
١٧١	١٠	بإذاء	بإزاء
١٧٢	١٢	باستقراءه	باستقراره
١٧٢	١٢	داوادارا	دوادارا
١٧٥	١١	كمل الدين	كمال الدين

ص	س	الخطأ	الصواب
١٨١	١٠	خلقة	خافقة
١٩٣	١٤	الأمر	الأمير
١٩٥	١٥	بخدمة الك	بخدمة الملك
١٩٦	١٦	بحاظر	بخاطر
١٩٨	١٠	النبة	القبة
١٩٨	١٤	اللاهرة	القاهرة
١٩٨	١٧	أيتمس	أيتمش
١٩٩	٨	العلالى	العلائى
١٩٩	١٠	وإما	وإنما
١٩٩	١٥	صغر	صغار
١٩٩	٢٢	الـ ـديمو	القديمو
٢٠٠	٨	المالك	الملك
٢٠١	١٧	أنالى	أتالى
٢٠٤	١٦	فدحلا	فدخلا
٢٠٦	٧	الـ لمة	القلمة
٢٠٧	١٥	كـ ن	كان
٢٠٧	١٨	ذ ـلك	ذلك
٢٠٨	١٧	ممابيكه	مماليكه
٢٣٢	١٩	خجة	حجة
٢٥٨	٨	يبن	بين

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٧٥	٢٣	وأكثر منها	وأكثر ما
٢٨٥	١	وأخذ تجهيز	وأخذ فى تجهيز
٢٩٠	١٠	يتمارسون	يتحارسون
٢٩١	٣	أزدمر لأمير	أزدمر الأمير
٢٩٤	١١	الواقعة	الوقعة
٢٩٧	٢١	الأصل الصواب	الأصل هو الصواب
٢٩٨	١٣	اوخلع	وخلع
٢٩٨	١٥	يم	يقوم
٣٠٦	١٣	بحك	بحكم
٣٠٨	٢	الناصر	الناصر
٣٠٩	٢	ذ لك	ذلك
٣٠٩	٤	جاى بك	جانى بك
٣١١	١٨	المحمل	الحمل
٣١٢	٧	البعدادى	البغدادى
٣٥٤	٣	الحالية	الخالية

فى صفحتى ٣٦٠ ، ٣٦٢ : كتبت السنة بأعلى الصفحتين ٨٣٦ وصوابها ٨٣٥

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٦٢٩٧

